المجلد التاسع
العدد الثالث ٢٠٠٦

علوم اللغة

٣٥

فى هذا العدد :

- البنية الدلالية والإحالية للضمائر
- تخفيف عين الكلمات الثلاثية
- علم الدلالة
- مصطلح المعنى فى كتاب سيبويه
- دلالة السمات شبه اللغوية



للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

علوم اللغة

دراسات علمية مُحَكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دورى

المجلد التاسع | العدد الثالث | ٢٠٠٦



بسم الله الرحمن الرحيم

علـوم اللغـة

دراسات علمية مُحكَمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دورى

مج٩، ع٣، ٢٠٠٦

قيمة الاشتراك السنوى :

٨٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد :

٢٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

أسعار خاصة للطلبة :

المراسلات :

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى :

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

ص . ب (٥٨) الدواوين – القاهرة ١١٤٦١ القاهرة – جمهورية مصر العربية

تليفون ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

المحتويات

البحوث	الصفحة
البنية الدلالية والإحالية للضمائر	٩
د. أشرف عبد البديع عبد الكريم	
تخفيف عين الكلمات الثلاثية	١٣٩
د. قبارى محمد شحاته	
علم الدلالة	١٨٩
د. عبد الكريم محمد حسن جبل	
مصطلح المعنى فى كتاب سيبويه	٢٦٥
د. صبحى إبراهيم الفقى	
دلالة السمات شبه اللغوية (المصاحبة لأداء الكلام فى عملية التواصل)	٣١٣
د. عبد المنعم السيد أحمد جدامى	

"بسم الله الرحمن الرحيم"

تقديـــــــم

يضم هذا العدد من سلسلة علوم اللغة الذى يصدر بإشراف ا٠د/ سعيد حسن بحيرى، أستاذ علوم اللغة ، ووكيل كلية الألسن لشؤون التعليم والطلاب مجموعة من البحوث اللغوية فى حقول لغوية قديمة وحديثة ، وبمعنى أصح يجمع بين بحوث حديثة، وموضوعات تراثية تعالج من منظور حديث؛ فالبحث الأول دراسة جيدة فى ضوء التحليل النصى ، وهى البنية الدلالية والإحالية للضمائر ، والثانى دراسة صرفية متميزة، وهى تخفيف عين الكلمات الثلاثية. أما الثالث فترجمة لفصل من كتاب يتعلق بفرع مهم من فروع علم اللغة وهو علم الدلالة ، ويتوقف الرابع عند مصطلح "المعنى" فى كتاب سيبويه ، محاولاً تحديد دلالاته واستعمالاته فى دستور النحو العربى . أما البحث الخامس والأخير فهو دراسة متقدمة فى إطار أرحب لعلم اللغة المعاصر ، وهى دلالة السمات شبه اللغوية المصاحبة لأداء الكلام فى عملية التواصل .

وبعد ...... فلا شك فى أن المجلة تحاول أن تنهض بالبحث اللغوى ، وأن تؤازر الباحثين الشبان الواعدين الذين يصعب عليهم أن يجدوا مكاناً مناسباً لبحوثهم المغرقة فى التخصص . وقد أشرت فيما سبق أن طاقة المجلة محدودة ، وأنه قد تم الاتفاق على ألا يزيد عدد صفحات البحث عن (٧٠) صفحة . وهاأنذا أعتذر للقارئ الكريم عن طول بعض البحوث التى يصعب تجزئتها ، ورجاء أصحابها أن تنشر كاملة حتى يمكن أن تقدم صورة شاملة ودقيقة للموضوعات المدروسة . فماذا أفعل غير النزول على رغباتهم ، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وتســـعد أســـرة تحرير المجلة أيما سعادة أن تهدى هذا العدد أيضاً إلى

أســـتاذنا العالم الفاضــــل ا٠د/ **محمود فهمى حجازى**

أطال الله فى عمره ، ومتعه بكل صحة وعافية

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل ،،،

أســـــرة التحرير

شروط النشر

- يقبل هذا الكتاب نشر الدراسات والأبحاث فى علوم اللغة ، ونتائج البحوث الاستكشافية ، والمراجعات العلمية ، وتقارير الممارسات والمشروعات والأنشطة العلمية، وعروض الكتب اللغوية المتخصصة العربية أو الأجنبية .
- يفضل أن تكون الدراسة فى حدود ١٥٠٠٠ كلمة ، والمراجعة العلمية فى حدود ٦٠٠٠ كلمة ، والتقرير فى حدود ٢٠٠٠ كلمة ، وعرض الكتاب فى حدود ١٥٠٠ كلمة .
- يشترط ألا يكون العمل قد سبق نشره أو قدم للنشر فى أى مكان آخر .
- تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم ، ويخطر صاحب العمل بقبوله أو بملاحظات التحكيم أو الحاجة إلى المراجعة .
- تقدم الأعمال بخط واضح ، أو مطبوعة على الحاسوب .
- تقدم الرسومات بشكل جاهز للاستنساخ المباشر .
- يراعى فى الاستشهادات المرجعية الدقة فى التوثيق واكتمال بيانات الوصف ، والاطراد فى ترتيب عناصر البيانات .
- يعبر ما ينشر فى هذا الكتاب عن رأي كاتبه ولا يمثل بالضرورة رأي المحرر أو الناشر.
- لا يعاد نشر أى عمل مما ينشر فى هذا الكتاب الدوري إلا بإذن كتابى من الناشر .
- يخضع ترتيب المواد فى النشر لاعتبارات فنية ولا علاقة له بمكانة المؤلف أو قيمة العمل.

البنية الدلالية والإحالية للضمائر

د. أشرف عبد البديع عبد الكريم
أستاذ مساعد بكلية دار العلوم
جامعة المنيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد النبي الأمي وعلي آله وصحبه وسلم إلي يوم الدين ...

أما بعد ...

تعد هذه الدراسة جزءاً ضمن إطار أطروحة الدكتوراه التى كان موضوعها : دلالة التراكيب عند الزمخشرى، وقد تمت مناقشتها فى ١٤/ ١٠/ ١٩٩٩م بكلية دار العلوم، جامعة المنيا، وجاءت فى إطار القنوات العلمية المشتركة بين جامعتى المنيا / مصر وهايدلبرج / ألمانيا الاتحادية تحت إشراف علمى متميز من :

أ. د. محمود فهمى حجازى أستاذ علم اللغة – آداب القاهرة

البروفسور رئيف چورچ خورى أستاذ ورئيس قسم الدراسات العربية جامعة هايدلبرج / ألمانيا الاتحادية .

وتنبغى الإشارة إلى أننى لم أقم بالمحو أو الإثبات فيما كتب منذ زمن انقضى، إلا ضبط جوانب العبارات، لم تؤثر على الصياغة الكلية أو مضمون العبارة، ومن هنا جاءت كما هى فى الأصل، ولم تتغير إلا الطباعة الجديدة . ويعد هذا الجزء هو الأول من نوعه الذى بدأت أقدمه

للنشر من الرسالة، راجياً المولى سبحانه أن يوفقنا فى طباعة الأجزاء الأخرى .

يضم هذا البحث عدداً من القضايا الأساسية التى تعمل على تنصيص النص، وهى قضايا أساسية فى سبك وحبك بنية النص القرآنى من منظور الزمخشرى فى كشافه .

وإذا كانت قضايا الإحالة عديدة(*) ومنتشرة فى كل النصوص المختلفة، فإن النص لا يمكن أن يكون محكماً مترابط الأجزاء، إلا من خلال هذه الروابط، وإلا يعد مفككاً، وبناء عليه يفقد المعانى المختلفة التى تنتجها الجمل المكونة لبنيته، والتى بدورها تكون معنى عاماً يلم شتات المعانى المختلفة تحت سقف معنى واحد .

ومن هنا فإن الإحالة بالضمير تمثل أحد جوانب الإحالة، وأرى أن الباحثين العرب للأسف الشديد يركزون على قضايا الإحالة بشكل لافت للنظر، تاركين القضايا الإحالية الأخرى؛ ويدل هذا على شيئين :

الأول : إما عن نقص معرفتهم بما أنتجته الدراسات الغربية فى هذا المجال .

الثانى : وإما أنهم يرتقون مرتقى سهلاً، مفضلين المترجم (وهو قليل مقارنة بما هو موجود/ بالفعل فى سيرة الدراسات الأوربية وبخاصة الألمانية) وعلى الرغم من ذلك فإن هذه المترجمات والدراسات النقدية

(*) أشار زتسيسلان إلى أعداد مختلفة من الإحالات التى تحتاج إلى دراسات تطبيقية موسعة للتحقيق من مدى فاعليتها على النصوص العربية المختلفة، الأمر الذى يمكن أن يكشف عن قاعدة النص التى تمثل هذه النصوص المختلفة . مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النصوص ص ص ١٢٤ : ١٣٨ .

قيمة لا ينكرها إلا جاحد فى تعريف شباب الباحثين بهذا العلم الحديث نسبياً، خاصة لأولئك الذين ليس لهم دراية بلغة أوربية، وخاصة الألمانية.

على الرغم من قلة الدراسات النقدية والمترجمة التى لا يمكن أن تشبع رغبة من يريد أن يقيم تصورات راقية، ونذكر من هذه الدراسات ما قام به شيخى أ. د. سعيد حسن بحيرى من ترجمة عدد من الدراسات النصية ذائعة الصيت، ونذكرها على النحو التالى :

علم النص لتون ڤان ايك .

مدخل إلى علم لغة النص ڤولڤجانج هاينه من / د. يتر فيفيرهر.

مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النصوص زيستيسلاف واورزنياك ودراسات أخرى قيد الطبع .

وترجمة د. تمام حسان : النص والخطاب والإجراء لروبرت دى بروآند .

* * * *

يأتى هذا البحث فى ثلاثة محاور أساسية نفصّل فيها القول على النحو التالى، جاء المبحث الأول، ليناقش قضايا العناصر الإحالية والدلالية لضمير الفصل من حيث دلالته، وكيف ترقى هذه الدلالات إلى ربط بنية النص، وكيف أن دلالته الأساسية (الربط) تمثل سمة جوهرية أساسية فى هذا الشأن، على أية حال فإن هذه السمة ليست خاصة بضمير الفصل أو الشأن أو الإشارة، وإنما هى سمة يمكن أن تقع مواقع عدة، تضم عدداً من حروف العطف أو الضمائر أو المقابلة أو إعادة اللفظ، أو الترادف والتبعية ... إلخ .

ومن هنا تمثل وظيفة أساسية/ عامة تنطبق على كل ذلك، وعلى الرغم من ذلك فإن ثمة وظائف دلالية تمتاز بها الضمائر الثلاثة المعالجة هنا : الفصل والشأن والإشارة، من منظور الزمخشرى كما ذكرت منذ قليل .

وتبقى المعالجة فى المبحث الثانى فى البنية الدلالية والإحالية لضمير الشأن والمبحث الثالث لضمير الإشارة، كما جاءت فى ضمير الفصل، أعنى فى التحليل المتبع، ومن ثم خلصت الدراسة إلى عدد من الملحوظات التى جاء ذكرها فى نهاية التحليل، وقد كشف التحليل – بما لا يدع مجالاً لريب عن إسهام هذه العناصر فى سبك وحبك بنية النص القرآنى .

هذا وإن كنت قد أخطأت فمن نفسى والشيطان، وإن كنت وفقت فى بعض المواضع فمن الله وحده، هو حسبى، عليه أتوكل وإليه أنيب .

كتبه

أشرف عبد البديع عبد الكريم

المنيا فى ١٤/ ٢/ ٢٠٠٥م

توطئة :

اختلف النحاة حول رتبة الضمير – كما اختلفوا حول قضايا أخرى مرتبطة به – بيد أن الترتيب هنا حسب رؤية الزمخشرى، وبالتالى حسب رؤية النحاة، ومن ثم فإن هذه النظرة تمثل رأى جمهور البصريين، غير أن الكوفيين جعلوا العلم فى مرتبة أولى، يليه الضمير[1] .

وبالتالى فإن النظرتين مختلفتان من حيث الأساس الدلالى لكل منهما . وربما انطلقت وجهة نظر جمهور النحاة فى هذا الشأن، أن الضمير ليس كالاسم والصفة أو الفعل، بمعنى أن دلالته لا تتحدد إلا بما يعود عليه، وبما أنه ليس كالاسم والصفة والفعل ... الخ من الناحية الوظيفية، ومن ثم يتجه معناه ويقترب أو يكاد يتشابه مع الحرف من جهة الوظيفة، بمعنى أن كلا منهما لا يدل على معنى فى ذاته، إذ يفتقر كل منهما إلى موضح ومفسر بالنسبة للضمير، والمجرور بالنسبة لحرف الجر .

ولعله فى هذا المقام يمكن إجمال المواضع التى تلتقى فيها الضمائر والحروف :–

١ – أشبهت الضمائر الحروف، أن الضمائر مبنية بحيث لا تتصرف تصرف الأسماء فلا تثنى، بسبب كون أكثرها قد وضع على حرف واحد أو حرفين وحمل ما وضع أكثر من ذلك عليه .

٢ – وجه آخر الشبه الجمودى، وهو كون الضمائر بحيث لا تتصرف تصرف الأسماء، فلا تثنى ولا تصغر، وأما نحو : هما، وهم وهن

---

(١) ابن يعيش : شرح المفصل (ب) ١ / ٩٨٣ . تجور الإشارة هنا إلى الرمز (ب) يشير إلى الطبعة الأوربية .

Dr. G. John ; Erste Band , leipziq , 1882 .

وأنتما وأنتن، فهذه صيغ وضعت من أول الأمر على هذا الوجه، وليست علاقة المثنى والجمع طارئة عليها .

٣ - أشبهت الضمائر الحروف، وهى أنها مفتقرة فى دلالتها على معناها البتة إلى شئ، وهو المرجع فى ضمير الغائب، وقرينة التكلم أو الخطاب فى ضمير الحاضر .

٤ - أشبهت الضمائر الحروف فى أنها استغنت بسبب اختلاف صيغها عن أن تعرب ... فأشبه الحرف فى عدم الحاجة إلى الإعراب، وإن كان بسبب الحاجة مختلفا فيه[١] .

وإذا كان الضمير لابد له من عائد يعود عليه، أو ما يطلق عليه بالضمير العائد أو الإحالة (Rückweis Pronomen) إذا لا يمكن فهمه فى ذاته، أو منفرداً إذ هو : ضرب من الكناية، فكل مضمر كناية، وليس كل كناية مضمرا، وإنما صارت المضمرات معارف؛ لأنك لا تضمر الاسم إلا وقد علم السامع على من يعود ...[٢] .

وسيشير الباحث فى موضع لاحق عند الحديث عن ضمير الإشارة إلى المفارقة بين الضمير بوجه عام وضمير الإشارة بوجه خاص .

ويشير الضمير فى أغلب الأحيان إلى اسم ظاهر (إحالة معجمية)، محدد الدلالة، ومن ثم فإن : تحديد دلالة هذا الظاهر قرينة لفظية تعين الإبهام الذى كان الضمير يشتمل عليه بالوضع؛ لأن معنى الضمير وظيفى وهو الحاضر أو الغائب على إطلاقهما، فلا يدل دلالة معجمية لا يضمه المرجع وبواسطة هذا المرجع يمكن أن يدل هذا الضمير على معين...[٣] .

---

(١) ابن عقيل : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ص ٩٢ .

(٢) ابن يعيش : شرح المفصل (ب) / ٩٨١ .

(٣) د . تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١١١ .

وبناء على هذا فإن الضمير على وجه العموم فارغ الدلالة، بمعنى أن دلالته في المعجم تمثل صفرا، وبالتالي لا يقوم بدوره إذا استخدم منفردا، بل لابد له من تركيب يعمل من خلاله، كالحرف الذي يحتاج إلى مجرور، فهو يحتاج إلى تراكيب يستطيع من خلالها أن يقوم بدوره .

وتتفق هذه الرؤية وما ذهب إليه **ليز** (O . LEYS) من أنه يمكن للضمير العائد أو الإحالة ... أنه يربط بمحتوى التعبير بين الخبر والمبتدأ، وهو نموذج ناقص الدلالة في ذاته إلا إذا تعلق أو حدد من عناصر أخرى في النص، وهو من خلال ذلك يكتسب دلالته[١] .

ويؤكد **كلاوس هويزينجر** : (Klaus, Heusinger) في تحديد مختصر له بالنسبة للضمائر: بأنها كلها يمكن وصفها بأنها نكرة في ذاتها، أي تحتاج إلى غيرها ولابد من وجودها في تركيب ووصف هذا الضمير بأنه نكرة، أي مفتقر إلى غيره، أو إلى ما يوضحه ويزيل نكرته التي تعني إبهامه، وهذا الافتقار في الضمير يشبه الافتقار في الحرف، من حيث احتياج كل منهما إلى غيره[٢] .

أما إذا وجد منفردا فلا معنى له، فإذا قلت : (هو) ولم يكن داخل إطار جملة، فإن هذا لا يدل على شيء إذ لابد من إحالة إلى سابق أو إلى لاحق، توضح من هو ؟ فإذا وضع داخل جملة دل على معنى، كما في قوله تعالى (هُوَ اللهُ الذي لا إِلَهَ إِلا هُوَ) .

ومن هنا تلتقي الرؤية الغربية الحديثة ورؤية النحاة العرب حول

---

(١) Odo, Leys : Das Reflexivpronomen , Eine Variante des Personalpronomen , S.223. Johannes , Erben : Abriss der Deutschen Grammatik , S.198 .

(٢) Klaus , Heusinger : Salienz und Referenz .... . S. 147 .

افتقار الضمير وحده إلى تأدية الغرض، لأنه نكرة والنكرة لا تفيد، ومن ثم تشير هده الملاحظة إلى مدى الالتقاء بين الفكر الإنسانى من جهة، ومن ناحية ثانية بين القدامى والمحدثين .

ويرتبط عنصر الإحالة على وجه العموم بعملية النطق الكائنة فى السياق والعنصر الكتابى، أو بحسب معرفته بطرق أخرى، كما يذهب كلاوس[١] .

وإذا كانت الضمائر تلتقى مع الحرف فى مواضع، فبالتالى تختلف عن الأسماء، ويختلف النظام فى الضمائر عن النظام فى الأسماء فى وجوه منها :

١ - تكون الضمائر نظاما مغلقا محدودا، فى حين تكون الأسماء الصريحة قسما مفتوحا .

٢ - تتميز الضمائر ببعض السمات الصرفية التى تغيب من الأسماء، من ذلك انقسامها حسب الإعراب إلى ضمائر رفع وضمائر نصب، وهذا أمر معدوم فى الأسماء[٢] .

وتعد الضمائر قسما من أقسام الربط فى اللغة العربية، إذ تشترك مع روابط أخرى مثل الربط بالحروف أو إعادة اللفظ، أو إعادة المعنى، أو العهد، وبالتالى تمثل الضمائر أحد الروابط الأساسية فى بناء النص فى الفصحى .

ويقتصر البحث فى هذا الموضع على معالجة نوع واحد من أنواع هذه الروابط، وهو الربط بالضمير (الضمائر)، وإذا كان التركيز على

---

(١) Ebenda , S . 147 .

(٢) الأزهر الزناد : نسيج النص، ص ١١٧ .

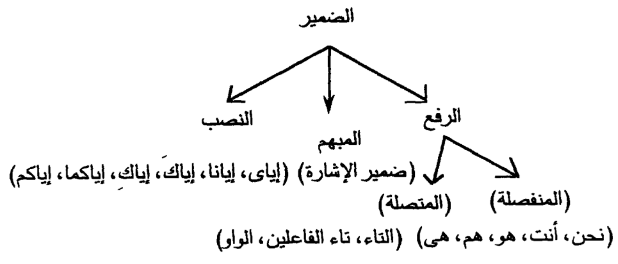
الضمائر فى هذا الموضع - حسب معالجة الزمخشرى - فإن الزمخشرى لم يعالج كل الضمائر، وإنما عالج أقساما وأنواعا منها، وبناء على هذا ستقتصر المعالجة على مناقشة الضمائر الآتية : ضمير الفصل، ضمير الشأن، ضمير الإشارة (المبهم) .

وينبه الباحث فى هذا السياق أن الاقتصار على كل من ضمير : الفصل والشأن والإشارة لا يقلل بحال من الأحوال من شأن وقيمة الروابط النصية الأخرى[1]، وإنما الاقتصار على هذه الروابط؛ لأن الإحصاء المستخلص أثبت أن هذه الضمائر هى الأكثر ورودا، أى معالجة عند الزمخشرى، ومن هنا فإن الزمخشرى لم يعالج من الضمائر إلا ثلاثا : ضمير الفصل، ضمير الشأن، ضمير الإشارة، صحيح أنه قد عالج بعض الضمائر المتصلة (الفعلية) كما فى قوله تعالى (إيك نعبد وإياك نستعين)[2]، غير أن هذا النوع جاء فى إطار التركيب الفعلى، كما سيأتى فى الدراسة، أما الضمائر الاسمية فلم يشر إلا لهؤلاء الثلاثة؛ أى أنه عالج الضمائر المنفصلة، والمبهم ليس غير، ويمكن القول إجمالا بأن الزمخشرى قد عالج من الضمائر : ضمائر الرفع وضمائر الإشارة، ولمحاولة إيضاح هذه الرؤية أضع الشكل التالى :

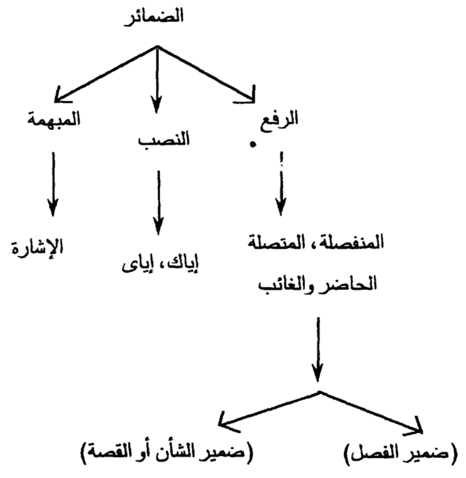
---

(١) سأعالج الروابط بالحروف فى فصل مستقل من هذه الدراسة .

(٢) ١ / ٩ ، ١٠ .



شكل توضيحي رقم (١) يوضح تقسيم الضمائر كما وردت عند النحاة العرب



شكل توضيحى رقم (٢) يوضح أشكال الضمائر التى عالجها الزمخشرى

وإذا كان الزمخشرى قد عالج من الضمائر الرفع المنفصلة، وأقتصر فيها على ضميرى : الفصل، والشأن، فإن ضمائر الفصل فى ذاتها كثيرة

(هو، هى، أنت، أنتم، أنتما ...) وليس المقصود هذه الضمائر، وإنما الغرض مما تؤديه هذه الضمائر، ولا أحسب أن الزمخشرى كان يركز على ضمير (هو) مثلا على أساس أهميته مقدما إياه على (أنت)مثلا، وإنما الغرض الأساسى هو الضمير فى حد ذاته، أى لما تؤديه دلالته، وبالتالى فإن الزمخشرى يعالج من الضمائر ما يعن له، وأزعم أنه لم يكن فى حسبانه الضمير ذاته، بقدر ما كان يشغله الغرض والدلالة .

والأمر كذلك بالنسبة لضمائر النصب، إذ لم يعالجها الزمخشرى جميعا، وإنما عالج منها ما عنّ له أثناء دراساته التى قام بها، ومنها دراسته حول القرآن الكريم – الكشاف – ومن هنا يمكن القول بأن الشكل رقم (٢) يمثل تصورا عاما لمعالجة الزمخشرى، صحيح أن الزمخشرى عالج قضايا الشكل (٢) إلا أن ثمة تفريعات أو ضمائر لم يشر إليها، والأمر لا يعدو أن تكون طبيعة المادة المعالجة هى التى فرضت أو أملت عليه هذا .

من مقارنة الشكلين (١)، (٢) يتضح أن الزمخشرى لم يعالج من الضمائر إلا المنفصلة منها بدون استثناء ممثلة فى ضميرى : الفصل والشأن، وفى مقابل ذلك عالج من ضمائر النصب (إيّا) مضافا إليها ضمير المتكلم (ى) أو المخاطب للمذكر (ك) ... إلخ حسب ما ورد من الأنماط القرآنية، ويعد (إياك) و (إياى) من أكثر أنماط الضمائر شيوعا فى القرآن الكريم – بالنسبة لضمائر النصب – وبالتالى فهى أكثر الأنماط معالجة عند الزمخشرى – كما سيتضح من خلال الشكل رقم (٢) أن الزمخشرى لم يعالج من ضمائر الرفع المتصلة (تاء الفاعل، نا الفاعلين) ربما فى ظنى على أساس أنها معارف ولا تحتاج إلى مناقشة حول

قضاياها، وقد أشرت فى هذا السياق إلى ضمير الإشارة، ووضعته جنبا إلى جنب مع الضمائر الأخرى المعالجة فى هذا الموضع؛ لما له من سمات يشترك فيها مع الضمائر، أوضحها فى موضعها من الدراسة .

ويمكن أن أشير هنا إلى ملاحظة يسيرة وعامة، أن الضمائر - عموما - فى التراكيب اللغوية والنصوص، تؤدى وظائف مهمة منها :

الأولى : إن عنصر الإحالة (الضمير) يحدد العنصر المشار إليه تحديدا تاما، سواء أكان سابقا أم لاحقا، أم غير موجود فى النص (خارج النص) ، وهذا التحديد يؤمن اللبس . وفى هذا السياق يرى چون لايونز : (John Lyons) أن مغزى ضمير الإحالة (أو العائد) هو تحديد وفهم موضع الكلمة فى النظام فى علاقاتها بالكلمات الأخرى المجاورة لها - سواء كانت سابقة أم لاحقة - وهذا التحديد يكون بالربط بين عناصر داخل التركيب[١] .

الثانية : إن وجود الضمير، يعنى أن ثمة نوعا من الإحالة، أى أن وجوده يغنى عن التكرار، أى تكرار العنصر المشار إليه، وهذا ما يطلق عليه الاقتصاد فى اللغة (الإيجاز)[٢]، هذا التعويض أو الاستعاضة (للضمائر) ترتكز على الوحدات السياقية، نعم هذا أساسى بالنسبة للضمائر من حيث إنها تعمل على ربطها وتماسكها مع موضوع النص (أو عناصر النص) ، من هذا فإن تحديد النص كله من خلال الضمائر التى تعمل على تماسك وتشابك النص[٣] .

---

(١) John Lyons : Einführung in die moderne Linguistik, S.437 .

(٢) ينظر ابن يعيش : شرح المفصل ١ (ب) ٣٢٨ .

(٣) W. Heinemann, u. A, : Textlinguistik, EineEinführung, S. 29 .

الثالثة : إن وجود ضمير الفصل يعمل على توكيد محتوى السياق[١] .

ويمكن أن تمثل الوظيفة الثالثة – حسب الإحصاء – وظيفة عامة، تنطبق على سائر الضمائر المعالجة فى هذا الموضع، إلا أن الزمخشرى أشار إلى هذه الوظيفة في معرض تحليله لأنماط ضمير (١) الفصل وضمير الإشارة، أما ضمير الشأن فلم يشر الزمخشرى إلى هذه الوظيفة من قريب أو بعيد، بيد أن الجرجانى أشار إليه أثناء تناوله لضمير الشأن، على أية حال سيتضح هذا أكثر من خلال معالجة هذا فى موضعه من البحث .

وبالتالى فإن رؤية **ليڤاندوڤسكى** : (LEWANDOWSKI) فى مجملها تتفق ورؤية النحاة والبلاغين العرب، إلا أن المفارقة بين الرؤية الغربية الحديثة والرؤية العربية القديمة أن الرؤية الحديثة تمثل رؤية عامة تنطبق على كل الضمائر، أما رؤية النحاة فقائمة على معالجة كل ضمير على حدة، ومن ثم حددوا السمات الخاصة بكل ضمير، ثم استخلصوا من خلال ذلك الصفات المشتركة بين هذه الضمائر، ومن خلال ذلك يستطيع المرء أن يستشف هذه الوظائف العامة التى تشترك فيها الضمائر، ومنها التأكيد، الذى أشار إليه ليڤاندوڤسكى .

والذى يمكن قوله فى هذا السياق إن التوكيد هنا، ليس توكيدا بأداة، وإنما هو توكيد من نوع آخر، حيث تشترك الضمائر جميعها وتعمل على ربط أجزاء النص عن طريق الإحالة سواء إلى متقدم أم إلى لاحق، ومن

(١) Th . Lewandowski : Linguistisches Worterbuch, Band 2, S. 80 .
وينظر : Fünk, Kolleg: Sprache, Einführung in die moderne Linguistik,. Band 2, S. : 103 .

ثم فإن هذا الربط فى ذاته يعمل على تشابك النص وتماسكه، وتمثل هذه وظيفة فى حد ذاتها، وبالتالى تؤكد ترابط البنى الصغرى المكونة للتركيب (الكلمات، الأدوات) بالبنى الكبرى المكونة لأجزاء النص وبنائه عن طريق الإحالة، ومن هنا فإن هذه الوظيفة يمكن أن تنطبق على الضمائر كافة باختلاف أنواعها .

ونتيجة لهذا، فإن الروابط الإحالية – بوجه عام – تقوم بعملية ربط ليست بين أجزاء التركيب، وإنما بين أجزاء النص المتباعدة، على نحو ما سيتضح فى النص القرآنى .

وفى إطار تحديد طبيعة الروابط الإحالية (الضمائر)، لابد من الإشارة إلى العناصر التى تعوضه : وهى فى الكلام وحدات معجمية (أسماء مفردة أو ما يضارعها من المركبات) يمكن أن نطلق عليها مصطلح العنصر (الإشارى) (Deicticelement)؛ وتشمل كل ما يشير إلى ذات أو موقع أو رمز إشارة أولية لا تتعلق بإشارة أخرى سابقة أو لاحقة؛ فيمثل العنصر الإشارى معلماً (Index) لذاته، لا يقوم فهمه أو إدراكه على غيره، وتمثل العناصر الإشارية فيه جملة الذوات التى تكون العناصر الأساسية الدنيا فى عالم الخطاب؛ وتتصل هذه الذوات مباشرة بالمقام دون توسط عناصر إحالية أخرى؛ فهى لا ترتبط بالحقل الإشارى Deictic field ارتباطا آنيا محددا مباشرا لا يتجاوز ملابسات التلفظ التى يتقاسمها طرفا التواصل، وهى فى ذلك تقابل العناصر الإحالية التى ترتبط بالسابق وما يتعلق به من ملابسات . ويشمل العنصر الإشارى :

– لفظاً مفرداً دالاً على حدث أو ذات موقع ما فى الزمان أو المكان.

– جزءاً من الملفوظ أو الملفوظ كاملاً[1] .

(١) الأزهر الزناد : نسيج النص، ص ١١٥، ١١٦ .

وما دام الحديث عن الضمائر ودلالتها التى لا تكتمل إلا بالعودة على لاحق أو سابق، وهو ما يسمى بالمرجع أو الإحالة : وتطلق تسمية العناصر الإحالية (Anaphors) على قسم من الألفاظ تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة فى أجزاء أخرى من الخطاب فشرط وجودها هو النص، وهى تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره فى مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك[1] . وإذا كان هذا العنصر الإحالى يشير إلى ذات سواء كانت فى النص أو فى خارجه، بناء على ذلك أنه لابد من وجود هذا العنصر المشار إليه فى النص .

على أن هذه العناصر المشار إليها هى التى تفسر الضمير – هنا – أو ما يطلق عليها المعوضات فى اللغة، وهى : أن عنصر الإحالة يمكن أن يكون متقدم الرتبة أو متأخرها، ويرى أحد الباحثين أن العناصر الإشارية التى تتوفر فى عالم النص من جهة العمل قسمين : عامل وغير عامل :

١ – عنصر إشارى يذكر مرة واحدة فى النص ولا يحال عليه، فهو غير عامل، إذ لا يحكم مكونا آخر بعده أو قبله باعتماد عامل الإحالة .

عنصر إحالة	إحالة إلى ← (لاحق)	عنصر إشارة (مفسر)
عنصر إشارى (خارج النص) (مفسر)	إحالة إلى → (متقدم)	عنصر إشارى (خارج النص) (مفسر)

---

(١) الأزهر الزناد : نسيج النص، ص ١١٨ .

وينظر : W . Kallmayer und Andre : Lektürekolleg zur Textlinguistik, Band 1 : Einführung, S . 98 , 99 .

٢ - عنصر إشارى يذكر مرة أولى ثم يحال عليه بمضمر أو بلفظة مرة أو أكثر فى غضون النص، فهو عامل، إذ يحكم مكونا أو عددا من المكونات؛ لأنه يفسرها . والعنصر الإشارى مفرد دائما يرد فى رأس الوحدة الإحالية التى يحكمها، والتى يمكن أن تتكون من عدد غير محدود من العناصر الإحالية[١] .

وينقسم العنصر الإشارى إلى عنصر معجمى، يتمثل فى المفردات المعجمية، وعنصر إشارى نصى، يتمثل فى جزء أو مقطع من نص يحال عليه بعنصر إحالى نصى، فالعناصر الإشارية النصية هى مقاطع من الملفوظ،و قد تطول وقد تقصر، وقد تمثل جزءا من مقاطع تجرى الإحالة عليها للاختصار واجتناب التكرار، وتتميز هذه العناصر الإشارية النصية عن العناصر الإشارية المعجمية بكونها أقل انتشارا، بل لعل وجودها اختيارى، إذ لا تتوفر فى جميع النصوص من ناحية، ثم إن العناصر الإحالية النصية التى تقتضيها محدودة فى الرصيد اللغوى من ناحية أخرى[٢] ، وتقسم الإحالة إلى قسمين :

١ - إحالة داخل النص أو اللغة (Endophora) وهى إحالة على العناصر اللغوية الواردة فى الملفوظ، سابقة كانت أو لاحقة، فهى إحالة نصية.

٢ - إحالة على ما هو خارج النص (Exophora) وهى إحالة عنصر لغوى إحالى على عنصر لغوى موجود فى المقام الخارجى، كان يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه، حيث يرتبط عنصر لغوى إحالى بعنصر لغوى هو الذات المتكلم، ويمكن أن يشير عنصر

---

(١) الأزهر الزناد : نسيج النص، ص ١٢٨ .

(٢) السابق : ١٢٨ : ١٣٠ .

لغوى إلى المقام ذاته فى تفاصيله أو مجمل، إذ يمثل كائنا أو مرجعا أو موجودا مستقلا بنفسه[1] . ومن ثم فإن ثمة اختلافا بين الإحالة فى النوع الأول والنوع الثانى، ففى النوع الأول نجد إحالة من عنصر لغوى إلى عنصر لغوى آخر داخل النص الموجود، ومن هنا تكون الإحالة بين :

عنصر إحالة (عنصر لغوى) ←——— عنصر إشارى (لغوى) (مفسر)

أما النوع الثانى فإن الإحالة تكون بين إحالة لغوية إلى إحالة غير لغوية (مقام) :

عنصر إحالى (لغوى) ←——— عنصر إشارى غير لغوى (مقام) (مفسر)

وبالتالى فإن بنية التكوين فى النوعين مختلفة، وأحسب أن الإحالة فى النوع الأول أسهل منالا منها فى النوع الثانى، إذ فى النوع الأول تكون كافة العناصر موجودة وكلها لغوية، فتكون من السهولة بمكان التوصل إلى العنصر المشار إليه، أما النوع الثانى فأزعم أنه أصعب منالا من الأول إذ إن إحالته ليست إلى عناصر لغوية داخل النص، وإنما إلى شىء خارج النص، ومن ثم يحتاج إلى استخلاص هذا الشىء الخارجى بناء على الحصيلة الثقافية أو المعرفية المزود بها هذا الشخص، وبالتالى فهى تختلف من شخص إلى آخر، أى أن عملية القياس فيها نسبى، بناء على الكم الثقافى أو المعرفى المزود بها هذا الشخص أو ذاك .

وتقسم عناصر الإحالة إلى قسمين :

١ – عنصر إحالى معجمى (Elementanaphorique Lexical) يعود على

---

(١) السابق : ص ١١٨، ١١٩ .

مكون مفسر له يدل على ذات أو مفهوم مجرد، وعدد العناصر الإحالية المعجمية كبير فى المعجم، ونظامه محكم فى عمله، فإحصاء الضمائر وأسماء الإشارة وعلامات المطابقة والموصلات الاسمية، وكذلك الإحكام الموجود فى نظام كل واحد منها وفى النظام الذى يجمعها فى (اللغة) يثبتان ذلك؛ فهى إذن عناصر ضرورية فى كل ملفوظ .

٢ - عنصر إحالى نصى (Elementanaphorique Texte) يعود على مكون مفسر له يمثل مقطعا من النص، وعدده محدود فى المعجم، ثم إن اللغة لم تخصها بنظام تركيب يحكم استعمالها، وإنما تجرى جريان الأسماء الصريحة فيها، ولكنها تتميز من حيث الدلالة عن الأسماء بفراغها، وهى فى ذلك توافق المضمرات فلا يتحدد محتواها إلا إذا ربطت بما يفسرها؛ فهى (مضمرات) ولكن مفسرها لا يكون إلا مقطعا من ملفوظ، وهى فى هذا أخص منها، إذ يمكن أن يعود الضمير (أو أحد المضمرات) على مقطع من الملفوظ[١] .

ويكتفى الباحث بهذه التوطئة التى ربما تكون قد ألقت الضوء على جزء مهم فى العلاقة القائمة بين الضمائر (الروابط) ودورها وقيمتها فى تماسك النص نظريا . وأحاول الآن أن أناقش قضايا الضمائر الواردة عند الزمخشرى حسب الإحصاء وأبدأ أولا بـ : ضمير الفصل .

---

(١) الأزهر الزناد : نسيج النص ص ١٣٢ .

المبحث الأول

البنية الدلالية والإحالية لضمير الفصل

حدَّ الزمخشرى ضمير الفصل بأنه : يتوسط بين المبتدأ وخبره قبل العوامل اللفظية وبعده إذا كان الخبر معرفة أو مضارعا له فى امتناع دخول حرف التعريف عليه كأفعل من كذا أحد الضمائر المنفصلةالمرفوعة ليؤذن من أول أمره بأنه خبر لا نعت، وليفيد ضربا من التوكيد(١) .

وفائدة الفصل عند الجمهور التأكيد خلافا للسهيلى : الاختصاص، فإذا قلت : كان زيد هو القائم، كان إخبارا عن زيد بالقيام، واحتمل أن يكون غيره قد شاركه فيه، وإذا قلت : كان زيد هو القائم، أفاد اختصاصه بالقيام دون غيره(٢) .

هذه الرؤية لجمهور النحاة العرب هى التى جعلت كلاً من كسبارى (Caspari) وركندورف (Reckendorf) يطلقان عليه ضمير التأكيد (Das Pronom der Verstarkung) ، على أساس أنها الوظيفة الأساسية له(٣) .

وإذا كان كل من الجمهور والسهيلى يريان دلالة واحدة لضمير الفصل (التوكيد عند الجمهور، والاختصاص عند السهيلى) فإن الزمخشرى قد حدد دلالتين له فى المفصل : ليؤذن من أمره بأنه نعت لا صفة، وليفيد ضربا من التوكيد(٤)، مضيفا دلالة أخرى على رأى الجمهور (كما ورد عند أبى حيان) .

---

(١) المفصل ص ٥٣ (ب) . الرمز (ب) يشير إلى الطبقة الأوربية تحقيق J.P. Broch, londini

(٢) أبو حيان الأندلسى : ارتشاف الضرب ١/ ٤٩٥ .

(٣) Caspari : Arabische Grammatik, S. 342 .
H . Reckendorf : Arabische Syntax, S. 279, 280 .
W . Wright : A Grammar of the Arabic Language, p. 265 .

(٤) المفصل ص ٥٣ (ب) .

ويفيدنا نص الزمخشرى فى جزئية أخرى تتعلق بقيمة هذه الوظيفة وأهميتها بالنسبة لضمير الفصل، إذ لا يرتأى أنها الوحيدة، وإنما هو – التوكيد – نوع من أنواع كثيرة من الدلالات يؤديها ضمير الفصل : ليفيد ضربا من التوكيد .

والحقيقة أن رأى الزمخشرى السابق هو رأى جمهور النحاة[1]، فإذا كان جمهور النحاة يرون أن الوظيفة الأساسية هى التوكيد، فإن هذا لا يمنع من إضافة وظيفة أخرى أن : الوارد بعده خبر لا نعت، وبالتالى يزول التعارض الذى قد يبدو ظاهرا بين نص أبى حيان الأندلسى وما عند الزمخشرى .

وقبل أن أنتقل إلى مناقشة وظائف ضمير الفصل – عند الزمخشرى – أناقش بعض الشروط التى وضعها النحاة لضمير الفصل، يقول ابن يعيش فى تحديده لشرائط ضمير الفصل الثلاثة، **أحدهما :** أن يكون من الضمائر المنفصلة المرفوعة الموضع، ويكون هو الأول فى المعنى . **الثانى :** أن يكون بين المبتدأ وخبره أو ما هو داخل النص على المبتدأ وخبره من الأفعال والحروف . **الثالث :** أن يكون بين معرفتين أو معرفة وما قاربها من النكرات[2] .

ومن هنا يرى ابن يعيش ضمنيا أن التوكيد ليس لفظيا، وإنما هو توكيد معنوى، ويدعم هذه الرؤية عند ابن يعيش ما أورده الرضى حين قال : وإنما قلنا ضمير الفصل يفيد التوكيد؛ لأن معنى زيد هو القائم، زيد نفسه القائم[3] .

---

(١) السيوطى : همع الهوامع ١/ ٦٩ .
(٢) ابن يعيش : شرح المفصل (ب) ١ / ٣٣٠ .
(٣) الرضى . شرح الكافية فى النحو ٢ / ٢٤ .

ويستخلص من عبارة الرضى (نفسه) أنه لم يرد التوكيد اللفظى، وإنما هو توكيد معنوى يقول ابن يعيش مؤكدا هذا ومؤكدا - أيضا - رأيه السابق : وإنما اشترط أن يكون من الضمائر المنفصلة المرفوعة الموضع؛ لأن فيها ضربا من التوكيد، والتأكيد يكون بضمير المرفوع المنفصل، نحو : قمت أنا و (اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) البقرة/٣٥، ولذلك من المعنى وجب أن يكون المضمر هو الأول فى المعنى؛ لأن التأكيد هو المؤكد فى المعنى، ولهذا يسميه سيبويه وصفا، كما يسمى التأكيد المحض، ولو قلت على هذا : كان زيد أنت خير منه، أو ظننت زيدا أنت خيرا منه لم يجز؛ لأن الفصل ها هنا ليس الأول، فلا يكون فيه تأكيد له[١].

ويتفق هذا الرأى عند ابن يعيش مع رأى الزمخشرى فيما جاء عنه فى قوله : فإن قلت : ما محل هو ؟ قلت : الرفع على الابتداء والخبر الجملة، فإن قلت فى الجملة الواقعة خبر لابد فيها من راجع إلى الابتداء، فأين الراجع ؟، قلت : حكم هذه الجملة حكم المفردة فى قولك : زيد غلامك، فى أنه هو المبتدأ فى المعنى، وذلك أن قوله الله أحد هو الشأن، الذى هو عبارة عنه، وليس كذلك : زيد أبوه منطلق، فإن زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين، فلابد مما يصل بينهما[٢] .

ويمكن إثارة مناقشة وجيزة هنا حول رأى الزمخشرى السالف بأن الضمير يؤدى ضربا من التأكيد، وكذلك حول ملاحظات ابن يعيش، علها تثرى هذا الموضع .

---

(١) ابن يعيش : شرح المفصل (ب) ١/ ٣٣٠ .

(٢) نكت الأعراب ... ورقة ٢١٦ .

لقد لفت الزمخشرى النظر حول أهمية ضمير الفصل، كما أشرت، إذ لم يذكر دلالة واحدة، وإنما رأى له دلالتين، يبدو أن ثمة اختلافا بين هذه الرؤية وبين رؤية النحاة، وهو اختلاف يبدو سطحيا لو أمعنا النظر فى كلا الرأيين .

وربما تقودنا هذه الملاحظة إلى أن الزمخشرى فى عرضه للوظيفتين – فى المفصل – التى يقوم بهما ضمير الفصل فى التركيب، أنه يمكن أن يكتسب معانى أخر، تتيحها له السياقات المتنوعة، وربما كانت رؤية الزمخشرى هنا – فى المفصل – محددة ومقننة، وأحسب أن طبيعة المادة الموجودة والمعالجة فيه هى التى أملت عليه ذلك، فالمادة النحوية المعروضة لا تسمح بمزيد من الإيضاح والبسط، بقدر ما تسمح بالإيجاز والاختصار .

غير أن الرؤية تكتمل عند الزمخشرى حول وظيفة هذا الضمير (الفصل) من جهة المكونات الدلالية المتنوعة بما جاء فى الكشاف، وسيلاحظ أن الزمخشرى يعرض لأنواع دلالات مختلفة، فاقت بكثير ما قدمه النحاة .

فإذا كان ضمير الفصل يفيد (التوكيد) عند الجمهور و (الاختصاص) عند السهيلى، فإن رؤية الزمخشرى قائمة على الجمع بين الدلالتين، بمعنى أنه يرى أن ضمير الفصل يقوم بأداء الوظيفتين – التوكيد، الاختصاص – معا .

ولم يكتف الزمخشرى بهذا، وإنما أضاف فى الواقع أنواعا دلالية أخرى فى الكشاف، لم يشر إليها النحاة جملة، وإن جاءت فى مواضع منتثرة فى الحواشى والشروح، وينبغى الوضع فى الاعتبار أن هذه

الوظائف الدلالية لضمير الفصل الواردة فى شروح المفصل، ليست إلا أفكار وإشارات الزمخشرى، طورها ونماها ووسع من دائرة الحديث فيها أصحاب الشروح، وأرجأ الحديث عنها للاستفادة بها فى موضعها .

وإذا كان النحاة قد قسموا الوظائف الدلالية لضمير الفصل، فقد جاءت إحداها لفظية، واثنتان معنوية، وبالتالى بلغ المجموع الإحصائى دلالات ثلاث : الإعلام بأن ما بعده خبر لا صفة، التوكيد، التخصيص[1]. وبالتالى فإن الزمخشرى قد جمع رؤية النحاة هذه كلها فى نمط قرآنى واحد فى سورة البقرة/٥ (أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[2] ، وقد أضاف وظائف أخرى لهذا الضمير فى مواضع مختلفة من مؤلفاته .

إذا عالج الزمخشرى دلالات كثيرة، مختلفة حينا ومتداخلة فى أحايين كثيرة، وقد أحصيت الدلالات – بشكل عام – الواردة فى مؤلفات الزمخشرى، فأثبت الإحصاء أنها (ثمانى) وهى على الترتيب : الكمال، التأكيد، فى المرتبة الأولى، الاختصاص، التأكيد والاختصاص، التقرير والتوكيد، وقوعه بين معرفتين، التعريض، أن الوارد بعده خبر لا صفة .

فإذا كانت الوظائف الدلالية لضمير الفصل عند الزمخشرى بلغت (ثمانى) دلالات، فإن هذه الدلالات مثلت مراحل أربع كالتالى : فى **المرتبة الأولى** : الكمال والتوكيد، فى **المرتبة الثانية** : الاختصاص . فى **المرتبة الثالثة** : التأكيد والاختصاص . فى **المرحلة الرابعة** : أن الوارد بعده خبر وليس صفة، وقوعه بين معرفتين، التعريض .

وبالتالى فإن المراحل الأربع ليست سواء من حيث عدد الوظائف،

---

(١) ينظر : ابن هشام : مغنى اللبيب ٢/ ١٠٥ .

(٢) ١/ ٢٥ . نشير هنا بعدم استعمال رمز (أ) فى كل الأجزاء إلى طبعة «الكشاف» العربية، الصادرة عن دار عالم المعرفة، د . ت .

فإذا كانت المرحلة الأولى والثالثة تمثلان توازنا من حيث عدد الأنماط لكل منهما، وبالتالى يمكن تقسيم هذه المراحل إلى مجموعات، **الأولى** : وتضم : دلالة الكمال، دلالة التأكيد، دلالة التأكيد والاختصاص، دلالة التقرير والتوكيد . **الثانية** : وتضم دلالة الاختصاص منفردة . **الثالثة** : وتضم كل من : التعريض، وقوعه بين معرفتين، أن الوارد بعده خبر لا صفة ويلفت الجدول رقم (٣) النظر إلى عدة ملاحظات أهمها : أن هذه الوظائف الدلالية لم تعالج بنسب متساوية، أى ليست بعناية واحدة، كما أن ورود هذه الدلالات كلها فى الكشاف، يعنى شيئين، **الأول :** أن نسب الأنماط فى الكشاف وحده تمثل ١٠٠ ٪ . **الثاني :** أن مصادر الزمخشرى الأخرى تمثل فى معالجتها لضمير الفصل صفرا، أعنى مؤلفاته التى يمكن أن نطلق عليها المؤلفات التحليلية، بخلاف كتابه (المفصل) .

م	الدلالات	عدد التردد	النسب	المصادر الكشاف	ملاحظات
١	التأكيد	١٠	٣٢,٢	١٠	مجموع الأنماط (٣١) نمطا
٢	الكمال	٨	٢٥,٨	٨	
٣	الاختصاص	٥	١٦,١	٥	
٤	التأكيد والاختصاص	٣	٩,٧	٣	
٥	التقرير والتوكيد	٣	٩,٧	٣	
٦	ان الواقع بعده خبر لا صفة	١	٣,٢	١	
٧	التعريض	١	٣,٢	١	

شكل توضيحي رقم (٣) بدلالات ضمير الفصل كما وردت عند الزمخشرى

كما يلفت الشكل رقم (٣) النظر إلى ملاحظة تكاد تكون على قدر من الأهمية، أنه إذا كان النحاة يرون أن الوظيفة الأساسية : لضمير الفصل التوكيد، فإن السهيلى يرى رأيا مخالفا، إذ يجعل الوظيفة الأساسية: الاختصاص . ونلحظ فى الجدول السابق أن الزمخشرى جعل التأكيد فى أنماط مستقلة تارة وعالجه مع دلالات أخرى نحو : التأكيد والاختصاص، التقرير والتأكيد، كذلك فعل الشيء ذاته مع الاختصاص. وهى محاولة من الزمخشرى – فيما أظن – للتوفيق بين جمهور النحاة وفيما ذهب إلى الرأى المقابل، جمع فى الدلالة رقم (٤) من حيث الترتيب : التأكيد والاختصاص وعالجهما فى موضع واحد، كما هى الحال هنا، وقد تردد هذا النوع فى (٣) أنماط مختلفة . وهكذا يسوى الزمخشرى بين الدلالتين اللتين عالج فيهما الدلالة الثانية والثالثة من الشكل (٣)، ومن ثم نرى التسوية الدلالية من حيث المعالجة بين معالجة الدلالة رقم (٤) و (٥) من الشكل (٣)، أى التوفيق بين الرؤية العامة (الجمهور) والرؤية الخاصة (السهيلى) .

وبهذا الصنيع يخيل إلى أن الزمخشرى لا يرى فارقا كبيرا بين الرؤيتين، بل إن جمعه إياهما فى دلالة واحدة يؤكد هذه الرؤية، وكأنه يشير من طرف خفى إلى أنه يرتضى رأى الجمهور (التأكيد) ورأى السهيلى (الاختصاص) وهذا له دلالته على ما سيتضح فيما بعد .

فإذا كان الزمخشرى يرى الرأيين ويرتضيهما، فإن هذا لا يمنع أن التأكيد مكانة لا تخفى بالنسبة لضمير الفصل، وعلى الرغم من أن الإحصاء يظهر أن أنماط التوكيد وأنماط الكمال تكاد تكون شبه متساوية، إلا أنه رغم ذلك (فى ظنى) تظل دلالة التوكيد ذات فعالية كبيرة فى هذا الموضع . ويؤكد هذا أن دلالة التوكيد جاءت منفردة فى أعلى نسبة أنماط (تسعة) وهكذا تفرق عن دلالة الكمال بنمط واحد، غير أن الباحث يرى أنهما قد نالا قدرا متساويا من المعالجة من الزمخشرى، خاصة وأن هذا

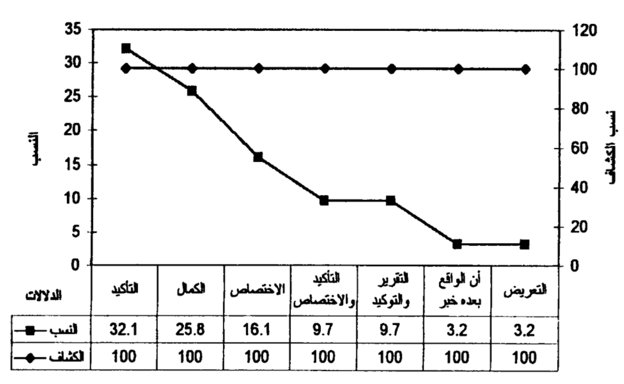
النمط الذى فرقت به دلالة التوكيد عن دلالة الكمال، إنما هو نمط شعرى استشهد به الزمخشرى ليوضح النمط القرآنى، وليس بنمط قرآنى قائم بذاته، وبالتالى تتساوى دلالة الكمال مع دلالة التوكيد، من حيث عدد الأنماط القرآنية، أى أن كلاً من دلالة التوكيد والكمال قد ورد لكل منهما ثمانية أنماط قرآنية، ومن ثم فإن الباحث يرى أن معالجة الزمخشرى لدلالة كل من : التوكيد والكمال تكاد تكون متقاربة إلى حد ما؛ بناء على هذا الإحصاء .

غير أن التوكيد يفرق عن الكمال فى أن الزمخشرى قد عالج معه دلالات أخرى : التأكيد والاختصاص، التقرير والتوكيد، وبالتالى فإن التوكيد قد عولج فى مواضع ثلاثة، مرة منفردا، وفى موضعين بالاشتراك مع كل من دلالتى : الاختصاص والتقرير .

وتعكس هذه الملاحظات ملاحظة أخيرة فى هذا الشأن، حيث تؤكد الملاحظات السالفة أنه قد عالج كلاً من دلالتى : التأكيد والاختصاص، منفردة فى أنماط خاصة، ثم جمع بينهما فى أنماط منفردة، التأكيد والاختصاص، وهاتان الدلالتان هما اللتان كررهما الزمخشرى وجمع بينهما، وربما كان فعل الزمخشرى هذا قائما على أساس الأهمية بالنسبة لهاتين الدلالتين، إذ تعدان الأساسيتين – حسب الرؤية العامة – إلا أن رؤيته تضيف لهما دلالة أساسية أخرى : الكمال، بالإضافة إلى دلالات أخرى لا تقل أهمية رغم قلة الأنماط الواردة لها، ورغم هذا تظل دلالة (الاختصاص) فى مرتبة أقل بالنسبة لدلالة التوكيد.

ومما يؤكد هذا فى هذا الشأن، أن دلالة التوكيد جاءت منفردة مرة ومشتركة مرتين، مرة مع الاختصاص، ومرة أخرى مع التقرير، وذلك بخلاف الاختصاص الذى ورد مرتين فقط، مرة منفرداً، وتارة أخرى مع التوكيد .

وإذا كانت هذه الملاحظات ترتكز على الإحصاء الذى أجمله الباحث فى الشكل رقم (٣) فإنه يحاول فى هذا الموضع أن يوضح نسب هذه الدلالات، ومن ثم يمكن أن أمثل لها بالرسم البيانى رقم (٤).



الدلالات	التأكيد	الكمال	الاختصاص	التأكيد والاختصاص	التقرير والتوكيد	أن الواقع بعده خبر	التعريض
النسب	32.1	25.8	16.1	9.7	9.7	3.2	3.2
الكشاف	100	100	100	100	100	100	100

شكل توضيحي رقم (٤) بنسب دلالات ضمير الفصل عند الزمخشرى كما وردت في الشكل (٣)

وبناء على هذا فإن رؤية الزمخشرى لضمير الفصل قائمة على أساس الأخذ بما يوفره السياق من دلالات، وبالتالى فإن الزمخشرى له رؤية خاصة، صحيح هى لا تختلف من حيث محتواها العام، إلا أنها مطبوعة بتأثيره، ومن هنا فإنه يتفق مع الجمهور من حيث أهمية دلالة التوكيد.

غير أنه يختلف مع الجمهور فى أنه لا يرى أنها الدلالة الوحيدة أو الأساسية لهذا الضمير، وإنما يشرك معها دلالة الكمال، التوكيد، إذ هما الدلالتان الأساسيتان أو التى ينبغى أن يركز عليهما، وبالتالى فإنه يضيف دلالة زيادة على ما جاء عند النحاة - الكمال - وتمثل هذه الملاحظة مفارقة بين الزمخشرى وبين جمهور النحاة. كما يفارق الزمخشرى

السهيلى فى اعتبار أن دلالة الاختصاص، ليست الوحيدة، وبالتالى بناء على الإحصاء فليست هى الأساسية، ومن ثم نراها وردت عند الزمخشرى فى المرتبة الثالثة، وأضاف دلالات أخرى بجانبها . وبهذا النهج يخالف الزمخشرى كلاً من : جمهور النحاة والسهيلى على السواء، حيث أجمع كل منهما، أن لضمير الفصل وظيفة أساسية واحدة، التأكيد عند جمهور النحاة، والاختصاص عند السهيلى، ومن ثم نرى الزمخشرى لم يتابع أحدا منهم .

ورؤية الزمخشرى هذه فى الواقع ليست سلبية، بمعنى أن الزمخشرى لم يرفض الدلالتين، وإنما تكمن المفارقة بين الزمخشرى وهذين الفريقين حول الأهمية بالنسبة لترتيب الدلالات بالنسبة للضمير وعلى الرغم من هذه المخالفة والرؤية الخاصة بالزمخشرى القائمة على الجمع والتوفيق وعدم الرفض، فإن رؤية الزمخشرى تعد – فيما أحسب – أرحب أفقا وأوسع فهما، من حيث توفيقه بين الرؤيتين، ليس هذا فحسب، بل أضاف إليها وظائف أخرى .

وإذا كانت هذه الملاحظات تمثل ملاحظات عامة حول معالجة الزمخشرى لضمير الفصل عامة، فإن الوظائف الدلالية التى عالجها الزمخشرى تحتاج إلى نوع من التحليل فى ضوء الأنماط الواردة عند الزمخشرى، وبالتالى تثرى المعالجة فى هذا الموضع .

ويرى الزمخشرى – بناء على الإحصاء السابق – أن وظيفة الكمال تعد ذات أهمية كبيرة، لا تقل أهميتها عن الوظيفة الأساسية عند جمهور النحاة والزمخشرى – التوكيد – حيث يظهر الإحصاء أن لها ثمانية أنماط، وبالتالى تأتى فى المرتبة الثانية بعد وظيفة التوكيد .

ففي قوله تعالى في سورة النساء الآية/ ١٥١ (أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا) قال الزمخشرى : أى هم الكاملون فى الكفر وحقا تأكيد لمضمون الجملة، كقولك : هو عبد الله حقا أى حق ذلك حقا، وهو كونهم كاملين فى الكفر، وهو صفة لمصدر الكافرين، أى هم الذين كفروا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه[١]. وفى الآية/ ٦٥، من سورة الأنعام (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ) قال الزمخشرى : هو الذى عرفتموه قادرا، وهو الكامل القدرة[٢] .

وتعد هذه الوظيفة ضمن وظائف أخرى لهذا الضمير، يقول ابن يعيش موضحاً هذه الوظيفة : الغرض من دخول الفصل فى الكلام ... إرادة الإيذان بتمام الاسم وكماله ..[٣] .

وربما استقى الزمخشرى هذه الوظيفة من مقولة البصريين فى تسمية هذا الضمير فصلاً ووسعها، يقول ابن يعيش : فالفصل من عبارات البصريين، كأنه فصل الاسم الأول عما بعده وآذن بتمامه، وإن لم يبق منه بقية من نعت ولا بدل إلا الخبر لا غير[٤].

ويمكن مناقشة مفهوم الكمال التى – ربما – تختلف عند جمهور النحاة عنها عند الزمخشرى، فإذا كان النحاة يرون أن الكمال مقصود به كمال التركيب وتمامه من حيث أداء المعنى، فإن الزمخشرى طوّر المصطلح – الكمال – ولم يقصد به الكمال فى تمام التركيب، بقدر ما عنى به كمالا من نوع آخر، كالكمال فى قدرة الله سبحانه، عندما يتعرض لآية تدل على قدرة الله وعظمته، وفى نمط آخر يعرض لكمال من نوع آخر كآية الكافرين، ويرى أنهم كاملون فيه .

---

(١) ١/ ٣٠٩ .
(٢) ٢/ ٢٠ .
(٣) ابن يعيش : شرح المفصل (ب) ١/ ٣٣٠ .
(٤) ابن يعيش : شرح المفصل (أ) ٣/ ١١٠ يشير الرمز (أ) إلى الطبعة العربية، وهى عن مكتبة المتنبى، القاهرة، د . ت السيوطى : همع الهوامع ١/ ٦٨ .

ومن هنا فإن الزمخشرى يغيّر (يطوّر) مصطلح الكمال - إن جاز التعبير - من مفهوم تمام العبارة وكمالها عند جمهور النحاة إلى كمال يقتضيه السياق، وربما تقودنا هذه الملاحظة إلى أن مصطلح الكمال، عند الزمخشرى مصطلح يمثل وظيفة عامة، يمكن أن تطلق على أى كمال/ كما أوضحت فى الفقرة السابقة، تناسب السياقات والقرائن كافة، ومن ثم نرى الزمخشرى يخصص دلالة المصطلح، حسب مقتضى السياق، ومن ثم يبدو لنا بوضوح اختلاف استخدام المصطلح عند النحاة عنه عند الزمخشرى، وكذلك فى طبيعة المعالجة، التى تفضى بطبيعة الحال إلى اختلاف النتائج المستخلصة .

ويؤدى ضمير الفصل دلالة التوكيد : (Doppelsetzung)، وتشترك هذه الدلالة مع الدلالة السابقة فى المرتبة الأولى من حيث عدد الأنماط ثمانية أنماط، وتتفق هذه الوظيفة الدلالية لضمير الفصل مع تسمية بعض الكوفيين : دعامة؛ لأنه يدعم به الكلام، أى يقوى به ويؤكد، والتأكيد من فوائد مجيئه، وبعض المتقدمين سماه صفة، قال أبو حيان ويعنى به التأكيد[1] .

وثمة ملاحظة تتعلق بهذا السياق، وهى لماذا جاء التعبير بهذه الضمائر المنفصلة للتعبير عن هذا المحتوى ويرى ابن يعيش : إنما اشترط أن يكون من الضمائر المنفصلة المرفوعة الموضع؛ لأن فيه ضربا من التأكيد والتأكيد يكون بضمير المرفوع المنفصل نحو : قمت أنا واسكن أنت وزوجك... وهذا المعنى يسميه البصريون وصفا كما يسمى التأكيد المحض[2] .

وينص ابن يعيش هنا نصاً صريحاً على رفض دعوة النحاة

---

(١) ابن يعيش : شرح المفصل (أ) ١ / ١١٠، السيوطى : همع الهوامع ١ / ٦٧ .
(٢) ابن يعيش : شرح المفصل (ب) ١ / ٣٣٠ . .

والسهيلى بأن الضمير يخلص فى النهاية إلى التوكيد، أو الاختصاص... وبهذه الرؤية يتابع ابن يعيش رأى الزمخشرى كما سيتضح .

تناول الزمخشرى فى قوله تعالى (أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ) البقرة/ ١٢ ، معالجة هذه الوظيفة الدلالية، قال الزمخشرى : وحرف النفى لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها، والاستفهام إذا دخل على النفى أفاد تحقيقا كقوله (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ) سورة القيامة/ ٤٠ ، ولكونها فى هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدرة[١] .

وفى هذا النمط القرآنى نرى الزمخشرى لم يتعرض فيه إلا لدلالة واحدة التوكيد، أو التحقيق، وقال فيهم أيضا (أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ) البقرة/ ١٣ ، وهناك سفهاء آخرون، غير أنه قصد الإفساد والسفه عليهم مبالغة على معنى أنهم أولى، كما فى قوله تعالى (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) المائدة/ ٤٥ ، (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) المائدة/ ٤٤ ، وإذا كان الزمخشرى لم يشر إلى هذه الأنماط وأمثالها إلا أنها للتوكيد أو التحقيق، فإنه كذلك لم يشر إلى ما يخصص ذلك، أى أن هذا التوكيد قد جاء على جهة المبالغة فى هذا الأمر.

وفى قوله تعالى فى/ ٩ من سورة الحجر (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) يفسر الزمخشرى تفسيره اللغوى بقوله :... ولذلك قال إنا نحن، فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع والبتات وأنه هو الذى بعث جبريل إلى محمد[٢] .

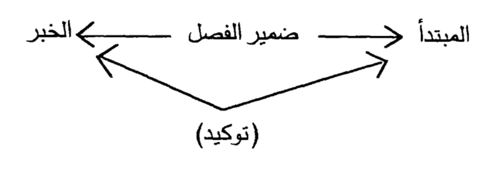
ويختلف هذا النمط القرآنى من حيث إن دلالته توحى بالتوكيد، كما

---

(١) ١/ ٣٣ .
(٢) ٢/ ٣١١ .

ذهب الزمخشرى، بيد أن ثمة كلمة هنا، أنه يندرج ضمن إطار توكيد القصر الحقيقى، لا على جهة المبالغة كما فى النمط السابق، وبالتالى يشترك النمطان فى الدلالة على التوكيد، إلا أن كليهما يختلف عن الآخر من حيث التقسيم والتفريع، إذ تدل الأولى على التوكيد على جهة المبالغة، وتدل الثانى على جهة القصر الحقيقى، بمعنى أننا لو حذفنا (نحن) من النمط الثانى؛ لبقى القصر موجودا، إلا أن الضمير (نحن) جاء لتوكيد معنى القصر على الله – سبحانه وتعالى –، ومن ذلك ما ورد فى سورة المؤمنين (فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) / ١٠٢، وفى /٦٦ من سورة هود (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ) . والأنماط من هذا النوع أكثر من أن تحصى، وفى قوله تعالى فى سورة النحل ١٠٥(وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) قال الزمخشرى محللا : أى أولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون فى الكذب؛ لأن تكذيب آيات الله أعظم الكذب، وأولئك الذين عادتهم الكذب لا يبالون به فى كل شىء لا تحجبهم عنه مروءة ولا دين[1].

وهكذا يمثل هذا النمط ملمحا ثالثا يختلف عن النمطين السابقين، من حيث توكيده لمعنى الكمال، وبالتالى يختلف عن السابقين من جهة القصر أو توكيد شىء معين، وإن جاءت الأنماط فى عمومها للدلالة على التوكيد .



(١) ٢ / ٣٤٥ .

وتعد هذ الوظيفة لضمير الفصل من أهم الدلالات الواردة له عند الزمخشرى، وهى الدلالة الأساسية له عند جمهور النحاة، وأكدت الملاحظات العامة السابقة بالمناقشة مدى فعالية هذه الدلالة بالنسبة لهذا الضمير، كما أن هذه الوظيفة لا تمثل خاصية هنا فى هذا الموضع، وإنماوظيفة عامة للضمير على وجه العموم كما سيأتى، وكما أوضحت ذلك إشارة ليڤاندوڤسكى : Lewandowski[1] .

وإذا كان الزمخشرى يرى فى ضمير الفصل هنا دلالة على التوكيد، فإن هذا التوكيد فى الواقع ليس من ضمير الفصل وحده، وإنما هناك بعض الأدوات الأخرى التى أكدت هذه الدلالة، ومن ذلك ما جاء فى سورة الأنفال/ ٤ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ نراه يستخدم مؤكدا آخر بجانب ضمير الفصل فى الآية الكريمة – حقا – وهذا المؤكد لا يقل أهمية عما أداه ضمير الفصل، ومن ثم نرى أكثر من مؤكد فى سياق مضمون الآية إضافة إلى ما جاء عند الزمخشرى .

وتمثل إشارته هذه فيما أحسب رؤية عامة لوظيفة الضمير، إذ لم يحدد ضميرا بعينه، بمعنى أنها يمكن أن يمثلها أى ضمير ويقوم بها، بيد أن الضمائر المعالجة هنا : ضمير الفصل، ضمير الشأن، ضمير الإشارة، ولم ترد هذه الوظيفة لأحد هذه الضمائر المعالجة عند الزمخشرى إلا لضمير الفصل، وإذا كان الزمخشرى لم يشر إلى هذه الوظيفة إلا لضمير الفصل، فإن ثمة أحد الباحثين فى الإعجاز اللغوى للقرآن أشار إلى أن ضمير الشأن يحتمل هذه الدلالة ويؤديها، كما سيوضح فى موضعه من

---

(١) Th . Lewandowski : Linguistischs Worterbuch, Band 2, S. 809 .

البحث، وبالتالى فإن هذا يؤكد أن هذه وظيفة للضمير كما ذهب ليفاندوفسكى .

ومن ثم نرى الرؤية العربية القديمة تلتقى والرؤية الغربية الحديثة فى معالجة قضايا اللغة والتى تمثل اهتمام كلا الجانبين فى هذا الشأن، وثمة ملاحظة هنا وهى أن هناك فرقا بين الفصل والتأكيد، ويرى ابن يعيش أنه : إذا كان التأكيد ضميرا، فلا يؤكد به إلا مضمر نحو : قمت أنت ورأيتك أنت ومررت بك أنت، والفصل ليس كذلك، بل يقع بدل الظاهر والمضمر، فإذا قلت : كان زيد القائم، لم يكن هو هنا إلا فصلا لوقوعه بعد ظاهر، ولو قلت : كنت أنت القائم، جاز أن يكون فصلا ههنا وتأكيدا، ومن الفصل بينهما أنك إذا جعلت الضمير تأكيدا، فهو باق على اسميته... [1] .

وتتفق هذه الرؤية ورؤية الزمخشرى التى رأيناها عمليا من خلال الأنماط السابقة للتوكيد، ويقع فصلا كذلك، وهذا لا يمنع أن يؤدى الوظيفة ذاتها .

وتقودنا هذه الرؤية إلى أن ضمير الفصل يمكن أن يعرب مبتدأ، أى أن وجوده فى الكلام عمدة، إذا أعرب، إن لم يكن له محل من الإعراب، ثم أنه دائما ما يربط المبتدأ والخبر، وفى هذه الحالة لا يكون له محل من الإعراب، أى أنه فضلة، وبناء على هذا، فإنه لا يغير فى شكل الجملة، بخلاف إذا أعرب مبتدأ، فإنه يربط عن طريق الإحالة، وفى هذه الحالة الأخيرة يؤكد كذلك، لكن عن طريق التكرار أو الإحالة.

ويود الباحث أن يلفت النظر إلى أن دلالتى : الكمال والتوكيد،

---

(١) ابن يعيش : ١ (ب) ٣٣٣ .

الواردتين فى الكشاف تمثلان وظائف دلالية عامة، بمعنى أنها يمكن أن تتفرع دلالات جزئية منبثقة عنها، ومن ثم تتيح لنا هذه الملاحظة استعارة بعض الأنماط الدلالية الواردة عند الزمخشرى لدلالة الكمال والتوكيد، واستعارة دلالة الكمال لوظيفة التوكيد، فقد يرد النمط القرآنى عند الزمخشرى ظاهريا يعنى دلالة الكمال، وهو يدل فى الواقع على توكيد هذا الكمال، ومن ثم يحدث التبادل الموقعى للدلالات المختلفة، وهذا يعنى التداخل الحاصل بين هذه الوظائف الدلالية .

وإذا كانت كل من دلالتى : الكمال والتوكيد جاءتا فى المرتبة الأولى من حيث اهتمام الزمخشرى، فإن دلالة الاختصاص قد جاءت فى المرتبة الثانية من حيث عدد الأنماط، غير أن الذى يلاحظ فى هذا المقام أن الفارق بين الدلالتين السابقتين ودلالة الاختصاص من حيث عدد الأنماط يمثل فارقا كبيرا، يصل إلى ٥٠٪ بين الدلالتين السابقتين، وإذا كانت دلالتا : التوكيد والكمال تمثل كل منهما ثمانية أنماط، فإن دلالة الاختصاص يمثلها أربعة أنماط، ومن هنا نرى فارقا كبيرا فى المعالجة .

على أية حال فإن وظيفة الاختصاص : (Spezialisierung) جاءت فى المرتبة الثانية من حيث عدد الأنماط، وبالتالى من حيث اهتمام الزمخشرى . كذلك تتحدد المفارقة بين رؤية الزمخشرى ورؤية السهيلى؛ لأن الأول جعلها ضمن وظائف متعددة لهذا الضمير، بيد أن الثانى جعلها هى الوحيدة، ومن ثم يتضح التمايز بين الرجلين .

وثمة ملاحظة يسيرة أود أن أشير إليها قبل مناقشة بعض أنماط الاختصاص الواردة عند الزمخشرى، أن وظيفة الاختصاص التى ذهب إليها السهيلى لضمير الفصل، إنما هى فى الواقع رأى البيانيين ومن ثم ذهب مذهبهم[1] .

---

(١) ينظر : السيوطى : همع الهوامع ١/ ٦٩ .

ومن ثم فإن هذا الرأى يكشف عن جزئية يمكن مناقشتها من أكثر من وجـــه لإثراء هذا المـــوضع، أولا : يكشف هذا الرأى عن أن رأى السهيلى هذا ليس له، وإنما هو مستقى من بيئة أخرى (بيئة البيانيين)، وثانياً : يكشف من جهة أخرى عن علاقة المداخلة بين العلوم العربية المختلفة فى استعارة المصطلحات، كما ستتضح المداخلة بين العلوم العربية فى استخدام المصطلحات.

كما يلفت النظر إلى استخدام الزمخشرى هذه المصطلحات العربية فى بيئة المفسرين، ومن هنا يعكس هذا مدى محاولة الزمخشرى الاستفادة بقدر ما يمكن من الأدوات والوسائل التى تتاح له للكشف عن دلالات النص، مع الوضع فى الاعتبار أن الزمخشرى يعد من البلاغيين المبرزين، ومصادره تشهد على ذلك .

وفى مناقشة الزمخشرى لبعض أنماط الاختصاص فى قوله تعالى فى سورة التوبة الآية/ ٨٨ (لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) يقول الزمخشرى : هم الأخصاء بالفلاح دون غيرهم[١] .

وبناء على نص الزمخشرى فإن الاختصاص : يعنى القصر، أى قصر الفلاح على هذه الفئة التى جاهدت بالمال والنفس، وهم المختصون بصفة الفلاح، وفى قوله تعالى (أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ) الأنبياء/ ٢١ قال الزمخشرى : فإن قلت : لابد من نكته فى قوله (هم)، قلت : النكتة فيه إفادة معنى الخصوصية، كأنه قيل : أم اتخذوا آلهة لا يقدر على الإنشار إلا هم وحدهم[٢] .

(١) ١ / ٢٠٨ .
(٢) ينظر ٣ /٧ .

ويلفت الباحث النظر إلى جزئية مهمة، أن الاختصاص بمعنى الحصر والقصر إلا أن الحصر والقصر، مصطلح بيانى، يستخدم فى بيئة البيانيين أكثر من مصطلح الاختصاص الذى يستخدم فى بيئة البلاغيين، أى أنهما بمعنى واحد، وبالتالى فإن المفارقة بينهما تكمن فى استخدام مصطلحات البيئة العلمية فقط، وقد كان الزمخشرى على وعى بهذه الملاحظة، ففى قوله تعالى فى سورة النمل/٣ (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) يرى أن ضمير الفصل يفيد الحصر والقصر[1]، أى الاختصاص بمصطلح البلاغيين .

ومن ثم نرى التبادل الموقعى الذى يمكن أن يتم بين الحصر والقصر والاختصاص، مما يؤكد هذه الملاحظة فى هذا الموضع، وقد أشرت منذ قليل إلى هذه الملاحظة، وبالتالى فإن هذا يؤكد ما جاء سابقا.

ويدل ضمير الفصل على (التأكيد والاختصاص)، وجاءت فى المرتبة الثالثة، وإذا كان الزمخشرى عالج كل دلالة من هاتين الدلالتين منفردة، فإنه هنا قد جمعهما تحت مسمى دلالى واحد (التأكيد والاختصاص) ومن ثم نرى العلاقة القائمة بين الدلالتين على أساس عدم رفض كل منهما للأخرى، بمعنى أن التركيب يقبل الدلالتين دون أى تعارض يؤدى إلى المداخلة واللبس .

وإذا كان الأمر كذلك، فهل تقودنا هذه الرؤية إلى أنه يمكن جمع الدلالتين رقم (١) تحت المسمى الذى نحن بصدده، وبناء على هذا، فإنه يمكن ولا تعارض، غير أن ثمة شيئا لابد أن يؤخذ بعين الاعتبار، وهو السياق الذى حتم فيما أظن على الزمخشرى أن يعالج كل دلالة على حدة

---

(١) ٣ / ١٣٢ .

منفردة . وأملى عليه فى مواضع أخرى أن يدمجهما معا، وبالتالى فإنه يمكن القول إذا كان هذا جائزا فى بعض المواضع، إلا أن هذا يصبح من الصعوبة بمكان الجمع بينهما؛ لأن هناك السياقات بأنواعها المختلفة هى التى تساعد فى إمكانية الجمع بين طرفى الدلالتين فى تركيب واحد، أو عدمه، وفى هذا الموضع ساعدت – فيما أظن – عوامل كثيرة فى جمع هاتين الدلالتين، ففى قوله تعالى فى التوبة / ١٠٤ (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) ، قال الزمخشرى معلقا : للتخصيص والتأكيد، وأن الله من شأنه قبول التوبة التائبين، وقيل معنى التخصيص فى هو أن ذلك ليس إلى رسول الله ﷺ إنما الله هو الذى يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها...[1]، وفى قوله تعالى فى سورة هود (الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) الآية/ ١٩ ، قال الزمخشرى : وهم الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به[2] .

وتلفت هذه الدلالة النظر من جهة عدم ورودها عند جمهور النحاة خلافا للسهيلى، وبالتالى فإن عدها وظيفة أساسية لضمير الفصل، ربما لا يتمشى بشكل مباشر مع رؤية النحاة، بقدر مناسبتها للمنهج التفسيرى .

ويمكن القول فى هذا المقام إن التخصيص مفاد من تعريف المسند إليه والمسند (أل) فى الآية الأولى، وأن التخصيص فى الآية الثانية للذين يضلون عن سبيل الله، هم المختصون بالكفر بالآخرة .

وتقودنا هذه الملاحظة السابقة إلى ذلك الجدل الدائر فى الفكر اللغوى الغربى حول هل الضمير يؤكد الاسم أو يؤكد الصرف (أل) مثلا،

(١) ٢/ ١٧١ .
(٢) ٢/ ٢١١ .

ومن خلال هذا التساؤل يعرض رولاند هارفج : (Roland Harweg) لعدد من آراء الباحثين الذين يختلفون فيما بينهم، فمنهم من يقول إنه يؤكد الاسم... ولا يخلص الباحث فى النهاية إلى رأى خاص حول هذه القضية : لأن الاختلافات حادة ومختلفة تمام الاختلاف، على حد قوله(١) .

وهذه الملاحظة على قدر كبير من الأهمية، خاصة أن المقصود منها تحديد الذى يؤكد هذا الضمير، وإذا كان الزمخشرى يرى أنه يؤدى وظيفة التوكيد، غير أنه لم يشر من قريب أو من بعيد على أى جزء من الجملة يقع هذا التأكيد، وبالتالى فإن هذه الملاحظة تمثل أهمية كبيرة فى هذا الموضع .

ويدعم التفتازانى هذه الرؤية على النمط الأول للزمخشرى بقوله : وهو أى كلمة (هو) للتخصيص، بمعنى أن الله يقبل التوبة لا غيره، والتأكيد بمعنى أنه يفعل ذلك ولا محالة لما سبق من أن ضمير الفصل يفيد ذلك، والخبر المضارع من مواقعه، وقيل التخصيص بالنسبة إلى رسول الله ﷺ ... بمعنى أن الله يقبل التوبة لا رسول الله، لما أن كثر رجوعهم إلى رسول الله... لكن حق العبارة أن يقال : إنما الذى يقبل التوبة هو الله، والله هو الذى يقبل التوبة بدون كلمة إنما...(٢) .

ويمكن فى هذا السياق أن نلاحظ شيئا ذا بال، ليس على ما ورد فى النص السابق للتفتازانى فحسب، وإنما هى ملاحظة يمكن أن تكون عامة فى معالجة التفتازانى لضمير الفصل فى حاشيته على الكشاف، فلا يكاد يخلو تركيب يعالج فيه ضمير الفصل إلا ويذكر أنه يقصر المسند على

---

(١) ينظر : Roland Harweg : Pronomina und Textkonstitution, S. 14, 20 .

(٢) التفتازانى : حاشية سعد الدين التفتازانى على الكشاف ورقة ٢٤٥ .

المسند إليه؛ بمعنى أن دلالة القصر تعد أساسية بالنسبة له، ولا أدل على ذلك من أنها تأتي عنده تارة مع التوكيد؛ ومرة أخرى مع التخصيص، وثالثة منفردة[1] .

ومن جهة أخرى تفيدنا هذه الملاحظة إلى العلاقة القائمة بين التخصيص والقصر، إذ كل منهما يدعم الآخر ويقويه، فالتخصيص هو قصر شيء على شيء آخر، ومن هنا نرى التلازم والتقارب الدلالي بين معنى المصطلحين .

وربما كانت رؤية التفتازاني في ذكره القصر في الدلالات المختلفة؛ لأنه ربما ارتبط هذا المصطلح – القصر – وشيوعه في عبارات البلاغيين، أو شرح حواشي البلاغيين .

وتتضح العلاقة القائمة بين القصر والتوكيد في : زيد الحاضر، وزيد هو الحاضر، وزيد زيد الحاضر، **فالأول** : إخبار بالمعرفة على معنى القصر، **والثاني** : توكيد القصر، **والثالث:** توكيد لمن شك في.(زيد) أو ظن المتكلم أن المخاطب كان ساهيا، فلم يسمع كلمة (زيد) أو ظن أنه انصرف ذهنه، فكرر له زيدا؛ لتزول هذه الاحتمالات . وأما الرابعة : لغير ذلك، إنها لتفخيم الأمر وتعظيمه، والضمير هو في الجملة الرابعة غيره في الجملة الثانية، وهو ليس زيدا... [2] .

ويدل ضمير الفصل على (التقرير والتوكيد) بثلاثة أنماط، في المرتبة الثالثة، ففي قوله تعالى (قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ) سورة طه

---

(١) ينظر : لإيضاح هذه الملاحظة التفتازاني : حاشيته على الكشاف ورقة : ٢٧، ٣٦، ١٨٨، ٢٢٠، ٢٤١، على سبيل المثال لا الحصر .

(٢) د. فاضل السامرائي : معاني النحو ١/ ٦٤ .

آية/ ٦٨[١]، وفى قوله تعالى في سورة المائدة آية/ ١١٦ (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ)[٢] .

وثمة ملاحظة يمكن أن أشير إليها فى هذا السياق وهى أن مصطلحى : التقرير والتوكيد، لا تعارض بينهما من الناحية الدلالية، إذ التقرير فى حقيقته إرادة حمل المخاطب على الإقرار بشيء هو عليه، أى توكيده، ومن ثم تتضح عبارة الكوفيين فى أن ضمير الفصل يسمى دعامة؛ لأنه يدعم به الكلام، أى يقوى به ويؤكد[٣] .

ومن هنا يبدو بوضوح أهمية عبارة الكوفيين ومغزاها، كما يظهر أن آراءهم ترتكز على واقع منطقى، ومن هنا تتضح العلاقة القائمة بين استخدام المصطلحين فى دلالة واحدة، أو تعبير آخر بين المصطلح والمغزى الدلالى له .

وتقودنا هذه الملاحظة السابقة إلى ملاحظة أخرى ذات بال، وهى استخدام الزمخشرى للمصطلحين هنا، بل وفى سائر دراساته استخدم فى الدلالة الواحدة أكثر من مصطلح، كما فى الدلالتين السالفتين .

ويلمح الباحث ملمحا مهما، أن استخدام الزمخشرى أكثر من مصطلح فى دلالة واحدة، ربما يحاول من أن يؤكد هذه الدلالة ويوضحها، وذلك باستخدام أكثر من مصطلح، وربما يشير استخدامه لأكثر من مصطلح فى الدلالة الواحدة أنه لا تعارض بين المصطلحين المستخدمين، كما يلاحظ أن الزمخشرى كثيرا ما يستخدم فى تفسير القرآن الكريم عبارات ومصطلحات بلاغية وهذا له دلالته على ما سيتضح .

---

(١) ٢/ ٤٤٠ .
(٢) ١/ ٣٧٣ .
(٣) ابن يعيش : شرح المفصل (أ) ٣/ ١١٠، السيوطى : همع الهوامع ١/ ٦٨ .

ويمثل الزمخشرى بنموذج واحد أن ضمير الفصل يشير إلى أن الوارد بعده خبر لا صفة، كما فى قوله تعالى فى سورة البقرة/ ٥ (أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[1] .

ويحلل ابن يعيش رأى الزمخشرى بفلسفة تتمشى ومذهبه الاعتزالى بقوله : وإنما اشترط أن يكون بين المبتدأ والخبر أو ما دخل عليهما مما يقتضى الخبر، نحو قولك : زيد هو القائم؛ لأن الذى بعده معرفة يمكن أن يكون نعتا لما قبله، فلما جئت به فاصلة بين أنك أردت الخبر، وأن الكلام قد تم لفصلك بينهما، إذ الفصل بين النعت والمنعوت قبيح[2] .

وتقوم هذه الرؤية عند الزمخشرى وغيره من النحاة والبلاغيين على أن الخبر فى ذاته صفة للمبتدأ الموجود، ومن هنا رأى النحاة والبلاغيون، أنه قد يختلط الأمر على القارئ فيقع فى خلط وتداخل، ومن ثم رأوا أن من وظائف هذا الضمير فى التركيب تجنب التفسير الخاطئ للتركيب، أو بتعبير آخر، فهم أن ما ورد بعد الضمير هو الخبر، وسأفصل القول فى هذه الجزئية فى موضع آخر من الدراسة عند الحديث عن المقابل للمبتدأ .

ويشير الزمخشرى إلى أن ضمير الفصل يقع بين معرفتين وذلك فى نمط واحد، فى النازعات آية/ ٣٩ (فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) ويختلف الضمير هنا عن المواضع السابقة، إذ يحتمل رأيين : إما أن يكون فصلا أو مبتدأ [3] .

وفى هذا عدم تمييز بين عنصر جوهرى (عمدة) إذا حذف اختلف المعنى، وبين عنصر إضافى إذا حذف لا يختل معنى الجملة، ويكون

(١) ١/ ٢٥ .
(٢) ابن يعيش : شرح ابن يعيش (ب) ١/ ٣٣١ .
(٣) ٤/ ١١٨٣ .

مجيئه لأداء وظيفة محددة، فإذا اختير الفصل فلا تكرار، وإنما هى إحالة إلى متقدم، ويكون التوكيد معنويا للركن الأول أو الثانى أو لكليهما معا، أما إذا اختير الابتداء، فالمبتدأ الثانى تكرار للأول، وفى ذلك توكيد لفظى للركن الأول من الجملة .

ويوضح ابن يعيش أسباب عدم وقوع ضمير الفصل إلا بين معرفتين: وإنما وجب أن يكون بعد معرفة، لأن فيه ضربا من التأكيد ولفظه لفظ المعرفة، فوجب أن يكون الاسم الجارى عليه معرفة؛ لأنه لا يكون ما بعده إلا ما يجوز أن يكون نعتا لما قبله ونعت المعرفة معرفة، فلذلك وجب أن يكون بين معرفتين[1] .

وبالتالى فإن ضمير الفصل لا يقع إلا بين معرفتين بصفة عامة، غير أن الزمخشرى يجد أنماطا لا تتوفر فيها هذه الشروط، فيحاول جاهدا أن يؤوله ويجد له مخرجا، كما فى قوله تعالى فى سورة غافر/ ٢١ (... كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ...)، قال الزمخشرى : قلت : أشد قد ضارع المعرفة فى أنه لا تدخله الألف واللام فأجرى مجراها[2] .

ووضع الزمخشرى الإطار النظرى لهذه الرؤية فى المفصل[3]، ومن ثم نجده يحاول أن يجد مخرجا لهذه الأنماط التى لا تتفق ظاهرا مع الشروط العامة التى وضعها النحاة .

وفى مناقشة قضية دخول اللام على ضمير الفصل موضحا العلاقة بينه وبين الخبر؛ لأن اللام تدخل على الخبر من باب المجاوزة، وبالتالى

---

(١) ابن يعيش : شرح المفصل (ب) ١/ ٣٣١، ٣٣٢ .
(٢) ٣/ ٣٦٦ .
(٣) المفصل (ب) ص ٥٣ .

فإن دخولها على الفصل أجوز لأنه أقرب إلى المبتدأ[1] منه وأصلها أن تدخل على المبتدأ، كما فى قوله تعالى (إنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إلاَّ اللَّهُ) آل عمران/ ٦٢ . على أننى أوضح جزئية مهمة تتعلق بضمير الفصل، أشار إليها ابن يعيش : بأن هذا الضمير لا يتعلق له حكم فى باب إن وأخواتها وباب المبتدأ والخبر؛ لأن أخبارها مرفوعة... ولكن تحديد هذا الضمير لنية المتكلم وإرادته، ولعل رأى ابن يعيش هذا يرجع فحواه إلى أن هذا الضمير مع إن والمبتدأ أو الخبر، ويكون اسم إن والخبر كلاهما مرفوعاً، وبالتالى لا يعرف أهو مبتدأ وما بعده خبر ؟ إلا بالنية التى يريدها المتكلم، فلايظهر الفرق معهما فى اللفظ، وإنما يظهر مع الفعل؛ لأن أخبارها منصوبة، نحو : كان زيد هو القائم[2] .

وينتقد ابن يعيش رأيه هذا فى موضع لاحق بأن هذا الضمير يمتنع دخول الألف واللام عليه؛ لأن الألف واللام تعاقب؟ فلا تجامعهما فجرى مجرى العلم، نحو : زيد وعمرو فى امتناعه من الألف واللام، وليس بمضاف مع أن من تخصصه؛ لأنها من صلته فطال الاسم بها فصارت كالصلة للموصول[3] .

معنى هذا أن ضمير الفصل لا يفيد التوكيد فقط؛ لأن : لام التأكيد تدخل على الفصل ولا تدخل على التأكيد والبدل، فتقول : إنْ كان زيد لهو العاقل، وإن كنا لنحن الصالحين، ولا يجوز ذلك فى التأكيد والبدل؛

---

(١) ١/ ١٩٣ .
(٢) ابن يعيش : شرح المفصل ١ (ب) / ٣٣١ .
(٣) السابق : ١(ب) / ٣٣٢ .

لأن اللام للفصل بين التأكيد والمؤكد والبدل والمبدل منه، وهما من تمام الأول فى البيان[١] .

وهذا يعنى أن ضمير الفصل لا يأتى للتوكيد، وقد رأينا دلالات مختلفة، استطاع الزمخشرى أن يستغل كافة الوسائل والأدوات المتاحة له، وبذلك قدم لهذا الضمير دلالات مختلفة من خلال الأنماط التى عالجه فيها، ومن ثم اختلفت نظرته كثيرا أو قليلا عن نظرة النحاة والبلاغيين على السواء .

وإذا كانت معالجة الزمخشرى قد جاءت فى مواضع متفرقة من تفسيره، فإن التفتازانى فى حاشيته على الكشاف قدم وظائف ثلاثا : **<u>الأولى :</u>** أن ما بعده خبر لا نعت... **<u>الثانية:</u>** تأكيد الحكم لما فيه من زيادة الربط،... **<u>الثالثة :</u>** إفادة قصر المسند على المسند إليه بشهادة الاستعمال فى مثل : إن الله هو الرزاق، وكنت أنت الرقيب عليهم...[٢] .

ومن هنا يلفت الباحث إلى جزئية مهمة فى نهاية هذا المبحث بأنه لا قوة فى أداء المعنى بالنسبة لضمير الفصل فيما يقوله بعض النحاة من إنه يفيد الابتداء؛ لأنه بناء على هذه الاعتبارات المنتشرة فى هذا المبحث تكون قيمته لفظية أكثر منها معنوية، أما على الاعتبار الثانى فتعد قيمته معنوية، وبالتالى تكون قيمته أكبر وفعاليته فى التركيب أسرى وأوضح .

وانتهى ابن يعيش من مبحث ضمير الفصل من رفض أن يكون ضمير الفصل من الاسم أو الصفة أو الفعل، وبالتالى تقربه هذه الرؤية من الحرف، التى أشرت إليها فى التوطئة عن الضمير .

---

(١) التفتازانى : حاشية سعد الدين التفتازانى على الكشاف ورقة ١٧٨ .

(٢) محمد اليعلاوى : ملاحظات فى لغة القرآن ص ٥٩ .

وإذا كان ضمير الفصل يمثل عنصرا إحاليا إلى المشار إليه، وبالتالى فإن ضمير الربط يمثل عنصر الإحالة فى التركيب، والاسم المشار إليه يمثل العنصر الإشارى، ولا يكتفى الضمير بالربط بين هذه الأجزاء، بل يقوم بدور الربط بين ما هو بعده أو قبله، أى دور التفسير والشرح والتحليل، وتعد هذه الوظيفة وظيفة معنوية[1] .

وتقودنا الملاحظة السابقة إلى أن الزمخشرى لم يشر صراحة إلى وظيفة الربط التى يؤديها الضمير على وجه العموم، غير أن الذى يمكن قوله إن الزمخشرى استخلص دلالات كثيرة لضمير الفصل : كالتوكيد والاختصاص... وهذه الدلالات فى الواقع تعمل على ربط أجزاء الكلام عن طريق الإحالة فالضمير (هو) مثلا يؤكد شيئا يعود عليه، ومن خلال العودة إلى السابق أو اللاحق يستطيع الضمير أن يؤكد أو يخصص، يؤكد ويخصص، يقرر ويؤكد، يكمل... كل هذه الوظائف يعمل الضمير من خلالها على ربط أجزاء النص عن طريق الإحالة .

وبالتالى فإن الباحث يختلف مع اليعلاوى حول رؤيته بأنه : لا يجرى الفصل (ذلك) كمبتدأ وخبره على وتيرة واحدة، فتارة يفصل بينهما الضمير (هو)، وتارة يعتمد على المعنى وحده لإجراء هذا الفصل ففى مثل هذه الآية (وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) النساء /١٣، التى تكررت خمس عشرة مرة، نجد ضمير الفصل مذكورا فى سبع آيات، ولا نجده فى ثمان، دون أن يكون لإثباته أو لتركه مرجح، إذ يكفى السياق لمعرفة المعنى، ولا سيما أن الكلمة الأخيرة، نظرا لما فيها من نغم طويل، لا تبقى شكاً فى انتهاء الآية، فلا خوف أن يلتبس الخبر ببدل الإشارة، فيقرأ قارئ

---

(١) Peter, Polenz : Deutsche Satzsemantik : Grundbegriffe des zwischen den - Zeilen - Lesens, S. 223 .

(وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) وينتظر بقية، أى خبرا للفوز المنعوت بالعظيم[1] .

ورأى اليعلاوى لا غبار عليه فى عمومه، بيد أن ثمة جزئية تسترعى الانتباه، وهى : أن ذلك وردت خمس عشرة مرة، ذكر ضمير الفصل فى ثمان، ولم يذكر فى سبع آيات، ويذكر أن إثبات الضمير أو حذفه دون مرجح، وهذا محل نظر .

وأحاول مناقشة نص الآية التى أشار إليها اليعلاوى (وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) النساء/ ١٣ ، غير أننى أتناول فقط ما جاء فى سورة التوبة، إذ ورد هذا النمط القرآنى أربع مرات فيها، فى الآية : ٧٢، ٨٩، ١٠٠، ١١١، أى ما يمثل ٢٦,٧ ٪ مما جاء فى القرآن، بناء على إحصائيات اليعلاوى السابقة .

ونستعرض أولا سياق الآيتين اللتين وردا فيهما ضمير الفصل، فنجد ذلك فى الآية ٧٢ - ١١١ ، ففى الآية / ٧٢ (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)وقبل هذه الآية، الآية/ ٧١ من السورة ذاتها، ذكر الله عز وجل صفات هؤلاء المؤمنين والمؤمنات (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

ومن ثم فإن هذه الصفات التى يتصف بها المؤمن والمؤمنة لابد أن تكون جميعا مقترنة به، ومن ثم لا يمكن أن تختل صفة من هذه الصفات، وإلا يختل بالتالى رصيده الإيمانى، بناء على اختلال الصفات

---

(١) محمد اليعلاوى : ملاحظات فى لغة القرآن ص ٥٩ .

الواردة، ومن ثم تأتى الآية التالية مباشرة؛ لتقدم المقابل للتمسك بهذه الصفات، ولما كانت صفات كثيرة والنفس تجنح إلى التفلت والسعى وراء الشهوات، وضع الله تعالى نتيجة لمن يتمسك بهذه الصفات (جنات تجرى من تحتها الأنهار... ومساكن طيبة فى جنات عدن... ورضوان من الله أكبر) وختم الآية بالتأكيد والتعظيم وذلك من خلال استخدام ضمير الإشارة (ذلك) بالإضافة إلى وجود ضمير الفصل (هو)، ومن ثم نجد أن السياق يحتاج إلى هذه المؤكدات، ولم تأت عرضا .

فجاءت الصفات ←—— النتيجة ←—— توكيد هذه النتيجة، ومن هنا فإن الترتيب طبيعى وذلك للتمسك بالصفات السابقة وحرصا على الفوز بالنتيجة .

أما الآية (١١١) من السورة ذاتها (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) . فالسياق فيها سياق تضحية بالنفس فى سبيل الله... ولزيادة فى الحث جاء توكيد النتيجة (بأن لهم الجنة)... وذلك هو الفوز العظيم، باستخدام (ذلك) التى تدل على بعد مرتبة الشهيد والشهداء وعلوها، وتوكيدها بضمير الفصل (هو) لما فى التضحية بالنفس من شق على النفس .

وهكذا نجد فى الآيتين السابقتين أن المؤمن والمؤمنة مطالب بعمل هذه الصفات وسواء أكان مما جاء فى آية / ٧٢، أم ما جاء فى الآية / ١١١؛ لأن ثمة بعض الناس (المؤمنون) قد يتكاسلون عن صفة من هذه الصفات، ومن ثم جاء المقابل لمن يقوم بهذه الصفات فى الآيتين وجاء

معه التوكيد لزيادة الحث والتمسك بها، وذلك بخلاف الآية (٨٩) من السورة ذاتها، (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) . وذلك لأن الآية السابقة (لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) آية / ٨٨ من السورة ذاتها، وبالتالى فإن التأكيد جاء فى الآية / ٨٨، بضمير الفصل (هم)، وهكذا جاءت الآية / ٨٩، لا تحتاج إلى مؤكد، بناء على وجوده فى الآية السابقة، وإنما جاء استخدام (ذلك) لمناسبة ذلك الفوز وعلو منزلته، وهكذا فإن عدم وجود ضمير الفصل بناء على مقتضى سياقى تحتمه السياقات المختلفة، وليس لإثباته أو تركه مرجح، كما ذهب اليعلاوى .

وفى الآية / ١٠٠ (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) .

وفى آية /٨٩ نجد... خالدين فيها، وفى آية / ١٠٠ (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ...) وهكذا نجد مؤكدا آخر فيما أحسب – أبدا –، أى ليس باستخدام ضمير الفصل فى هذه الآية، وإنما باستخدام مؤكد من نوع آخر – أبدا – وهكذا نجد فى كل آية سياق مختلف، وباختلاف السياق ربما يختلف المؤكد، ويختلف التركيب سواء بوجود (المؤكد) أم بعدم وجوده، حسبما يقتضى السياق .

ومن ثم نجد وجود الضمير فى النص لحيثية وعدم وجوده يتطلبه السياق، وهكذا نجد رأى اليعلاوى السابق يحتاج إلى إعادة نظر فى ضوء قرائن السياقات المختلفة .

ومن خلال ما سبق نتبين أن ضمير الفصل يشير إلى عنصر إشارى سابق، سواء أكان داخل النص أم خارجه، أم كانت هذه الإشارة إشارة معجمية، أى إشارة إلى كلمة محددة، أو إشارة نصية، أى جزء من نص أو مقطع من الكلام .

(عنصر إحالة) ⟵ إحالة إلى متقدم (سابق) ⟵ عنصر إشارى
(مفسر)   ضمير الفصل

ويمثل رأى لايونز السابق خلاصة القول – فيما أظن – فيما جاء عند الزمخشرى حول الوظيفة الأساسية؛ بمعنى أن هذه الدلالات الواردة عند الزمخشرى على سبيل المثال تنضوى جميعها تحت هذه الوظيفة، إذ تعمل كل دلالة منفردة – فى الواقع – من خلال مبدأ الترابط بين عناصر النص المختلفة، بداية بالبنى الصغرى – متمثلة فى الصرفيميات – وانتهاء بالوحدات الكبرى – النص – .

المبحث الثاني

البنية الدلالية والإحالية لضمير الش

يرى النحاة أن ضمير الشأن – وكذلك الزمخشرى – ضمير غائب، مبهم، مفرد، يصدر الجملة، يفسره ما يليه، يقصد به التعظيم والتفخيم، خلافا للفراء فإنه – عنده – يجوز أن يفسر بمفرد مؤول[1] .

ويفسر الزمخشرى إبهام الضمير فى قوله تعالى من سورة البقرة/٨٥ (... وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ...) بقوله : هو ضمير الشأن، ويجوز أن يكون مبهما تفسيره (إخراجهم)[2] ، وفى هذه الآية نرى الزمخشرى يطبق شروط النحاة فى تفسيره لهذا الضمير، إذ فسره بلاحق، وهو : (إخراجهم) الذى ورد عقب الضمير (هو)، وبالتالى فإنه مفسر بما يليه، وهذه هى الرؤية العامة لجمهور النحاة .

وفى قوله تعالى فى الآية / ٣٧ من سورة المؤمنين (إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) ، قال الزمخشرى : هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به إلا بما يتلوه من بيانه وأصله: إن الحياة إلا حياتنا الدنيا، ثم وضع (هى) موضع الحياة؛ لأن الخبر يدل عليها ويبينها، ومنه : هى النفس تحمل ما حملت، وهى العرب تقول ما شاءت، والمعنى : لا حياة إلا هذه الحياة ...[3]؛ لأن الإجمال ثم التفصيل بعده بقصد التفخيم بذكر الشىء أولا مبهما ثم تفسيره بعد ذلك، فيكون شوق النفس إليه أشد وتطلعها

---

(١) ينظر : المفصل (ب) ص ٥٤، الرضى : الكافية فى النحو ٢/ ٢٨، ابن يعيش : شرح المفصل (ب) ١ / ٣٣٤، السيوطى : همع الهوامع ١ / ٦٦ .

(٢) ٣ / ١٨٧ .

(٣) عباس حسن : النحو الوافى ١ / ٢٥٩ .

إلى التفسير أقوى؛ فيكون شوق النفس إليه أشد وتطلعها إلى التفسير أقوى، فيكون إدراكه وفهمه أوضح بسبب ذكره مرتين، مجملا فمفصلا أو مبهما فمفسرا[١] .

وبالتالى فإن هذا الضمير مبهم كما وصفه الجمهور، ولا يفسر إلا بما يليه، وهكذا ورد عند الزمخشرى فى النصين السابقين له، بيد أن المفارقة بين ضمير الفصل وهذا الضمير، أن ضمير الفصل يحيل إلى سابق، أى يمثل عنصرا إحاليا إلى سابق، أما ضمير الشأن فيمثل عنصرا إلى لاحق أو إلى متأخر، وبالتالى تمثل هذه مفارقة بين الإحالتين أو الضميرين :

•عنصر إحالة	إحالة إلى متأخر ← (لاحق)	•عنصر إشارى
ضمير الإشارة		(مفسر)
(مبهم)		(الخبر)

وفى قوله تعالى فى سورة الفرقان (إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) آية/٦٦ ، قال الزمخشرى : وهذا الضمير فى (ساءت) فى حكم (بئست) وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا.. وهذا الضمير هو الذى ربط الجملة باسم إن وجعلها خبرا لها [٢] . وفى هذا النمط القرآنى يمكن أن نستخلص أكثر من ملاحظة ذات أهمية بالنسبة لمعالجة هذا الضمير .

أولاً : نجد الضمير فى (ساءت) يفسر بما يليه، أى أنه يمثل عنصرا إحاليا إلى متأخر، وتمثل هذه رؤية النحاة، بناء على أنه لا يفسر إلا بما يليه .

---

(١) ٣ / ٢٩٢ .

(٢) Heinz Vater : Einführung in die Textlinguistik, S. 109, 110 .

ثانياً : يشير الزمخشرى فى هذا النص إلى دلالة أساسية لهذا الضمير (الربط)، وهذه الدلالة لا تقل أهمية عن الدلالة الأساسية، أعنى الوظيفة المباشرة – التفخيم والتعظيم – التى أشار إليها النحاة والزمخشرى، وإذا كان الزمخشرى قد أشار إلى وظيفة الربط بطريقة مباشرة فى مواضع يسيرة ومقننة، فهذا من جهة يعنى أن الزمخشرى يضيف بصريح القول وظيفة أخرى زيادة على ما جاء عند النحاة .

وبالتالى فإن هذه الرؤية القديمة تلتقى مع الحديثة، وتكمن المفارقة بينهما فيما أحسب أن الرؤية القديمة محددة ومقننة، والرؤية الحديثة موسعة، خاصة وأن ثمة كثيرا من الدراسات الأوربية قد أولت هذه الوظيفة – الربط – للضمير قدرا كبيرا من العناية والاهتمام بجانب الوظيفة التى أشار إليها النحاة .

ومن ثم فإن إحالة الضمير التى أشار إليها الزمخشرى، وقد ناقش الباحث جوانب منها أثناء مناقشة ضمير الفصل والتى سيشير إليها فى موضع لاحق من معالجة هذا الضمير وأثناء معالجة ضمير الإشارة فيما يلى، تمثل وظيفة أساسية وإن كانت بطريقة ضمنية .

بيد أن الزمخشرى فى مواطن كثيرة من تفسيره للقرآن الكريم يشير إلى عملية ربط الضمير عن طرق الإحالة سواء بالسابق أم باللاحق، وهذه الإحالة هى التى تعمل على ربط السابق باللاحق، أى تماسك بنية النص وترابط العناصر المكونة له.

وإذا كان الزمخشرى قد صرح في مواضع يسيرة بوظيفة ضمير الشأن، أن الشىء إذا أبهم ثم فسر أو وضح كان تفخيما لشأنه، فإنه فى مواضع أخرى لم يشر إلى الوظيفة بطريق مباشر، وإنما يكتفى بأنه ضمير مبهم تفسره الجملة بعده، وبالتالى بناء على تلك الأنماط التى أشار فيها الزمخشرى إلى أنه مبهم يفسره بما يتلوه من جملة، أن الغرض منه أيضا التفخيم والتعظيم، قياسا على تلك الأنماط الأخرى، أخذا بمبدأ القياس اللغوى .

وأحاول الآن أناقش بعض تلك الأنماط التى أشار فيها الزمخشرى إلى هذه الملمح، ففى قوله تعالى فى / ٩٧ (وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ...) نجده يشير إلى أن (هى) ضمير مبهم توضحه الأبصار وتفسره ...[1]، وفى قوله تعالى فى الحج/ ٤٦ (... فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) يذهب الزمخشرى إلى أن الضمير إنما : هو ضمير الشأن والقصة يجىء مذكرا ومؤنثا ... ويجوز أن يكون مبهما يفسره (الأبصار) وفى تعمى ضمير راجع إليه...[2] . وجاء فى سورة الشعراء/ ١٩٧ (أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) ، قال الزمخشرى : فقيل فى (تكن) ضمير القصة و (آية أن يعلمه) جملة واقعة موقع الخبر، ويجوز على هذا أن يكون (لهم آية) جملة الشأن و (أن يعلمه) بدلا عن آية...[3] .

ويلاحظ على هذه الأنماط التى عالج فيها الزمخشرى ضمير الشأن هنا أنه لم يشر إلى وظيفته التى أشار إليها النحاة والتى أشار إليها هو فى مواضع أخرى من القرآن الكريم، وإنما اكتفى بأن هذا الضمير يعود إلى لاحق يفسره ويوضحه، كما جاء فى آية كل من : الأنبياء والحج

---

(١) ٣ / ٢١ .
(٢) ٣ / ١٦٦ .
(٣) ٣ / ١٢٧ .

والشعراء، وهذه العودة إلى متأخر بالنسبة لضمير الشأن تمثل مجمل آراء النحاة بالنسبة لإحالة ضمير الشأن إلى متأخر (لاحق) .

وتنكشف دلالة هذه الأنماط أكثر وذلك بمقارنتها في إطار الأنماط الأخرى التي يرى فيها الزمخشري أن إضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشأن صاحبه كما في الأنماط التالية : ففي قوله تعالى (قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ) البقرة/٩٧، نجد الزمخشري يعرض لوظيفة هذا الضمير بقوله : والضمير في (نزله) للقرآن، ونحو هذا الإضمار، أعني إضمار ما لم يسبق ذكره - فيه فخامة لشأن صاحبه، حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل عليه، ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته[1] .

وفي نص الزمخشري نجد الإحالة في الضمير(نزله) يحيل إلى إحالة محددة - القرآن - إلا أن الإحالة هنا ليست إلى سابق محدد أو إلى لاحق محدد، وإنما هو مفهوم من السياق المقامي؛ لأن الكلام يدل عليه كما في قوله تعالى في البقرة / ١٤٦ (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) قال الزمخشري : وإن لم يسبق له ذكر؛ لأن الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع، ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإشعار بأنه لشهرته علما معلوما بغير إعلام، وقيل الضمير للعلم أو للقرآن أو لتحويل القبلة...[2] .

ويتفق هذا النص السابق للزمخشري في البنية الدلالية، أعني أن الضمير فيهما يدل على التفخيم، حسب ما ورد عند الزمخشري، وتمثل هذه نقطة التقاء بين النصين، أما النقطة الثانية فيما يخص الإحالة، في النص الأول واحدة ومحددة، أما النص الثاني فنجد الزمخشري لم يجزم

(١) ١ (ب) / ١٦٩ .
(٢) ١ (ب) / ٢٠٤ .

بإحالة واحدة، وإنما ذكر إحالات ثلاث : العلم، القرآن، تحويل القبلة .

أما إحالة الضمير إلى العلم، فبالتالى نجد الضمير يحيل إلى سابق محدد فى ذات الآية (الكتاب) ويفسر هذا بما جاء فى قوله تعالى فى ذات السورة فى الآية : ١٤٤ (وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ...) ومن ثم فالذين أوتوا الكتاب، هم أصحاب العلم الذين أشار إليهم الزمخشرى، وبالتالى فإن الإشارة إلى متقدم، أما الإحالة إلى القرآن، فلا أرى لذلك وجها؛ بناء على أن الضمير يعود على الكتاب والمقصود به التوراة، كما ورد فى الإحالة الأولى، وكما ورد فى التفاسير أن الصحابة – رضى الله عنهم – جلسوا يوما يتدارسون القرآن، وكان كعب الأحبار حاضرا – وكان يهوديا – فلما بلغوا هذه الآية، قال كعب رضى الله عنه والله كنا نعرفه ولا نشك فيه أكثر من أبناءنا؛ لأن صفاته موجودة أمامنا لا نشك فيها، أما أولادنا فيمكن أن تكون زوجاتنا قد خانتنا فيه، ونحن لا نعرف، فقام عمر فقبل رأسه، وهذه الرواية تعضد أن الضمير يعود على الكتاب – التوراة – فى ذات الآية .

وربما تحتمل أن المقصود ما جاء فى قوله تعالى (... مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ) البقرة / ١٤٥، وبالتالى فإن الإحالة إلى متأخر، بناء على أن الآية (١٤٥) من السورة، أى إلى متقدم فى الآية / ١٤٤ .

أما الإحالة الثالثة بتحويل القبلة، فإنها تحيل إلى متقدم، بيد أن الإحالة هنا تختلف عن الإحالة إلى (الكتاب) فكلاهما إلى متقدم، إلا أن الإحالة فى الكتاب فى ذات الآية، أما الإحالة فى تحويل القبلة فإلى متقدم ليس فى الآية، بل فى الآية السابقة لها ومن ثم فالتصور للإحالة الأولى

أضيق فى الربط، فى حين أن تصور الإحالة الثانية أوسع فى ربط بقية النص . وهنا تكمن المفارقة بين الإحالتين.

والموضع الثالث الذى أشار فيه الزمخشرى إلى وظيفة هذا الضمير فى قوله تعالى من البقرة / ١٢٧(وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) البقرة، قال الزمخشرى : قلت : فى إبهام القواعد وتبيينها بعد الإبهام ما ليس فى إضافتها لما فى الإيضاح بعد الإبهام من تفخيم لشأن المبين[١] .

وفى هذه النصوص الثلاثة، نجد الزمخشرى يعرض للوظيفة الأساسية لضمير الشأن، بل يلاحظ أن الزمخشرى يؤكد هذه الوظيفة فى كل نص على حدة، وهذا ما يؤكد أن هذه وظيفة أساسية بالنسبة لهذا الضمير، بل هى الوحيدة التى ارتأها النحاة، وأكدها الزمخشرى فى كل نمط دلالة على أهميتها .

ونلاحظ على هذه الأنماط الثلاثة التى أشار فيها الزمخشرى إلى الوظيفة الأساسية – عند جمهور النحاة – لضمير الشأن (أن الإيضاح بعد الإبهام فيه تفخيم لشأن المبين) ولم يحدد الزمخشرى فى الأنماط الثلاثة ضميرا بعينه، وإنما جاءت عباراته فى الأنماط المختلفة : أن الإيضاح بعد الإبهام فيه تفخيم لشأن المبين، ومن ثم نراها رؤية عامة – بدليل ذكره الضمير – بمعنى أى ضمير، والمقصود به هنا ضمير الشأن الذى ينصب عليه الحديث فى هذا الموضع، إذا أبهم، ثم فسر أدى بالتالى الدلالة المقصودة منه، وبالتالى فإن الأنماط التى ذكر فيها الزمخشرى أن هذا الضمير تفسره وتوضحه تلك الجملة التى تليه، أى أن هذا الضمير

---

(١) ١ (ب) / ١٨٨ . يشير الرمز (ب) إلى طبعة «الكشاف» الصادرة عن دار الكتاب اللبنانى، ١٩٨٦ .

مبهم، ثم يوضح بما يلحقه من تركيب، أى أنه يفيد التفخيم والتعظيم، بطريقة ضمنية، وإن لم يشر إلى ذلك بصريح العبارة .

وربما كان عدم ذكر الزمخشرى لدلالة هذه الأنماط، بناء على أن دلالتها لوضوحها وظهورها لا تحتاج إلى ذكر، على أساس أنه قد أشار فى أنماط أخرى إلى دلالة ضمير الشأن على وجه العموم (التفخيم) خاصة إذا أبهم ثم وضح .

كما يلاحظ على قول الله تعالى فى الحج / ٤٦ (... فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (٢) أن الزمخشرى قد لمح فيها - كما لمح فى آيات أخرى - أن الضمير فى الآية راجع إلى (تعمى) أى الضمير (فإنها) يمثل عنصرا رابطا بما يليه، أى بالخبر، ومن ثم يكون دوره واضحا فى عملية الربط، والتى تعد فيما أظن وظيفة لا تقل أهمية عما ذكره النحاة .

وإذا كنا يمكن أن نستنتج من خلال ما سبق أن الزمخشرى لم يذكر دلالة ضمير الشأن فى كل الأنماط بناء على وضوحها وظهورها، اكتفاء بأن ما جاء فى مواضع أخرى يدل عليها تجنبا للتكرار، فإنه كذلك لم يشر إلى وظيفة الربط فى كل الأنماط، وإنما اكتفى بذكر بعض الأنماط، وفى أكثر الأنماط لم يشر إلا لعملية إحالة الضمير إلى سابق أو إلى لاحق وبالتالى إلى محدد، ومن ثم تكون الإحالة نصية، وسأرجئ الحديث عنها للاستفادة منها فى موضعها .

وقد أحصى الباحث الأنماط التى أشار فيها الزمخشرى إشارة صريحة إلى دلالة ضمير الشأن فوجدها تسعة أنماط، ورغم قلة الأنماط التى يظهرها هذا الإحصاء، إلا أنها تعكس رؤية حقيقية للزمخشرى

وتوضح ملمحا عاما لهذا الضمير، ومن خلال تلك الأنماط يتضح أنه قد أشار إلى وظيفتين اثنتين لضمير الشأن، وهى : التفخيم والتعظيم فى (سبعة) أنماط، والربط فى (نمطين) . والشىء الذى يجمع بين هذه الأنماط جميعها أن الزمخشرى يرى فى كل نمط دلالة على حدة، إلا أنه يؤكد عملية الربط، أعنى الإحالة فى كل نمط، وبالتالى يمكن القول ضمنيا إنه كان دائما يذكر الدلالتين فى وقت واحد، أى أن الربط وظيفة عامة تشترك فيها كافة الأنماط المتناولة .

ويرى الرمانى أن قوله تعالى (إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) النمل / ٩، الهاء فى أنه عماد، ذكرت على شريطة التفسير، وكذلك (يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل) وليست بضمير يرجع إلى مذكور متقدم، وإنما هى متقدمة على شريطة التفسير لتفخيم الكلام[1] .

وبالتالى فإن رؤية الرمانى – رغم كونه معتزليا – تختلف عن وجهة نظر الزمخشرى حول هذا الضمير من وجوه : أن الزمخشرى يعد (الهاء) ضميرا، بناء على رأيه السابق، والرمانى لا يعده ضميرا، بل إنه عماد، ويلاحظ أن الاختلاف هنا إنما هو اختلاف شكلى فى استخدام المصطلح ليس أكثر .

ويتفق الزمخشرى والرمانى فى كون هذا الضمير يحيل إلى لاحق، إلا أن هذا عند الزمخشرى ليس على إطلاقه؛ لأن ثمة بعض النصوص عنده تحيل إلى لاحق وإلى متقدم، كما سيأتى .

ومن ثم فإن هذه الرؤية تمثل مفارقة عن الرمانى وعن النحاة فى آن واحد، ومن هنا كذلك نجد الرمانى يتفق مع النحاة والزمخشرى فى أن هذا الضمير يعود على لاحق، أو قُدِّم لإفادة التفخيم .

---

(١) الرمانى : معانى الحروف ١٤٥ .

وبالتالى فإن هذا الضمير مبهم كما وصفه الجمهور، لا يفسر إلا بما يليه، وهكذا ورد عند الزمخشرى فى النصين السابقين له، بيد أن المفارقة بين ضمير الفصل وهذا الضمير يحيل إلى سابق، أى يمثل عنصرا إحاليا إلى سابق، أما ضمير الشأن، فيمثل عنصرا إحاليا إلى لاحق أو إلى متأخر، وبالتالى تمثل هذه مفارقة بين إحالة الضميرين .

وإذا كانت الإحالة تمثل مفارقة بينه وبين ضمير الفصل، فإن ثمة مفارقة أخرى بينه وبين الضمائر عامة : أنه لا يحتاج إلى رابط به، لا يعطف عليه ولا يؤكد، ولا يبدل منه، ولا يتقدم خبره عليه، ولا يفسر بمفرد[١] ... . فإذا كانت المفارقة بينه وبين ضمير الفصل يمكن أن نطلق عليها مفارقة خاصة، فإن مخالفته عن الضمائر الأخرى تمثل مفارقة عامة، وتعد هذه المفارقة العامة شروطا تحتاج إلى اختبار مدى موافقتها وموائمتها لما جاء عند الزمخشرى من خلال هذا المبحث .

وإذا كان النحاة اشترطوا أن يفسر ضمير الشأن بما يتلوه، فإن هذا ليس على إطلاقه وإنما لابد : أن تكون خبرية، فلا يفسر بالإنشائية، وأن يصرح بجزئيته، فلا يجوز حذف جزء منها، فإنه به لتأكيدها وتفخيم مدلولها، والحذف مناف لذلك[٢] .

وتقودنا هذه الملاحظة الموجزة إلى الشروط المختصة به : أنه لا يقدم الخبر عليه لئلا يزول الإبهام المقصود منه، ولا يؤكد لأنه أشد إبهاما من المنكر، ولا تؤكد النكرات، ولا يجوز حذف هذا الضمير لعدم الدليل

---

(١) السيوطى : همع الهوامع ١ / ٦٧، وينظر ابن هشام : مغنى اللبيب ٢ / ١٠٣ .
(٢) السابق ١ / ٦٦ .

عليه، إذ الخبر مستقل ليس فيه ضمير رابط، ولا يحذف المبتدأ ولا غيره إلا مع القرينة الدالة عليه[1] .

وإذا كانت هذه الشروط قد عرضتها منذ قليل، فإن ما جاء عند الرضى أكثر تفصيلا مما جاء عند السيوطى، وبالتالى أردت أن أثبت ما جاء عند الرضى فى هذا الموضع .

وإذا كان الزمخشرى فى آية كل من البقرة / ٨٥، والمؤمنين / ٣٧، يرى الزمخشرى : أن الضمير لا يفسر إلا بما يليه ... فى خلاصة رأيه، فإنه فى قوله تعالى (...إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ) الأعراف/٢٧ ، قال الزمخشرى : فإن قلت : علام عطف وقبيله ؟ قلت : على الضمير فى يراكم المؤكد هو، والضمير فى أنه للشأن والحديث، وقرأ اليزيدى بالنصب، وفيه وجهان : أن يعطفه على اسم إن، وأن تكون الواو بمعنى (مع)، وإذا عطفه على اسم إن وهو الضمير فى أنه كان راجعا إلى إبليس[2] .

وتنضوى رؤية الزمخشرى فى عرضه لقراءة اليزيدى بالنصب أنه يرى فيها وجهين، وتهمنا الملاحظة الأخيرة من رأيه : الضمير فى أنه كان راجعا إلى الشيطان، إن عرض احتمالية التركيب لهذا الوجه أو وجوه أخرى تؤكد موافقته للاحتمالين معا، وبما أن الزمخشرى عرض للاحتمالين معا، فإن هذا يعنى أن الضمير يحيل إلى لاحق وإلى سابق، أى أن رؤيته قائمة على الموافقة، وليس الرفض، وبالتالى إلى عودة الضمير إلى (الشيطان) .

---

(١) الرضى : شرح الكافية فى النحو ٢ / ٢٨ . وينظر أبو حيان الأندلسى : ارتشاف الضرب ١ / ٤٨٥ ، السيوطى : همع الهوامع ١ / ٦٧ ، ابن هشام : مغنى اللبيب ٢ / ١٠٣ .

(٢) ٢ / ٥٩ .

ومن هنا فإن إحالة الضمير ليست إلى متأخر، وإنما إلى متقدم؛ لأن الشيطان ورد ذكره فى بداية الآية الكريمة ٢٧ من سورة الأعراف (يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ..) وبالتالى فإن رؤية الزمخشرى تختلف عن رؤيته فى الموضعين السابقين، هذا من جهة، ومن ناحية أخرى تفارق رؤية النحاة .

وينتقد ابن هشام رؤية الزمخشرى لأنه : ملازم للإفراد فلا يثنى ولا يجمع .... وإذا تقرر هذا علم أنه لا ينبغى الحمل على؟عليه، إذا أمكن غيره، ومن ثم ضعف قول الزمخشرى فى آية (إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ) إن اسم ضمير الشأن، والأولى كونه ضمير الشيطان، ويؤيده أنه قرئ وقبيله بالنصب وضمير الشأن لا يعطف عليه[1] .، فالزمخشرى خرق رؤية النحاة لأنه يعالج منهج يختلف عن رؤية النحاة، أى يتقبل كل الأوجه ولا يقف عند واحد .

وفى قوله تعالى : (... وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) يوسف : ٣، قال الزمخشرى : والضمير فى (قبله) راجع إلى قوله (مَا أَوْحَيْنَا)، والمعنى : وإن والشأن والحديث من قبل إيحائنا إليك من الغافلين، أى الجاهلين به...[2] .

ومرة أخرى نجد مخالفة تؤكد النمط السابق، وأن الضمير فى (قَبْلِهِ) يحيل إلى (مَا أَوْحَيْنَا)، بمعنى أن ضمير الشأن أو القصة يحيل إلى متقدم،

---

(١) ابن هشام : مغنى اللبيب ٢ / ٩٥ .
(٢) ٢ / ٢٤١ .

إذا مـا وردت مـا أوحـينا فى بداية الآية ذاتهـا (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) يوسف / ٣ ، ومن ثم فإن الضمير يمثل عنصرا إحاليا إلى متقدم، وليس إلى متأخر، كما ذهب جمهور النحاة : -

•عنصر إشارى (مفسر) ← إحالة إلى متقدم (لاحق) •عنصر إحالى ضمير الشأن

وبالتالى فإن هذه الرؤية تخرج على قيود (قيد) النحاة فى أنه يشير إلى جملة متأخرة تفسره، وتمثل هذه المفارقة خاصية أساسية فى معالجة الزمخشرى لهذا الضمير، أو فى معالجة الضمير على وجه العموم، إذ أتاح لهم المنهج التفسيرى والمادة المتناولة أن يقدموا مناقشة حول هذا الضمير فى مواضع مختلفة، تعددت حدود وقيود النحاة، كما هى الحال عند الزمخشرى . ويشترط النحاة - وكذلك الزمخشرى - أن يعود الضمير على شىء محدد، بمعنى أنه لابد أن يحيل إلى شىء محدد ومقصود، أى لو أننا قلنا : زيد أخوه قائم، لا يعد الضمير فى (أخوه) ضمير الشأن؛ لأنه يحيل إلى (زيد) وإنما إلى أخيه، وفى قوله تعالى (قل هو الله أحد ...) الصمد : ١ ، قال الزمخشرى : إن قوله (الله أحد) هو الشأن، كقولك : هو زيد منطلق، كأنه قيل : الشأن هذا، وهو أن الله واحد لا ثانى له... الذى هو عبارة عنه، وليس كذلك : زيد أبوه منطلق، فإن زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين، فلابد مما يصل بينهما[1] . وبالتالى يجزم الزمخشرى برفضه عودة الضمير على غيره، فإذا عاد على شىء آخر فلا يعد من هذا الضمير أو من هذا القبيل .

---

(١) ٤ / ٢٤٢ .

وإذا كان الزمخشرى قد اشترط أنه لابد أن يعود على محدد فما معنى قوله : لا يعلم ما يعنى به إلا بما يتله... وفى ذلك خروج على قيد أوجبه البصريون - وهو كناية عن جملة - فليس ذلك المشار إليه من ضمير الشأن فى شىء؛ لأن مفسر الشأن لابد أن يكون مصرحا بجزئيتها[1]. وبالتالى فإن الزمخشرى بقيده السابق ينتقد رأيه حول ضمير الشأن، كما نقضه من الإحالة .

ومن هنا فإن هذا الضمير يتفق مع بقية الضمائر فى مواضع، ويختلف معها فى أشياء أخرى، يتفق معها فى الإحالة فقط عند جمهور النحاة، حيث يحيل ضمير الفصل إلى سابق أو إلى متقدم، ويحيل ضمير الشأن إلى لاحق أو متأخر عند جمهور النحاة .

وقد أورد السيوطى عشرة أوجه يفارق فيها ضمير الشأن الضمائر الأخرى :

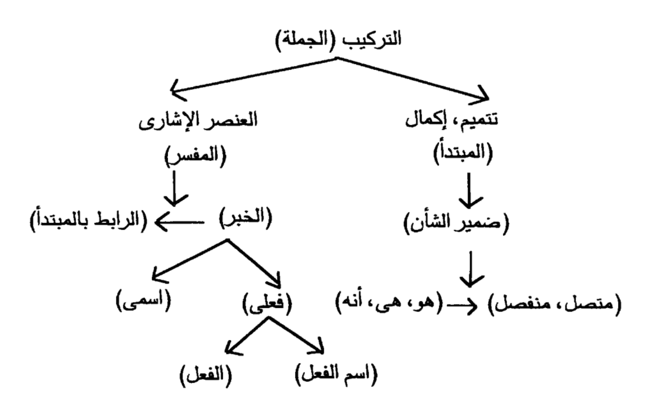
بأنه لا يحتاج إلى ظاهر يعود إليه بخلاف ضمير الغائب، فإنه لابد له من يعود عليه لفظا أو تقديرا، وأنه لا يعطف عليه ولا يؤكد ولا يبدل بخلاف غيره من الضمائر، وسر هذه الأوجه أنه يوضحه، والمقصود منه الإبهام، وأنه لا يجوز تقديم خبره عليه وغيره من الضمائر يجوز تقديم خبره عليه، وأنه لا يشترط عودة ضمير من الجملة إليه وغيره من الضمائر إذا كان خبره جملة لابد فيها من ضمير يعود إليه، وأنه لا يفسر إلا بجملة وغيره من الضمائر يفسر بالمفرد وأن الجملة بعده لها محل من الإعراب، والجمل المفسرات لا يلزم أن يكون لها محل من الإعراب، وأنه لا يقوم الظاهر مقامه وغيره من الضمائر يجوز إقامة الظاهر مقامه، وأنه لا يكون إلا لغائب دون المتكلم والمخاطب لوجهين، **الأول** : أن المقصود بوصفه الإبهام والغائب هو المبهم؛ لأن المتكلم والمخاطب فى نهاية

---

(١) السيوطى : همع الهوامع ١ / ٦٧ .

الإيضاح . **الثانى :** أنه فى المعنى عبارة عن الغائب؛ لأنه عبارة عن الجملة التى بعده، وهى موضوعة للغيبة دون الخطاب والتكلم[1] .

وربما تتفق هذه الرؤية مع ما جاء عند النحاة، إلا أن ضمير الشأن عند الزمخشرى يعد عنصرا إحاليا ذا ضفيرتين، بمعنى أنه يحيل إلى متأخر، وتمثل هذه الرؤية رؤية الجمهور، والثانية تمثل وجهة نظر خاصة بالزمخشرى – وبالمفسرين – يخرج فيها الزمخشرى على قيد النحاة، ولم يقيد نفسه نتيجة إقامته منهج تفسيرى دلالى، أتاح له أن يقدم ملاحظات قيمة تعدت حدود قيود النحاة، ويمكن لو استغلت ووجدت من يطورها وينميها لأتاحت بحثى طيب .



شكل توضيحى رقم (٣) يوضح شكل الضمير الذى يأتي عليه ضمير الشأن والقصة وإحالته إلى سابق وإلى لاحق عند الزمخشرى

---

(١) السيوطى : الأشباه والنظائر فى النحو ٢ / ١٦٥ .

ويلاحظ مبدئيا على نص الزمخشرى السابق فى عرضه لضمير الشأن أنه لم يعرض إلا للصفات التى تخص ضمير الشأن ونماذج متنوعة تضمه، ولم يتناول الوظيفة الأساسية التى يقوم بها، وتكمن هنا مفارقة أخرى يمتاز بها ضمير الفصل عن ضمير الشأن، إذ عرض له وظيفتين فى المفصل، وضمير الشأن لم يعرض لوظائفه، وإنما جاءت فى مؤلفات أخرى، على أن النحاة يتفقون جميعا حول وظيفة أساسية لهذا الضمير .

وقد ارتضى الزمخشرى تسمية البصريين (الشأن والقصة والحديث) وابتعد عن تسمية الكوفيين (المجهول) ويعلل ابن يعيش لسبب التفرقة التى ارتضاها الكوفيون : لأنه لم يتقدمه ما يعود عليه[1] . وبالتالى فإن رؤية النحاة : بصريون وكوفيون، تتفق حول إعادته إلى لاحق، وتمثل هذه الرؤية العامة للنحاة العرب، بناء على هذا الأساس .

وتناول الزمخشرى المصطلح البصرى : ولم يعرض للمصطلح الكوفى فى الكشاف، إلا أنه فى المفصل قد عرض له، وهو كتاب نحوى .... وبناء على هذا فإن الزمخشرى يرتضى مصطلح البصريين، كما أنه يلاحظ أن المصطلح مستخدم فى بيئة البلاغيين، حيث أشار إليه الجرجانى باسم ضمير القصة[2] ، وهذا يعكس أن هذا المصطلح كان متداولا فى بيئة أخرى، ويعكس أيضا مدى التداخل والعلاقة القائمة بين الدراسة النحوية من جهة والدراسات البلاغية من جهة ثانية .

وقد أحصى الباحث الأنماط الواردة لهذا الضمير فجاءت كثيرة، إلا أن الأنماط التى أشار فيها إلى الدلالة مباشرة بلغت تسعة أنماط، وتعد هذه

---

(١) ابن يعيش : شرح المفصل (ب) ١/ ٣٣٣ - ٢/ ٢٤١، ٢/ ١٩٥، ٦/ ٢٤٢، ٢/ ٣٩٠
(٢) الجرجانى : دلائل الإعجاز ص ١٠ .

الأنماط قليلة وضئيلة، إذا ما قورنت بالأنماط الواردة لضمير الفصل . وإذا كان النحاة والبلاغيون يرون أن وظيفة ضمير الشأن التفخيم والتعظيم[1]، فهل هذا ينطبق على الأنماط الواردة عند الزمخشرى ؟ وإذا كان الأمر كذلك، فعلى أى شيء يعول سبب الاختلاف ؟، هل لأن ثمة سياقات لغوية وغير لغوية لم تتحها سياقات الجملة المحددة وطبيعة الاختلاف المنهجى فى المعالجة ؟وقد كشف المفسرون عنها ومن خلالها قدموا إشارات مستنيرة فاقت، كما نجد عند الزمخشرى، قيود النحاة ونظرتهم إلى النص القرآنى بوجه خاص، على ما ستكشف عنه الدراسة، إضافة إلى ما سبق .

على أن ثمة ملاحظة فى هذا السياق، وهى أن الأنماط المستخلصة عند الزمخشرى لم تشر صراحة إلى الوظيفة الأساسية لهذا الضمير، وإنما جاءت وظيفته بطريقة مباشرة فى تسعة، وجاءت الإشارة ضمنية فى باقى الأنماط الأخرى، على أن هذه الأنماط التى أشار فيها الزمخشرى إلى وظيفة ضمير الشأن بطريقة مباشرة والأنماط التى جاء الحديث عنها غير مباشر، بمعنى أنه أشار إلى جزئية تخص هذا الضمير تعالج جزئيات تتضافر وتتكاتف فيما بينها لإيضاح الصورة الكلية لضمير الشأن، كما هى الحال بالنسبة لقضية الإحالة التى تعد ذات فعالية كبيرة؛ نظرا لما تقوم به من عملية الربط .

وتقودنا هذه الملاحظة إلى ملاحظة أخرى تتعلق بالأولى، أن هذه الأنماط ما دامت فيها تسعة أنماط – صراحة – على الوظيفتين الأساسية لضمير الشأن، وباقى الأنماط بشكل ضمنى، فإن هذا يعفينا مبدئيا فى هذا

---

(١) الجرجانى : دلائل الإعجاز ص ١٠٢، عباس حسن : النحو الوافى ١ / ٢٥٩ .

الموضع من عمل جدول إحصائى لهذه الأنماط ووظائفها، وتعفينا - كذلك - ملاحظة ورود هذه الأنماط فى الكشاف من إجراء رسم بيانى لإيضاح أهمية المصادر عند الزمخشرى بالنسبة لمعالجة ضمير الشأن، ومن ثم فإن الكشاف هو الذى ينفرد من بين سائر مؤلفاته بالمعالجة العملية لهذا الضمير، على أن الإطار النظرى ورد فى المفصل .

ومن هنا فإن وظيفتين اثنتين - التفخيم والتعظيم، الربط - حسب ما ورد عند الزمخشرى . وكذلك وظيفتين - التفخيم والتعظيم، التوكيد - حسب ما ورد عند الجرجانى، ومن ثم فإن هذا الضمير يختلف عن ضمير الفصل من عدة مواضع، يمكننا إجمال بعضها فيما يلى حسب معالجة الزمخشرى :

<u>أولا :</u> ضمير الفصل يحيل إلى متقدم (عنصر إشارى سابق) ، أما ضمير الشأن، فإنه يحيل إلى جملة تالية محددة عند جمهور النحاة، ويضيف الزمخشرى زيادة على ما جاء عند النحاة بأنه يحيل إلى متقدم، وبالتالى تمثل هذه مفارقة بين النحاة من جهة والزمخشرى من جهة أخرى .

<u>ثانيا :</u> ضمير الفصل وردت له عند الزمخشرى وظائف مختلفة، وصلت ثمانى وظائف دلالية . أما ضمير الشأن فلم ترد له إلا دلالة عند جمهور النحاة، واثنتين عند الزمخشرى والجرجانى مع المفارقة بينهما فى هذه الوظائف .

<u>ثالثا:</u> ونخلص من رقم (١) إلى أن معالجة الزمخشرى لضمير الفصل كانت أكثر اتساعا من ضمير الشأن، وربما اختلاف طبيعة الضميرين هى التى فرضت المعالجة، أو أملت أن تكون المعالجة على هذا النحو .

كما يلاحظ أن الأنماط المستخلصة من مؤلفات الزمخشرى – الكشاف – لا تعالج وظائف بعينها بقدر ما تتضافر وتتكاتف فيما بينها لإيجاد نوع من الضفيرة المتشابكة من الوظائف نصيا، ومن ثم فإن الأنماط تعالج جزئيات تتشابك كل جزئية مع جزئية أخرى لتوضح من خلالها جوانب أخرى مختلفة ومتنوعة لهذا الضمير، وتعمل جمعيها بقدر مساو لإبراز السمات العامة وجوانبها المختلفة، ومن هنا تبدو المفارقة بين تناول هذه الجزئية بالمقارنة بمواضع أخرى من البحث .

كانت هذه تمثل ملاحظات عامة ومنتثرة، فإن ثمة معالجة لهذا الضمير ناقشها الزمخشرى عملياً أثناء تناوله القرآن الكريم بالتفسير، وتعد هذه الجزئية فى هذا الموضع أساسية هنا، إذ ينصب فى أساسها على الوظائف الدلالية لضمير الشأن .

وفى مناقشة الزمخشرى لضمير الفصل يعرض بالتحليل له فى قوله تعالى فى البقرة/ ١٦٢ (خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ) قال الزمخشرى : (خَالِدِينَ فِيهَا) فى اللعنه، وقيل فى النار، إلا أنها أضمرت تفخيما لشأنها وتهويلاً . وفى قوله تعالى (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً) يونس/ ٦١، قال الزمخشرى : (مِنْهُ) لشأن؛ لأن تلاوة القرآن شأن من شأن رسول الله ﷺ بل هو معظم شأنه أمل للتنزيل، فإنه قيل : وما تتلوا من التنزيل من قرآن... والإضمار قبل الذكر تفخيم له أو لله عز وجل التوثيق .

ويرجع فى الآية الأولى إلى شيئين مختلفين، الأول : اللعنة. الثانى: النار. أما الأول فى إحالة ضمير الشأن هنا إلى (اللعنة) إذ يمثل عنصرا إحاليا إلى متقدم، بناء على رأى الزمخشرى الأول وقد وردت (اللعنة) فى الآية/ ١٦١ من سورة البقرة (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ

لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) ، وبالتالى فإن الإحالة إلى متقدم، خاصة وأن (اللعنة) واردة فى الآية السابقة ١٦١ ، والآية التى ورد فيها ضمير الشأن هى (١٦٢) ومن هنا فإن ضمير الشأن يحيل إلى متقدم وليس إلى لاحق، ومن ثم فإن الزمخشرى يخرج على قيود النحاة فى هذا الموضع .

أما الإحالة الثانية فى هذه الآية، فإن ضمير الشأن (خالدين فيها) يحيل إلى النار، بناء على رأى الزمخشرى الثانى، وبما أن ذكر (النار) لم يرد فى هذا السياق، فإن الضمير هنا يحيل إلى عنصر خارج النص وهو عنصر معجمى، ويمكننا أن نستخلص الإحالة الثانية (النار) من السياق اللغوى والمقامى الذى تتحدث عنه الآيات، إذ الحديث عن الكفار الذين ماتوا على الشرك (عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ...) وبما أن الكفر يرتبط عقابه فى الآخرة بالجزاء (النار) فإن هؤلاء الكفار خالدين فيها (النار) لا محالة... إذا فالإحالة الثانية إحالة تتيحها قرائن المقام، ويؤكد الإحالة الثانية ما جاء فى الآية ذاتها (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) وبالتالى فإن الإحالة إلى لاحق. بناء على أن العذاب – النار – الوارد فى الآية وارد عقب ضمير الشأن، وهذه الإحالة كما جاءت فى قوله تعالى (كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ...) القيامة : ٢٦ ، يرى الزمخشرى: أن الضمير يعود للنفس وإن لم يجر ذكرها؛ لأن الكلام دال عليه كقول حاتم :

أما وى ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر[١]

وبالتالى إذا كان السياق يدل عليها ويخصصها فلا ضير خاصة إذا كانت معروفة، كما هى الحال فى الأنماط السابقة وبيت حاتم، كذلك يمكن القول بأن الزمخشرى أفاد من رؤية النحاة لوظيفة هذا الضمير،

---

(١) ٤ (ب) / ٦٦٣ .

الإضمار قصدا لتفخيم شأنها وتهويلا لها، وواضح أن هذه الرؤية نحوية خالصة، هذا من ناحية الوظيفة، أما من جهة الإحالة فإنه يحيل إحالتين مختلفتين، **الأولى :** إحالة معجمية إلى متقدم محدد - اللعنة - . **الثانية :** وهى مستخلصة من السياق المقامى، ويمكن القول فيها زيادة على ما سبق بأنها إحالة ذهنية، أو نصية جاء ذكرها فى موضع آخر من القرآن، وبالتالى فإن الإحالة ليست إلى عنصر معجمى كما فى الإحالة الأولى، وإنما إلى عنصر إشارى يكمن فى النص فى موضع آخر منه، حيث إن المفسرين ينطلقون من منطلق معالجة القرآن الكريم كله كوحدة واحدة، باعتباره نصا واحدا، وبالتالى فإن ذكر مكان الخلود فى القرآن جاء فى موضعين، إما الجنة، وإما النار، وبما أن الآية تتحدث عن عذاب الكفار ... فإن ترجيح الإحالة إلى (النار) هو الوارد هنا لينسجم السياق اللغوى والمقامى، وبالتالى فإن الإحالتين اللتين يراهما الزمخشرى ممكنتان من الوجهة الدلالية، ومن منطلق علم اللغة النصى .

ويعلل الزمخشرى بأن الإضمار فى الآية الكريمة : تفخيما لشأنها وتهويلا، وربما تمثل هذه الرؤية عند النحاة وظيفة أساسية أو عامة تنطبق على ضمير الشأن؛ لأنه يستشف من كلام الزمخشرى الضمير أو الضمائر عامة، ويحدد السياق هذه الوظيفة بشكل أساسى، ففى قوله تعالى (فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) النمل : ٨، ٩ ومقارنة ذلك بما جاء فى قوله تعالى (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى... إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) طه / ١١ : ١٤، وفى القصص (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ...) الآية / ٣٠، ٣١، وجاءت الآيتان :

الثانية والثالثة بلفظ ضمير المتكلم، وفى النمط الأول جاء بضمير الشأن (إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ويستفاد التفخيم فى هذه الآية من السياق الوارد فى الآية، أو من الجزء الأول من الآية الكريمة (فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) مما يناسب الوظيفة الدلالية التى ارتأها النحاة لضمير الشأن والقصة .

أما فى النمط الثانى الذى عرض له الزمخشرى، فيحيل ضمير الشأن فيه إلى : رسول الله ﷺ أو إلى التنزيل... وبالتالى فإن الإحالة الأولى تمثل إحالة إلى عنصر يقع خارج النص القرآنى، بمعنى أن وجوده ليس كائنا داخل النص، ومن هنا فإن الإحالة فى هذا الموضع إحالة ذهنية، أى تدرك به، كما فى الإحالة الثانية فى النمط الأول، إلا أن المفارقة بينهما أن الأولى تحيل إلى عنصر إشارى ليس داخل النص، وإنما إحالة إلى موضع آخر من النص القرآنى، أما الإحالة هنا، فهى إحالة ذهنية، يمكن أن نطلق عليها الإحالة الذهنية الخالصة . أما الإحالة الثانية التى يراها الزمخشرى، فإنه – الضمير – يحيل إلى متأخر، وتمثل هذه رؤية طبيعية تتمشى وتتوافق مع رؤية النحاة .

وبالتالى تتضح من خلال معالجة الزمخشرى لهذين النمطين والأنماط التى جاءت أثناء الملاحظات الأولية حول المعالجة الزمخشرية لهذا الموضوع، يعالج كل نمط بطريقة يختلف اختلافا كليا أو جزئيا عن النمط الآخر ويمكن أن تمثل هذه الطريقة ملمحا مهما، إذ تعكس معالجة الأنماط كافة رؤية واضحة حول الضمير واختلاف المعالجة تفرضه فيما أزعم طبيعة التفسير التى تحتاج إلى مراعاة الظروف المقامية واللغوية على السواء لاستخلاص الذى يحتاج الدلالة، وبالتالى فإن كل نمط يختلف سياقه عن الآخر، أن يتكيف المفسر مع هذه الاختلافات المختلفة للوصول إلى مغزى التركيب وهدفه.

وإذا كان الزمخشرى فى الآية الأولى يعلل أسباب الإضمار، ويعكس بالتالى من جهة أخرى نظرة الوظيفة التى يمكن أن تكون أساسية، فإنه فى الآية الثانية لضمير الشأن : والإضمار قبل الذكر تفخيم له أو لله عز وجل، وتتفق رؤية الزمخشرى هنا ورؤية جمهور النحاة .

غير أنه ينبغى أن يوضع فى الاعتبار أن الزمخشرى إذ يرى أن وظيفة ضمير الشأن التفخيم والتعظيم، خاصة إذا كانت الإحالة إلى عنصر إشارى متأخر، وبالتالى تظهر هذه الملاحظة مفارقة أخرى لدى معالجته لهذا الضمير، لكن فى حالة اعتباره عنصرا إحاليا إلى متقدم، ولم نر إشارة لدى الزمخشرى إلى وظيفة فى هذا الموضع .

وربما تبصرنا الوظائف الدلالية فى الآيات السابقة أنه فى الأولى يعرض لوظيفة ضمير الشأن المتفق عليه لدى جمهور النحاة، ومن ثم فإن الأولى تمثل وظيفة عامة، والثانية تمثل وظيفة خاصة، وبما أن الأولى وظيفة عامة للضمير، فيمكن أن تنطبق على ضمير الشأن المحيل إلى سابق، وهذا مستفاد من الدلالة فى الآية الأولى .

وإذا كان الزمخشرى من خلال ما سبق لم يشر إلا إلى وظيفتين اثنين، فإن الجرجانى قد أضاف عنصرا وظيفيا آخر – التوكيد – بجانب الدلالة الأساسية – التفخيم والتعظيم – وبالتالى يمثل الجرجانى اتجاها يختلف مع اتجاه النحاة من حيث الوسائل والأدوات المستخدمة لكلا الرجلين .

وفى الحقيقة أن هذا المنهج ليس اختلافا بين منهج الجرجانى والنحاة، بقدر ما هو اختلاف حول منهج البلاغيين والمفسرين من جهة وبين اتجاه النحاة من ناحية أخرى، ويمثل الجرجانى رؤية أوضح وأعمق

من حيث التناول والمعالجة ممثلا فيما أظن المنهج البلاغى التفسيرى للنص، ومن هنا فإن ضمير الشأن له وظيفتان، إذ يعالجون النص القرآنى أو النص عموما كوحدة واحدة، بعكس منهج النحاة الذى يعالج جملا منعزلة حينا ومصطنعة فى أحايين أخرى، أدى بهم إلى رفض كثير من الاستعمالات اللغوية؛ لأنهم ربطوا أنفسهم بالوقوف ليس عند حدود النص، وإنما عند حدود الجملة .

ومن ثم فإن إضافة الجرجانى عنصرا وظيفيا آخر، لم يشر له الزمخشرى، وبالتالى تتفق رؤية الزمخشرى والنحاة من ناحية الوظيفة – التفخيم والتعظيم – بالنسبة لضمير الشأن، على أن ثمة اختلافات أخرى من حيث التناول، أشار إليها الباحث فى موضعها، وتقترب إلى حد ما من معالجة الجرجانى فى الوسائل المستخدمة والطرق المسلوكة، إلا أن الفارق بين رؤية الرجلين تكمن فى الوظائف الدلالية لضمير الشأن عندهما إلا أن العدد واحد .

وعلى الرغم من هذا الاختلاف من ناحية الوظائف لهذا الضمير، فإن هذه الوظائف يمكن إجمالها وإدماجها تحت مسميين دلاليين : التوكيد والتفخيم، أو توكيد التفخيم، الربط، ويمثل الزمخشرى الاتجاه الاعتزالى باعتباره معتزليا، وتقربه هذه الرؤية من دراسة البلاغيين العرب، والقاسم المشترك الذى يجمع الطرفين هو أن كلا منهما يناقش قضايا تتعلق بالإعجاز اللغوى للقرآن الكريم .

ومن هنا فإن الباحث يتناول ما جاء عند الزركشى – ممثلاً لآراء البلاغيين – حول مناقشة الضمير، وبالتالى تبدو بوضوح المقاربات والمفارقات الدلالية من جهة؛ وليكون هذا إيضاحا للقضية عند

الزمخشرى من ناحية أخرى، يقول الزركشى : ضمير البيان للمذكر والقصة للمؤنث، ويقدمونه قبل الجملة؛ نظرا لدلالته على تعظيم الأمر فى نفسه والإطناب فيه، ومن ثم قيل له : الشأن والقصة، وعاداتهم أنهم إذا أرادوا ذكر جملة قد يقدمون قبلها ضميرا يكون كناية عن تلك الجملة، وتكون الجملة خبرا عنه ومفسرة له، ويفعلون ذلك فى مواضع التفخيم، والغرض أن يتطلع السامع للكشف عنه وطلب تفسيره[1] .

ويكشف نص الزركشى بوضوح القاسم المشترك بين بيئات الدرس اللغوى متمثلة فى : بيئة النحاة، بيئة البلاغيين، بيئة المفسرين، وأن هناك خيطا مشتركا تلتقى فيه البيئات المختلفة، خاصة وأن المادة المعالجة تدور حول قضايا الإعجاز اللغوى للقرآن الكريم، ومن خلال معالجة هؤلاء جميعا والزمخشرى لضمير الشأن يكشف ما يلى :

إن معالجة النحاة ويمثلها الزمخشرى فى المفصل، تمثل رؤية محددة ومقننة، لا تسمح فى كثير من الأحيان بتغليب عناصر تتفاعل وتتضافر لإيضاح جوانب أخرى من هذا الضمير - مثلا - وتمثل رؤية النحاة ملمحا موجزا ومختصرا، ومن هنا فإن البلاغيين كانوا أكثر نفاذا عندما نظروا إلى التراكيب المتشابهة فى مواضع مختلفة، ومن ثم أتاحت لهم هذه النظرة والمقارنة إلى أن يستخلصوا نتائج صائبة فى كثير من المواضع، بيد أن المفسرين كانوا أكثر إلماحا فيما أظن، وربما تكون طبيعة المادة المعالجة هى التى أتاحت لهم هذا، خاصة فى تعرضهم لكل نمط على حدة، ومعالجة هذا النمط فى إطار القرائن المتاحة له، على أن كل هذا فى إطار وحدة النص القرآنى - كما ذكرت منذ قليل - ومن ثم

---

(١) الزركشى : البرهان فى علوم القرآن ٢ / ٤١٠ .

أتاحت أهم هذه النظرة أن يقدموا نظرات تمثل – فيما يبدو – كل جزئية معلما مهما فى معالجة جزئية من جزئياته فى هذا الإطار .

ويتناول الزركشى فى نصه السابق جزئية لم يعرض لها الزمخشرى ولا ابن يعيش، على الرغم من كونها على قدر من الأهمية، وهى تسمية ضمير الشأن والقصة بين المحتوى الوظيفى له، هى فى ذاتها دلالة على التعظيم والتفخيم، ونجد إضافة أخرى لهذا الضمير، الإيجاز، وهذه صفات أشرت إليها سابقا، حيث تمثل وظيفة عامة للضمائر كافة، بمعنى أنها وظيفة أساسية، على الرغم من اعتبارها وظيفة عامة، وربما لم يتناول هذه الجزئية كما لم يعرض لها النحاة كذلك، وأشار إليها الزركشى ممثلا لرأى البلاغيين، ومن هنا نرى الزمخشرى يقترب من النحاة فى هذه الجزئية .

وبالتالى فإن جملة رؤية الباحثين فى الإعجاز اللغوى للقرآن الكريم لوظائف ضمير الشأن أو القصة هى : التفخيم والتعظيم، التوكيد، الإيجاز، الربط عن طريق الإحالة إلى لاحق – حسب رؤية النحاة – وإلى السابق واللاحق كما جاء عند الزمخشرى .

ومن هنا فإن الزمخشرى لم يشر إلا إلى وظيفة واحدة – التفخيم والتعظيم – من الوظائف التى يقدمها ضمير الشأن، وإذا كانت هذه الوظيفة أساسية فلأنها جاءت فى البيئات المختلفة، وبالتالى فإنهم جميعا يتفقون عليها، ومن ثم تمثل وظيفة أساسية، أما الوظائف الأخرى الثلاث، فإنه يمكن القول إن بعضها أشاروا له وبعضها يكتشف من خلال السياق .

وبالتالى فإن الوظائف السابقة كالتالى : التفخيم والتعظيم، وهى الوظيفة الأساسية، ويأتى التوكيد كوظيفة جانبية لدى الجرجانى، وهى

تعد من وجهة نظر الباحث ثانوية بالمقارنة بالأولى، أما الوظيفة الثالثة – الإيجاز – والرابعة – الربط – فإنهما يمثلان وظائف عامة، يشترك فيها ضمير الشأن مع الضمائر الأخرى .

غير أن ابن يعيش قد أشار عند حديثه عن هذا الضمير : وتكون الجملة خبرا عن ذلك الضمير وتفسيرا[1]، والمقارنة واضحة بين نص الزركشى السابق وبين الجزئيات المعالجة هنا عند الزمخشرى، ويتضح من خلالها مدى التشابه والاختلاف القائم فى هذا النص، وبملاحظة بسيطة يعد نص الزركشى موجزا وجامعا، أو جامعا مانعا، حيث عالج فيه الجزئيات المتعلقة بضمير الشأن .

ويلاحظ على نص الزركشى رؤية مخالفة فى نهايته تحتاج إلى نظر عما جاء فى أوله، ففى أول النص : يطلق عليه ضمير البيان والقصة، وهو بهذا يخالف مصطلح الجمهور، وبهذا تخالف تسميته تسمية الزمخشرى التى ارتضاها، ثم نجد الزركشى بعد ذلك يعدل فى النص ذاته، ويكشف عن العلاقة القائمة بين المعنى الوظيفى للضمير ومصطلح الجمهور الذى عدل عنه، ولم يذكره فى نصه ويشعر إلا للتوضيح، مع أن المصطلح الذى ارتضاه الزركشى – البيان – لأن ضمير الشأن تليه الجملة المفسرة والمبينة له، أى البيان، وهذا المصطلح غير متداول فى بيئة النحاة ولا فى بيئة المفسرين، بيد أنه مستخدم فى بيئة البلاغيين، ومن هنا جاء استخدامه عند الزركشى، وربما لم يقارن الزركشى إلا بالمصطلح المستخدم لدى الجمهور؛ لأنه الأكثر تداولا وألفة، والآخر يعد فى مرتبة ثانية بالنسبة للمصطلح الأول، ومن جهة أخرى تكمن مفارقة ثانية عند الزركشى عنه عند الزمخشرى من حيث التسمية المرتضاة بالنسبة للمصطلح .

على أية حال فإن العلوى قد جمع القضايا المتعلقة بهذا الضمير،جاء فى الطراز : إن ضمير الشأن والقصة على اختلاف أحواله، إنما يراد على جهة المبالغة فى تعظيم تلك القصة وتفخيم شأنها، وتحصيل البلاغة فيه من إضماره أولا وتفسيره ثانيا : لأن الشيء إذا كان مبهما، فالنفوس متطلعة إلى فهمه، ولها تشوق إليه[1] .

وتنضوى رؤية العلوى على مقاربة دلالية واضحة من خلال مناقشة رؤية الزمخشرى لضمير الشأن، ومن هنا يمكن القول إن هذه الرؤية فى هذا النص تمثل إيجازا، وتمثل صورة عامة لكل القضايا المتنوعة المتناولة فى هذا الموضع من البحث، ومن هنا يكمن أثر الزمخشرى فيمن جاء بعده من البلاغيين، وكما ستكشف عنه الدراسة فى مواضع متفرقة من هذه الدراسة، خاصة العلوى والزركشى وأصحاب الشروح والحواشى .

ومن هنا فإن السياقات القرآنية، ربما تملى على هذا الضمير دلالة لازمة غالبا بإشاراته إلى ذاته العلية أو أفعاله الخاصة، ولكن السياقات القرآنية تقدم دلالات مختلفة قد لا تتفق مع قيد النحاة، ومن هنا فإن الأنماط الواردة لضمير الشأن عند الزمخشرى يشير أغلبها إما إلى إحالة داخل النص وإما إلى إحالة ذهنية، أى أن وجودها يرتكز ليس على وجودها فى ذات الموضع، وإنما على وجودها فى موضع آخر فى النص القرآنى أو على كونها معروفة من السياق، كذلك يحيل إلى عنصر إشارى متأخر أو لاحق، وأما ما يختلف فيه الزمخشرى عن الجمهور هى أنه جعل ضمير الشأن يحيل إلى متقدم عليه، ومن ثم فإن إحالته مزدوجة

---

(١) العلوى : الطراز ٢ / ١٤٢، الجرجانى : دلائل الإعجاز ص ١٠٢، الزركشى : البرهان فى علوم القرآن ٢/ ٤١٠، الرضى : الكافية فى النحو ١ / ٧٦ .

عند الزمخشرى، بمعنى أنه يحيل إلى متأخر (لاحق) كما يمثل عنصرا إحاليا إلى عنصر إشارى (مفسر) متقدم، وتختلف هذه الرؤية مع رؤية الجمهور، وكذلك مع الباحثين فى الإعجاز اللغوى للقرآن الكريم .

وإذا كان ضمير الشأن يمثل عنصرا إحاليا إلى متقدم وإلى متأخر، فإن هذه الرؤية تختلف مع رؤية النحاة الذين يتفقون حول إحالته إلى لاحق، ولم يقل به أحد من الباحثين فى الإعجاز اللغوى للقرآن الكريم، وبالتالى تختلف مع دراسة حديثة أكدت ما ذهب إليه جمهور الدارسين فى الإعجاز القرآنى بقوله : ولا خلاف أن الإحالة فى بنية ضمير الشأن هى إحالة إلى متأخر لاحق، ولكن يلاحظ أنها تتضمن الإحالة إلى عنصر إشارى خارج النص القرآنى، وهو الذات العلية، حين لا يذكر صراحة فى الجملة المفسرة التالية[1] .

وبالتالى فإن هذه الرؤية لم تقدم جديدا زيادة على ما قدمه، أضف إلى أن ملاحظته حول الإحالة إلى عنصر إشارى خارج النص، ليس فى كل الحالات، كما أن هذا النوع لم يرد عند الزمخشرى فى إشارته إلى الذات العلية، ولكن ثمة إحالات ليس من الموضع ذاته، وإنما إحالة إلى موضع آخر من القرآن .

وثمة قضية موجزة أود أن أشير إليها قبل أن أنهى معالجة القضايا المتعلقة بضمير الشأن، إشارة الزمخشرى المتكررة إلى حذف ضمير الشأن، ففى مواضع مختلفة من القرآن الكريم نرى الزمخشرى يشير إلى حذف الضمير دون أن يذكر أسباب هذا الحذف كما فى قوله تعالى (... أن الحمد لله رب العالمين...) قال الزمخشرى : على أن الضمير للشأن حذف كما حذف فى قول الأعشى ميمون بن قيس :

---

(١) د . سعيد حسن بحيرى : من أشكال الربط فى القرآن الكريم، ص ١٧٥ .

فى فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يخفى وينتعل[1]

وفى موضع آخر يرى الزمخشرى أن ضمير الشأن قد حذف كما فى قول الباعث بن صريم اليشكرى :

فيوما توافينا بوجه مقسم كأن ظبية تعطوا إلى وارق السلم[2]

ولم يشر الزمخشرى فى هذه الأنماط إلى الهدف الذى أدى إلى حذف الضمير لأن هذا الحذف لابد أن يكون مسببا، غير أنه فى قوله تعالى (كأن لم يدعنا) قال الزمخشرى: فخفف وحذف ضمير الشأن كما فى قول الشاعر :

ونحر مشرق اللون كأن ثدياه حقان[3]

وبالتالى فإن الزمخشرى يكشف فى نصه الأخير عن مغزى وهدف هذا الحذف، ومن ثم فإنه بناء على هذا يمكن اعتبار أن هذه الدلالة يمكن تعميمها على باقى الأنماط الأخرى التى لم يذكر فيها الزمخشرى مغزى ذلك الحذف، وربما كان عدم ذكر الزمخشرى لذلك المغزى فى تلك الأنماط بناء على ذكرها فى مواضع أخرى وشهرتها .

ومن ثم فإن ضمير الشأن عند الزمخشرى يحيل إلى ما يلى :

١ - يحيل إلى لاحق، أى يمثل عنصرا إحاليا إلى لاحق، وهو غالبا ما يكون نصا أو جزءا أو مقطعا من النص، أى هو الخبر، أو يحيل إلى لاحق ليس كائنا فى النص، وإنما يستشف من النص، وهى تمثل إحالة معنوية .

---

(١) ٢ (ب) / ٣٣١ .
(٢) ٤ / ٢٨٦ .
(٣) ٢ / ٣٣٣ .

٢ – يحيل إلى سابق، أى يمثل عنصرا إحاليا إلى سابق، سواء أكان داخل النص مباشرة، أى يسبقه مباشرة كما جاء فى معالجة الزمخشرى، أم إحالة إلى سابق ليس كائنا فى النص وإنما سابق فى موضع آخر من النص القرآنى .

٣ – تمثل وظيفة : التفخيم والتعظيم، الوظيفة الأساسية التى اتفق عليها جميع النحاة والبلاغيين والمفسرين، وتعد هى الوظيفة المباشرة، بالإضافة إلى وظائف دلالية أخرى كالربط الذى أشار إليه الزمخشرى أثناء تناوله للضمير بشكل عام .

وإذا كانت هذه هى أهم القضايا الأساسية التى أشار إليها الزمخشرى بالمناقشة والمعالجة، فإن ثمة بعض المناقشات المنتثرة المتعلقة بضمير الشأن، قد أشار إليها فى سياقات مصادره، غير أن هذه المناقشات فى مجملها لا تمثل أهمية بالنسبة للشكل العام لضمير الشأن المعالج هنا أو لا تمثل فى واقعها محورا رئيسيا، يؤثر بشكل أو بآخر على مناقشة القضايا المنتثرة المتعلقة بضمير الشأن كما تناولها الزمخشرى، وبما أنها قضايا جزئية أو ثانوية ليس لها علاقة من قريب أو من بعيد بموضوع الدلالة والتركيب، فإن الباحث قد ارتأى أن غض الطرف عنها لا يؤدى إلى خلل بالمجمل العام لضمير الشأن المناقش فى هذا الموضع .

المبحث الثالث

البنية الدلالية والإحالية لضمير الإشارة

يشترك ضمير الإشارة والضمائر الأخرى فى أنه : مبهم، يحتاج إلى مفسر لاحق يوضحه، وبالتالى فإنه لا يمكن أن يقوم بوظيفته منفردا، أى لا يمكن أن يعمل إلا من خلال وجوده فى نص أو على الأقل داخل تركيب؛ ليتسنى له أن يوجد ما يوضحه ويزيل إبهامه .

وأحسب أن ضمائر الإشارة تتكون من بعض الصرفيمات المتشابهة تتميز فيما بينها من خلال تغيير فى صدرها أو فى عجزها، كما هى الحال بالنسبة لضمير الإشارة المذكر (هذا) للمفرد المذكر القريب، و (هذه) للمفرد المؤنث القريب، ونحو : (ذلك) للمفرد المذكر البعيد، و (تلك) للمفرد المؤنث البعيد، والاختلافات القائمة بين هذه الضمائر فى الصرفيمات فقط، ففى المذكر والمؤنث القريب فى الصوت الأخير، الألف فى (هذا) والهاء فى (هذه)، وفى البعيد فى الصوت الأول، الذال المذكر، والتاء للمؤنث بالنسبة للبعيد، و (هم) لجماعة الذكور، و (هن) لجماعة الإناث – وهذا التغيير على قدر من الأهمية، إذ بناء عليه تتحدد وظيفة وهوية كل ضمير على حدة .

وربما تشير تسميته (إشارة) إلى إبهامه واحتياجه إلى مفسر يوضحه (مشارإليه) ومن خلال هذا التوضيح والإحالة، يعمل على ربط أطراف النص المتباعدة من خلال العودة إلى سابق أو إلى لاحق، وهكذا تتحقق العلاقة بين ضمير الإشارة والضمائر الأخرى، وقد أشار الزمخشرى إلى هذه الملاحظة فى معرض تفسيره لقوله تعالى (هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ من ذَلكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشرِكُونَ ...) الروم/ ٤٠ : أن (ذلكم)

هى التى ربطت الجملة بالمبتدأ[1] .

وبدون هذا الربط (ذلكم) يحدث ما يسمى بخلل يصيب بناء النص أو التركيب من حيث الفهم، بناء على عدم ترابط وتماسك أجزائه؛ نتيجة لافتقاده الرابط (الضمير)، ومن ثم فإنه يقوم بدور مهم، لا يقل أهمية عن تلك الوظائف الدلالية التى أشار إليها الزمخشرى، على الرغم من قلة الأنماط التى تعرض فيها للإشارة المباشرة لهذه الوظيفة التى تمثل وظيفة عامة تنطبق على سائر الضمائر، كما أشار الزمخشرى إلى التبادل الموقعى الذى يمكن أن يتم بين ضمير الإشارة والضمائر الأخرى، ففى معرض تفسيره لقوله تعالى فى سورة البقرة (لاَّ فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ...) آية/ ٦٨، قال الزمخشرى : ... وقد يجرى الضمير مجرى اسم الإشارة فى هذا...[2] . وفى أثناء تفسير الزمخشرى لهذه الآية استشهد بقول رؤبة بن العجاج :

فيها خطوط من سوادٍ وبلق كأنه فى الجلد توليع البهق

وقول طرفة بن العبد :

ألا يا هذا الزاجرى أحضر الوغى وأن اشهد اللذات هل أنت مخلدى[3]

وأظن أن الزمخشرى قد قصد بذلك استخدام الهاء فى (كأنه) بدلا من استعمال (كأن ذلك) للإيجاز مثلا، ومن ثم أعفى من استخدام ضمير الإشارة المقدر، كما جاء فى آية البقرة السابقة، وكذلك كما حدث التبادل فى بيت طرفة بين ضمير الإشارة (هذا) فى صدر البيت وضمير الفصل (أنت) فى عجز البيت، ويؤكد هذا ما جاء فى البقرة/ ٨٥ (ثم أنتم هؤلاء

---

(١) (ب) ٣ / ٤٨٢ .

(٢) ١/ ١٤٩ نكت الأعراب ... ورقة ٩ .

(٣) السابق : الموضع ذاته .

تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقى منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان...)[1] .

ولى ملاحظة على نص الزمخشرى على أساس أن (هؤلاء) إشارة إلى الجمع القريب، أما إضافة اللام فتعنى البعيد، فهؤلاء هنا للإشارة إلى القريب، بيد أن الزمخشرى قال : ثم أنتم هؤلاء استبعدوا لما أسند إليهم . وهذا يتنافى مع دلالة القرب التى تشير إليها (هؤلاء) وقد لمح الزمخشرى هذا المعنى من خلال نصه، حينما أشار بأن : ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون، وهذا يعنى أنها للقريب .

ومن ثم فإن للزمخشرى رأيين حول دلالة ضمير الإشارة (هؤلاء) : الاستبعاد، القرب، ويمكن التوفيق بين الدلالتين اللتين أشار إليهما، بأن معنى الاستبعاد الذى أشار إليه ليس من دلالة ضمير الإشارة بقدر استفادته من السياق الموجود : قتل النفس، وإخراج بعض الناس بغير حق فى مقابل الآية ٨٤ (وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون) وهكذا نجد ضمير الإشارة يعقد الصلة بين أحداث متقدمة وأخرى لاحقة للربط والمقارنة، أما إشارته الثانية فهى مأخوذة من معناها اللغوى .

وكنت أحسب أن هذا البعد ناتج من استخدام (ثم) فى السياق، غير أن هذا يزول حينما نجد أن (هؤلاء) تفسر بمعنى ذلك التى تدل على البعد، وقد لحظ البيضاوى ذلك المعنى وفسره بعملية التبادل الموقعى الذى يمكن أن يحدث بين الضمائر، يقول: وأنتم مبتدأ، وهؤلاء خبره على معنى : أنتم بعد ذلك هؤلاء (الناقصون)، كقولك : أنت الرجل الذى فعل، كذا تدل على تغير الصفة منزلة تغير الذات[2] .

---

(١) ١/ ٢٥٥ .

(٢) البيضاوى : تفسير البيضاوى المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٧٣ .

وبالتالى فإنه يمكن أن يحدث التبادل الموقعى بينهما؛ نتيجة للتشابه فى ظروف عودة كل منهما سواء إلى سابق أم إلى لاحق، التى تعمل على ربط النص .

وتعد هذه الوظيفة وظيفة عامة تشترك فيها سائر الضمائر على وجه العموم، ويوضح **هوفمان** (Ute Hoffmann) ذلك بقوله : إن ضمائر الإشارة ما هى إلا بعض الصرفيميات التى يمكن من خلالها ربط أجزاء الكلام والمحافظة عليه من هذه الناحية – الربط – ويحدد ويعين البحث فى ضمائر الإشارة البحث فى الضمائر الشخصية فى أن كلاً منهما يوضح ترتيب الاختلافات فى قاعدة الضمائر ويحافظ ويبقى على الربط القائم فى النص(١) .

وهكذا يتحقق من خلال هذا النص العلاقة التى تجمع بين الضمير المبهم (الإشارة) والضمائر الأخرى، وإذا كان هذا النص قد أوضح القاسم المشترك الذى يجمع بين هذا الضمير والضمائر الأخرى، فإن ابن يعيش يوضح الفارِق بين ضمير الإشارة والضمائر الأخرى بقوله : إن المضمر فى الغائب يبّين بما قبله، وهو المظهر الذى يعود عليه المضمر، نحو قولك: زيد مررت به، والمبهم الذى هو اسم الإشارة يفسر بما بعده، وهو اسم الجنس، كقولك : هذا الرجل والثوب(٢) .

ويوضح نص ابن يعيش الصفة المشتركة – أيضا – التى تجمع بين ضمير الإشارة والضمائر الأخرى، وهى الإحالة، أى أن كليهما يحيل، بيد أن تمثيل ابن يعيش السابق يشير إلى أنه مثّل بضمير الفصل الذى يشير

---

(١) Ute, Hoffmann : Untersuchung zur Topologie im Mittelfeld : Pronominale und Nominale Satzglieder, S . 164 .

وينظر John Lyons : Semantik, Band 2, S. 258 .

(٢) ابن يعيش : شرح المفصل (ب) ١/ ٩٨١، ٩٨٢ .

إلى عنصر إشارى سابق، حسب رؤية جمهور النحاة، ولم يشر إلى ضمير الشأن الذى يحيل إلى لاحق (متأخر) حسب الرؤية العامة للنحاة أيضا .

فإذا كان ضمير الفصل يشير إلى متقدم، فإن ضمير الإشارة يشير إلى لاحق حسب ما جاء عند ابن يعيش . ويوضح التفتازانى مفارقة بين ضمير الإشارة والضمائر الأخرى : وذلك أن ضمير الإشارة إشارة إلى الذات بملاحظة تلك الصفات، كأنه قيل : ذلك المشار إليه المتميز بتلك الصفات بخلاف مجرد الضمير العائد إلى ما يشار إليه، فإنه كناية عن ذات الموصوف، وإن كان مع الصفات ذهنا ... ولهذا كان فى إياك نعبد بالعدول إلى الخطاب المشعر بالتمييز ما لم يكن فى إياه[١] .

ومن ثم فإن نص التفتازانى يلفت النظر إلى أن إحالة ضمير الإشارة إحالة ذهنية محددة، أى يشير إلى شىء محدد، بخلاف الضمائر الأخرى التى تحيل من خلال الكناية .

ويلفت الباحث النظر مبدئيا وبصورة أولية إلى أن تناول الزمخشرى لضمير الإشارة لم يكن فى المفصل بالقدر الذى عالج به وظيفة ضميرىّ: الفصل والشأن، وإنما جاءت إشارته مختصرة فى المفصل عموما، أى أنها نحوية، وجاء إيضاحه لها فى مواضع أخرى من مؤلفاته .

ولعل اللافت للنظر فى معالجة الزمخشرى لضمائر الإشارة أنه أشار إلى عدة وظائف دلالية متنوعة يحيل إليها، على الرغم من أن إشارته جاءت فى عمومها موجزة، غير أنه يمكن القول إنها تمثل فى عمومها رؤية عامة، تغطى فيما أحسب قدرا كبيرا من القضايا المتعلقة بهذا الضمير .

---

(١) التفتازانى : حاشية سعد الدين التفتازانى على الكشاف ورقة ٢٦ .

وقد جاء هذا الإيضاح والتفصيل للقضايا المتعلقة بضمير الإشارة فى الكشاف، وتكرر بعض منها فى نكت الأعراب، وبالتالى فإن هذه الميزة للكشاف تكسبه أهمية بالغة فى معالجة هذه الجزئية من هذا البحث، وكذلك يعنى هذا أن مصادر الزمخشرى الأخرى لمَ تعرض لهذه الجزئية، وتعفينا فى الواقع هذه النتيجة من إجراء رسم بيانى لبيان أهمية المصادر التى عالجت ضمير الإشارة، كما أعفانا هذا فى مواضع خاصة بالنسبة لضميرى : الفصل، والشأن والقصة .

وإذا كانت هذه الوظائف والمناقشة السابقة تمثل رؤية عامة، بمعنى أنها تحتاج إلى اختبار مدى فعاليتها فيما جاء عند الزمخشرى فى مناَقشة القضايا المتعلقة بهذا الضمير، وبالتالى يتضح هل أفاد الزمخشرى مما جاء عند أسلافه، وهل أضاف أم أن معالجته جاءت ترديدا لما سبق ؟.

وأنتقل بعد ذلك لمناقشة وظائف البنية الدلالية والإحالية لضمير الإشارة، وهذه الجزئية فيما أظن بؤرة القضية فى تناول العناصر التى يحيل إليها ضمير الإشارة، وحسب الإحصاء المستخلص، فإن الوظائف الدلالية لضمير الإشارة بلغت تسع دلالات على النحو التالى : التعظيم والتفخيم، الكمال والبعد، الوصف والتفصيل، التوكيد، الإعلام، الإيجاز، الاختصاص، الاستحضار، الوجوب، ويمكن أن أضع هذه الدلالات فى الشكل التالى لإيضاح عددها ونسبها ومواضع ورودها فى مصادر الزمخشرى على النحو التالى :

م	الدلالات	عدد التردد	المصادر		النسب	ملاحظات
			الكشاف	نكت الأعراب		
١	التعظيم والتفخيم	٧	٧	–	٢٩,٢	بلغ عدد أنماط ضمائر الإشارة (٢٤) نمطا، منها ثلاثة أبيات شعرية
٢	الكمال والبعد	٥	٨	–	٢٠,٨	
٣	الوصف والتوكيد	٥	٥	–	٢٠,٨	
٤	التوكيد	٢	٢	–	٨,٣	
٥	الإعلام	١	١	–	٤,٢	
٦	الإيجاز	١	١	١	٤,٢	
٧	الاختصاص	١	١	١	٤,٢	
٨	الاستحضار	١	١	–	٤,٢	
٩	الوجوب	١	١	–	٤,٢	

شكل توضيحى رقم (١) بدلالات ضمير الإشارة وانماطه ونسبه كما جاءت في معالجة الزمخشرى

ويلاحظ على الشكل رقم (١) أن مجموع الأنماط المعالجة عند الزمخشرى بلغت أربعة وعشرين نمطا، وبالتالى فإن هذه الإحصائية تمثل قدرا متقاربا إلى حد ما مع الأنماط التى عالجت ضمير الفصل من الأنماط بالنسبة لضمير الإشارة، كما سيأتى توضيحه .

وإذا كانت الوظيفة الدلالية رقم (١) تعد أساسية بناء على إحصاء الشكل (١)، فإن هذا يجعلها أساسية بالنسبة للدلالات الأخرى، وقد جاءت الأنماط جميعها فى الكشاف ولم يتكرر منها شىء فى نكت الأعراب، وبناء على هذا فإن الكشاف هو المصدر الوحيد الذى حوى معالجة الدلالة رقم (١) من الشكل (١) .

ثم جاءت دلالة كل من : الكمال والبعد، الوصف والتفصيل فى المرحلة الثانية، ممثلا كل منهما فى خمسة أنماط، وبالتالى تمثلان مرحلة قائمة بذاتها من حيث الأنماط والأهمية، وجاء التوكيد فى نمطين اثنين، ثم جاءت الوظائف الدلالية الأخرى بنمط لكل دلالة على حده، ومن ثم فإن هذه الدلالات الست الأخيرة جميعا فى مرتبة ثالثة، أو تمثل مرحلة أخرى، وبناء على هذا فإن دلالات ضمير الإشارة عند الزمخشرى يمكن تقسيمها إلى مراحل ثلاث، **المرحلة الأولى** : وتضم الدلالة (١) . **المرحلة الثانية** : تضم الدلالة (٢) و (٣) . **المرحلة الثالثة** : تضم الدلالات الباقية من الشكل (١) .

وثمة ملاحظة أخرى فى هذا الشأن، وهى أنه إذا كانت الدلالات الخمس الأولى جاءت فى (الكشاف) ولم يتكرر شىء منها فى نكت الأعراب... فإن الدلالة رقم (٦)، (٧) قد تكرر نمطيهما فى نكت الأعراب، وبالتالى فإن هذين النمطين يمثلان مفارقة عن الأنماط الأخرى من جهة التكرار، كما أن الكشاف ونكت الأعراب يتساويان فى النسبة والأهمية فى هذا الموضع .

وإذا كان الزمخشرى قد أشار إلى هذه الوظائف لضمير الإشارة، فإن وظيفة أخرى أشار إليها، وأكدها **إربن** : (Johannes Erben) : أن

ضمير الإشارة يؤكد، غير أن توكيده يختلف حسب السياق، فقد يؤكد المفرد الذى يحيل إليه، وبالتالى يجعله واضحا ومحددا... ومن خلال هذا يدرك المرء أن لهما ارتباطا وعلاقة معا تؤكد الأداة[1] .

وإذا كان الزمخشرى قد أشار إلى هذه الوظيفة، فإنها يمكن أن تمثل وظيفة عامة من جهة، أى يمكن أن تنطبق على الضمائر كافة هذا من جهة، ومن ناحية أخرى فإن هذه الرؤية تؤكد رؤية **ليفاندوفسكى** : (Th. Lewandowski) السابقة التى عرضت لها فى بداية التوطئة عن الضمائر بشكل عام، وهكذا تتحقق وظيفة الإشارة – التوكيد – على وجه الخصوص باعتباره يشير مباشرة ويحدد المشار إليه (العنصر الإشارى) المفسر، ومن خلال هذا التحديد يؤكد المحتوى من خلال هذه الإشارة، وهذه سمة تميزه عن بقية الضمائر كما جاء عند التفتازانى فى النص السابق .

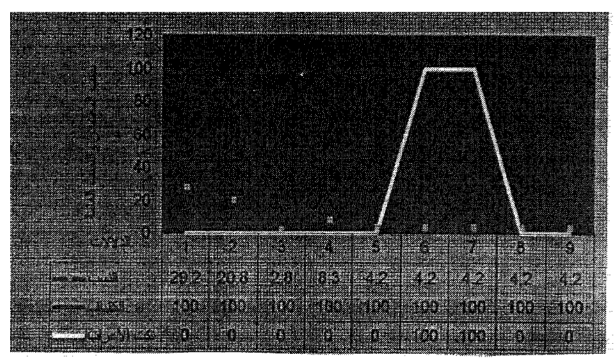
وإذا كانت الدلالات السابقة لا تمثل نسبا متساوية، فإن هذا فى الواقع يعنى أنها ليست سواء من حيث الأهمية، ويوضح ذلك الشكل (٢) من هذا المبحث .

وإذا كانت الدلالة رقم (١) تمثل مرحلة قائمة بذاتها، فإن الدلالات (٢)، (٣) تمثلان قسما آخر والدلالات الأخيرة قسما ثالثا، ويلاحظ من خلال الشكل رقم (٢) أن ثمة فارقا فى النسبة بين الدلالة (١) من جهة، والدلالة (٢)، (٣) أو القسم الأول والقسم الثانى، فإذا كانت الدلالات الأخيرة تمثل مقاربة فى النسب التى تفضى إلى الأهمية، فإنهم يمثلون

---

(١) ينظر كل من : Johanne, Erben : Abriss der Deutschen Grammatik, S. 209 .
وما بعدها Hans, Heringer und Andre: Einführung in die Praktische Semantik, S. 110.

رؤية الزمخشرى المتقاربة حول هذه الدلالات من جهة ثانية .



شكل توضيحى رقم (٢) بنسب دلالات ضمير الإشارة عند الزمخشرى كما ورد فى الشكل (١) من هذا الموضع

وإذا كان (الكشاف) يمثل من ناحية الإحصاء ١٠٠ ٪ من عدد الأنماط الواردة أربعة وعشرين نمطاً، فإن كتاب نكت الأعراب يمثل نمطين متكررين فى الكشاف فى الدلالتين : (٦)، (٧)، أى أن ما تكرر من الكشاف فى أنماط ضمير الإشارة يمثل ٨,٣ ٪ مما جاء فى الكشاف من أنماط، ويوضح هذا الشكل (٣) من هذا المبحث .

ويتضح من خلال الشكل رقم (١) تساوى النسب فى الدلالات الخمس الأخيرة، إلا أن الدلالتين (٦)، (٧) يتكرر فيهما نمطان فى نكت الأعراب، وهكذا تمثل هذه الملاحظة مخالفة بينهما وبين الدلالات الأخرى التى تنتمى إلى ذات المجموعة .

ويتضح من خلال الأشكال (١)، (٢)، (٣) السابقة أن الوظائف

الدلالية لضمير الإشارة ليست سواء، من حيث ترتيب أجزائها، فقد جاءت الإحالة والإشارة إلى أمر عظيم وجلل فى سياقات مختلفة أكثر من الأنماط الدلالية الأخرى، فهل لهذا دلالته ؟ وهذا ما تحاول المناقشة أن تكشف النقاب عنه، وعلى الرغم من أن الأنماط المستخلصة - بناء على الإحصاء - بالمقارنة بأنماط ضمير الفصل تكاد تكون متقاربة، فإن تنوع هذه الوظائف الدلالية، يعطى المعالجة - رغم قلة الأنماط - شمولية من ناحية التناول.

والذى يدعم هذه الملاحظة أن الأنماط المستخلصة من مؤلفات الزمخشرى فى معالجة ضمير الإشارة أربعة وعشرون نمطا، جاءت الإحالة فيها فى سبعة أنماط إلى أمر عظيم، ويدعم هذا دراسة حديثة تؤكد فى مجملها هذه النتيجة المستقاة من هذا الإحصاء (من أشكال الربط فى القرآن الكريم)، ولا شك أن هذه الملاحظات المجملة تحتاج إلى نوع من التفسير والتحليل فى ضوء هذه النظرة الموجزة .

فالإشارة إلى أمر عظيم وحدث جلل كما فى قوله تعالى فى سورة القصص آية : ٨٣ (تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) وفى سورة الأعراف (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) آية ٢٦ :، وفى الآية : ٣ من سورة يونس (ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ) وفى الشعراء : ١٥٨ (فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ) .

وتمثل هذه الآيات رؤية واضحة عند الزمخشرى فى الإحالة إلى أمر عظيم وجلل كبير، ويحتاج هذا العرض لهذه الأنماط المعالجة عند الزمخشرى إلى نوع من التفصيل لجوانبها فى إطار الإحالة إلى متقدم (سابق) أو إلى متأخر (لاحق) على النحو التالى :

ففى آية القصص ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، قال الزمخشرى : تعظيم لها وتفخيم لشأنها، يعنى الذى سمعت بذكرها وبلغك وصفها[1] .

ومن ثم فإن الإحالة تتجه فى بنية ضمير الإشارة (تلك) إلى الشىء المهم والمركز عليه (الدار الآخرة)، وهو أمر عظيم، يحتاج إلى أن كل إنسان لابد أن يعمل ويضعه نصب عينيه لماذا ؟ لأنها الحياة الباقية، وهى خير وأبقى، كما جاء وصفها فى القرآن الكريم، ولما أراد الله أن يشير إليها استخدم الضمير الإشارى (تلك) لما فيها من نعيم مقيم : ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما ورد فى الحديث (الدار الآخرة) وجاء الوصف بهذا؛ لأن الإنسان يبقى خالدا فيها، وهى الدار الحقيقية، وهى خير وأبقى، كما أنه يمكن القول زيادة على ما جاء عند الزمخشرى بأن التفخيم ليس من ضمير الإشارة وحده، وإنما ينضاف إليه أداة التعريف (أل) الواردة فى البدل (الدار) والصفة (الآخرة)، إذ لو كانت : تلك دار آخره، لكان ثمة اختلاف فى الدلالة، إضافة إلى ما جاء فى وصفها فى مواضع مختلفة من القرآن الكريم والحديث الشريف تحبيبا وترغيبا للعمل من أجل دخولها .

على أن ثمة شيئا آخر هنا بالنسبة للإحالة إذ نجده إلى عنصر إشارى (مفسر) وليس إلى متقدم أو إلى متأخر، وإنما إحالة داخل النص القرآنى، أى إلى مواضع منتثرة من القرآن الكريم، على أساس أن القرآن والسنة يفصل ويوضح كل منهما الآخر، فإن ما أجمل فى موضع من القرآن تناولته السنة بالتفصيل، وبالتالى فإن هذا الضمير (مبهم) تفسره الإحالة سواء كانت معجمية (كلمة مفردة) أو جزء من نص، بمعنى أنه عنصر ذو طابع خاص، إذ إحالته ليست إلى نص ذاته .

---

(١) ٣ / ١٨٠ .

عنصر إشارى • ← إحالة إلى متقدم (لاحق) ← • عنصر إحالى

(مفسر) ضمير الإشارة

خارج نطاق السورة

أما فى آية الأعراف (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) ، قال الزمخشرى : ولا تخلو الإشارة من أن يراد بها تعظيم لباس التقوى، أو أن يكون إشارة إلى اللباس الموارى للسوءة؛ لأن مواراة السوءة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة[1] .

ويختلف هذا النمط الإحالى عن سابقه من حيث الإحالة، إذ يحيل نمط القصص إلى خارج نطاق السورة، أى إلى موضع آخر من النص القرآنى، أما عنصر الإحالة هنا فإنه يمثل عنصرا إشاريا إلى متقدم، داخل نطاق السورة، فإذا كان ضمير الإشارة (ذلك) فى الآية (٢٦)، فإنه بناء على ما جاء عند الزمخشرى يحيل إلى الآية (٢٢)، أى إلى متقدم من السورة ذاتها (فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ...) ، ومن هنا فإن عنصر الإحالة (ذلك) يشير إلى هذا الأمر العظيم، وهو ظهور السوءة، أو العورة التى كان الشيطان عاملا فعالا فى إظهارها، ولذا جاء التعبير بضمير الإشارة (ذلك) الذى يدل أو يشير إلى جلل الأمر وعظمته، وفى الوقت ذاته يشير إلى أن لباس التقوى خير من لباس الزينة (الدنيا) المادى، ومن هنا فإن إحالة ضمير الإشارة هنا إلى عنصرىّ إشارة متقدمين داخل نطاق السورة : -

<u>الأول</u> : الإحالة إلى ظهور السوءة أو العورة، وهى تمثل إحالة معجمية .

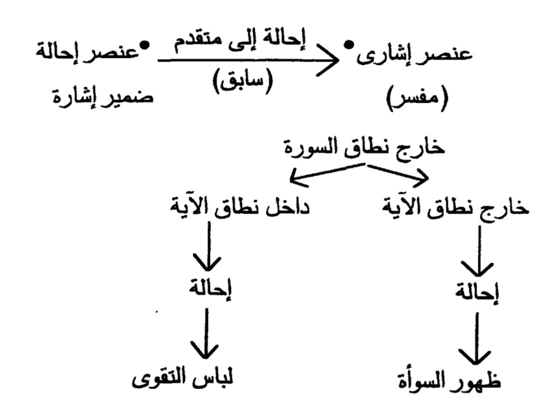
<u>الثانى</u> : الإحالة إلى عظمة لباس التقوى وتفضيله على اللباس المادى، وهى إحالة معجمية أيضا .

---

(١) ٢ / ٥٨، ٥٩ .

غير أن الإحالة فى **الأول** إحالة إلى متقدم داخل نطاق السورة، أما **الثانية** فهى متقدمة وداخل نطاق السورة، بل وداخل نطاق الآية كذلك . وبالتالى فإن إحالته هنا ذات شقين، ويمثل هذا النمط القرآنى نمطا فريدا فى الأنماط الإحالية لضمير الإشارة كافة، إذ المعتاد أن الإحالة إلى شيء بعينه يفسر المبهم (ضمير الإشارة) ويوضحه، إلا أنه هنا جاء ليحيل إلى موضعين .

وينبه الباحث هنا أنه حينما يمثل ضمير الإشارة إحالة إلى أكثر من موضع، فإن هذا لا يمنع أنه فى كلتا الحالتين يحدد المشار إليه، ويرجح السياق هاتين الإحالتين، إذ ليس ثمة تعارض بينهما، وبالتالى فإن كل واحدة منهما توضح جانبا وتظهر جزئية، وتكشف النقاب عن علاقات داخل إطار النص، ومن هنا يمكننا أن نتصوره على النحو التالى :



وجاء النمط الثالث من سورة يونس (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ) ومن ثم فإن هذا الضمير (الإشارة) يمثل عنصرا إحاليا كذلك إلى متقدم عليه، غير أن هذه الإحالة داخل الآية ذاتها، فبداية الآية (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ ما مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ...)، ومن ثم فإن ضمير الإشارة (ذلكم) – سأعود إلى معالجة هذا النمط فى ضوء المخالفة بين الإحالة والمحيل إليه فى موضع لاحق هنا – إشارة إلى المعلوم بتلك العظمة، أى ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم[1] .

ومن هنا فإن عنصر الإحالة الإشارى يحيل إلى متقدم، بيد أن إحالته إلى الشق الأول من بداية الآية الكريمة :

عنصر إشارى • (مفسر) داخل نطاق الآية	< إحالة إلى متقدم (سابق)	• عنصر إحالى ضمير إشارة (ذلكم)

أما نمط سورة الشعراء (فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ) والحديث قبل هذه الآية عن ناقة صالح عليه السلام ومعجزتها، وأن لعاقرها عذاباً أليماً، ومن هنا فإن ضمير إشارة (ذلك) يحيل إلى متقدم من هذه القصة، وبالتحديد إلى قوله تعالى (وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ) الآية : ١٥٦، ١٥٧ . ولما كان القوم قد عقروها (فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ)، وجاء التعبير بصيغة الماضى (فَأَخَذَهُمُ) للدلالة على تحقق ذلك الفعل، مضافا إليه الفاء التى

---

(١) ٢ / ١٨١ .

تدل على التعقيب مع المسارعة، أى أنهم حين عقروا الناقة، أرسل الله سبحانه عليهم عذابه مباشرة، جزاء وفاقا، وعلى الرغم من هذا (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ) لذلك الأمر العظيم الذى جاءت الإحالة إليه بضمير الإشارة (ذلك) لمناسبة الحدث والمقام : -

عنصر إشارى• ← إحالة إلى متقدم (سابق) ← •عنصر إحالة

(مفسر) — ضمير إشارة

داخل نطاق السورة — (ذلك)

↓

عدد من الأحداث : فعل + أفعال

ويلاحظ الباحث أن هذه الأنماط الأربعة المتناولة بالمعالجة هنا، جاءت جمعيها بـ (ذلك) فى ثلاثة أنماط، سواء بالإفراد أم الجمع، وجاء النمط الرابع بضمير الإشارة أو الإحالة (تلك) على أن هذه الملاحظة تلفت النظر بمراجعة ما أورده النحاة .

بمعنى أن هذه الرؤية العملية يمكن إيضاحها فى ضوء قيود النحاة النظرية، وبالتالى يمكن اختبار مدى جدوى وفاعلية القيد النحوى فى مقابل الجانب العملى، بمعنى أن هذه الرؤية المستخلصة فى ضوء وجهة نظر الزمخشرى على وجه العموم يمكن إيضاحها فى ضوء شروط النحاة وقيودها النظرية .

وفى ضوء الرؤية السابقة لضمير الإشارة (ذلك) كانت فاعلية ونتيجة ذلك أن يعبر بها عن أمر عظيم، يقول ابن يعيش : فإذا قلت : لك أو إليك، فقد خاطبته باسمه كناية، وإذا قلت : ذاك أو ذلك، فقد خاطبته

بغير اسمه، ولذلك لا يحسن أن يقال للمعظم من الناس هذا لك ولا إليك، ويحسن أن يقال : قد كان ذلك أو كذلك[١] .

ويشير الزمخشرى إلى الفرق بين : ذا، وذاك، ذلك، فقيل الأول للقريب، والثانى للمتوسط والثالث للبعيد[٢] . وتحتاج رؤية الزمخشرى عرضا عمليا أو تفصيلياً، ونجد ذلك واضحا عند ابن يعيش فى تفصيل : ذلك الاسم فيه ذا والكاف للخطاب، وزيدت اللام لتدل على بعد المشار إليه... فذا إشارة إلى القريب بتجردها من قرينه تدل على البعد، فكانت على بابها من إفادة المشار إليه؛ لأن حقيقة الإشارة الإيماء إلى حاضر، فإذا أرادوا الإشارة إلى متنح متباعد زادوا كاف الخطاب وجعلوه علاقة لتباعد المشار إليه، فقالوا : ذاك، فإن زاد بعد المشار أتوا باللام مع الكاف، فقالوا ذلك واستفيد باجتماعهما زيادة فى التباعد، لأن قوة اللفظ مشعرة بقوة المعنى[٣] .

وتشير عبارة ابن يعيش : قوة اللفظ مشعرة بقوة المعنى، أن الإيجاز فى عناصر البنية التركيبية، يؤدى إلى نتيجة حتمية ←—— الإحالة إلى عنصر إشارى (قريب)، أى قصير قصر المادة المعجمية، ويمكن أن يكون رأى ابن يعيش هذا مفادا من أن (الذال) ذات مقطع قصير، تليها الألف ذات المقطع الطويل، ورغم كونها تنتهى بمقطع طويل (الألف)، إلا أن بنية المبنى لا تحوى عددا كبيرا من المقاطع، وهكذا تنتهى سريعا، وبالتالى فإن الإيجاز فى المبنى، يؤدى بالتالى إلى الإيجاز فى المعنى، أو قوة اللفظ مشعرة بقوة المعنى، بعبارة ابن يعيش .

---

(١) ابن يعيش : شرح المفصل (ب) ١ / ٣٥٢ .
(٢) المفصل (ب) ص ٥٩ .
(٣) ابن يعيش : شرح المفصل (ب) ١ / ٣٥٢ .

وكأن ثمة علاقة قائمة بين قلة الأصوات فى (ذا) والإحالة إلى عنصر إشارى قريب، فقلة الأصوات (المبنى) تجعل (ذا) تحيل إلى عنصر إشارى قريب، وكأنه لقلة حرورفها ليس لها قوة بأن توصل إلى مسافة أبعد، أما الإحالة إلى بعيد (أو متنح بعبارة ابن يعيش) بإضافة (كاف) للدلالة على البعد فى المكان، فإذا أرادوا الإشارة إلى أبعد أضافوا لاما : (ذلك)، فكل زيادة فى المبنى تعطى زيادة فى المعنى وبالتالى تظهر بوضوح دقة عبارة ابن يعيش (أن قوة اللفظ مشعرة بقوة المعنى) .

ويلاحظ الباحث أن الأنماط المستخلصة هنا لضمير الإشارة تحيل جميعها إلى أمر عظيم وجليل، كما أن هذه الإحالة إلى هذا الأمر تعد هذه الوظيفة الإحالية الأساسية حسب الإحصاء الوارد عند الزمخشرى، وكذلك عند النحاة .

وإذا كان النحاة فيما سبق متمثلين فيما جاء عند ابن يعيش يرون أن ضمير الإشارة يحيل ويشير إلى لاحق، فإن الزمخشرى لا يخالف هذه الرؤية، غير أنه يضيف عنصرا آخر فى الإحالة إلى لاحق، ويحيل عنده إلى سابق سواء أكان مباشرا، أى إحالة داخل الآية أو السورة، أم إحالة داخل النص القرآنى عموما، أم إحالة ذهنية، وبالتالى فإن الزمخشرى يخالف رؤية جمهور النحاة فى إحالة ضمير الإشارة وهى إحالة ليست سلبية بقدر ما هى إيجابية، أعنى إضافته زيادة على ما جاء عند جمهور النحاة، وقد وضح بشكل كبير فى الأنماط السابقة المعالجة .

وتبقى قضية أخرى فى هذا المقام، أن الإحالة إلى أمر عظيم، سواء كان متقدما أم لاحقا، أم خارج النص عند الزمخشرى، جاءت الأنماط جميعها بضمير الإشارة (ذلك) ومشتقاته، سواء بصيغة المفرد المذكر

(ذلك) أو المـؤنث (تلك) أو الجـمع (ذلكم)، و (ذلك) هذه كـمـا ذهب جمهور النحاة أنها تدل على بعد المشار إليه، والبعد هذا قد يعنى علوا فى المرتبة والمكان، كما فى قوله تعالى (ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) البقرة/٢، ومن ثم فإن استخدام هذه الصيغة (ذلك) لمناسبة السياقات المختلفة . أو بعدا فى الضلال، كما فى قوله تعالى (...ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ) إبراهيم /١٨، قال الزمخشرى : إشارة إلى بعد ضلالهم عن طريق الحق والثواب[١] .

ومن ثم نرى أن البعد يتغير تبعاً للسياق، فعندما كان الحديث فى آية البقرة السابقة عن الكتاب، بيّن الزمخشرى أن الإشارة إلى بعد الكتاب وعلو مرتبة، أما آية إبراهيم، فقد جاء ضمير الإشارة بعد وصف الله تعالى لأعمال الذين كفروا وتشبيهها بالرماد، أى لا شىء، ومن ثم عقب الله سبحانه بوصف هذا بأنه البعد الحقيقى فى الضلال، ومن هنا نرى البعد يطوعه الزمخشرى حسبما يقتضى السياق .

وتقودنا ملاحظة استخدام (ذلكم) مع الإفراد، إلى قضية المطابقة بين عنصر الإحالة (ضمير الإشارة) وبين العنصر الإشارى (المفسر)، على أن ثمة أنماطا خرجت على قيود النحاة، وبالتالى خرجت على القياس والشيوع، ويرى أحد الباحثين : أن ضمير الإشارة قد أنتقل من خلال تلك الاستعمالات إلى الحرفية، وصار رابطا من الروابط التى تعقد الصلة بين أحداث متقدمة ونتيجة لاحقة، فإذا كان النظر إلى المخاطب أو المخاطبين الموجه إليهم الخطاب فتراعى المطابقة، وإذا كان التركيز على الخطاب ذاته فتتوارى تلك المطابقة[٢] .

---

(١) ٢ (ب)/ ٥٤٧ .

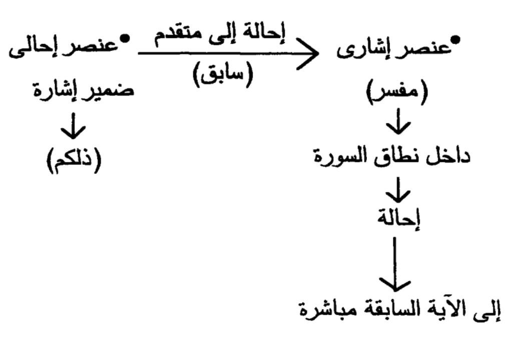
(٢) د . سعيد حسن بحيرى : من أشكال الربط فى القرآن الكريم ص ١٩٣ .

وإذا كانت هذه نتيجة، فلست داريا على أى أساس أقام رؤيته هذه ؟ وعلى الرغم من أنه قال إنه سيدرس أنماط هذه الرؤية فيما يلى لم يقدم شيئا مما وعد به، وإنما ذكر مجمل آراء النحاة فى العلاقة بين المشير (ضمير الإشارة) والمشار إليه (العنصر الإشارى المفسر) فى الاستعمالات القياسية على حد قوله[1]، كما يلاحظ الباحث أن الأنماط التى تقع فيها المخالفة بين عنصر الإحالة (ضمير الإشارة) وبين عنصر الإشارة (المفسر) لها حالتان :

الأولى : إما أن تكون مفسرة ومقارنة، أو ما يمكن أن نطلق عليه عنصرا رابطا مثل (بل)، بمعنى أنه عندما يأتى ذكر (النار) – مثلا – يكون التعبير بـ (ذلكم) ويعرض بعدها إلى ذكر الجنة وتفضيلها على العنصر الإشارى (المفسر)، ومن ثم مقابلة فى المعنى بين ما قبل (ذلكم) وما بعده، ومن هنا نرى أن ما بعده توضيحا وتفسيرا وتفصيلا، ففى قوله تعالى فى سورة آل عمران (قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) آية / ١٥، ويعد ضمير الإشارة هنا عنصرا رابطا (حرفيا)، بمعنى أنه يربط بين الأحداث المتقدمة عليه فى الآية (١٤) (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) وأحداث لاحقة له فى الآية (١٥)، ومن هنا يمثل ضمير الإشارة (ذلكم) عنصرا إحاليا إلى متقدم من هذه الآية (١٤) :

---

(١) ينظر : السابق ص ١٩٣ .



بيد أنه يلاحظ عدم المطابقة بين ضمير الإشارة (ذلكم) والعنصر الإشارى فى الآية المتقدمة عليه مباشرة، والقياس يوجب الإحالة باستخدام ضمير الإشارة (ذلك) للعناصر التفسيرية من لذات الدنيا المختلفة والمتفاوتة لماذا ؟ لأنه فى الآية ذاتها، جاءت الإحالة إليها بـ (ذلك)، إلا أن التعبير القرآنى ما لبث أن عدل عن (ذلك) إلى (ذلكم) فى الآية اللاحقة (١٥) وهذا فى رأى النحاة خروج على القياس والشيوع، بيد أن ضمير الإشارة هنا ينتقل إلى كونه عنصرا إحاليا حرفيا، بمعنى أنه يعقد صلة أو مقارنة بين أحداث متقدمة وأخرى لاحقة، مفضلا فى غالب الأحيان اللاحق على السابق، أو ما بعد عنصر الإحالة على ما قبله، ومن ثم يمكن القول : بأن (ذلكم) تشبه هنا عنصر الربط الحرفى (بل) إذ تعقد الصلة بين أحداث جملتين مختلفتين دلاليا، يذكر الأولى، ثم ما يلبث أن يعرض عنها إلى رأى آخر مقابل، أى نفى ما قبلها عما بعدها باستخدام (بل) .

ففى الآية (١٥) وعقب عنصر الإحالة (ذلكم) يدور الحديث عن

تقوى الله والجنات التى تجرى من تحتها الأنهار والأزواج المطهرة ورضا الله، هذا عن الآخرة فى مقابل ما جاء فى الآية (١٤) من لذات الحياة الدنيا ومتاعها الفانى، وهكذا يعقد عنصر الإحالة (ذلكم) صلة أو مقارنة بين شيئين متقابلين : –

عنصر إشارى ← إحالة إلى متقدم — عنصر الإحالة — إحالة إلى متقدم → عنصر إشارى

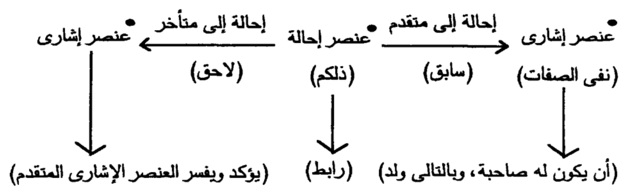
(مفسر) الرابط (ذلكم) (مفسر)

(رابط)

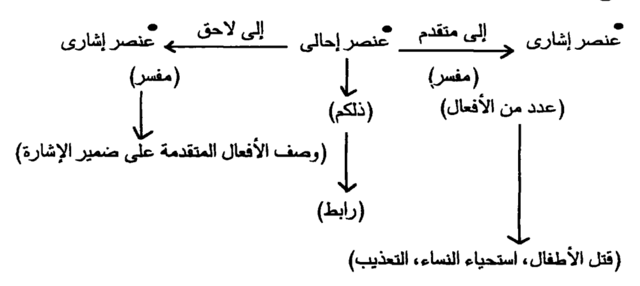
(مجموعة من الأحداث والأفعال والصفات) (مجموعة من الأحداث والأفعال والصفات)

(متاع الحياة الدنيا الفانى المشار إليها فى الآية) (متاع الحياة الآخرة الباقى)

وفى سورة الأنعام: ١٠٢ : ١٠٣ (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) إحالة (ذَلِكُمْ) إلى الذات العلية فى الآية السابقة لها مباشرة آية/ ١٠١ (بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) نجد فى الآية/ ١٠٢، يؤكد معنى ويفصل ما جاء فى آية/ ١٠١، وفى آية : ١٠٢، ١٠٣ (لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ) هذه الصفات تؤكد ما جاء فى الآية (١٠١) من أنه بديع السماوات والأرض، وأنه سبحانه ليس له ولد وليس له صاحبة، وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم، فهذه الصفات تؤكد المعنى فى الآية الأولى، والمعنى وإن كانت هذ صفاته، فكيف تكون له صاحبة أو يكون له ولد، والتركيز هنا على المخاطب – الذات العلية – ورغم ذلك لم تراع المطابقة كما ذكر الباحث.



ويتكرر هذا أيضا فى الأعراف ١٤١ (وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ) غير أنه يختلف عن سابقه فى أنه لا يعقد مقارنة بين أحداث سابقة وأخرى لاحقة، بقدر ما يكون عنصرا رابطا للأحداث المتقدمة عليه فيما يلحقه، وهكذا يمثل هذا النمط مفارقة من ناحية التفسير، ففى الآية الكريمة نجد وصفا لما فعله فرعون وقومه فى بنى إسرائيل من إذاقتهم أنواع شتى من العذاب: من قتل الأبناء، واستحياء النساء، ولما كان هذا كله أمراً عظيماً وجللاً لما يفعل بهم، جاء التعبير بـ (ذلك) للمناسبة، غير أنه عدل إلى (ذلكم) فى محاولة لوصف هذه الأعمال التى فعلت فى بنى إسرائيل : بلاء من ربكم عظيم . وهكذا يتحقق مع عدم المطابقة شىء لا يتحقق بدونها : –



وهكذا نجد المناسبة بين استخدام (ذلكم) للدلالة على شناعة هذه الأفعال، وأنها عمل غير صالح، وبين الوصف التالى لـ (ذلكم) بأنه : بلاء من ربكم عظيم، وهكذا يتحقق الانسجام بين استخدام الأداة - ضمير الإشارة - وبين الأفعال التى قام بها فرعون فى بنى إسرائيل من التقتيل واستحياء النساء ... الخ، والوصف التالى لضمير الإشارة (ذلكم) بأنها أعمال عظيمة . وهكذا تتحقق العلاقة بين ضمير الإحالة والسياق والموضوع[1] .

وفى سورة فصلت : ٢٣ (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ) ، جاءت الإشارة بـ (ذلكم) إلى ما فى هذه الآية السابقة مباشرة (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ) الآية/ ٢٢ من ذات السورة، وكان قياس النحاة أن تأتى الإحالة بضمير الإشارة (ذلك) بدلا من (ذلكم) ، ولكنى أحسب أن التعبير القرآنى عدل إلى استخدام صيغة (ذلكم) ؛ لإرادة توكيد ما جاء فى آية (٢٢) ، بمعنى ما كنتم تتوقعون أن تشهد عليكم سائر أعضائكم، وهذا الظن كان بربكم كذلك، فأراد أن يؤكد ويفسر المعنى فى الآية (٢٢) بما جاء عقب ضمير الإشارة (ذلكم) :

•عنصر إشارى	إحالة إلى متقدم ←	•عنصر إحالة	إحالة متأخر ←	•عنصر إشارى
(مفسر)	(سابق)	(ذلكم)		(مفسر)
(عدد من الأفعال)		(رابط)		(وصف) ↓
(شهادة السمع، الأبصار، الجلود)				(الظن)

(١) Max, Miller : Kontext und Sprachliche Referenz auf Objekte, S. 110 : 115 .

على أن ثمة ملاحظة فى هذا السياق فى القرآن الكريم أنه حين تتوارى المطابقة بين عنصر الإحالة – ضمير الإشارة – وبين العنصر الإشارى المفسر لهذا الضمير، أن ضمير الإشارة يأتى بعده ما يفسره ويوضح ما قبله ويؤكده ... بمعنى أن عنصر الإحالة لا يشير إلى متقدم أو لاحق فقط، وإنما يشير إلى الاثنين معا فى آن واحد، وبالتالى يمثل رابطا بين الإحالة إلى متقدم وإلى لاحق / متأخر، وهكذا تحقق عدم المطابقة إضافية زيادة سمة لا تقدمها الأنماط القياسية .

وإذا كانت كل التراكيب التى تأتى فيها (ذلك) ومشتقاتها، تشترك فى إشارتها إلى أمر عظيم، فإنها فى الواقع تختلف من حيث وضع المشار إليه : خارج النص فى الموضع السابق عليه، فى موضع آخر نطاق السورة، أو يشير إلى لاحق، أم لا ؟... وبالتالى تختلف الأنماط بالنسبة لموضع العنصر المشار إليه أو المفسر، غير أنها جميعا تتفق فى وظيفتها فى الإحالة إلى حدث كبير وجلل .

وإذا كان ضمير الإشارة (ذلك) يحيل إلى أمر عظيم وجليل، فإن ضمير الإشارة (هذا) يحقق هذه الوظيفة، ففى آية : ٩ من سورة الإسراء (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) الإحـــالة هنا إلى لاحق، هذا ←لاحق القرآن، ومن هنا فإن هذا النمط يختلف عن الأنماط السالفة للزمخشرى فى أن ضمير الإشارة كان يحيل إلى أمر عظيم سابق (متقدم)، وجاءت الأنماط الأخرى فى المخالفة بين ضمير الإشارة والعنصر الذى يشير إليه، فى أن ضمير الإشارة يمثل عنصرا رابطا بين أحداث متقدمة وأخرى لاحقة عن طريق التركيز على هذه الصفات الواردة قبل ضمير الإشارة إلى ما يليه، والإحالة إلى متأخر، كما فى هود آية / ٧٢(إِنَّ هَذَا

لَشَيْءٌ عَجِيبٌ) الإشارة إلى متقدم سابق فى ذات الآية، وهو نبأ البشارة بالحمل : (قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ) .

وبالتالى فإن الإحالة إلى متقدم داخل نطاق السورة، بل داخل نطاق الآية، وسواء كانت الإشارة إلى لاحق أم إلى متقدم، فإنه يحقق هذه الوظيفة كما فى قوله تعالى (هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ) الرحمن/٤٣، هذه الوظيفة التى قال عنها بات (G. Bhatt) : بأن هذا التحديد الدلالى للضمائر من المحتمل أن تكمل وتتمم المعانى مع بعضها البعض، وهى قابلة نوعا ما أن تحمل هذا الاستخدام[1] .

وبالتالى فإن الإحالة سواء إلى متقدم أم إلى متأخر لا تسبب عائقا فى القيام بهذه الوظيفة التى هى منوطة به، الربط عن طريق الإشارة إلى ذلك الحدث الجلل، وبالتالى يمكن القول إن الضمائر مهما اختلفت نوعية الإحالة تظل وظيفتها العامة ثابتة، كما ثبت ذلك عند الزمخشرى[2] .

ولا يبتعد عن هذا ما قاله (**برونميلير**) : (K . Braunmüller) إن القواعد المرجعية تعمل على الإيضاح للسامع من خلال المتكلم نفسه مع تعبيرات جديدة فى النص ذاته، وهو يعمل على ربط العلاقة الكائنة وضبطها بين المتكلم والآخرين[3] .

ويعرض أحد الباحثين من خلال التبادل الموقعى بين (هذه) و

---

(١) C . Bhatt : Die Syntaktische Struktur Nominalphrase im Deutsch, S. 155 .

(٢) من خلال معالجة الباحث لضمائر الفصل والشأن والإشارة التى يتناولها بالمناقشة فى هذا الموضع .

(٣) K . Braunmüller : Referenz Pronominalisierung, zu den Deiktika und Proformen des Deuschen S . 58 .

(تلك) ويرى فى ذلك خروجا لما قعد له النحاة، ويعرض أنماطا متماثلة لكلا الضميرين فى القرآن الكريم[1] .

على أن هذه الملاحظة التى أشار إليها الباحث للتبادل الموقعى بين (ذلك) و (هذا، هذه) هى فى الواقع مأخوذة من رؤية النحاة، حيث عرض لها أبو حيان الأندلسى، وقد ردها إلى صاحبها، ابن مالك، ويرى أن هذه الرؤية هى مذهب الجرجانى وطائفة معه، بيد أن السهيلى خالفهم فى ذلك وأبطل حججهم[2]، ولم يشر الباحث إلى أصل الفكرة .

بيد أن هذا وإن كانت تجيزه بعض السياقات، فإنه غير جائز على وجه العموم، بمعنى أن ثمة فارقا بين (ذلك) وبين (هذا، هذه) أى أن (ذلك) وظيفتها الأساسية الإشارة إلى حدث جلل، وذلك بخلاف : هذا، هذه، فإنهما يقومان بالوظيفة لكن فى ظل شروط بعينها تتحقق بتحقق عدد من القرائن تتكاتف فيما بينها لإيضاح المعنى العام، ولا أدل على ذلك إن : هذا، هذه، فى سياقات كثيرة لا تحقق هذه الوظيفة .

فـ (هذا، هذه) فى الآيات السابقة نجد السياقات تستدعى هذا الأمر - الإشارة إلى أمر عظيم وحدث جليل - ففى آية هود نجد الأمر غير عادى، أى حدث كبير يستدعى هذه الوظيفة الدلالية لمناسبة السياق والمقام، وفى آية الرحمن كذلك تهويلا لها ولشأنها، ومن هنا جاء وصف حالهم فى الآية التالية لها (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) الرحمن / ٤٤، تعظيما لها ولحالها، وكذلك فى آية/ ٢١ من سورة الحشر (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ...) تعظيما لشأن القرآن

---

(١) د . سعيد حسن بحيرى : من أشكال الربط فى القرآن الكريم ص ١٩٩ .

(٢) أبو حيان الأندلسى : ارتشاف الضرب ١ / ٥١٠ .

وتفخيما له، وهكذا تتضافر السياقات اللغوية وغير اللغوية لإيضاح هذا المعنى وإبرازه، وبالتالى فإن (هذا، هذه) الواردة فى السياقات لا تتوفر فيها هذه الشروط وبالتالى لا تقدم هذه الوظيفة .

على أية حال فإن الإشارة إلى حدث جلل ليس على إطلاقه مع : هذا، هذه، أى أن وظيفته الأساسية هى الإحالة إلى القريب، وهى مأخوذة من (ذا، ذه) ينضاف إليها (ها) التنبيه، و (ذا) للإشارة، والمراد تنبه أيها المخاطب لمن أشير إليه[1] . ومعنى هذا أنه يريد أن ينبهك إلى المشار إليه وعظمة الأمر بالنسبة لضمير الإشارة (ذلك)، ومن هنا تتضح نقاط الالتقاء بينهما، وتعد هذه سمة مشتركة بين الضميرين معا .

وفى آية / ٣٢ من سورة يوسف (فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ)، قال الزمخشرى : ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته فى الحسن واستحقاق أن يحب ويفتتن به، وربئا بحاله واستبعادا لمحله[2]، فرأينه وأكبرنه، بصيغة البعيد ؟ فيقال : بأن استعمال صيغة البعيد عوضا عن (هذا) يؤكد جمال يوسف وعفته، أى بعد مناله .

ويرى فى هذا السياق محمد اليعلاوى أن هذا يمكن أن يرد على هذا التأويل بأن التعظيم حاصل بـ أى بتصريف حرف الخطاب، فلو أراد القائل أن يحافظ على الإشارة القريبة – ويوسف كان أمامهن – مع تعظيم شأن يوسف، لوجب عليه أن يقول (فذاكن) الذى لمتنى فيه[3] .

غير أن الباحث يختلف مع رأى اليعلاوى السابق وذلك من نواحٍ

---

(١) ابن يعيش : شرح المفصل (ب) ١/ ٣٥٣ .
(٢) ٢ (ب)/ ٤٦٦ .
(٣) محمد اليعلاوى : ملاحظات على لغة القرآن ص ٦٣ .

منها : أن التعظيم حاصل من استخدام ضمير إشارة (ذلكن) فى الآية وليس من حرف الخطاب، ويدلك على ذلك استخدام (ذلك) للبعيد عند جمهور النحاة، ومن هنا انتقل المعنى الحسى إلى البعد المعنوى، الذى يتناسب ومقام يوسف عليه السلام، وهذا ما أشار إليه الزمخشرى فى الموضع ذاته : ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته فى الحسن... وربئا بحاله واستبعادا لمحله[1] .

الشيء الآخر وهو يؤكد الرأى الأول بأن الله عز وجل قد أشار فى الآية / ٣١ من السورة ذاتها، أى قبل الآية السابقة والموضوع يتعلق بيوسف عليه السلام أيضا (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ) فاستخدم (هذا) فى سياق الآية يؤدى معنى (ذلك) رغم كون الموقف ليس عاديا، إلا أنها تؤدى الدلالة المطلوبة، وفى الآية التالية لهما ما كان (هذا، ذلك) يؤديان المعنى ويتبادلان الموقع كما جاء عند جمهور النحاة، جاءت الآية التالية باستخدام (ذلك) وإضافة حرف الخطاب وذلك لأن المقام مقام خطاب نسوة، وليس للتعظيم كما ذهب اليعلاوى، وهكذا نجد التبادل بين (هذا)، (ذلك) فى الدلالة، إضافة إلى السياقات المختلفة .

كما أن التبادل الذى حدث فى الآيتين يمكن أن يكون نوعا من التنويع فى الأسلوب والبلاغة، ما دام لا يؤثر على الدلالة المبتغاة من الآية الكريمة .

وبالتالى لا أرى وجها لما ذهب إليه اليعلاوى من : أن التمييز بين

---

(١) ٢ (ب) / ٤٦٦ .

القريب والبعيد لم يكن خاضعا لقاعدة راسخة، وكذلك التعظيم والتفخيم، فقد رأينا حرية التصرف فى شأنهما وكذلك تعدد السامعين والمخاطبين[1] .

كيف يطلق على هذا وهو أمام نص قرآنى ؟ أى أن نصوصه محكمة، بمعنى أن الاستقراء القرآنى يجيز التبادل الموقعى، خاصة بين هذين الحرفين : هذا، ذلك، غير أن الذى غاب عن ذهن اليعلاوى أنه أرجع كل شيء إلى السياق اللغوى دون أن تكون ثمة عناصر أخرى غير لغوية متممة للمعنى كالسياق الثقافى والدينى والتاريخى... وهكذا نجد هذه العناصر لا تقل أهمية عن العنصر اللغوى، ومن ثم نجد خطورة الاعتماد على السياق اللغوى فى كثير من الأحيان، إذ نجد أنماطا قرآنية لا تنكشف دلالتها إلا بإتاحة الفرصة أمام سياقات متنوعة .

ويشرح الطبرى ذلك فى قوله تعالى (ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ) البقرة/٢ ، التبادل الموقعى بين هذا وذلك قائلا : فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يكون (ذلك) بمعنى هذا ؟ و (هذا) لا شك إشارة إلى حاضر ومعاين، و (ذلك) إلى غائب غير حاضر ولا معاين ؟ قيل : جاز ذلك لأن كل ما يقتضى قرب تقتضيه من الأخبار، فهو وإن صار بمعنى الحاضر فكالحاضر عند المخاطب، وذلك كالرجل يحدث الرجل الحديث، فيقول السامع : إن ذلك والله كما قلت، وهو والله كما ذكرت، فيخبر عنه مرة بمعنى الغائب، إذا كان قد تقضى ومضى، ومرة بمعنى الحاضر لقرب جوابه من كلام مخبره، كأنه غير منقض، فكذلك (ذلك) فى قوله تعالى (... ذلك الكتاب) ... ولذلك حسن وضع ذلك فى مكان هذا؛ لأنه أشير

---

(١) اليعلاوى : ملاحظات على لغة القرآن ص ٦٣ .

إلى الخبر عما تضمنه قوله تعالى (آلم) من المعنى بعد تقضى الخبر عنه (آلم) فصار لقرب الخبر عنه من تقضيه كالحاضر المشار إليه، فأخبر عنه بذلك لانقضائه، ومصير الخبر كالخبر عن الغائب ...[1] .

وتأتى الإشارة إلى أمر عظيم (هذا، هذه) مرة مع (أن) وتارة أخرى بدون (إن)، ولم يؤثر على أداء الوظيفة، وبالتالى يمكن القول إن (هذا، هذه) أو إن وحدها أو التركيب وموضوع الكلام... الخ من عناصر كلها ينبنى بعضها على بعض ويتضافر لإيضاح المعنى الأساسي والوظيفة الرئيسية، وليس عنصرا واحدا وحده كافيا - كما ذهب الباحث - وهو فى محاولته هذه يحاول أن يتخطى قيود النحاة، صحيح أن ثمة أنماطا، بيد أن هذا مرهون بسياقات وعناصر متشابكة حينا ومتداخلة أحيانا، تؤدى فى نهاية الأمر جميعا إلى القيام بهذه الوظيفة .

وأشير فى هذا الموضع - إضافة إلى ما ذكره الزمخشرى - إلى بعض الأنماط التى تؤكد الرؤية العامة التى جاءت عند النحاة لتمثل ملمحا عاما فى القرآن الكريم، ففى سورة البقرة/٨٥ (... فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) جاءت الإشارة إلى عدد من الأحداث فى بداية الآية (قتل النفس، إخراج البعض من ديارهم، افتداء الأسرى) ولما كانت هذه أحداثا عظيمة؛ لأنها بغير حق، كان ذلك أمرا عظيما عند الله جزاءه (خزى فى الحياة الدنيا)، أما يوم القيامة فمآله إلى (أشد العذاب)، وجاء التعبير فى الآية باستخدام صورة القصر (ما + إلا) للدلالة على توكيد نتيجة فعل ذلك العمل الشنيع الذى تحيل إليه (ذلك)، وبالتالى فإن ضمير

---

(١) الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن المجلد الأول ١ / ٢٢٥، ٢٢٦ .

الإشارة (ذلك) يمثل عنصرا رابطا بما تقدم عليه من أحداث وبما يليه من أحداث كنتيجة لفعل الأحداث الأولى، ويمكن تصور ذلك على النحو التالى :

•عنصر إشارى	إحالة إلى متقدم ←	•عنصر إحالة	إحالة إلى متأخر ←	•نتيجة
(مفسر)	(سابق)	(ذلك)	(لاحق)	(للأفعال الأولى)
(فعل + أفعال)				(للعنصر الإشارى)

وفى سورة فصلت / ٢٨ (ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) ، وفى هذه الآية تحيل (ذلك) إلى عدد من الأحداث قبلها، وهى أمور عظيمة فعلها الكفار كعدم سماع القرآن، واللغو فيه، ونتيجة لذلك (فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) / ٢٧ من السورة ذاتها، ولما كان الكفر هكذا كانت نتيجة السالفة هى الأمور العظيمة، كانت الإحالة بـ (ذلك) طبيعى، وذلك لأنهم (أعداء الله لهم فيها دار الخلد) لقاء ما قدموا، وهكذا يتحقق دائما مع (ذلك) إحالة إلى أمر عظيم وجليل، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر.

ويخرج ضمير الإشارة إلى الدلالة على (الكمال والبعد) كما جاء فى قوله تعالى (ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ) البقرة / ٢ ، قال الزمخشرى :... ومعناه ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل، كأن ما عداه من الكتب فى مقابلته ناقص، وأنه يستأهل أن يسمى كتابا، كما تقول هو الرجل، أى الكامل فى الرجولية الجامع لما يكون من مرضيات الخصال[١] . ويرى أبو حيان

---

(١) ١ / ١٩ .

الأندلسي : أن هذا النمط من باب عظمة المشار إليه أو المشير[1]، وبالتالى يأخذ برأى النحاة فى باب (ذلك) .

وتدل (ذلك) فى هذا النمط - كما جاء عند الزمخشرى - وبالتالى فإن وظيفتها تختلف عن وظائف (ذلك)، وهى الإشارة إلى حدث جلل، بيد أن الباحث يختلف مع رؤية الزمخشرى حول وظيفة (ذلك) هنا، ويذهب إلى أن الكمال المفاد فى هذا السياق ليس من ضمير الإشارة (ذلك)، بقدر ما هو من (أل) الموجودة فى بداية (كتاب)، بمعنى لو أن إنسانا قال : هذا هو كتاب؛ لأدى التركيب وظيفة الكمال، أى أن هذا الكتاب هو الكامل، وما عداه ناقص، رغم وجود (ذلك) فى التركيب، بخلاف هذا هو كتاب، فلا يؤدى المعنى، ويدعم هذه الرؤية أكثر أن ورود (ذلك) فى أنماط ليس فيها (أل) لا تؤدى هذه الوظيفة، ففى قوله تعالى فى المائدة (ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ) / ٨٩ . وفى الكهف/١٠٦ (ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً) ولم يقل أحد من الباحثين فى الإعجاز اللغوى للقرآن الكريم، أن هذا الصنف من التراكيب يؤدى وظيفة الكمال .

وذلك بخلاف الضمائر العامة : ضمير الفصل، ضمير الشأن، ضمير الإشارة، بالإضافة إلى الاسم (ضمير + أل + اسم) يعطى معنى الكمال، هذا هو الرجل، أى الكامل فى الرجولية، وهذا هو الشاعر، كأن ما عداه ليس بشاعر... وهذا ينطبق على باقى الضمائر، ومنه فى القرآن الكريم فى قوله تعالى (ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً) النساء : ٧٠، وفى سورة التوبة كذلك (... ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا

---

(١) أبو حيان الأندلسى : ارتشاف الضرب ١ / ٣٣ .

الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) آية : ٣٦ .

وفي ذات السورة / ٦٣ (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ) ولا يختلف الأمر مع ضمير الغيبة (الفصل) كما فى قوله تعالى (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) آل عمران / ٦٢ ، وكما فى قوله تعالى (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) الصافات : ٦٠ وفى آية / ١٠٦ من السورة ذاتها (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ) ولا شك أن الدلالة واضحة، وتعد هذه سمة عامة فى التعبير القرآنى دائما الذى يدل على الكمال فى مقابل النقصان .

وكذلك في الجاثية / ١١ (هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ) قال الزمخشرى : إشارة إلى القرآن الكريم، يدل عليه قوله تعالى (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ) ؛ لأن آيات ربهم هى القرآن، أى هذا القرآن كامل فى الهداية، كما تقول : زيد رجل، تريد كامل فى الرجولية، وأيما رجل...[1] .

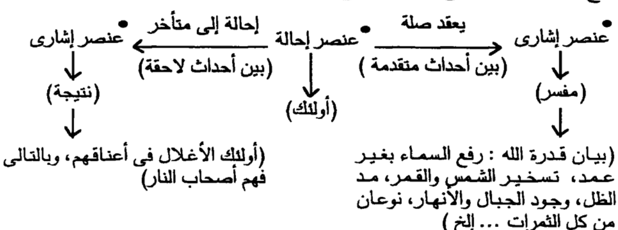
والسياق كما فى آية البقرة السابقة يدعم رأى الزمخشرى، إذ المراد فى كليهما (القرآن)، وهو الكتاب الكامل الشامل : (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وفى قوله تعالى (مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) .

كما أن الزمخشرى أشار إلى أن ضمير الإشارة يدل على الوصف والتفصيل كما فى قوله تعالى (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ) المنافقون/ ٣، قال الزمخشرى : (ذَلِكَ) إشارة إلى قوله (سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أى إلى الآية السابقة... أو إلى ما وصف من حالهم

---

(١) ٤ / ٢٨٧ .

فى النفاق والكذب والاستهجان بالإيمان[1]، أى إلى مـا تقـدم فـى الآية الأولى من السورة، وفـى قوله تعالى الرعد / ٥، ذهب الزمخشرى إلى أن فى الإشارة وصف لحال الكافرين[2] . وتعد هذه إشارة موجزة تحتاج إلى نوع من التحليل على النحو التالى :



ومن ثم نرى ضمير الإشارة يمثل عنصرا رابطا، إذ نجد ضمير الإشارة (أولئك) فى آية الرعد يعقد صلة بين أحداث متقدمة وأحداث لاحقة، ويمكن الجمع بينهما بعلاقة المقابلة، إذ نجد فى الآية الأولى الحديث عن الكتاب، وأنه من عند الله ورغم ذلك أكثر الناس لا يؤمنون به، ومن ثم نرى الله سبحانه يسوق الآيات البينات التى تدل دلالة واضحة على أنه من عند الله : رفع السماء بغير عمد، وتسخير الشمس والقمر، كما أنه مد الأرض وجعل فيها جبالا كما جعل فيها أنهارا، وأخرج من هذه الأرض ثمرا مختلفا ألوانه وطعمه... الخ .

وبالتالى فإن هذه الدلائل والآيات الواضحة كفيلة بأن تجعل من كان له قلب سليم يؤمن ويوقن يقيناً ما بعده يقين فى أن الله هو الذى

(١) (ب) ٤ / ٥٣٩ .
(٢) ينظر : (ب) ٢ / ٥١٣ .

أنزل الكتاب، وأنه هو الذى خلق كل شىء، وبما أن كفار مكة لم يؤمنوا فجاء وصفهم بـ (أولئك الذين كفروا بربهم و أولئك الأغلال في أعناقهم)، وقد أكد الحق هذا الوصف مرة أخرى فى سياق الآية ذاتها باستخدام العطف (الواو) وتكرير ضمير الإشارة، وفى كل مرة يذكر صفة من صفاتهم، وفى الصفة الأخيرة : وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . نجد الله قبل أن ينهى هذه الآية يستخدم مؤكدا آخر: ضمير الفصل (هم)، وهكذا نجد أنه يريد أن يؤكد أن الذين يرون آياته واضحة ولا يؤمنون يستحقون هذه الصفات، بل (هم أصحاب النار هم فيها خالدون) .

وهكذا نجد ضمير الإشارة يعقد صلة بين صفات متقدمة وأخرى لاحقة، والعلاقة القائمة بينهما علاقة المقابلة، ومن خلال هذه الصلة بين السابق واللاحق نجد عملية الربط التى يقوم بها الضمير بشكل عام، كما يلاحظ أن عقب ضمير الإشارة جاءت صفات الذين كفروا فى مقابل آيات الله البينات .

وفى الآية / ٤ من الأنفال (أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) نجد الزمخشرى : يرى أنهم الكاملون فى الإيمان من صفتهم كيت وكيت[١] .

ومن هنا نرى الزمخشرى لم يشر إلى أن صفة الكمال من أى بنية لغوية اكتسبت، أمن ضمير الإشارة (أولئك) ؟ أمن ضمير الفصل (هم) ؟ أم من (أل) الكائنة فى المؤمنين؟، أم ن كلمة (حقاً) ؟، وبالتركيز على السياق اللغوى للآية نجدها تتشابه إلى حد بعيد مع آية الرعد السابقة من حيث إن كلاً من ضمير الإشارة فى الآيتين يتعلق بوصف، غير أنه فى

(١) ٢/ ١١٣ .

آية الرعد جاء الوصف عقب ضمير الإشارة (أولئك) وفى آية الأنفال جاء الوصف قبل ضمير الإشارة (أولئك)، وهكذا نجد ضمير الإشارة – خاصة أولئك – يرتبط ارتباطا مباشرا بعملية الوصف حسبما جاء في القرآن الكريم .

وفى آية الأنفال نجد قبل ضمير الإشارة (أولئك) يأتى عقد ذكر صفات المؤمنين، ثم يشير الله باستخدام ضمير الإشارة (أولئك) للإشارة إلى صفات المؤمنين، ويؤكد هذا باستخدام ضمير الفصل (هم) والتعريف (أل) و(حقا) فى الآية الكريمة، ومن ثم قال الزمخشرى إنهم الكاملون، بناء على الوصف الذى جاء لهم فى الآيات السابقة .

ويدل على (الإعلام)، كما جاء في ص/١٣ (وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ أُولَئِكَ الأَحْزَابُ) إشارة إلى (قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ) آية / ١٢، وهكذا نجد إشارة إلى الآية السابقة والآية ذاتها، قال الزمخشرى : قصد بهذه الإشارة الإعلام بأن الأحزاب الذين جعلوا المهزوم منهم هم وأنهم هم الذين وجد منهم التكذيب[1] .

كما يشير إلى الحضور كما فى سورة (ص) فى قوله (وَمَا يَنظُرُ هَؤُلاءِ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ) آية/ ١٥، (هؤلاء) هنا ضمير إشارة للجمع، وهو فى هذا السياق يشير إلى ما جاء فى الآيات السابقة عليه، وهو يدل على الحضور .

ويخرج إلى (الاختصار) كما في الآية / ٦٨ من البقرة (قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ)، قال الزمخشرى : فإن قلت : كيف جاز أن يشار بذلك إلى مؤنث وإنما هو

(١) ٣ / ٣١٨ .

للإشارة إلى واحد مذكر ؟ قلت : جاز ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام... كما تقول للرجل نعم ما فعلت، وقد ذكر لك أفعالا كثيرة وقصة طويلة[1]، ويدل أيضا (ضمير الإشارة) على الاختصاص كما في قوله تعالى في سورة الكهف (قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا) آية / ٧٨، قال الزمخشرى : فأشار إليه فجعله مبتدأ، وأخبر عنه كما تقول : هذا أخوك، فلا يكون هذا إشارة إلى غير الأخ، ويجوز أن يكون إشارة إلى السؤال الثالث، أى هذا الاعتراض سبب الفراق[2] .

ومن ثم نرى الزمخشرى يجعل ضمير الإشارة عضوا أساسيا فى الجملة (عمدة)، ومن هنا تختلف وظيفته إذا كان عنصرا مؤكدا مثلا، فاعتباره عمدة (مبتدأ بتعبير الزمخشرى) يتوافق مع وظيفة الاختصاص، وبالتالى يكون له محل من الإعراب، أما عدم اعتباره أساسيا، أى ليس له محل من الإعراب، وفى هذه الحالة تكون وظيفة التوكيد التى يؤديها هذا الضمير أرجح من الوظيفة الأولى .

وأنتقل بعد ذلك إلى معالجة ضمير الإشارة فى إطار مقارنته بأنماط إحالية وغير إحالية (كالضمير والاسم والفعل والإبهام)، ويشير النحاة إلى أنه مبهم، أى يفتقر إلى مفسر أو موضح، وبالتالى يشترك مع الضمائر فى هذه الجزئية... الخ، وتتيح له هذه العناصر المختلفة اشتراكه مع أكثر من نوع، وبالتالى تزيده فاعلية وقوة يمتاز بها عن غيره .

ويربط النحاة بين ضمير الإشارة والإبهام، يقول ابن يعيش : ويقال

---

(١) ١ / ١٤٩، نكت الأعراب ورقة ٩ .

(٢) ٢ / ٤٧٠، نكت الأعراب... ورقة ١٣٦ .

لهذه الأسماء مبهمات؛ لأنها تشير إلى مبهمات كل ما بضرتك، وقد يكون بحضرتك أشياء فتلتبس على المخاطب، فلم يدر أيها تشير، فكانت مبهمة لذلك[1]، وهكذا يرتبط ضمير الإشارة بالضمير العائد (الإحالة) فى أنه يحيل إلى مرجع قد يكون سابقا وقد يكون لاحقا؛ لأن كليهما مفتقد بنفسه إلى غيره (عنصر إشارى مفسر) وبالتالى فإنه لا يؤدى دلالة بنفسه لهذا الافتقار – الإبهام – .

ويشترك ضمير الإشارة مع الحرف كذلك، ويعزو ابن يعيش ذلك إلى أنه : إنما كانت مبنية لتضمنها معنى حرف الإشارة، وذلك أن الإشارة معنى، والموضوع لإفادة المعانى إنما هى الحروف، فلما استفيد من هذه الأسماء الإشارة، علم أن للإشارة حرفا تضمنه هذا الاسم، وإن لم ينطق به، فبنى كما تبنى من، كم ونحوهما[2] .

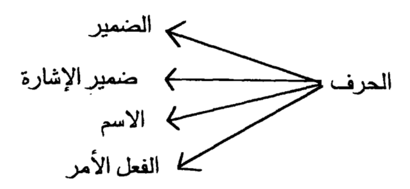
ويشترك ضمير الإشارة مع الضمائر الأخرى : وذلك لأنك تشير به إلى ما بحضرتك ما دام حاضرا، فإذا غاب زال عنه ذلك الاسم والأسماء موضوعة للزوم مسمياتها، ولما كان هذا غير لازم لما وضع له صار بمنزلة المضمر وجب بناء المبهم[3] .

ويزعم الباحث أن ضمير الإشارة يشترك مع الضمير (الضمائر) من حيث البناء، أى أنه بناء لفظى، أو اشتراك شكلى... وثمة اشتراك آخر مع الضمير من حيث الإحالة، إذ كل منهما مفتقر إلى غيره – كما ذكرت منذ قليل – لأن كليهما مبهم، أى يحتاج إلى عنصر إشارى (مفسر)، وفى القاسم المشترك بين ضمير الإشارة أن : ذا اسم منفصل قائم بنفسه قد

(١) ابن يعيش : شرح المفصل (ب) ١ / ٣٣٣ .
(٢) ابن يعيش : شرح المفصل (ب) ١ / ٣٣٤ .
(٣) السابق : الموضع ذاته .

غلب عليه أحكام الأسماء الظاهرة نحو وصفه والوصف به وتثنيته وتحقيره فلما غلب عليه شبه الأسماء المتمكنة حكم عليه بأنه ثلاثى كالأسماء المتمكنة[1] . وبهذه المشاركة لضمير الإشارة للعناصر اللغوية المختلفة، يمثل عنصرا متميزا فاعلا، كالاسم والفعل والحرف والضمير، وتتيح له هذه الخصائص صفات وميزات معينة يمكن أن يؤدى من خلالها وظائف بعينها، ويمكن أن نتصور ذلك على النحو التالى :

تبدو بوضوح السمات والخصائص المشتركة بين ضمير الإشارة والعناصر اللغوية الأخرى، ويمكننا أن نوجز نقاط الالتقاء بين ضمير الإشارة وهذه العناصر فيما يلى :



١ - يرتبط ضمير الإشارة بالضمائر من حيث البناء، وفى افتقار كل منهما إلى غيره، وكذلك من حيث الإبهام، أى افتقار ضمير الإشارة إلى موضح (مفسر) .

ومن الفرق بين المضمر والمبهم أن المضمر فى الغائب يبين بما قبله، وهو الظاهر الذى يعود عليه المضمر، نحو قولك : زيد مررت به،

(١) السابق : الموضع ذاته .

والمبهم الذى هو بعده يفسره بما بعده، وهو اسم الجنس كقولك : هذا الرجل والثوب ونحوه، وقد مضى الكلام على أسماء الإشارة بما فيه كفاية والمعنى بالإبهام وقوعها على كل شيء من حيوان وجماد وغيرهما ولا تختص بمسمى دون مسمى، هذا معنى الإبهام فيها؛ لأن المراد به التنكير[1].

وتفريق ابن يعيش فى المفارقة بين المضمر والمبهم فيه ملمح ومقاربة فى أن كليهما يحيل، بيد أن إحالة الضمير إلى متقدم (سابق)، وإحالة المبهم إلى متأخر (لاحق) وتحتاج هذه الرؤية إلى إعادة نظر فى ضوء ما جاء عند الزمخشرى، إذ يحيل الضمير عنده إلى سابق وإلى لاحق، ومن ثم تمثل رؤيته مخالفة لما جاء عند جمهور النحاة، واتضح ذلك من خلال معالجة الضمائر المعالجة فى هذا الموضع : ضمير الفصل، ضمير الشأن، ضمير الإشارة .

٢ - يشترك ضمير الإشارة مع الحرف من حيث البناء، وفى افتقار كليهما إلى موضح، بيد أن افتقار ضمير الإشارة قد يكون سابقا أو لاحقا، أما افتقار الحرف فإلى ما يليه؛ لأنه لا يؤدى وظيفة إلا به .

٣ - تقوم العلاقة بين ضمير الإشارة والضمائر الأخرى من حيث الوصف والتحقير والتثنية لكل منها .

٤ - ثمة علاقة قائمة بين ضمير الإشارة والفعل - الأمر، المضارع فى بعض حالاته - من حيث البناء لكل منهما، ويلاحظ أن التشابه شكلى فى حد ذاته تنبه إليه النحاة .

---

(١) ابن يعيش : شرح المفصل (ب) ١ / ٩٨١، ٩٨٢ .

وثمة ملاحظة أود أن أشير إليها هنا، وربما تختلف مع رؤية الزمخشري ورأي بعض الباحثين فيها، ففي قوله تعالى (أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) البقرة/ ٥، قال الزمخشري : إن ضمير الإشارة يفيد توكيد استحقاق المبتدأ للخبر، إذا تقدمه تعديد صفات المبتدأ كل صفة منه ترشحه لاستحقاق هذا الخبر[١].

وربما ينتقد رأي الزمخشري هنا بأن تعليقه على هذه الآية ذاتها بأن التوكيد المفاد، إنما هو في الواقع من ضمير الفصل (هم)، وليس من ضمير الإشارة (أولئك)، كما أضاف الزمخشري وظائف دلالية أخرى لضمير الفصل في هذا السياق، أشرت إليها في موضعها .

وإذا كان الزمخشري استنتج هذه الملاحظة فربما استخلصها من نتيجة مفادها أنه حاول أن يستخلص الآيات الواردة في النص القرآني، وتحمل (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)، وحاول أن يستخلص الصفات التي تجمع بينها، فوجدها تكررت في القرآن مرات ثلاث، ففي البقرة/ ٥١. لقمان (٥)، آل عمران (١٠٤) .

وفي كل هذه الأنماط يأتي الحديث فيها عن المؤمنين وفي كل يذكر صفة من صفاتهم، ومن خلال هذه الأنماط تعطي صورة كلية لخصال المؤمنين، ويؤكد ما أذهب إليه من أن الزمخشري كان يقارن بين الأنماط القرآنية المتشابهة من حيث البناء، محللا ومفسرا شيئين، **الأول :** ما جاء في تحليل الزمخشري في الكشاف ونكت الأعراب من مناقشة مثل ما نحن بصدده . **الثاني :** جاءت مقارنته بين أنماط قرآنية متشابهة إلى حد بعيد، غير أن ثمة فروقا دلالية تميز كل منهما عن الآخر، وجاء

---

(١) ينظر : ١ / ٢٥ .

ذلك فى كتابه : الدر الدائر المنتخب فى كنايات واستعارات وتشبيهات العرب[1] .

ومن هنا يمكن القول بأن ضمير الإشارة يفيد الاختصاص، أى أولئك الذين هذه صفتهم، أى الاختصاص، والتوكيد مفاد من ضمير الفصل، كما ذكرت لا من ضمائر الإشارة المختلفة .

على آية حال، فإن هذا لا يمنع من أداء ضمير الإشارة لوظيفة التوكيد، ومن هنا فإن هذه الرؤية تؤكد ما ذهب إليه **إربن** : (Erben) من أنه يفيد التوكيد، ومن ثم فإنه ليست هناك مفارقة بين الرؤية القديمة ممثلة فى رؤية (الزمخشرى) والحديثة ممثلة فى رؤية (إربن)، ومن ثم نجد اللقاء الفكرى كائنا .

ومن ثم فإن ضمير الإشارة حسب رؤية الزمخشرى يمثل عنصرا رابطا على النحو التالى :

١ – يكون كحرف التعليل، بمعنى أن اللاحق نتيجة للسابق .

٢ – يكون ما بعده تفسيرا لما قبله وتوضيحا له .

٣ – ما بعده يكون وصفا لما قبله .

٤ – يقوم بدور العنصر الرابط الذى يعمل على تماسك بنى النص من خلال الإحالة .

وتعد هذه النقاط خلاصة رؤية الزمخشرى حول التراكيب التى تخص ضمير الإشارة، وتمثل هذه النقاط ملاحظات عامة .

وثمة ملاحظة أخيرة فى هذا الشأن، وهى عودة الضمير، أى فى

(١) الدر الدائر المنتخب فى كنايات واستعارات وتشبيهات العرب، ورقة ١٠ .

إطار تأنيث الضمير وتذكيره، فإن الزمخشري يرى أن السياق أو الرؤية الفردية في تفسيره للقرآن بالتذكير أو التأنيث، ومن هنا فإن قوله تعالى في سورة فاطر / ٢ (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)، قال الزمخشري : فإن قلت : لم أنث الضمير أولا ثم ذكر آخر، وهو راجع في الحالتين إلى الاسم، وذُكر على أن لفظ المرجوع إليه لا تأنيث فيه؛ ولأن الأول فسر بالرحمة فحسن، إتباع الضمير التفسير، ولم يفسر الثاني، فترك أصل التذكير وقرئ فلا مرسل لها؛ فإن قلت : لابد للثاني من تفسير فما تفسيره ؟، قلت : يحتمل أن يكون تفسيره مثل تفسير الأول، ولكنه ترك لدلالته عليه، وأن يكون مطلقا في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته، وإنما فسر الأول دون الثاني لدلالته على أن رحمته سبقت غضبه[1] .

وتمثل عودة الضمير في حد ذاته مشكلة عويصة، إذ تحتاج إلى معرفة على من يعود؟ وهل هي إحالة معجمية أو إحالة نصية إلى جزء من نص؟ وهل الإحالة داخل النص أو إلى خارجه؟ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، تمثل المطابقة بين المضمر والمشار إليه أهمية خاصة في الانسجام والتناسق القائم بين السابق أو اللاحق (العنصر المفسر) وبين عنصر الإحالة، فإذا كان عنصر الإحالة مذكراً، فلابد أن يحيل إلى عنصر إشاري يطابقه في النوع والتذكير... إلخ، ليحدث ما يسمى بالانسجام التام بين عناصر النص .

غير أن ثمة عناصر إحالية، تحيل في كثير من الأحيان إلى عناصر إشارية ليست بينهما هذه المطابقة، ومن ثم فلابد من البحث في الواقع

---

(١) ٣ / ٢٦٧ .

عن البديل أو المعنى الذى يمكن أن يحمله أو يؤديه هذا اللفظ المشار إليه (العنصر الإشارى)، وبالتالى لابد أن يحمل على معنى آخر، كما جاء فى آية فاطر، فالضمير يحيل مرتين، فى المرة الأولى يحيل إلى (فلا ممسك لها) فالضمير (لها) يعود على الرحمة، وبالتالى لا يمثل آية إشكالية، أما الإحالة الثانية (وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ)، وبالتالى فإن ثمة عدم مطابقة بين الإحالة والمحيل إليه (المفسر) ومن هنا نجد الزمخشرى يحاول أن يفسر ذلك بعدة تفسيرات :

– إنه قرئ فى بعض القراءات بـ : فلا مرسل لها، وبالتالى يحصل التوازن والتكافؤ بين عناصر النص، من حيث تأنيث عنصر الإحالة – لها – والعنصر الإشارى المفسر – الرحمة – .

– يحتمل أن يكون تفسيره مثل تفسير الأول، غير أنه ترك لدلالة الأول عليه لوضوحه وظهوره... .

ويشير إلى ملاحظة لماذا فسر الأول : فلا ممسك لها، فلا مرسل له يقول : لدلالته على أن رحمته سبقت غضبه .

وتمثل هذه الملاحظة ملاحظة عامة فى سائر معالجة الضمائر، يمكن أن تنطبق على أية ضمير، وعلى أية حال فإن الضمير يحدث نوعا من التوازن والتكافؤ والانسجام بين عناصر النص من خلال الإحالة التى تعمل على ربط بنى النص وتراكيبه من خلال العودة إلى سابق أو إلى لاحق .

ومن هنا يمكن القول بأن الزمخشرى قد عالج كلا من ضمير : الفصل، الشأن، الإشارة، إلا أن معالجته لهذه الضمائر لم تأت بنسب متساوية، وإنما عالج الزمخشرى ضمير الفصل وضمير الإشارة بنسب

تكاد تكون متقاربة إلى حد ما، إذ جاء ضمير الفصل بواحد وثلاثين نمطا فى المرتبة الأولى من حيث معالجة الضمائر، ويأتى ضمير الإشارة بأربعة وعشرين نمطا فى المرتبة الثانية . ثم يأتى ضمير الشأن بتسعة أنماط فى المرتبة الثالثة، وتعد هذه الضمائر الثلاثة هى أهم الضمائر التى نالت عناية من الزمخشرى .

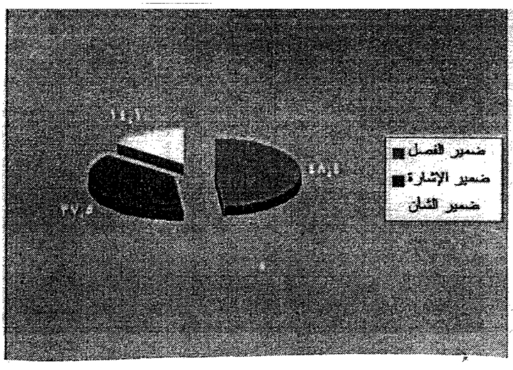
وعلى الرغم أن الأنماط المستخلصة أو المعالجة هنا تكاد تكون ضئيلة ومحدودة، فإن الزمخشرى قدم من خلالها صورة تكاد تكون لوحة متكاملة أبعادها، بحيث يمكن القول إن الزمخشرى عالج جوانب مختلفة من القضايا المتعلقة بهذا الضمير أو ذاك، وبالتالى فإن رؤيته فى معالجة هذه الضمائر الثلاثة تمثل محورا مهما فى رؤيته، لما قدمه من خلالها من رؤية خاصة، أشرت إليها فى موضعها، وكذلك بالنسبة لهذه الدراسة.

م	الضمائر	عدد التردد	النسب	ملاحظات
١	الفصل	٣١	٤٨,٤	مجموع الأنماط (٦٤) نمطا
٢	الإشارة	٢٤	٣٧,٥	
٣	الشأن	٩	١٤,١	

شكل توضيحي رقم (٣) يوضح ترتيب الضمائر التى عالجها الزمخشرى ونسبها

ومن خلال الجدول (٣) نجد أن ضمير الفصل قد نال اهتماما كبيرا من الزمخشرى، يليه الإشارة ثم الشأن، ويوضح الباحث النسب الواردة فى الشكل (٣) والشكل (٤) من هذا المبحث .

وإذا كـان يمكن القـول بأن هذه الضـمـائر الثـلاثة قـد نالت عناية خاصة - بناء على الإحصاء والنسب السابقة - من الزمخشرى، فإن هذه الأهمية تجعلنا نقول بأن الضمائر لا تمثل مرحلة واحدة فى معالجته لها، فإذا كانت نسب ضمير كل من : الفصل والإشارة تكاد تكون متقاربة بناء على الإحصاء والنسب، وذلك بالمقارنة بأنماط ضمير الشأن الواردة هنا، وبالتالى يمكن أن تمثل مرحلة واحدة، والقسم الآخر يمثله : ضمير الشأن، غـيـر أنه يلاحظ أن ضـمـيـر الإشـارة وضـمـيـر الشـأن رغـم كـونـهـمـا فى مرحلتين مختلفتين إلا أن أنماطهما ١,٦ ٪ معا، أى ما يقارب نسب ضمير الفصل وهذا يفضى بنا إلى أنهما يمثلان إلى حد ما ذلك القدر الذى ناله ضمير الفصل منفرداً، ويؤكد هذه الرؤية أنهما يمثلان نسبة واحدة تكاد تكون متقاربة بالمقارنة بنسبة ضمير الشأن .



شكل توضيحي رقم (٤) بنسب الضمائر التى عالجها الزمخشرى

وثمة قضايا أخرى تخص الضمائر عامة وهى قضية عودة الضمير، وهى قضية نالت حيزاً مرموقاً من الزمخشرى، إذ خلاصة الأنماط التى أشار فيها إلى عودة الضمير يمكن جعلها علىٍ النحو التالى :

١ – أنماط أشار فيها الزمخشرى إلى عودة الضمير على متقدم (سابق) وهذا يمكن أن نفرعه إلى ما يلى حسب رؤية الزمخشرى :

(أ) إحالة إلى متقدم داخل ذات الآية .

(ب) إحالة إلى متقدم داخل نطاق السورة .

٢ – أنماط أشار فيها الزمخشرى إلى عودة الضمير إلى لاحق (متأخر) وينبثق عنه ما يلى :

(أ) إحالة إلى متأخر داخل ذات الآية .

(ب) إحالة إلى متأخر داخل نطاق السورة .

٣ – إحالة إلى شىء معروف، وبالتالى لم يذكر؛ لأن السياق يدل عليه، وبالتالى تمثل هذه إحالة ذهنية .

٤ – إحالة إلى متقدم وإلى لاحق فى آن واحد :

(أ) داخل الآية .

(ب) داخل السورة .

٥ – إحالة إلى شىء محدد سواء كان سابقا أم لاحقا على النحو التالى :

(أ) إلى قصة أو حدث .

(ب) إلى كلمة محددة (إحالة معجمية) .

سواء إلى سابق داخل النص أو داخل الآية أو داخل نطاق السورة

وبالتالى تمثل عودة الضمير هنا على سابق (متقدم) داخل نطاق السورة أو داخل الآية، ومن هنا يمثل عودة الضمير على لاحق (متأخر)، ويمكن أن يحيل الضمير إلى موضع آخر من القرآن الكريم ذكر فى ومضع آخر.

وتعكس هذه الملاحظة لإحالة الضمائر كما وردت عند الزمخشرى ملاحظة أخيرة ومهمة فى هذا السياق، أن الضمائر جميعها تعمل على ربط عناصر النص السابقة باللاحقة عن طريق الإحالة، سواء أكانت الإحالة داخل النص (محدد) أم خارجه (إحالة ذهنية) وهذا العنصر الإشارى هو الذى يفسر الضمير (المبهم) والذى يحتاج إلى ما يوضحه، وبدون هذه الإحالة، فإن هذا الضمير يظل معناه مطمورا (مبهما) ويحتاج إلى ما يعود عليه ويوضحه، وبالتالى فإنه ناقص الدلالة بذاته، أو أن دلالته ناقصة، أى أنه عاجز عن أن يقوم بدوره منفردا، وبالتالى يحتاج إلى عناصر تركيبية يعمل ويقوم بدوره من خلالها - الربط - إذ أن دوره هذا فى أنه يحيل سواء أكان إلى سابق أم لاحق فإنه يحقق بهذا ربطا محكما وتوازنا من خلال تشابك الوحدات المكونة لبنية النص، وهو بدوره يعمل على إيجاد توازن وتناسق بين عناصر النص .

تخفيف عين الكلمات الثلاثية
دراسة صوتية من خلال القراءات القرآنية

د. قبارى محمد شحاته
قسم اللغه العربية - كلية الالسن
جامعة عين شمس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

فإن القراءات القرآنية تعد ميداناً خصباً لإقامة العديد من الدراسات اللغوية، بل يمكن الاستعانة بها فى التأريخ للكثير من الظواهر اللغوية التى تدرس دراسة تاريخية، وكذلك تمدنا بأمثلة كثيرة لعدد من الظواهر اللغوية الشائعة في تراثنا العربية، والتى توصف بالشذوذ لمخالفتها القواعد العامة.

ومن هنا تأتى هذه الدراسة التى نحاول من خلالها إلقاء الضوء على ظاهرة لغوية تدخل في إطار علم الأصوات، وهى ظاهرة تخفيف عين الكلمات الثلاثية بحذف حركتها، وهذه الظاهرة موجودة في تراثنا العربي جنباً إلى جنب مع ظاهرة الإبقاء على حركة العين في هذه الكلمات دون حذف، الأولى تنسب إلى القبائل البدوية من شرقيّ الجزيرة العربية كتميم وبكر وربيعة وأسد، والثانية تنسب إلى قبائل الحجاز الحضرية.

حاولت في هذه الدراسة إثبات وجودها فى التراث العربي وموقف اللغويين منها، ثم حاولت البحث عنها فى القراءات القرآنية، ورصدت الأمثلة الكثيرة الدالة عليها، وهذا ما يؤكد شيوعها في لغة العرب.

والمنهج الذى اتبعته في هذه الدراسة هو المنهج الوصفى الذى يعنى بوصف الظاهرة المدروسة، ومحاولة تفسيرها. وكان منهجى فى دراسة هذه الظاهرة فى القراءات القرآنية على النحو التالي:

١- عرضت الأبنية المختلفة التى بنيت عليها الكلمات الثلاثية (أسماء وأفعال) التى خففت عينها بحذف حركتها، وهذه الأبنية ستة ، رتبتها صوتياً هكذا، فَعِل (فى الأسماء والأفعال) ثم فِعِلٌ (فى الأسماء فقط) ثم فَعُل (فى الأسماء والأفعال) ثم فُعُلٌ وفَعَلٌ (فى الأسماء فقط) وأخيراً فُعِلَ (فى الماضى المبنى للمجهول).

٢- صدرت كل بناء من الأبنية السابقة بموقف اللغويين العرب منه ، من حيث سبب التخفيف ، ثم عرضت ما عثرت عليه من أمثلة مخففة من القراءات القرآنية، رتبتها على حروف المعجم ، مع بيان القراء الذين قرأوا بذلك.

٣- في نهاية البحث عرضت تفسيراً حديثاً لها ، بعد عرض جميع الأبنية السابقة والأمثلة عليها.

٤- أنهيت البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التى خرجت بها، كما ذكرت قائمة بالمراجع التى اعتمدت عليها فى الدراسة.

والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير.

١: الدراسة:

يشيع فى تراثنا اللغوى ظاهرة تخفيف عين الكلمات الثلاثيــة بحــذف حركتها، وهذه الظاهرة الصوتية ظاهرة لهجية تنسب إلى القبائل الشرقية فــى الجزيرة العربية كتميم وبكر. وقد أشار إلى ذلك سيبويه، يقول في: "هذا بــاب ما يسكن استخفافاً وهو فى الأصل متحرك، وذلك قولهم في فخِذٍ فَخْذٌ ، وفــى كَبِدٍ كَبْدُ، وفى عَضُدٍ : عَضْدٌ، وفى الرَّجُلِ: رَجْلٌ ، وفى كَرُمَ الرجل: كَــرْمَ ، وفى عَلِمَ : عَلْمَ. وهى لغة بكر بن وائل وأناس كثير من بنى تميم.

وقالوا في مَثَلٍ : "لم يُحْرَمْ من فُصْدَ له" وقال أبو النجم:

لو عُصْرَ منه البانُ والمسكُ انعصرْ.

يريد: عُصِر" (١)

ويفهم من كلام سيبويه السابق ما يأتى:

١- هذه الظاهرة تنسب إلى بكر بن وائل وأناس كثير من تميم، وهى منسوبة كما سنرى عند عرضنا لأمثلة من القراءات القرآنية إلى أسد وقــيس وربيعة كذلك.

٢- التخفيف ورد في الكلمات التى على أوزان: فَعِل، وفَعُــل ، فــي الأسماء والأفعال، وفى المبنى للمجهول من الماضى على وزن فُعِلَ.

وسنرى فيما بعد أن هناك كلمات خففت على أبنية أخرى، هى: فِعِلٌ ، وفُعُلٌ ، وفَعَلٌ .

كما ننبه كذلك إلى أنه فى القراءات القرآنية ورد الحذف فــي أشــياء حملت على بعض الأوزان السابقة، وتتمثل فى حذف حركــة الإعــراب فــى الأسماء والأفعال، وكذلك حذف حركة الهاء فى الضميرين: هُوَ وهِــيَ عنــد

---

(١) الكتاب ١١٣/٤ - ١١٤ وانظر كذلك الخصائص ٧٥/١.

سبقهما ببعض حروف العطف كالواو والفاء وثم . وهذا من باب إجراء المنفصل من كلمتين مجرى المتصل من كلمة واحدة.

وهذا التخفيف الذى حدث فى العربية حدث ما يشبهه فى العبرية في كلمة נֶפֶשׁ nēfeš حيث صارت נַפְשׁ nafš وحُركت النون فيها بالفتحة القصيرة بدلاً من الكسرة الممالة الطويلة، وبقيت هذه الكلمة بلا تخفيف في الأكادية. (١)

وفيما يلى استعراض الكلمات المخففة الواردة على الأبنية السابقة من خلال القراءات القرآنية:

١:١ : فَعِل

ويكون هذا التخفيف فى الأسماء كقولهم فَخْذ وكَبْد فى : فَخِذ وكبِد ، وفى الأفعال كقولهم عَلْمَ فى عَلِمَ. وعن سبب التخفيف يقول سيبويه: "وإنما حملهم على هذا أنهم كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور والمفتوح أخف عليهم، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى الأثقل" (٢).

ويتابع الرضى كلام سيبويه السابق بقوله: "فسكنوه لأن السكون أخف من الفتح، فيكون الانتقال من الفتح إلى أخف منه" (٣).

ومما ورد فى القراءات القرآنية مخففاً ما يأتى:

١:١:أ: من الأسماء

١- قراءة (حَرِمٌ) من قوله تعالى: **{وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ}** الأنبياء ٢١/٩٥ حيث قرأ عكرمة (حَرِمٌ) بكسر الراء والتنوين.

---

(١) التطور النحوى ٦٨.

(٢) الكتاب ٤/١١٤.

(٣) شرح الشافية ١/٤٢.

وقرأ قتادة ومطر الوراق ومحبوب عن أبى عمرو، وابـن عبـاس، ومعـاذ القارئ، وأبو المتوكل، وأبو عمران الجونى (حَرْمٌ)[1] على لغة بنى تميم.[2]

٢- (قَطِران) من قوله تعالى {سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ} إبراهيم ٥٠/١٤ قرأ عمر بن الخطاب، وعلى بن أبى طالب، وعيسى بـن عمـر، والأعمـش (قَطْران) تخفيف (قَطِران) وهى قراءة الجماعة.[3]

٣- (نَحِسات) من قوله تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ} فصلت ١٦/٤١ قرأ (نَحْسات) بتخفيف الحاء: نافع وابن كثير وأبـو عمرو ويعقوب والنخعى وعيسى بن عمر والحسن.[4]

٤- (نَظِرة) من قولة تعالى {فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ} البقرة ٢٨٠/٢ قرأ (فنَظْرَةٌ) بسكون الظاء: أبو رجاء ومجاهد والحسن والضحاك وقتادة والوليـد ابن مسلم عن ابن عامر، وهى لغة تميمية.[5]

٥- (كَلِمَة) من قولة تعالى: "{تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَـوَاءٍ} آل عمـران ٦٤/٣ قرأ (كَلْمَة) بسكون اللام أبو السمال.[6]

٦- (نَكِداً) من قوله تعـالى " {وَالَّـذِي خَبُـثَ لاَ يَخْـرُجُ إِلاَّ نَكِـدًا} الأعراف ٥٨/٧ قرأ (نَكْداً) بسكون الكاف: ابن مصـرف[7] وابـن محيصـن ومجاهد وقتادة والبزى بخلاف عنه[8]

---

(١) البحر المحيط ٣١٣/٦ ومعجم القراءات ٥٦/٦.

(٢) المحتسب ٦٥/٢ والبحر ٣١٣/٦.

(٣) البحر ٤٢٨/٥ ومعجم القراءات ٥٢٢/٤.

(٤) معجم القراءات ٢٧٠/٨ وكتاب التذكرة في القراءات ٦٥٧/٢ وحجة القراءات ٦٣٥.

(٥) البحر ٣٥٤/٢ ومعجم القراءات ٤٠٨/١ وراجع كذلك مختصر فى شواذ القرآن ٢٤.

(٦) البحر ٥٠٦/٢ ومعجم القراءات ٥١٢/١.

(٧) البحر ٣٢٢/٤ ومختصر فى شواذ القرآن ٥٠.

(٨) معجم القراءات ٨١/٣ – ٨٢.

١ : ١ :ب: من الأفعال

١-(أرِنا) من قوله تعالى: { وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا } البقرة ١٢٨/٢ قرأ (أرْنا) بسكون الراء: ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن محيصن[١] واليزيدى وشجاع وقتادة والسُّدِّىّ وروح ورويس والسوسى. [٢]

٢- (تَعِيَها) من قوله تعالى: { وتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ} الحاقة ١٢/٦٩ قرأ (تَعْيَها) بسكون العين: طلحة بن مصرف، وأبو عمرو برواية هارون وخارجة عنه، وقنبل برواية أبى ربيعة، وابن كثير فى روايتى القواس والحلوانى عنه، وطلحة وحميد والأعرج والقواس عن حمزة عن خلف. [٣]

٣- (لعَلِمَه) من قوله تعالى: {لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ} النساء ٨٣/٤ قرأ (لعلْمَه) بسكون اللام أبو السمال، وتسكين اللام مطرد فى لغة تميم. [٤]

٤- (نَعِمَ) من قوله تعالى: { فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} الرعد ٢٤/١٣ قرأ ابن يعمر ويحي بن وثاب (فنَعِمَ) وهذا هو الأصل، وقرأ ابن وثاب كذلك (فنَعْمَ) بسكون العين والتخفيف لغة تميم. [٥]

٥- (وَسِعَ) من قوله تعالى: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ} البقرة ٢٥٥/٢ قُرِئَ (وَسْعَ) بسكون السين. [٦]

---

(١) الإتحاف ١٩٣ ومعجم القراءات ١٩٤/١ وراجع كذلك التيسير ٦٥ وكتاب التذكرة في القراءات ٣٢٢/٢.

(٢) معجم القراءات ١٩٤/١.

(٣) السابق ٥٥/١٠-٥٦.

(٤) البحر ٣١٩/٣ ومعجم القراءات ١١٩/٢

(٥) راجع فى ذلك: المحتسب ٣٥٦/١ والبحر ٣٧٧/٥ - ٣٧٨ ومعجم القراءات ٤١٣/٤.

(٦) البحر ٢٨٩/٢ ومعجم القراءات ٢٦٢/١.

ملاحظتان:

١- ورد فى القراءات القرآنية إتباع حركة الفاء لحركة العين فى بعض الأسماء، ثم خففت العين بحذف حركتها فَعِلُ > فِعِلُ > فِعْلُ. وهذا التفريع (من فَعِلٍ إلى فِعِلٍ) لا يكون إلا فى حلقى للعين، كما حدث في نِعْم وبِئْس، الأصل فيهما: نَعِمَ وبَئِسَ، ثم أتبع بنوتميم حركة الفاء لحركة العين، فصارا: نِعِمَ وبِئِسَ. (١)

وقد ساق سيبويه عدة أمثلة على فِعِل الحلقى العين، مثل : شِهِدُ، ولِعِبُ، وضِحِكُ، ووِضِمُ، ومِحِكٌ.

وذكر سيبويه أن الفاء أتبعت العين ولم يحدث العكس "كراهية أن يلتبس فَعِلُ بفَعَلٍ، فيخرج من هذه الحروف فَعِلُ، فلزمها الكسر ههنا وكان أقرب الأشياء إلى الفتح، وكانت من الحروف التى تقع الفتحة قبلها لما ذكرت لك، فكسرت ما قبلها حيث لزمها الكسر، وكان ذلك أخف عليهم حيث كانت الكسرة تشبه الألف ، فأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد، كما أنهم إذا أدغموا فإنما أرادوا أن يرفعوا ألسنتهم من موضع واحد".(٢)

ومفهوم هذا الإتباع- كما ذكر سيبويه - يعود إلى سببين: أولهما: كراهية التباس فَعِلٍ بفَعَلٍ لو أتبعت العين للفاء، والثانى أنهم أتبعوا الفاء للعين من باب التخفيف، إذ الانتقال من الفتحة إلى الكسرة فيه ثقل ، وليكون العمل من وجه واحد، حيث يعمل اللسان فى جهة واحدة هنا.

---

(١) اللهجات العربية فى التراث ٢٣٨.

(٢) الكتاب ١٠٨/٤.

ومن خلال تتبعي لما ورد مخففاً في القراءات القرآنية من فَعِلٍ بعد إتباع فائه لعينه (فِعِل) وجدت أنه ورد في حلقي العين وغيره، فمن حلقي العين وجدت الكلمة التالية:

١- (لَعِبًا) من قوله تعالى: {اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا} المائدة ٥٧/٥ ومن قوله تعالى: {اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا} المائدة ٥٨/٥ فقرأ بعضهم (لِعْبًا) مثل: فَخِذ و فِخْذ، وكَلِمَة وكِلْمَة.[١] الأصل: لَعِبًا > لِعِبًا > لِعْبًا.

ومن غير حلقي العين ورد ما يأتي:

٢- (قَطِران) من قوله تعالى: {سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ} إبراهيم ٥٠/١٤ قرأ عيسى بن عمر والأعمش (قِطْران)[٢]. الأصل: قَطِران > قِطِران > قِطْران.

٣- (كَلِمَة) من قولة تعالى: {مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ} آل عمران ٣٩/٣ ومن قوله تعالى: {تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ} آل عمران ٦٤/٣ قرأ أبو السمال العدوي (كِلْمَة) مثل كَتِف وكِتْف[٣]. الأصل: كَلِمَة > كِلِمَة > كِلْمَة.

٤- (نجس) من قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ} التوبة ٢٨/٩ قرأ أبو حيوة والحسن بن عمران ونُبَيْح وأبو واقد والجراح وابن قطيب (نِجْسٌ) على تقدير حذف الموصوف، أي: جنسٌ نَجِسٍ، وهو اسم فاعل من نَجِسَ، فخففوه بعد الإتباع[٤]. وقراءة (نَجِسٌ) للضحاك[٥].

(١) مختصر شواذ القرآن ٣٩ ومعجم القراءات ٢٩٩/٢.

(٢) معجم القراءات ٥٢٢/٤

(٣) مختصر في شواذ القرآن ٢٧ والبحر ٤٦٦/٢ ومعجم القراءات ٤٨٩/١.

(٤) البحر ٢٩/٤ ومعجم القراءات ٣ /٣٦٦

(٥) معجم القراءات ٣٦٦/٣.

كما ورد هذا التخفيف بعد إتباع حركة الفاء لحركة العين فى الفعلين نعم وبئس فى القراءات القرآنية:

- (فنِعْمَ) من قوله تعالى: {سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} الرعد ٢٤/٦٣ الأصل (فنَعِمَ) وهى قراءة ابن يعمر وابن وثاب[1] ثم أتبعت حركة النون لحركة العين، فصارت (فنِعِمَ) وهى قراءة ابن وثاب فى هذه الآية وفى ص ٣٨ / ٣٠-٤٤"نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ" [2]. ثم خففت العين بحذف حركتها، فصارت (فنِعْمَ) وهى قراءة الجمهور والأكثر استعمالاً. [3]

- وبئس مثل نعم فى التحولات السابقة، ولم أعثر على قراءات لها أى فى أصلها (بَئِسَ) ثم (بِئِس) بعد الإتباع ، ثم (بِئْس) بتخفيف الهمزة.

٢- يحمل على ما سبق فى تخفيف العين بحذف حركتها المتصل من كلمتين، ولشدة أتصالهما صارا كالكلمة الواحدة، ويتمثل ذلك فى الضمير (هى) بكسر الهاء المسبوق بحرفى العطف الواو والفاء وكلاهما محرك بالفتحة، وباتصالهما بالضمير يصبحان كالكلمة الواحدة ويكونان على زنة فَعِل (وَهِىَ - فَهِىَ).

والواو والفاء حرفان لا يستقلان بمفردهما من ناحية المعنى، ولابد من اتصالهما بما بعدهما، فباتصالهما بهى أشبها فى اللفظ ما جاء من الكلمات المفردة على زنة فَعِل.

وقرأ بتسكين الهاء من (وَهِىَ- فَهِىَ) أبو عمرو والكسائى وأبو جعفر وقالون والحسن واليزيدى، فصارتا (وَهْىَ - فَهْىَ) ومن أمثلة ذلك:

---

(١) البحره /٣٧٧ ومعجم القراءات ٤١٣/٤

(٢) مختصر فى شواذ القرآن ٧١.

(٣) البحر ٣٨٧/٥ ومعجم القراءات ٤١٤/٤ يرى ابن جنى فى المحتسب ٣٥٦/١ - ٣٥٧ أن الحرف الثانى أسكن ونقلت حركته إلى الأول. والصواب ما ذكرنا.

أ- (وَهِىَ) قال تعالى: {وَهِيَ ظَالِمَةٌ} هود ١٠٢/١١ قرأوا: وَهْــىَ [١]
وقوله تعالى: " { وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا} الكهف ٤٢/١٨ قرأوا :وَهْىَ [٢]
وقوله تعالى: {وَهِيَ تَفُورُ} الملك ٧/٦٧ قرأوا: وَهْىَ [٣]

ب- (فَهِىَ) قال تعالى: {فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ} البقرة ٧٤/٢ قرأوا (فَهْىَ) [٤]
وقوله تعالى: {فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ} يس ٨/٣٦ فقــرأوا: فَهْــىَ [٥]
وقوله تعالى: {فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ} الحاقة ١٦/٦٩ فقرأوا: فَهْىَ [٦]

٢ : ١: فِعِلٌ

هذا البناء يتبع من الناحية الصوتية البناء السابق (فَعِل) وجــاء عــن طريق إتباع حركة الفاء لحركة العين (مماثلة رجعية Regressive) فَعِــلٌ > فِعِلٌ.

والكلمات التى وردت مخففة على هذا البناء أصلها أن تكــون عليــه، وليس أصلها (فَعِل) السابق كما ذكرنا فى الملاحظة السابقة، وتخفيف الثــانى من هذا البناء لا يكون إلا فى الأسماء، كقولهم فى إِبِلٍ : إِبْلٌ.

وعن سبب التخفيف يقول سيبويه: "وكذلك الكسرتان تكرهــان عنــد هؤلاء[٧] كما تكره الياءان فى مواضع، وإنما الكســرة مــن اليــاء، فكرهــوا الكسرتين كما تكره الياءان، وذلك فى قولك فى إِبِلٍ : إِبْلٌ".[٨]

---

(١) معجم القراءات ١٣٦/٤

(٢) السابق ٢٢١/٥

(٣) السابق ٧/١٠ وراجع كذلك ٣٦٩/١ و ٥٥/٤ و ٥٢٣/٧.

(٤) السابق ١٢٩/١.

(٥) السابق ٤٦١/٧

(٦) السابق ٥٩/١٠

(٧) يقصد بنى تميم وبكر بن وائل كما ذكرنا فى كلامه بداية هذا البحث.

(٨) الكتاب ٤ /١١٥

ومما ورد مخففاً من الأسماء على هذا البناء فى القراءات القرآنية اسمان، هما:

١- قراءة (الحبِك) من قوله تعالى: {وَالسَّمَاء ذَاتِ الْحُبُك} الذاريات ٧/٥١ قرأ (الحبِك) أبو مالك الغفارى والحسن بخلاف عنه، ورويت عن أبى عمرو، وأبو رزين، وعمر بن الخطاب، وهو اسم مفرد لا جمع له، لأن (فِعِل) ليس من أبنية الجموع، مثل : إبِل وإطِل. وقرأ أبو مالك الغفارى والحسن كذلك وأبو حيوة (الحبْك) بتخفيف الباء، مثل إبْل فى إبِل. [1]

٢- (السِّجِلّ) من قوله تعالى: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ} الأنبياء ١٠٤/٢١ قرأ (السِّجْل) بكسر السين وإسكان الجيم وتخفيف اللام : الحسن وعيسى بن عمر وأبو زيد عن أبى عمرو. [2]

ويلاحظ أنه مع التخفيف بحذف حركة الجيم خففت اللام ولم تبق على أصلها بالتثقيل، لأنها لوظلت مثقلة لالتقى ساكنان: الجيم واللام الأولى، وهذا ممتنع.

ملاحظة:

جاء فى القراءات القرآنية تشبيه المنفصل من كلمتين بالمتصل من كلمة واحدة، فخفف ثانية بحذف حركته مثله، وذلك فى حذف حركة الإعراب من كلمة (بارِئكم) فى قوله تعالى: { فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ} البقرة ٥٤/٢ .

---

(١) معجم القراءات ١٢٤/٩ وراجع كذلك المحتسب ٢٨٦/٢ – ٢٨٧ ومختصر فى شواذ القرآن ١٤٥ والقارئ فيهما هو الحسن والإتحاف ٥١٦ والقارئان فيه هما الحسن وأبو عمرو.

(٢) مختصر فى شواذ القرآن ٩٥ ومعجم القراءات ٦٤/٦ وراجع كذلك البحر ٣١٧/٦ والإتحاف ٣٩٥.

فقرأ (بارِئْكم) بإسكان الهمزة (حرف الإعراب): أبو عمرو فيما نقلـه عنه السوسى واليزيدى وعبد الوارث، وذلك إجراء للمنفصـل مـن كلمتـين مجرى المتصل من كلمة، فكما جاز التسكين فى (إِبِل) جاز فـى (بـارِئِكم)[1] وهذا التسكين لغة بنى أسد وتميم وبعض نجد طلباً للتخفيف.[2]

١ : ٣ : فَعُل

ويكون تخفيف العين فيما جاء على فَعُل فى الأسماء والأفعال، فمـن الأسماء ما ذكره سيبويه من قبل، من قولهم فى عَضُـدٍ والرَّجُـلِ: عَضْـدٌ ، والرَّجْلُ. ومن الأفعال قولهم فى كَرُمَ الرجل: كَرْمَ.[3]

وعن سبب هذا التخفيف يرى الرضى أنهـم كرهـوا الانتقـال مـن الأخف، أى الفتح إلى الأثقل منه وهو الضم، وهذا فى الثلاثى المجرد المبنـى على الحفة، فسكنوه لأن السكون أخف من الفتح، فيكون الانتقال من الفتح إلى أخف منه[4] وهو نفس السبب الذى ذكره سيبويه من قبل عن تخفيف مـا ورد على (فَعِل) وفيما يلي عرض ما ورد مخففاً فى الأسماء والأفعال من خـلال القراءات القرآنية.

---

(١) الإتحاف ١٧٨ وحجة القراءات ٩٧ وكتاب التذكرة فى القراءات ٣١٣- ٣١٤ والتيسير ٦٣ والنشر ٢/٢١٢ – ٣١٢ ومعجم القراءات ١/١٠٠ – ١٠١.

(٢) الاتحاف ١٧٨ ومعجم القراءات ١/١٠١.

(٣) الكتاب ٤/١١٣.

(٤) شرح الشافية ١/٤٢.

١ : ٣ : أ : فى الأسماء

١- (رَجُلٍ) من قوله تعالى: {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ} يونس ١٠/٢ قرأ رؤبة (رَجْل) بسكون الجيم وهى لغة تميمية يسكنون فَعُلاً. [١]

وكذلك (رَجْل) فى غافر ٤٠ /٢٨ فسكن الجيم عيسى بن عمر، وعبد الوارث وعبيد بن عقيل وحمزة بن القاسم عن أبى عمرو، والأعمش. [٢] وفى الزخرف ٤٣/٣١ كذلك دون تحديد اسم القراء. [٣]

٢- (السَّبُعُ) من قوله تعالى: {وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ} المائدة ٥/٣ قرأ (السَّبْع) الحسن، والفياض بن غزوان وطلحة بن سليمان وأبو حيوة وابن قطيب وهارون وعبد الوارث وعصمة وخارجة كلهم عن أبى عمرو، والمعلى عن عاصم، وأبو بكر (أحد راويى عاصم) وابن كثير فى رواية بعضهم. وهى لغة لأهل نجد. [٤]

٣- (السَّقُفُ) من قوله تعالى: {فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ} النحل ١٦/٢٦ قرأ الجمهور (السَّقْفُ) وهو تخفيف من (السَّقُفُ) وهى قراءة فرقة من القراء، وقد يكون لغة فى (السَّقْف) وقد كثر استخدام السَّقْف مخففاً كما قالوا فى الرَّجُل: رَجْل، وهى لغة تميم. [٥]

---

(١) البحر ٥/١٢٦ ومعجم القراءات ٣/٤٩٠

(٢) معجم القراءات ٨/٢١٧ وراجع كذلك مختصر فى شواذ القرآن ١٣٣ القارئ أبو عمرو.

(٣) معجم القراءات ٨/٣٦٨.

(٤) السابق ٢/٢٢٥ وراجع كذلك البحر ٣/٤٣٨ ومختصر فى شواذ القرآن ٣٧.

(٥) البحر ٥/٤٧١ ومعجم القراءات ٤/٦١٤.

٤- (عَضُدًا) من قوله تعالى: {وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا} الكهف ٥١/١٨ قرأ (عَضْدًا) عيسى بن عمر والأعرج وأحمد بن موسى عن أبى عمرو، تخفيف العين من (عَضُدًا) وهى لغة تميم وبكر. [١]

وكذا (عَضُدَك) من قوله تعالى: {سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ} القصص ٣٥/٢٨ فقرأ الحسن (عَضْدَك). [٢]

٥- (المثُلات) من قوله تعالى: {وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ} الرعد ٦/١٣ قرأ (المَثْلات) بتخفيف الثاء: عيسى الثقفى وطلحة بن سليمان. [٣]

١ : ٣ : ب فى الأفعال

١- (حَسُنَ) من قوله تعالى: {وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} النساء ٦٩/٤ قرأ (حَسْنَ) بتخفيف السين: أبو السَّمال العدوى ، وهى لغة تميم. [٤]

٢- (رَحُبَتْ) من قوله تعالى: {وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ} التوبة ٢٥/٩. قرأ (رَحْبَتْ) بتخفيف الحاء: زيد بن على ، وهى لغة تميم كما قالوا فى ظَرُفَ: ظَرْفَ [٥]

٣- (كَبُرَتْ) من قوله تعالى: {كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ} الكهف ٥/١٨ قُرِئَ (كَبْرَتْ) بتخفيف الباء، وهى لغة تميم. [٦]

---

(١) معجم القراءات ٢٣٩/٥ وفى البحر ١٣٠/٦ ومختصر فى شواذ القرآن ٨٤ القارئ هو عيسى فقط.

(٢) المحتسب ١٥٢/٢ ومعجم القراءات ٤٤/٧ - ٤٥

(٣) المحتسب ٣٥٣/١ ومعجم القراءات ٣٨٦/٤.

(٤) البحر ٣٠١/٣ ومعجم القراءات ١٠٣/٢.

(٥) البحر ٢٥/٤ ومعجم القراءات ٣٦٤/٣ وكذا فى التوبة ١١٨/٩ راجع البحر ٢٤/٥.

(٦) البحر ٩٥/٦ ومعجم القراءات ١٥٣/٥.

ملاحظتان:

١- ورد فى القراءات القرآنية إتباع حركة الفاء لحركة العين، وهــذا من باب المماثلة الرجعية Regressive ثم خففت العــين بحــذف حركتهــا ، استثــقالاً للضمتين المتتابعتين فَعُلٌ > فُعُلٌ > فُعْلٌ.

وذلك فى كلمة (عَضُدًا) من قوله تعالى: {وَمَا كُنتُ مُتَّخِــذَ الْمُضِــلِّينَ عَضُدًا} الكهف ٥١/١٨ قرأ هارون عن أبى عمرو وشيبة وخارجة والخفــاف والحسن وأبو زيد والأعرج وابن عامر (عُضُدًا) وهى لغة بنى أســد وبعــض تهامة[١].

وقرأ (عُضْدًا) بتخفيف الضاد الحسن وعكرمة، وهى لغة تميم[٢].

والأمر كذلك فى (عَضُدَك) من قوله تعالى: {سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيــكَ} القصص ٣٥/٢٨ حيث قرأ زيد بن على والحسن (عُضُــدَك) وقــرأ الحســن (عُضْدَكَ) [٣].

وقد عزاها أبو حيان إلى لغة بعض قيس، وهو يشير بذلك إلى (حُسْنَ) من قوله تعالى: {وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} النساء ٦٩/٤ فيقول بعد ذكــر قــراءة (حَسْنَ) التى ذكرناها من قبل" ويجوز (حُسْنَ) بسكون السين وضم الحاء على تقدير نقل حركة السين إليها، وهى لغة بعض بنى قيس".[٤]

فواضح هنا أن (حُسْن) لغة وليست قراءة، وهذا ما ذكره ابن خالويــه (حُسْنَ لغة) [٥]كما أشار إلى أن حركة السين (الضمة) نقلت إلى الحــاء بعــد

---

(١) البحر ١٣٠/٦ ومعجم القراءات ٢٣٩/٥.
(٢) معجم القراءات ٢٣٩/٥.
(٣) معجم القراءات ٤٥/٧ ولمحتسب ١٥٢/٢.
(٤) البحر ٣٠١/٣.
(٥) مختصر فى شواذ القرآن ٣٣.

تسكينها بحذف حركتها. وأرى أن الصواب ما ذكرته من قبل، من مماثلة حركة الحاء لحركة السين (مماثلة رجعية) ثم حذفت حركة السين تخفيفاً: حَسُنَ > حُسُنَ > حُسْنَ.

وقد أشار الرضى إلى أن نقل حركة العين إلى الفاء جاز عن بعض العرب فى (فَعُل) الدال على التعجب، فيقال فيه على التخفيف (فُعْلَ) قال الأخطل:

فقلت اقتلوها عنكُمُ بمزاجها وحُبَّ بها مقتولةً حين تُقتلُ

فقوله حُبَّ دلالة على نقله إلى معنى التعجب [1]

وأصل حُبَّ: حَبَبَ بفتح العين، ثم حول إلى فَعُل بضم العين لإرادة المدح والتعجب، فصار (حَبُبَ) ثم نقلت حركة العين إلى الفاء بعد حذف حركتها فصار (حُبَّ) والأخطل من تغلب، وتغلب وبكر ابنا وائل من ربيعة، وهذا دليل على أن هذا التخفيف بعد النقل ليس فى تميم وحدها. [2]

٢- يحمل على فَعُل فى تخفيف العين بحذف حركتها نوعان من الكلمات فى القراءات القرآنية، أولهما: الضمير (هو) المسبوق ببعض حروف العطف ولام الابتداء، وثانيهما: حرف الإعراب. وهذان النوعان من باب إجراء المنفصل من كلمتين مجرى المتصل من كلمة واحدة.

وفيما يلى عرض أمثلة على ذلك.

أ- الضمير (هو) المسبوق ببعض حروف العطف ولام الابتداء

---

(١) شرح الشافية ١/٤٢ - ٤٣.

(٢) اللهجات العربية فى التراث ٢٤١.

- الواو+ هو (وَهُوَ) من قوله تعالى: {وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} البقرة ٢٩/٢. فقرأ (وَهْوَ) بتسكين الهاء نافع وأبو عمرو والكسائى وقالون وأبو جعفر والحسن واليزيدى، والإسكان لغة نجد[١].

وكذا من قوله تعالى: {وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ} البقرة ٨٥/٢ فقرأ بتسكين الهاء (وَهْوَ) أبو عمرو والكسائى وقالون وأبو جعفر[٢]. وهذا كثير فى القرآن الكريم[٣].

- الفاء+هو (فَهُوَ) من قوله تعالى:"فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ" البقرة ٢٧١/٢. قرأ بتسكين الهاء (فَهْوَ) نافع وأبو عمرو والكسائى وأبو جعفر وقالون والحسن واليزيدى[٤].

وكذا من قوله تعالى: {فَهُوَ الْمُهْتَدِي} الأعراف ١٧٨/٧ فقرأ بالتسكين أبو عمرو والكسائى وقالون[٥].

وهذا كثير فى القرآن الكريم [٦].

- ثم+هو (ثُمَّ هُوَ) من قوله تعالى: {ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ} القصص ٦١/٢٨ قرأ (ثُمَّ هْوَ)بتسكين الهاء من هو: قالون والكسائى وأبو جعفر بخلف عنه، ونافع بخلف عنه. والتسكين لغة نجد[٧].

---

(١) معجم القراءات ٧٢/١.

(٢) السابق ١٤٥/١.

(٣) راجع على سبيل المثال: معجم القراءات ١٥٢/١ – ١٧٨ – ٢٠٢ – ٢٧٩ – ٢٩٩ – ٢٦٣ و ٢/ ١٣٠ – ١٤٩ ١٦٣ – ١٧٨و ٣ / ١٠٣ -١٤٧ – ٦٣٤ و ٧/٤ – ١٥.

(٤) معجم القراءات ٣٩٥/١

(٥) السابق ٢٢١/٣.

(٦) راجع على سبيل المثال معجم القراءات ٢٨١/٢ – ٣٩٩ و ٢٧٧/٣ – ٣٤٥- و ٣١٠/٤- ٦٥٢- ٦٦٢ و ١٠٠/٥ – ١٢٣-١٦٨ و ١٠٨/٦ – ٤٣٢ و ٥٩/٧ – ٣٨٤ – ٣٩١ و ٣٧٦/٨.

(٧) معجم القراءات ٦٣/٧ – ٦٤ والاتحاف ٤٣٧

-لام الابتداء + هو (لَهُوَ) من قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ} آل عمران٣/٦٢ قرأ (لَهْوَ) بتسكين الهاء: نافع وأبو عمرو والكسائى وقالون وأبو جعفر [١] وكذا من قوله تعالى: {وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ} النحل ١٦/١٢٦. فقرأ بتسكين الهاء (لَهْوَ) القراء السابقون دون أبى جعفر. [٢] وذلك كثير فى القرآن الكريم. [٣]

ويلاحظ فيما سبق أن سبب التخفيف يعود إلى اعتبار أن حروف العطف ولام الابتداء لا يمكن لها الانفصال عما يليها، فأصبحت لشدة اتصالها بها بمثابة الكلمة الواحدة التى على زنة فَعُل، من هنا جاز التخفيف، وهذا ينطبق كذلك على الضمير هى الذى ذكرناه من قبل فى وزن فَعِل. يقول ابن جنى:" ووجه هذا أن هذه الأحرف لما كن على حرف واحد وضَعُفْنَ عن انفصالها وكان ما بعدها على حرفين، الأول منهما مضموم أو مكسور أشبهت فى اللفظ ما كان على فَعُل ... فخفف أوائل هذه كما يخفف ثوانى هذه، فصارت (وَهُوَ) كعَضُدِ، وصار (وَهْوَ) كعَضْدِ" [٤]

ويرى أن (ثم) لا تعامل معاملة الحروف السابقة- الواو والفاء واللام- لأن (ثم) هنا منفصلة يمكن الوقوف عليها، فلا تخلط بما بعدها وتصير معه كالكلمة الواحدة كما حدث مع الأحرف الثلاثة السابقة. [٥]

---

(١) معجم القراءات ١/٥١١

(٢) السابق ٤/٧٠٤.

(٣) راجع على سبيل المثال معجم القراءات ٦/٤٠٢ - ٤٢٨-٤٣٥ - ٤٤٠ - ٤٤٥ - ٤٥٠ - ٤٥٢ - ٤٦١ - ٤٩٠ و ٨/٣٢ - ٤٩ و ٩/٣٢٢.

(٤) الخصائص ٢/٣٢٩-٣٣٠ وانظر كذلك شرح الشافية ١/٤٥ وفقه اللغات السامية ٧٩.

(٥) الخصائص ٢/٣٣٠.

وبناء على ما سبق عُدَّ من باب الشذوذ تسكين الهاء من هو المسبوقة بالفعل (يُمِلَّ) فى قوله تعالى: {أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أن يُمِلَّ هُوَ} البقرة ٢٨٢/٢ فقرأ (يُملَّ هْوَ) بسكون الهاء: أبو جعفر بخلاف عنه، وقتيبة عن الكسائي، وأبو عون عن الحلوانى عن قالون.[١]

وسبب الشذوذ فى تلك القراءة أن الفعل (يُمِلَّ) يمكن الوقوف عليه، أى يستقل فى المعنى عن الضمير (هو) وهى أشذ من قراءة من قرأ (ثُمَّ هْوَ يوم القيامة) السابق لأن ثم للعطف ، وأنها لا يوقف عليها فيتم المعنى . وقراءة تسكين الهاء فى (يُملَّ هْوَ) من باب الحمل على (وَهْوَ – فَهْوَ– لَهْوَ). [٢]

ب– حرف الإعراب + ضمير النصب المتصل.

جاء فى القراءات القرآنية حمل حرف الإعرب مع ضمير النصب المتصل به على الكلمة الواحدة التى على زنة (فَعُل) فى تخفيف حرف الإعراب بحذف حركته وهى الضمة، لأنه مع الحرف الذى قبله والذى بعده على زنة (فَعْل) وهذا من باب إجراء المنفصل من كلمتين مجرى المتصل من كلمة واحدة، من ذلك:

١– (يلعَنُهم) من قوله تعالى: {أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ} البقرة ١٥٩/٢. قرأ ابن محيصن (يلعَنْهم) بسكون النون على التخفيف، وهى لغة تميم. [٣]

٢– (نَذَرُهُم) من قوله تعالى: {وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} الأنعام ١١٠/٦ قرأ الحسن وأبو رجاء وقتادة وسلام ويعقوب وعبد الله بن زيد والأعمش والهمذانى ٠(ويذَرْهُم) بالياء وتسكين الراء على التخفيف. [٤].

---

(١) كتاب التذكرة فى القراءات ٣٤٤/٢ والإتحاف ٢١٣ والنشر ٢٣٦/٢ ومعجم القراءات ٤١٥/١.

(٢) البحر ٣٦١/٢.

(٣) معجم القراءات ٢٢٢/١

(٤) المحتسب ٢٢٧/١ وراجع كذلك معجم القراءات ٥٢٤/٢ والأتحاف ٢٧١.

٣- (يِنفَعُهُم) من قوله تعالى: {فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ} غافر ٤٠/٨٥

قرأ الوليد بن مسلم عن ابن عامر (يِنفَعْهُم) بسكون العين على التخفيف. (١)

١: ٤ : فُعُلٌ

ولا يكون هذا البناء إلا فى الأسماء، مثل: الرُسُل والطُنُب والعُنُق ، فيقال عند تخفيف العين فيها : الرُسْل، والطُنْب، والعُنْق. يقول سيبويه عن سبب التخفيف: " وإذا تتابعت الضمتان فإن هؤلاء يخففون أيضاً، كرهوا ذلك كما يكرهون الواوين، وإنما الضمتان من الواوين، فكما تكره الواوان كذلك تكره الضمتان لأن الضمة من الواو. وذلك قولك: الرُسْل، والطُنْب، والعُنْق ، تريد: الرُسُل، والطُنُب والعُنُق". (٢)

وإذا كان الحرف الثانى واواً مضمومة كان التخفيف أشد، نحو: نُوُرٍ، وعُوُنٍ، وقُوُلٍ، فتصير : نُورٌ وعُونٌ ، وقُولٌ : لأنهم إذا سكنوا في غير الواو كالرُسُل والكُتُبِ كراهية الضمة فإن حاجتهم إلى التسكين عند وجود الواو والضمة أشد لثقلهما. (٣)

ويلاحظ هنا أن تخفيف نُوُرٍ وعُوُنٍ وقُوُلٍ مر بما يأتى

١- حذفت الواو لوقوعها بين حركتين متماثلتين

٢- أدمجت الحركتان فى حركة واحدة هى الضمة الطويلة

ن ـُ و ـُ ر ـُ ن / ع ـُ و ـُ ن ـُ ن / ق ـُ و ـُ ل ـُ ن > ن ـُ × ـُ ر ـُ ن/ ع ـُ × ـُ ن ـُ ن / ق ـُ × ـُ ل ـُ ن > ن ـُ ـُ ر ـُ ن/ ع ـُ ـُ ن ـُ ن/ ق ـُ ـُ ل ـُ ن.

(١) معجم القراءات ٨/٢٥٧.

(٢) الكتاب ٤/١١٤.

(٣) المنصف ١/٣٣٦.

وبالنظر إلى القراءات القرآنية يلاحظ أن الأسماء التى وردت مخففة على هذا البناء كثيرة سأعرضها مرتبة على حروف المعجم، وذلك على النحو التالي:

١- (الأُذْنَ) من قوله تعالى: {وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ} المائدة ٥/٤٥. قرأ نافع: (والأُذْنَ بالأُذْنِ) بالإسكان معرفاً ومنكراً حيث وقع. [١]

٢- (بالأُفُقِ) من قوله تعالى: {وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى} النجم ٥٣/٧ قُرِئَ (بالأُفْقِ) بسكون الفاء. [٢]

٣- (أُكُلٍ) من قوله تعالى: {ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ} سبأ ٢٤/١٦.

قرأ (أُكْلٍ) بتسكين الكاف: نافع وابن كثير وابن محيصن. وكذلك فعلوا فى:

- (الأُكُل) الرعد ١٣/١٤ قرأوا (الأُكْل)

- (أُكُلُه) الأنعام ٦/١٤١ قرأوا (أُكْلُه) [٣]

- (أُكُلَها) من قوله تعالى: {فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ} البقرة ٢/٢٦٥

قرأ (أُكْلَها) بتسكين الكاف: نافع وابن كثير وأبو عمرو خاصة فى أكلها حيث وقع، وابن محيصن واليزيدى والحسن[٤].

---

(١) راجع: الإقناع ٢/٦٣٤ وحجة القراءات ٢٢٧ وكتاب التذكرة فى القراءات ٢/٣٨٧ والتيسير ٨٢ والإتحاف ١٥٣ والنشر ٢/٢١٦ ومعجم القراءات ٢/٢٨٠ وقدوردت منكرة فى لقمان ٣١/٧ والحاقة ٦٩/١٢.

(٢) مختصر فى شواذ القرآن ١٤٧ ومعجم القراءات ٩/١٧٧.

(٣) كتاب التذكرة فى القراءات ٢/٣٤٠ والتيسير ١٤٦ ومعجم القراءات ٢/٥٦٩ و ٤/٣٨٢ و ٧/٣٥٥.

(٤) كتاب التذكرة فى القراءات ٢/٣٤٠ وحجة القراءات ١٤٦ والتيسير ٧٠ والإتحاف ١٨٥. والنشر ٢/٢١٦ ومعجم القراءات ١/٣٨٥ ووردت الكلمة كذلك فى الرعد ١٣/٣٥ وإبراهيم ١٤/٢٥ والكهف ١٨/٣٣.

٤- (بالبُخُلِ) فى قراءة من قوله تعالى: {وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ} النساء ٤/٣٧ والحديد ٥٧/٢٤ قرأ عيسى بن عمر والحسن وزيد بن على (بالبُخُلِ) بضم الخاء مثل (عُنُق) وهى لغة أسد، ولغة الحجاز كذلك فإنهم يثقلون ويخففون، وقرأ بالتسكين (بالبُخْلِ) ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم، وهى لغة تميم والحجاز. (١)

٥- (البُدُنَ) فى قراءة من قوله تعالى: {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ} الحج ٢٢/٣٦ قراءة ضم الباء (البُدُن) للحسن وعيسى بن عمر وأبو جعفر ونافع فى رواية وابن أبى إسحاق وشيبة، وقراءة التسكين (البُدْن) قراءة الجمهور. (٢)

٦- (بُشُرًا) فى قراءة من قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ} الأعراف ٧/٥٧ قراءة ضم الشين (بُشُرًا) لابن عباس والسُّلَمِيّ وابن أبى عبلة وحفص عن عاصم. وقراءة التسكين (بُشْرًا) لعاصم والسلمى وعلى بن طالب وابن خُثَيْم وابن حذلم. (٣)

٧- (ثُلُثا - الثُّلُث) من قوله تعالى: {فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ .. فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ} النساء ٤/١١ قرأ الحسن ونعيم بن ميسرة (ثُلْثا- الثُّلْث) وقرأ الأعرج بتسكين الثُّلْث فقط، وهى لغة ربيعة وتميم. (٤)

---

(١) معجم القراءات ٢/٦٩ و ٩/٣٤٦.

(٢) السابق ٦/١١٤ وراجع كذلك مختصر فى شواذ القرآن ٩٧ والإتحاف ٣٩٨.

(٣) معجم القراءات ٣/٧٦ وراجع فى قراءة التسكين الإقناع ٢/٦٤٧ والنشر ٢/٢٦٩- ٢٧٠ وحجة القراءات ٢٨٦.

(٤) مختصر فى شواذ القرآن ٣١ ومعجم القراءات ٢/٢٦ - ٢٩.

- (ثُلُثَه) من قوله تعالى: {وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّـذِينَ مَعَـكَ} المزمـل ٢٠/٧٢ قرأ بالتسكين (ثُلْثَه) ابن كثير.[1]

- (ثُلُثَيْ) من قوله تعالى: {أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْـلِ وَنِصْـفَهُ} المزمـل ٢٠/٧٢ قرأ بالتسكين (ثُلْثَى) الحسن وشيبة وأبو حيوة وابـن السـميفع وابـن المجاهد عن قنبل والحلوانى عن هشام بن عمار عن ابن عـامر ونـافع فـى رواية.[2]

٨- (ثُمُرِه) فى قراءة من قوله تعالى: {انظُرُواْ إِلِـى ثَمَـرِهِ} الأنعـام ٩٩/٦ قرأ بضم الثاء والميم (ثُمُرِة) جمع ثَمَرَة: ابن وثاب ومجاهـد وحمـزة والكسائى وخلف والأعمش، وقرأ بتسكين الميم (ثُمْرِه) الأعمش.[3] وكذلك فى يس ٣٥/٣٦ "لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ".[4]

٩- (الثُّمُنُ) من قوله تعالى: {فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم} النسـاء ١٢/٤ قرأ بتسكين الميم (الثُّمْنُ) الأعرج والحسن ونعيم بن ميسرة.[5]

١٠- (جُدُرٍ) من قوله تعالى: {لاَ يُقَـاتِلُونَكُمْ جَمِيعًـا إِلاَّ فِـي قُـرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ} الحشر ١٤/٥٩ قرأ بتسكين الدال (جُدْر) أبو رجاء

(١) مختصر فى شواذ القرآن ١٦٤ والإتحاف ١٨٦ و ٥٦١ ومعجم القراءات ١٥١/١٠.
(٢) معجم القراءات ١٥٠/١٠ والقارئ هو هشام فى التيسير ١٧٥ والنشر ٢١٧/٢.
(٣) الاتحاف ٢٧٠ ومعجم القراءات ٥٠٢/٢ – ٥٠٣ وراجع كذلك التيسير ٨٧ والنشر ٢٦٠/٢ والإقناع ٦٤١/٢.
(٤) معجم القراءات ٤٨٣/٧-٤٨٤ وراجع حجة القراءات ٥٩٨.
(٥) مختصر فى شواذ القرآن ٣١ ومعجم القراءات ٣٠/٢

والحسن وابن وثاب والأعمش والسلمى وأبو حيوة ورويت عن ابن كثير وعاصم فى رواية وعلى بن أبى طالب وعكرمة والحسن. (١)

١١- (الجرُزِ) من قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ} السجدة ٢٧/٣٢ قُرِئَ بتسكين الراء (الجُرْز). (٢)

١٢- (جُرُفِ) من قوله تعالى: {عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ} التوبة ١٠٩/٩ قرأ بتسكين الراء (جُرْفٍ) حمزة وابن عامر وأبو بكر عن عاصم وخلف ويحيى وحماد وابن ذكوان وهشام برواية الحلوانى والحسن والأعمش. (٣)

١٣-(جُزْءًا) فى قراءة من قوله تعالى: {ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا} البقرة ٢٦٠/٢ ومن قوله تعالى: {لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ} الحجر ٤٤/١٥ قرأ بضم الزاى فى الموضعين (جُزُءًا- جُزُءٌ) أبو بكر عن عاصم وأبو جعفر والمفضل فى الموضع الأول وأبو بكر عن عاصم وابن وثاب فى الثانى. أما قراءة تسكين الزاى (جُزْءًا- جُزْءٌ) فهى قراءة الجمهور ، وهى لغة تميم وأسد، والأولى لغة الحجازيين. (٤)

١٤- (الجُمُعَةِ) من قوله تعالى: { إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ} الجمعة ٩/٦٢ قرأ بتسكين الميم (الجُمْعَةِ) ابن الزبير وأبو حيوة وابن عبلة وزيد بن على والأعمش والمطوعى والسلمى وأبو عمرو فى رواية عبد

---

(١) معجم القراءات ٣٩٩/٩ وراجع كذلك الإتحاف ٥٣٨ ومختصر فى شواذ القرآن ١٥٥ والمحتسب ٣١٦/٢.

(٢) البحر ٢٠٠/٧ ومعجم القراءات ٢٣٨/٧.

(٣) راجع: الإقناع ٦٥٩/٢ وحجة القراءات ٣٢٤ وكتاب التذكرة فى القراءات ٤٤٤/٢ والإتحاف ٢٠٧ والنشر ٢١٦/٢ ومعجم القراءات ٤٥٩/٣.

(٤) معجم القراءات ٣٧٨/١ و ٥٥٣/٤ وراجع كذلك: الإقناع ٦١١/٢ وكتاب التذكرة فى القراءات ٣٣٩/٢ وحجة القراءات ١٤٥ والتيسير ٧٠ والإتحاف ١٨٥ والنشر ٢١٦/٢.

الوارث عنه، وأبو رجاء وعكرمة والزهرى وابن أبى ليلى وأبو بكر عن عاصم وابن صالح وابن حرب كلاهما عن حمزة . وقيل هى لغة عقيل. (١)

١٥- (جُنُباً) من قوله تعالى: {وَلاَ جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُواْ} النساء ٤٣/٤ قرأ بالتسكين (جُنْباً) فرقة. (٢)

١٦- (جُنُبٍ) من قوله تعالى: {فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ} القصص ١١/٢٨ قرأ بتسكين النون (جُنْبٍ) الحسن. (٣)

١٧- (الحُجُراتِ) من قوله تعالى: { {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} الحجرات ٤/٤٩ قرأ بتسكين الجيم (الحُجْراتِ) أبو رزين وسعيد بن المسيب وابن أبى عبلة. (٤)

١٨- (حُرُمٌ) من قوله تعالى: {غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ} المائدة ١/٥ قرأ بتسكين الراء (حُرْمُ) الحسن ويحيى بن وثاب وإبراهيم النخعى ، وهى لغة تميمية كما يقولون فى كُتُبٍ: كُتْبٍ، وفى رُسُلٍ : رُسْلُ. (٥)وكذا (حُرُماً) (٦) فى المائدة ٩٦/٥.

١٩- (حُرُماتِ) من قوله تعالى : {وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ} الحج ٣٠/٢٢ قرأ بتسكين الراء (حُرْمات) عباس وعَدِىّ الأزرق كلهم عن أبى عمرو. (٧)

---

(١) معجم القراءات ٤٦٠/٩ وراجع كذلك مختصر فى شواذ القرآن ١٥٧ والإتحاف ٥٤٢.

(٢) معجم القراءات ٧٩/٢.

(٣) البحر ١٠٣/٧ ومعج القراءات ١٥/٧.

(٤) مختصر فى شواذ القرآن ١٤٤ ومعجم القراءات ٧٧/٩ – ٧٨.

(٥) المحتسب ٢٠٥/١ ومختصر فى شواذ القرآن ٢١٦/٢ ومعجم القراءات ٢١٦/٢.

(٦) معجم القراءات ٣٤٤/٢.

(٧) السابق ١٠٨/٦.

٢٠- (حُسْناً) فى قراءة من قوله تعالى: {وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً} البقرة ٨٣/٢ قرأ بضم السين (حُسُناً) عطاء بن أبى رباح وعيسى بن عمر، وقـراءة الجماعة بتسكينها (حُسْناً).[١]

٢١- (حُقُباً) من قوله تعالى: {أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا} الكهف ٦٠/١٨ قـرأ بتسكين الحاء (حُقْباً) الحسن والضحاك والأعمش وأبو رزيـن وأبـو مجلـز وقتادة والجحدرى وابن يعمر.[٢]

٢٢- (الحُلُم) من قوله تعالى: {وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِـنكُمْ} النـور ٥٨/٢٤ قرأ بتسكين اللام (الحُلْم) أبو عمرو برواية عبـد الـوارث ويـونس والحسن والمطوعى وابن عمر.[٣] وكذا فى النور ٥٩/٢٤.

٢٣- (حُمُرٌ) من قوله تعالى: {كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ} المـدثر ٥٠/٧٤ قرأ بتسكين الميم (حُمْرٌ) الأعمش.[٤]

٢٤- (خُشُبٌ) من قوله تعالى: {كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ} المنافقون ٤/٦٣ قرأ بتسكين الشين (خُشْبٌ) البراء بن عازب والأعمش وقنبل والمفضـل عـن عاصم والكسائى وابن كثير وأبو عمرو واليزيدى وعبد الوارث.[٥]

---

(١) البحر ٤٥٣/١ وكتاب التذكرة فى القراءات ٣١٦/٢ والنشر ٢١٨/٢ ومختصر فى شواذ القرآن ١٥ ومعجم القراءات ١٤٠/١.

(٢) معجم القراءات ٢٥٣/٥ وراجع كذلك البحر ١٣٧/٦ ومختصر فى شواذ القرآن ٨٤.

(٣) معجم القراءات ٢٩٩/٦ و ٣٠٢ وراجع كذلك البحر ٤٣٣/٦ والإتحاف ٤١٣ ومختصر فى شواذ القرآن ١٠٤.

(٤) معجم القراءات ١٧٣/١٠.

(٥) السابق ٤٦٩/٩ وراجع كذلك الإقناع ٧٨٧/٢ والتيسير ١٧١ والإتحاف ١٨٦ و ٥٤٣ والنشر ٢١٦/٢.

٢٥- (خلْق) من قوله تعالى: {إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الْأَوَّلِينَ} الشعراء ١٣٧/٢٦. قرأ بتسكين اللام (خلْق) أبو قلابة والأصمعى عن نافع وابن عباس وعكرمة والجحدرى. (١)

٢٦- (خمْسَهُ) من قوله تعالى: {فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ} الأنفال ٤١/٨ قرأ بتسكين الميم (خُمْسَهُ) الحسن وعبد الوارث وخارجة واللؤلؤى كلهم عن أبى عمرو. (٢)

٢٧- (دُبْرَهُ) من قوله تعالى: {وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ} الأنفال ١٦/٨ قرأ بتسكين الباء (دُبْرَهُ) الحسن وهى لغة تميم وأسد وعامة قيس (٣)

٢٨- (دُسْرٍ) من قوله تعالى: {وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ} القمر ١٣/٥٤ قُرِئَ بتسكين السين (دُسْرٍ).(٤)

٢٩- (رُبُطِ) فى قراءة من قوله تعالى: {وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} الانفال ٦٠/٨ قرأ (رُبُطِ) جمع رباط مثل كتاب وكُتُب: الحسن وأبو حيوة وعمرو بن دينار، وقرأ بتسكين الباء (رُبْطِ) الحسن وأبو حيوة أيضاً. (٥)

---

(١) معجم القراءات ٤٤٥/٦ وراجع كذلك مختصر فى شواذ القرأن ١٠٩

(٢) معجم القراءات ٢٩٥/٣.

(٣) البحر ٤٧٠/٤ والإتحاف ٢٩٧ ومعجم القراءات ٢٧٣/٣.

(٤) معجم القراءات ٢٢٣/٩

(٥) البحر ٥٠٧/٤ ومعجم القراءات ٣١٩/٣ وراجع كذلك: مختصر فى شواذ القرآن ٥٥ والإتحاف ٢٩٩.

٣٠- (الرُّبْعُ) من قولة تعالى: {فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ} النســاء ١٢/٤ قرأ بتسكين الباء (الرُّبْعُ) الأعرج والحسن ونعيم بن ميسرة. [١]

٣١- (زُبْراً) من قوله تعالى: {فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا} المؤمنــون ٥٣/٢٣ قرأ بتسكين الباء (زُبْراً) عبد الوهاب، عن أبى عمرو وابن الجــوزاء وابن السميفع. [٢]

٣٢- (سُبْلَنا) من قوله تعالى:{وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا} إبراهيم ١٢/١٤ قــرأ بتسكين الباء (سُبْلَنا) أبو عمرو واليزيدى والحســن[٣] وكــذا فــى العنكبــوت ٦٩/٢٩.

٣٣- (السُّحُتِ) فى قراءة، من قوله تعالى: {أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ} المائــدة ٤٢/٥ قرأ بضم الحاء (السُّحُتِ) ابن كثير وأبو عمرو والكسائى وأبــو جعفــر وسهل ويعقوب، وقرأ بتسكينها (السُّحْت) نافع وابن عامر وعاصــم وحمــزة وخلف والأعمش. [٤]

٣٤- (السُّدْسُ) من قوله تعالى: {لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ .... فَلأُمِّهِ السُّدُسُ} النساء ١١/٤ قرأ بتسكين الدال (السُّدْسُ) الحسن ونعيم بــن ميســرة والأعرج وأبو رجاء العطاردى، وهى لغة تمــيم وربيعــة. [٥] وكــذا النســاء ١٢/٤.

---

(١) مختصر فى شواذ القرآن ٣١ ومعجم القراءات ٣٠/٢.
(٢) معجم القراءات ١٨٣/٦.
(٣) السابق ٤٦٢/٤ وراجع كذلك : الإتحاف ٣٤١ - ٣٤٢ والنشر ٢١٦/٢.
(٤) معجم القراءات ٢٧٥/٢ وراجع كذلك: الإقناع ٦٣٤/٢ وكتاب التذكرة فى القراءات ٣٨٦/٢ وحجة القراءات ٢٢٥. والتيسير ٨٢ والإتحاف ٢٥٣ والنشر ٢١٦/٢.
(٥) معجم القراءات ٢٨/٢ وراجع مختصر فى شواذ القرآن ٣١.

٣٥- (سُقْفاً) من قوله تعالى: {لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ} الزخرف ٣٣/٤٣. قرأ بتسكين القاف (سُقْفاً): أبو رجاء ومجاهد جمع سَقْف، كرَهْنٍ ورُهْنٍ ورُهْن. [١]

٣٦- (سُلْفاً) فى قراءة ، من قوله تعالى: {فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِلْآخِرِينَ} الزخرف٥٦/٤٣ قرأ بضم السين واللام (سُلُفًا) ، أبو عبد الله وأصحابه وسعيد بن عياض والأعمش ويحي بن وثاب وطلحة والأعرج وخلف وحمزة والكسائى وعبد الله بن مسعود وأصحابه وحميد بن قيس، جمع سليف كرغيف ورُغُف، أوسَلَف كأسد وأُسُد. وقرأ بضم السين وسكون اللام (سُلْفاً) أبو رجاء ومجاهد، وهى لغة تميم. [٢]

٣٧- (شُغْلٍ) من قوله تعالى: {إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ} يس ٥٥/٣٦ قرأ بتسكين الغين (شُغْلٍ) نافع وابن كثير وأبو عمرو وروح عن يعقوب وعياش وابن محيص واليزيدى والحسن وابن مسعود وابن عباس ومجاهد والحسن وطلحة وخالد بن إياس. [٣]

٣٨- (صُحْفِ) من قوله تعالى: {أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى} النجم ٣٦/٥٣ قُرِئَ بتسكين الحاء (صُحْفِ). [٤]

- (الصُّحُفُ) من قوله تعالى: {وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ} التكوير ١٠/٨١ قرأ بسكون الحاء (الصُّحْفُ) الخفاف والرؤاسى والهمذانى كلهم عن أبى عمرو وطلحة بن مصرف. [٥]

---

(١) معجم القراءات ٣٧٠/٨.

(٢) السابق ٣٨٧/٨ - ٣٨٨ وراجع كذلك الإقناع ٧٦١/٢ وحجة القراءات ٦٥١ والتيسير ١٥٩ والإتحاف ٤٩٦ والنشر ٣٦٩/٢.

(٣) معجم القراءات ٥٠٢/٧ - ٥٠٣ وراجع كذلك الإتحاف ١٨٦.

(٤) معجم القراءات ١٩٧/٩.

(٥) السابق ٣٢٥/١٠.

- (الصُّحُفِ) من قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى} الأعلى ١٨/٨٧ قرأ بالتسكين (الصُّحْفِ) الأعمش، وهارون وعصمة كلاهما عن أبى عمرو، وهى لغة تميم. (١)

٣٩- (ظُفُرٍ) من قوله تعالى: { حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ} الأنعام ١٤٦/٦ قرأ بتسكين الفاء (ظُفْرٍ) أُبَيّ والحسن والأعرج والأعمش. (٢)

٤٠- (عُرُبًا) من قوله تعالى: {عُرُبًا أَتْرَابًا} الواقعة ٣٧/٥٦ قرأ بتسكين الراء (عُرْباً) حمزة وشجاع وعباس والأصمعى عن أبى عمرو، وخارجة وكروم وأبو خليد عن نافع، وحماد ويحيي عن أبى بكر وأبان عن عاصم، وإسماعيل وخلف والأعمش. وهى لغة تميم وبكر ونجد. (٣)

٤١- (عُرْفاً) فى قراءة من قوله تعالى: {وَالْمُرْسَلاَتِ عُرْفًا} المرسلات١/٧٧ قرأ بضم الراء (عُرُفاً) الحسن وعيسى بن عمر، وهى لغة الحجازيين، وسكنها (عُرْفاً) الجمهور، وهى لغة تميم وأسد وقيس. (٤)

٤٢- (عُسُراً) فى قراءة، من قوله تعالى: {وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا} الكهف ٧٣/١٨ قرأ بضم السين (عُسُراً) أبو جعفر وعيسى بن عمر ويحي بن وثاب وأبو عمرو، وهى لغة الحجازيين، وقرأ بتسكينها (عُسْراً) الجمهور، وهى لغة تميم وأسد وعامة قيس. (٥)

---

(١) السابق ٣٩٢/١٠.

(٢) البحر ٢٤٥/٤ ومعجم القراءات ٥٧٨/٢-٥٧٩ وراجع كذلك مختصر فى شواذ القرآن ٤٧ والإتحاف٢٧٧.

(٣) معجم القراءات ٣٠١/٩ وراجع كذلك الإقناع ٧٨٠/٢ والتيسير ١٦٨ والإتحاف ١٨٦ و٥٣٠ والنشر٢١٦/٢.

(٤) معجم القراءات ٢٣٥/١٠ وراجع كذلك الإتحاف ٥٦٧.

(٥) مختصر فى شواذ القرآن ٨٤ والبحر ١٤١/٦ ومعجم القراءات ٢٦٦/٥.

٤٣- (عقُباً) فى قراءة ، من قوله تعالى: {هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا} الكهف ٤٤/١٨ قرأ بضم القاف (عقُباً) ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائى وأبو جعفر ويعقوب، وقرأ بتسكينها (عقْباً) عاصم وحمــزة وخلــف والحسن والأعمش ويحي بن وثاب. [1]

٤٤- (عمُراً) من قوله تعالى: {فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا} يــونس ١٠/١٦ قرأ بتسكين الميم (عمْراً) الأعمش والحسن، والخفاف وعبيد واللؤلــؤى كلهــم عن أبى عمرو. [2]

وقرأ أبو عمرو بالتسكين كذلك فى الحج ٥/٢٢ (العمُر) ومعه نافع[3] وفى الشعراء ١٨/٢٦ (عمُرِكَ)[4] وفى غافر ١١/٣٥ (عمُرِه) ومعــه هنــا يعقوب والمطوعى والحسن وابن سيرين والأعرج. [5]

٤٥- (عنُقِه) من قوله تعالى: {وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِــهِ} الإسراء ١٣/١٧ قرأ بتسكين النون (عنْقِه) أحمد بن موسي واللؤلؤى عن أبى عمرو. [6]

٤٦- (غلُفُ) فى قرأءة من قوله تعالى: {وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ} البقــرة ٨٨/٢ والنساء ١٥٥/٤ قرأ بضم اللام (غلُفُ) ابن عباس وابن هرمــز وابــن محيصن واللؤلؤى عن أبى عمرو وسعيد بن جبير والحسن البصرى وعمــرو

---

(١) الاتحاف ٣٦٧ والنشر ٢١٦/٢ ومعجم القراءات ٢٢٦/٥ - ٢٢٧ وراجع كذلك الإقناع ٦٩٠/٢ وحجة القراءات ٤١٩.

(٢) معجم القراءات ٥١٥/٣ وراجع كذلك البحر ١٣٧/٥.

(٣) البحر ٣٢٨/٦ ومختصر فى شواذ القرآن ٩٦ وحجة القراءات ٨٣/٦.

(٤) مختصر فى شواذ القرآن ١٠٧ ومعجم القراءات ٤٠٦/٦

(٥) معجم القراءات ٤١٨/٧

(٦) مختصر فى شواذ القرآن ٧٩ ومعجم القراءات ٢٦/٥ وراجع كذلك البحر ١٤/٦

ابن عبيد والفضل الرقاشى وابن أبى إسحاق والأعمش، جمع غلاف. وقــراءة التسكين (غُلْفٌ) للجمهور[1].

٤٧- (فُرُشٍ) من قوله تعالى: {مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ} الــرحمن ٥٤/٥٥ ومن قوله تعالى:" {وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ} الواقعة ٣٤/٥٦. قــرأ بتســكين الــراء (فُرْشٍ) أبو حيوة[2].

٤٨- (فُرُطاً) من قوله تعالى: {وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} الكهف ٢٨/١٨ قرأ بتسكين الراء (فُرْطاً) مَسْلَمَةُ بن محارب والأعشى والحسن. [3]

٤٩-(قُبُلاً) من قوله تعالى: {وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُــبُلاً} الأنعــام ١١١/٦ ومن قوله تعالى: {أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً} الكهف ٥٥/١٨ قرأ بتسكين الباء (قُبْلاً) الحسن وأبو رجاء وأبو حيوة. [4]

٥٠-(قُبُلٍ) من قوله تعالى: {إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُــلٍ فَصَــدَقَتْ} يوسف ٢٦/١٢ قرأ بتسكين الباء (قُبْلٍ) الحسن ومحبوب عن أبى عمرو. وهى لغة الحجاز وأسد. [5]

٥١- (القُدُسِ) من قوله تعالى: {وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ} البقــرة ٨٧/٢ وكذا فى المائدة ١١٠/٥ والنحل ١٠٢/١٦.

قرأ بتسكين الدال (القُدْسِ) مجاهد وابن كثير وابن محيصن. [6]

---

(١) معجم القراءات ١٤٩/١ و ١٩٣/٢ وراجع كذلك البحر ٤٦٩/١ ومختصر فى شواذ القرآن ١٥.

(٢) مختصر فى شواذ القرآن ١٥٢ ومعجم القراءات ٢٧٥/٩ و ٣٠٠

(٣) معجم القراءات ١٩٥/٥

(٤) السابق ٥٢٦/٢ و ٢٤٤/٥-٢٤٥ وراجع كذلك البحر ٢٠٨/٤ ومختصر فى شواذ القرآن ٨٤.

(٥) البحر ٢٩٧/٥ ومعجم القراءات ٤٣٢/٤ وراجع كذلك مختصر فى شواذ القرآن ٦٧.

(٦) البحر ٤٦٧/١ ومعجم القراءات ١٤٨/١ و ٢٦٤/٢ و ٦٨٧ وراجع الإتحاف ١٨٤ والنشر ٢١٦/٢.

٥٢- (للكُتُبِ) من قوله تعالى: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ} الأنبياء٢١/١٠٤ قرأ بتسكين التاء (للكُتْبِ) الأعمش. [١]

٥٣- (كُفُواً) من قوله تعالى: {وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ} الإخلاص ١١٢/٤ قرأ بتسكين الفاء (كُفْواً) حمزة ويعقوب وخلف. [٢]

٥٤- (نزُلاً) من قوله تعالى: {نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللّهِ} آل عمران ٣/١٩٨ قرأ بتسكين الزاى (نُزْلاً) الحسن والنخعى ومَسْلَمَةُ بن محارب والأعمش والمطوعى. [٣]

وقرأ كذلك بالتسكين أبو عمرو بخلاف عنه وأبو حيوة (نُزْلاً). [٤] فى الكهف ١٨/١٠٢-١٠٧ وكذا فى فصلت ٤١/٣٢. [٥]

٥٥-(نسُكٍ) من قوله تعالى: {فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ} البقرة ٢/١٩٦ قرأ بتسكين السين (نُسْكٍ) الحسن، والزهرى والسُّلَمى ونعيم وابن أبى حماد والجعضى، كلهم عن عاصم. [٦]

- وبالتسكين كذا فى (نُسْكى) الأنعام ٦/١٦٢ للحسن وأبى حيوة والسُّلَمِى. [٧]

---

(١) البحر ٦/٣١٧ ومعجم القراءات ٦/٦٥

(٢) الإتحاف ١٨١ والنشر ٢/٢١٦

(٣) البحر ٣/١٥٤ ومعجم القراءات ١/٦٥١ وراجع كذلك مختصر فى شواذ القرآن ٣٠ والإتحاف ٢٣٥

(٤) مختصر فى شواذ القرآن ١٨٥ والبحر ٦/١٥٧ ومعجم القراءات ٥/٣١٦ و ٣٢٠.

(٥) البحر ٧/٤٧٥ ومعجم القراءات ٨/٢٨٤

(٦) معجم القراءات ١/٢٦٩ وراجع كذلك: مختصر فى شواذ القرآن ١٩ والبحر ٢/٨٤.

(٧) البحر ٤/٢٦٢ ومعجم القراءات ٢/٦٠١ وراجع كذلك مختصر فى شواذ القرآن ٤٧.

٥٦-(النُّصُبِ) من قوله تعالى: {وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ} المائدة ٣/٥

قرأ بتسكين الصاد (النُّصْبِ) طلحة بن مصرف، وابن كثير فى رواية. [(١)]

٥٧- (نُكُراً) فى قراءة ، من قوله تعالى: {لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا} الكهف ٧٤/١٨ وفى الكهف ٨٧/١٨ كذلك " فيعذبه عذاباً نكراً".

قرأ بضم النون والكاف (نُكُراً) نافع من رواية ابن جمّاز ، وكذا قالون ونصر عن الأصمعى عن نافع، وأبو بكر عن عاصم، وابن عامر، وابن ذكوان، وأبو جعفر، ويعقوب، وسهل، وشيبة، وحماد، وطلحة. وهى لغة الحجازيين.

وقرأ بتسكين الكاف (نُكْراً) ابن كثير وأبو عمرو وإسماعيل عن نافع وحمزة والكسائى وحفص عن عاصم وخلف وهشام . وهى لغة تميم وأسد وقيس. [(٢)]

- (نُكُرٍ) من قوله تعالى: {يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ} القمر ٦/٥٤

قرأ بتسكين الكاف (نُكْرٍ) الحسن وابن كثير وشبل وابن مسعود وابن محيصن، وقراءة الضم للجمهور. [(٣)]

٥٨- (هُزُواً) من قوله تعالى: {قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُـزُواً} البقرة ٦٧/٢ قر بتسكين الزاى مع الهمز (هُزْءاً) حمزة وإسماعيل وخلف فى اختياره ويعقوب والمطوعى والقزاز عن عبد الوارث والمفضل ونافع برواية إسماعيل. [(٤)]

---

(١) البحر ٤٣٩/٣ ومختصر فى شواذ القرآن ٣٧ و معجم القراءات ٢٢٦/٢.

(٢) معجم القراءات ٢٦٨/٥-٢٦٩ وراجع كذلك كتاب التذكرة فى القراءات ٥١٣/٢ والإقناع ٦٩١/٢ وحجة القراءات ٤٢٤ والتيسير ١١٨ والإتحاف ١٨٦.

(٣) معجم القراءات ٢١٨/٩ وراجع كذلك الإقناع ٧٧٧/٢ والتيسير ١٦٦ والإتحاف ١٨٦ والنشر ٢١٦/٢.

(٤) معجم القراءات ١٢١/١ وراجع كذلك كتاب التذكرة فى القراءات ٣١٥/٢ والتيسير ٦٣ والإتحاف ١٨١.

- وبالتسكين كذلك بدون همز فى المائــدة ٥/٥٧- ٥٨ " {لاَ تَتَّخِــذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزْوًا وَلَعِبًا }.[1]

ملاحظة:

يحمل على ما سبق فى تسكين الحرف الثانى تخفيفاً حرف الإعــراب من الفعل المضارع فى حالة الرفع وقبله حرف مضموم وبعده ضمير نصــب متصل من حرفين أوله مضموم (كُمْ- هُمْ - هُنَّ) أو من حــرف واحــد هــو ضمير الغائب. وهذا من إجراء المنفصل من كلمتين مجرى المتصل من كلمة واحدة، فكلاهما على زنة (فُعْل) وفيما يلي عرض الأمثلة الدالة على ذلك.

١- (يأكُلُهُنَّ) - (كُلُهُنَّ) من قوله تعالى: {إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ} يوسف ١٢/٤٣. قرأ ابن محيصن بسكون اللام حــرف الإعراب (يأكُلْهُنَّ). [2]

٢-(يأْمُرُكَمْ) -(مُرُكُمْ) وهذا فى سبعة مواضع فى القرأن الكريم، هى:

- {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً} البقرة ٢/٦٧.
- {بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ} البقرة ٢/٩٣.
- {إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء} البقرة ٢/٢٦٩.
- {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء} البقرة ٢/٢٦٨
- { وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا أَيَــأْمُرُكُم بِــالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ} آل عمران ٣/٨٠.
- {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} النساء ٤/٥٨.

---

(١) معجم القراءات ٢/٢٩٦ وراجع كذلك: الإتحاف ١٨١ و ٢٥٤ والنشر ٢/ ٢١٥-٢١٦.

(٢) معجم القراءات ٤/٢٦٩.

٣-(يأمُرُهُمْ) – (مُرُهُمْ) من قوله تعالى: {يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ} الأعراف ١٥٧/٧.

٤- (تأمُرُهُمْ) – (مُرُهُمْ) من قوله تعالى: {أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَـذَا} الطور ٣٢/٥٢

قرأ بتسكين الراء حرف الإعراب فيما سبق أبو عمرو فيما نقله السوسي عنه وكذا ابن محيصن (يأمُرْكُمْ – يأمُرْهُمْ – تأمُرْهُمْ). [١]

٥- (نحشُرُهُ) – (شُرُهُ) من قوله تعالى: {وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} طه ١٢٤/٢٠ قرأ بتسكين الراء فرقة منهم أبان بن تغلب (نحشُرْهُ) والتسكين إما تخفيفاً لتوالى الحركات، وإما مجزوم عطفاً على موضع جواب الشرط وهو قوله تعالى:"فَإِنَّ لَهُ معيشةً ضَنْكَى"[٢]

٦- (ينصُرُكُمْ) – (صُرُكمْ) فى موضعين ، هما:

- {فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ} آل عمران ١٦١/٣.

- {أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ} الملك ٢٠/٦٧.

قرأ أبو عمرو بسكون الراء حرف الإعراب تخفيفاً (ينصُرْكُمْ). [٣]

---

(١) راجع فيما سبق: كتاب التذكرة فى القراءات ٣١٣/٢- ٣١٤ والإقناع ٥٩٨/٢ وحجة القراءات ٩٧ والتيسير ٦٣ والإتحاف ١٨٧ والنشر ٢١٢/٢ ومعجم القراءات ١٢٠/١ – ١٥٤ – ٢٣١ – ٣٩٠- ٥٣١- و ٩٣/٢ و ١٨١/٣ و١٦٣/٩-١٦٤.

(٢) المحتسب ٩٠/٢ ومعجم القراءات ٥٠٩/٥.

(٣) حجة القراءات ٩٧ والإتحاف ٥٥١ ومعجم القراءات ٦١١/١ و ١٤/١٠.

١ : ٥: فَعَلٌ

ولا يكون هذا البناء إلا فى الأسماء، وسيبويه لا يرى تخفيف العين فى هذا البناء لأن العين مفتوحة، والفتح أخف من الكسر والضم، يقول: "وأما ما توالت فيه الفتحتان فإنهم لا يسكنون منه، لأن الفتح أخف عليهم من الضم والكسر، كما أن الألف أخف من الواو والياء ...وذلك نحو: جَمَلٍ وحَمَلٍ، ونحو ذلك" [١]

ويرى الكوفيون أن ما ورد على فَعَل مفتوح العين وساكنها وكانت العين حرف حلق أن الفتح أصل والتسكين فرع عليه، وذلك لمناسبة حرف الحلق للفتح، نحو: البَحْرِ والبَحَرِ، والشَعَرِ والشَعْرِ، أما البصريون فيرون أنهما لغتان، وليس التسكين تخفيفاً من الفتح كما رأى الكوفيون. [٢]

وبمطالعة القراءات القرآنية وجدت أن تسكين العين فى الأسماء التى على زنة فَعَل للتخفيف ظاهرة شائعة سواء كانت العين حرف حلق أو غيره، وهذا يؤكد على أن تخفيف العين جائز. وفيما يلي عرض الأمثلة التى عثرت عليها مرتبة على حروف المعجم.

١- (البَعَثِ) فى قراءة، من قوله تعالى: {إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم} الحج ٢٢/٥ قرأ بفتح العين (البَعَثِ) الحسن بن أبى الحسن، وقراءة الجماعة بتسكين العين تخفيفاً (البَعْثِ) على رأى الكوفيين. [٣]

٢- (ثَمَرٌ) من قوله تعالى: {وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ} الكهف ١٨/٣٤. قرأ بتسكين الميم (ثَمْرٌ) أبو رجاء فى رواية. [٤]

---

(١) الكتاب ٤/١١٥.

(٢) شرح الشافية ١/٤٧ والبحر ٦/٣٢٧ ومعجم القراءات ٦/٧٩.

(٣) البحر ٦/٣٢٧ ومعجم القراءات ٦/٧٩.

(٤) البحر ٩/١١٩ ومعجم القراءات ٥/٢٠٧.

٣- (ثَمْراتُ) من قوله تعالى: {يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ} القصص ٥٧/٢٨ قُرِئَ بتسكين الميم تخفيفاً (ثَمْرَاتُ). [١]

٤- (الجمْلُ) من قوله تعالى: {حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ} الأعراف ٤٠/٧ قرأ بتسكين الميم ،الجَمْلُ) المتوكل وأبو الجوزاء وأبو السَّمَّال. [٢]

٥- (خطْأ) من قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ} النساء ٩٢/٤ قرأ بتسكين الطاء (خطْأ) عبيد بن عمير. [٣]

٦- (دَأْباً) من قوله تعالى: {قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا} يوسف ٤٧/١٢ قرأ بتسكين الهمزة (دَأْباً) ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم وحمزة والكسائى وأبو جعفر ويعقوب، مع ملاحظة أن أبا عمرو يبدل الهمزة ألفاً فى الوصل. [٤]

٧- (رَغْباً- رَهْبًا) من قوله تعالى: {وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا} الأنبياء٢١/٩٠. قرأ بتسكين الغين والهاء (رَغْباً- رَهْباً) ابن وثاب والأعمش ووهيب بن عمرو والنحوى وهارون وأبو معمر والأصمعى واللؤلؤى ويونس وأبو زيد، وأبو عمرو فى رواية هارون وحسين عنه. [٥]

---

(١) البحر ١٢١/٧ ومعجم القراءات ٦٠/٧.

(٢) معجم القراءات ٤٨/٣ وراجع المحتسب ٢٤٩/١.

(٣) معجم القراءات القراءات ١٢٩/٢.

(٤) السابق ٢٧٧/٤ وراجع كذلك: الإقناع ٦٧١/٢ وكتاب التذكرة فى القراءات ٤٦٧/٢ وحجة القراءات ٣٥٩ والتيسير ١٠٣ والإتحاف ٣٣٢ والنشر ٢٩٥/٢.

(٥) مختصر فى شواذ القرآن ٩٥ ومعجم القراءات ٥٢/٦.

٨- (رَغداً) من قوله تعالى: " {وَكُلاَ مِنْهَا رَغداً حَيْثُ شِـئْتُمَا} ٣٥/٢ وكذا فى البقرة ٥٨/٢ {فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَـداً} قـرأ بتسـكين الغـين (رَغْداً) إبراهيم النخعى ويحي بن وثاب وهى لغة تميم (١)

٩- (السَّلَمَ) من قوله تعالى: {وَأَلْقَوْاْ إِلَى اللّهِ يَوْمَئِذٍ السَّـلَمَ} النحـل ٨٧/١٦ قرأ بتسكين اللام (السَّلْمَ) أبو عمرو. (٢)

١٠- (شَجَرَ) من قوله تعالى: {يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَـجَرَ بَيْـنَهُمْ} النسـاء ٦٥/٤ قرأ بتسكين الجيم (شَجْرَ) أبو السَّمَّال. (٣)

١١- (عَمَدٍ) من قوله تعالى: {فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ} الهمـزة ٩/١٠٤ قـرأ بتسكين الميم (عَمْدٍ) الأعرج وهارون عن أبى عمرو وعيسى بن عمر وابـن محارب وابن الصباح عن حمزة. (٤)

١٢- (قَتَرٌ) من قوله تعالى: {وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ} يونس ٢٦/١٠ قرأ بتسكين التاء (قَتْرُ) الحسن وأبو رجاء وعيسى بن عمر والأعمش والمطوعى وعباس عن أبى عمرو وقتادة. (٥)

١٣- (قَتَرَةٌ) من قوله تعالى: {تَرْهَقُهَا قَتَـرَةٌ} عـبس ٤١/٨٠ قـرأ بتسكين التاء (قَتْرَةٌ) أبو عبلة. (٦)

١٤- (قَدَرِه) فى قراءة من قوله تعالى: {وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَـدْرِهِ} الأنعام ٩١/٦ قرأ بفتح الدال (قَدَرِه) الحسن وعيسى الثقفى وأبو نوفـل وأبـو حيوة، وقرأ بتسكينها الجماعة (قَدْرِهِ). (٧)

---

(١) البحر ٣٠٩/١ ومعجم القراءات ٨١/١.

(٢) البحر ٥١٠/٥ ومعجم القراءات ٦٧٦/٤.

(٣) البحر ٢٩٧/٣ ومعجم القراءات ٩٩/٢.

(٤) مختصر فى شواذ القرآن ١٨٠ ومعجم القراءات ٥٨٣/١٠.

(٥) البحر ١٤٩/٥ ومعجم القراءات ٥٣٢/٣- ٥٣٣.

(٦) معجم القراءات ٣١٥/١٠.

(٧) السابق ٤٨٣/٢.

١٥- (كَبَدٍ) من قوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ} البلـد ٩٠/٤
قُرِئَ بتسكين الباء (كَبْدٍ). [١]

١٦- (لَهَبٍ) من قوله تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} المسد ١١١/١
قرأ بتسكين الهاء (لَهْبٍ) ابن كثير وابن محيصن ومجاهد وحُمَيْد. [٢]

١٧- (نَجَسٌ) من قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ} التوبـة ٢٨/٩
قُرِئَ بتسكين الجيم (نَجْسٌ). [٣]

١٨- (نَهَراً) من قوله تعالى: {وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا} الكهف ٣٣/١٨
قرأ بتسكين الهاء (نَهْراً) أبو السَّمَّال والفياض بن غزوان وطلحةِ بن سـليمان وأبو العالية وأبوعمران. [٤]

١٩- (نَهَرٍ) من قوله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّـاتٍ وَنَهَـرٍ} القمـر ٥٤/٥٤. قرأ بتسكين الهاء (نَهْرٍ) الأعرج ومجاهـد وحميـد وأبـو السَّـمَّال والفياض ابن غزوان وطلحة بن مصرف فى اختياره. [٥] وأبو نهيك واليمانى وأبو مجلز. [٦]

---

(١) السابق ٤٣٨/١٠.

(٢) معجم القراءات ٦٢٨/١٠ وراجع كذلك: الإقناع ٨١٤/٢ وكتاب التذكرة فى القراءات ٧٧٥/٢ والتيسير ١٨٣ والإتحاف ٦٠٦ والنشر ٤٠٤/٢.

(٣) مختصر فى شواذ القرآن ٥٧ ومعجم القراءات ٣٦٦/٣.

(٤) البحر ١١٩/٦ ومعجم القراءات ٢٠٦/٥.

(٥) معجم القراءات ٢٤٣/٩.

(٦) مختصر فى شواذ القرآن ١٤٩.

١ : ٦: فُعِلَ

ولا يكون هذا البناء إلا فى الماضى المبنى للمجهول، حيث يُضم أوله ويكسر ما قبل آخره، وفى هذا البناء تخفف العين بحذف حركتها وهذا مطـــرد عند تميم وبكر بن وائل وتغلب، ومن الشواهد على ذلك.

- قول أبى النجم:

لو عُصْرَ منه البان انعصَرْ.

والأصل: عُصِرَ ثم خفف بحذف الكسرة من الصاد، فصار: عُصْرَ

- قولهم فى المَثَــل: لم يحُرمْ من فُصْدَ له.

أى فُصِدَ، فحذفت حركة الصاد تخفيفاً، فصار: فُصْدَ. (١)

- قول القطامى:

ونُفْخُوا فى مدائنهم فطاروا.

أى نُفِخوا، فخفف بحذف حركة الفاء، فصار: نُفْخوا

- قول معبد بن قرط العبدى فى هجاء أمه:

تلتهم الوسقَ مشدوداً أشظَّته   كأنما وجْهُهَا قد سُفْعَ بالنارِ.

أى سُفِعَ، فخفف بحذف حركته فصار: سُفْعَ.

وأبو النجم صاحب البيت الأول من بكر بن وائل مـــن بنــــى عجــل، والقطامى هو عمير بن شيم من بنى تغلب، وعلى هذا يكون هذا التخفيف مـــن فُعِلَ إلى فُعْلَ فى بكر بن وائل، وفى تغلب الذى هو أخو بكر، كما يطرد هـــذا عند تميم أيضاً. (٢)

---

(١) الكتاب ١١٤/٤ وشرح الشافية ٤٣/١ واللهجات العربية فى التراث ٢٤٣.

(٢) اللهجات العربية فى التراث ٢٤٤.

ويرى سيبويه أن باعث هذه القبائل على التخفيف يرجع إلى ثقل الكسرة بعد الضمة يقول : " وكرهوا فى عُصِرَ الكسرة بعد الضمة، كما يكرهون الواو مع الياء فى مواضع. ومع هذا أنه بناء ليس من كلامهم إلا فى هذا الموضع من الفعل، فكرهوا أن يحولوا ألسنتهم إلى الاستثقال. [١]

وفيما يلي عرض ما عثرت عليه فى القراءات القرآنية دليلاً على هذا التخفيف.

١- (قُضِيَ) من قوله تعالى: {وَقُضِيَ الأَمْرُ} البقرة ٢/٢١٠ عُزى إلى يعقوب تسكين الضاد تخفيفاً (قُضْيَ). [٢]

٢- (كُفِرَ) من قوله تعالى: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ} القمر ٥٤/١٤ قرأ بتسكين الفاء (كُفْرَ) مسلمة بن محارب. [٣]

٣- (لُعِنوا) من قوله تعالى: {وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ} المائدة ٥/٦٤ وكذا فى النور ٢٤/٢٣ {لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ} .

قرأ بتسكين العين (لُعْنُوا) أبو السَّمال.ويحسن هذه القراءة أنها كسرة بين ضمتين، فحسن التخفيف. [٤]

- تعقيب

من خلال عرضنا السابق لظاهرة تخفيف عين الكلمات الثلاثية بحذف حركتها نرى أن السبب فى التخفيف فى كل ما سبق لايعود إلى كراهية الضمة أو الكسرة بعد الفتحة، أو إلى كراهية الضمتين أو الكسرتين كما ذكر

---

(١) الكتاب ٤/١١٤.

(٢) معجم القراءات ٢/٢١٠

(٣) مختصر فى شواذ القرآن ١٤٨ ومعجم القراءات ٩/٢٢٤.

(٤) معجم القراءات ٢/٢١٦ و ٦/٢٤٩.

القدماء من علمائنا، وإنما يعود إلى ظاهرة النبر، ومن الواضح فيما سبق أن الكلمات الثلاثية عبارة عن ثلاثة مقاطع من نوع القصير المفتوح، أى المكون من صامت + حركة قصيرة (ص ح / CV) ومن القواعد المقررة في النبرأنه يقع على المقطع الثالث من الكلمة حيث نعد المقاطع من آخر الكلمة، إذا كانت المقاطع الثلاثة من النوع السابق (ص ح). يقول الدكتور إبراهيم أنيس:

"أما فى الفعل الماضى الثلاثى، مثل: كَتَبَ وفَرِحَ وصَعُبَ، فالنبر يكون على المقطع الثالث حين نعد المقاطع من آخر الكلمة". (١)

ويقول الدكتور عبد الفتاح إبراهيم: "وإذا كانت المقاطع الثلاثة الأخيرة من نوع المقاطع القصيرة CV فإن النبر يقع على المقطع الثالث ابتداء من الآخر: قَـ / تَـ / ـلَ – مَكْدَ / بَـ / تُـ/ ـةُ" (٢)

ويقول بروكلمان :" فى اللغة العربية القديمة يدخل نوع من النبر تغلب عليه الموسيقية، ويتوقف على كمية المقطع، فإنه يسير من مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها حتى يقابل مقطعاً طويلاً فيقف عنده، فإذا لم يكن فى الكلمة مقطع طويل فإن النبر يقع على المقطع الأول منها. (٣)

وبناء على ما سبق يمكن أن نقول إن سبب حذف حركة المقطع الثانى يعود إلى أن هذا المقطع وقع بعد المقطع المنبور مباشرة، وبعد حذف هذه الحركة يتحول المقطع المنبور إلى مقطع مغلق (ص ح ص/ cvc) بعدأن كان مفتوحاً (ص ح / cv) وهذا ما تؤثره القبائل البدوية فى نطقها الذى يتسم

(١) الأصوات اللغوية ١٧٢.
(٢) مدخل فى الصوتيات ١٦٧.
(٣) فقة اللغات السامية ٤٥ .

بالسرعة، الأمر الذى يؤدى فى النهاية إلى الاقتصاد فى الجهد، يقول غالب فاضل المطلبى بعد أن ذكر علل القدماء في سبب التخفيف التى أوردناها من قبل "غير أننى أرى أن هذه ليست بالعلة الوحيدة للتخفيف عند تميم، ذلك أن مسألة التخفيف ليست إلا أحد وجوه ظاهرة كبيرة فى لهجة تميم، تلك الظاهرة هى النظام المقطعى ، كما أنه يؤدى دوراً بارزاً فى سرعة النطق التى كانت إحدى صفات لهجة تميم، ومما يوضح أهمية التخفيف أيضاً أن التميميين قد بالغوا فيه حتى أنهم غلبوه على حركة الإعراب كما فى قراءة أبى عمرو (يأمُرْكُمْ) ولعل أقل ما يمكن أن يقال فى هذا المجال: إن لهجة تميم كانت تميل إلى المقاطع المغلقة، فتقول فى كَبِدٍ، كَبْدٌ... الخ ، وإلى الضغط (النبر) فى مكان بعينه. [1]

ويقول الدكتور أحمد علم الدين الجندى "إن ظاهرة حذف الحركات تتلاءم وتميم البدوية، حيث إنهم يميلون إلى السرعة فى النطق الذى ينتهى إلى الاقتصاد فى الجهد العضلى، ولاشك أن حذف الحركات فيه تيسير واقتصاد، وهو ما يهدف إليه البدوى- بعكس الحجاز المتحضرة التى تهدف إلى إعطاء كل صوت حقه من الوضوح والبيان" [2]

---

(١) لهجة تميم ١٥٦.

(٢) اللهجات العربية فى التراث ٢٤٦.

٢: الخاتمة

من خلال عرضنا السابق لمادة البحث يمكن أن نخلص إلى أهم النتائج التالية:

١- ظاهرة تخفيف عين الكلمات الثلاثية التى تشيع فى تراثنا العربي وفى القراءات القرآنية ظاهرة لهجية تُعزى إلى القبائل الشرقية فى الجزيرة العربية كتميم وبكر وأسد وقيس وربيعة.

٢- ورد التخفيف فى القراءات القرآنية على ستة أبنية، هى: فُعِل وفَعُل فى الأسماء والأفعال، وفِعِلٌ و فُعُلٌ وفَعَلٌ فى الأسماء فقط ، وفُعِلَ فى الماضى المبنى للمجهول.

٣- تُرتب الأبنية السابقة صوتياً هكذا: فَعِل ثم فِعِل حيث تماثلت حركة الفاء مع حركة العين (مماثلة رجعية) ثم فَعُل، ثم فُعُل حيث تماثلت حركة الفاء كذلك مع حركة العين (مماثلة رجعية) ثم فَعَل، حيث تماثلت حركة العين مع حركة الفاء (مماثلة تقدمية) وأخيراً فُعِلَ صيغة الماضى المبنى للمجهول من الثلاثى.

٤- يُحمل على صيغتى فَعِل وفَعُل فى تخفيف الحرف الثانى الضميرين (هى وهو) المسبوقين ببعض حروف العطف (كالواو والفاء وثم) الضمير (هى) محمول على صيغة فَعِل (وَ / فَ/ ثمَّ + هِيَ) والضمير (هو) محمول على صيغة فَعُل (وَ/ فَ/ ثمَّ + هُوَ).

وهذا من باب إجراء المنفصل من كلمتين مجرى المتصل من كلمة واحدة. وكذلك أيضاً يُحمل على صيغتى فَعُل وفُعُل فى تخفيف الحرف الثانى حرف الإعراب فى حالة الرفع، حيث تحذف حركته، مثل (ينفَعُهُمْ) حيث تخفف العين حرف الإعراب بحذف حركتها (الضمة) لأن العين المضمومة مع الفاء المفتوحة والضمير بعدها (فَعُهُم) مثل فَعُل، فيصير الفعل بعد التخفيف (ينفَعْهُمْ) وكذلك أيضاً (يأكُلُهُنَّ) تخفف اللام حرف الإعراب بحذف حركتها

(الضمة) لأن اللام المضمومة مع الكاف المضمومة قبلها والحرف الذى بعدها (كُلُهُنَّ) مثل فُعُل، فيصير الفعل بعد التخفيف (يأكُلْهُنَّ)

٥- يرى البصريون وعلى رأسهم سيبويه أن ما جاء من الكلمات الثلاثية على زنة (فَعَلُ) لا يجوز تخفيف عينه ، لأن الفتحة أخف من الكسرة والضمة، يقصد فى أوزان: فَعِل، وفِعِل، وفَعُل، وفُعُل. بينما يري الكوفيون جواز ذلك. وبالرجوع للقراءات القرآنية تبين شيوع ظاهرة تخفيف العين فيما جاء من الأسماء على هذا البناء.

٦- يمكن إرجاع سبب تخفيف الحرف الثانى من الكلمات بحذف حركته إلى وقوع هذا الحرف بعد المقطع المنبور مباشرة، حيث يلاحظ أن النبر يقع على المقطع الثالث من الكلمات الثلاثية ذات المقاطع القصيرة المفتوحة (ص ح / cv) عندما نعد المقاطع من آخر الكلمة، وعلى هذا تكون العين مع حركتها هى المقطع التالى للمقطع المنبور مباشرة، وبتخفيف العين يتحول المقطع الأول إلى مقطع مغلق (ص ح ص / cvc) بعد أن كان مفتوحاً (ص ح / cv) وهذا ما تؤثره القبائل البدوية، لأنه يوفر الجهد العضلي في النطق ويتواءم مع السرعة فى النطق التى تتسم بها لغة البدوى.

٧- أكثر الصيغ المخففة عينها بحذف حركتها فى القراءات القرآنية صيغة (فُعُلٌ) ولعل ذلك – كما ذكر سيبويه – يعود إلى كراهية الضمتين كما تكره الواوان، لأن الضمة من الواو. ثم تأتى بعد ذلك باقي الصيغ: فَعِل وفَعُل وفِعِل وفَعَل وفُعِلَ.

٨- أكثر من قرأ بتخفيف العين من القراء: أبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر، والحسن ، والأعمش، وأبو حيوة ، وابن السَّمَّال، ثم يأتى بعد ذلك على قلة قراء آخرون: كابن كثير، وعاصم، وابن عامر، وأبو جعفر والكسائى ..... الخ.

٣: مراجع البحث

* إتحاف فضلاء البشر فى القراءات (الأربعة) عشر، للدمياطي الشهير بالبناء (شهاب الدين محمد بن عبد الغنى) – وضع الحواشى الشيخ أنس مهرة – دار الكتب العلمية– بيروت/ لبنان ١٩٩٨.
* الأصوات اللغوية، للدكتور إبراهيم أنيس– مكتبة الأنجلو المصرية– القاهرة١٩٩٠.
* التطور النحوى للغة العربية– محاضرات ألقاها المستشرق الألمانى/ برجشتراسر فى الجامعة المصرية عام ١٩٢٩– خرجها الدكتور/ رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجى– القاهرة ١٩٩٧.
* تفسير البحر المحيط، لأبى حيان الأندلس (محمد بن يوسف) – تحقيق / عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض وآخرين – دار الكتب العلمية– بيروت / لبنان ١٩٩٣.
* حجة القراءات ، لابن زنجلة (أبى زرعة عبد الرحمن بن محمد) – تحقيق سعيد الأفغانى– مؤسسة الرسالة– بيروت / لبنان ١٩٩٧.
* الخصائص، لأبى الفتح عثمان بن جنى– تحقيق محمد على النجار – الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة ١٩٨٦.
* شرح شافية ابن الحاجب، لرضى الدين الاستراباذى (محمد بن الحسن) – تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفراف ومحمد محيي الدين عبد الحميد – دار الفكر العربي – بيروت/ لبنان ١٩٧٥.
* فقه اللغات السامية ، للمستشرق الألمانى / كارل بروكلمان – ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب – جامعة الرياض/ السعودية ١٩٧٧.

* الكتاب "كتاب سيبويه" (أبى بشر عمرو بن قنبر) – تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون– مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعى بالرياض ١٩٨٣.

* كتاب الإقناع فى القراءات السبع، لابن البانش (أبى جعفر أحمد بن على بن أحمد بن خلف الأنصاري) – تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش– جامعة أم القرى– مركز إحياء التراث الإسلامى ٢٠٠١.

* كتاب التذكرة فى القراءات، لابن غلبون (أبى الحسن طاهر بن عبد المنعم)– تحقيق الدكتور عبد الفتاح بحيرى إبراهيم– الزهراء للإعلام العربي– القاهرة ١٩٩١.

* كتاب التيسير فى القراءات السبع، للدانى (أبى عمرو عثمان بن سعيد)– تصحيح/ أوتو برتزل– دار الكتب العلمية– بيروت / لبنان ١٩٩٦.

* لهجة تميم وأثرها فى العربية الموحدة، لغالب فاضل المطلبى– دار الحرية للطباعة– بغداد / العراق ١٩٧٨.

* اللهجات العربية فى التراث ، للدكتور أحمد علم الدين الجندى– الدار العربية للكتاب– ليبيا وتونس ١٩٨٣.

* المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبى الفتح عثمان بن جنى – تحقيق/ على النجدى ناصف والدكتور عبد الحليم النجار والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى– المجلس الأعلى للشئون الإسلامية– مصر ١٩٩٩.

* مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع ، لابن خالويه (أبى عبد الله الحسين بن أحمد بن حمدان)– تصحيح / برجشتراسر – مكتبة المتنبى– القاهرة– د. ت.

* مدخل فى الصوتيات ، للدكتور عبد الفتاح إبراهيم- دار الجنـــوب للنشـــر- تونس- د.ت.

* معجم القراءات، للدكتور عبد اللطيف الخطيب- دار سعد الدين - دمشـــق/ سوريا ٢٠٠٢.

* المنصف، شرح الإمام أبى الفتح عثمان بن جنى لكتاب التصـــريف للإمـــام أبى عثمان المازنى- تحقيق/ إبراهيم مصـــطفي وعبـــد الله أمـــين- وزارة المعارف العمومية- القاهرة ١٩٥٤.

* النشر فى القراءات العشر، لابن الجزرى (أبى الخير محمـــد بـــن محمـــد الدمشقى)- تصحيح/ على محمد الضباع - دار الكتاب العربي- بيـــروت / لبنان - د.ت.

علم الدلالة

ترجمة
د. عبدالكريم محمد حسن جبل
قسم اللغة العربية
كلية الآداب ــ جامعة طنطا
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه وجدّه أبي الأنبياء إبراهيم، وبعد... فهذه ترجمة للفصل السادس من كتاب:

Contemporary Linguistics: An Introduction (علم اللغة المعاصر: مقدمة). وعنوان هذا الفصل هو **Semantics** (علم الدلالة)، ومؤلفه هو «وليم أوجرادى» William O'Grady. ويعالج هذا الفصلُ -على نحو مجتزئ- جمهرة قضايا «علم الدلالة»، مثل: طبيعة المعنى، واتجاهات معالجته (الإشاري-الذهني-السمات الدلالية)، والعلاقات الدلالية بين الكلمات (ترادف- اشتراك- تضاد...)، وكذلك بين الجمل (إعادة سبك-استلزام- تناقض)، وعلاقة البنية التركيبية بتفسير معاني الجمل، من خلال دراسة ثلاث ظواهر تتعلق بذلك: تمثيل الغموض التركيبي، وتعيين الأدوار المحورية لمكونات الجمل، وتفسير الضمائر المنعكسة.

كما يعرض هذا الفصلُ لبعض العوامل الأخرى التي لها دور في تفسير معاني الجمل، كـــ «التداولية» Pragmatics، والأحداث الكلامية Speech Acts. ويعرض الفصل –أخيرًا– للعلاقة بين اللغة والمعنى والفكر، مركزًا في هذا الصدد على افتراض «سابير» و «ورف» Sapir – Whorf Hypothesis

وأما فصول الكتاب الأخرى –وعددها أربعة عشر فصلاً– فتعرض لخصائص اللغة، وأصواتها (مفردةً ومركبةً)، وبنية الكلمات، وكذا الجمل. كما تعرض لعلم اللغة التاريخي، وتصنيف اللغات، وعلاقة اللغة بالمخ البشري، واكتساب اللغة...الخ.

وقد قام على تحرير هذا الكتاب، وتأليف جمهرة فصوله ثلاثة باحثين هم: «وليم أوجرادى» William O'Grady، و «مايكل دبروفولسكي» Michael Dobrovolsky – وهما يعملان بجامعة Calgray – و«مارك أرونوف» mark Aronoff، ويعمل بـــ State University of New Yourk at Stony Brook

وقد طُبع الكتاب في St. Martin's Press بـــ «نيويورك»، سنة ١٩٨٩م، وأعيد طبعه في سنة ١٩٩٦م.

...هذا، وقد حَرَصْتُ في ترجمتي لهذا الفصل على جملة من الضوابط، منها:

– إيراد معظم الأمثلة التطبيقية بنصها الإنجليزي، ثم شَفْعها بترجمتها العربية؛ تعميمًا للنفع، وتنكبًا لما قد يُجرّه الاجتزاءُ

بالترجمة العربية -أحياناً- من عدم تمثيل الظاهرة التي سيقت من أجلها الأمثلة الإنجليزية تمثيلاً دقيقاً.

- ذِكْر أمثلة من العربية، لبعض الظواهر التي عرض لها المؤلف، ومثّل لها بأمثلة من الإنجليزية فقط، كظواهر الترادف والاشتراك اللفظي (بنوعيه)، والغموض التركيبي...الخ.
- اختيار ترجمات عربية بعينها - في متن الترجمة- للمصطلحات الإنجليزية، مع التنويه -في الهامش- ببعض الترجمات العربية الأخرى لها.
- التعريف الموجز ببعض المصطلحات التي لم يُعرِّف بها المؤلف، بسبب من سبق التعريف بها في فصل -أو فصول- سابقة بالكتاب. كما عرَّفتُ كذلك تعريفاً موجزاً ببعض «الأعلام» و «اللغات» الواردة بهذا الفصل.

وبالجملة، فإن كل هوامش هذه الترجمة هي من جهد المترجم؛ فلم يُحتَج إلى النص على ذلك إلى جوار أيٍّ منها.

... وبعد، فلا شك فيما يفيده الاطلاعُ على جهود «الآخرين» في دراستهم للغاتهم، لاسيما إذا صاحب ذلك فهمٌ عميق لخصائص العربية: بنيةً، وتراكيبَ، ودلالاتِ ألفاظ...

والله الموفق.

٦-[1] علم الدلالة Semantics

(علم دراسة المعنى)

لقد قيل بحق: إنِ في كل «شيء» معاني لا تكاد تنضب!

توماس كارلايل[2] Thomas Carlyle

كان التركيز -حتى هذه النقطة من الكتاب- موجَّهاً نحو دراسة الجانب «الشكلي» للمنطوقات اللغوية utterances: قوالبها الصوتية، وأبنيتها الصرفية، وتراكيبها النحوية. بيد أنه كي تُنجز اللغةُ وظيفتها التواصلية، فإن هذه «المنطوقات» ينبغي -كذلك- أن تنقُل «معنًى» أو «رسالة».

إن هذا الفصل معنيّ بـــ «علم الدلالة» Semantics: علم دراسة المعنى في اللغة الإنسانية. وسوف نسبر -في هذا الصدد- أربع قضايا رئيسية:

الأولى: طبيعة المعنى.

---

(١) يشير الرقم (٦) إلى رقم هذا الفصل من الكتاب. وسوف يتكرر هذا الرقم مع مباحث هذا الفصل التي ستأخذ ـــ بدورها ـــ أرقاماً فرعية، على ما سيتضح بعد.

(٢) «توماس كارلايل» (١٧٩٥-١٨٨١م) مؤرخ وفيلسوف وناقد اجتماعي اسكتلندي شهير. من أعماله: Frensh Revolution (الثورة الفرنسية)، و..On Heroes (الأبطال).

ينظر: The Encyclopedia Americana vol. 5, pp. 670-672

الثانية: إسهام البنية التركيبية في «تفسير» معاني الجمل.

الثالثة: دور العوامل التي لا صلة بها بــ «قواعد» اللغة، في فهم معاني المنطوقات اللغوية.

الرابعة: ما قد يكون للغة من تأثير على «الفكر».

٦-١- المعنى

شُغل المفكرون بــ «النظر» في طبيعة المعنى، قبل وقت طويل من ظهور «علم اللغة» بوصفه فرعاً معرفياً مستقلاً. وظل هذا الموضوع المُشْكِل -لآلاف من السنين- محوراً رئيسيّا للدرس في مجال «الفلسفة»، كما صار -حديثاً- من الموضوعات المهمة في «علم النفس» كذلك. وقد أسهم في البحث الدلالي رهطٌ من العلماء ذوو مشاربَ شتّى: بدءاً من «أفلاطون» و «أرسطو»، في اليونان القديم، إلى «برتراندرسل»[١] Bertrand Russel، في القرن العشرين.

وهدفنا، في هذا الجزء من الكتاب، هو أن ندرس -على نحو جدّ عام- ما جلاّه هذا البحثُ الدلالي بشأن كلٍّ من: معاني الكلمات، ومعاني الجمل، في اللغة الإنسانية.

---

(١) «برتراند آرثر رسل» (١٨٧٢-١٩٧٠م) فيلسوف وعالم رياضيات وناشط سياسي بريطاني شهير. أسهم في تطوير «المنطق الرياضي»، وحصل على جائزة «نوبل» للأدب في سنة ١٩٥٠م. من أعماله: The Principles of Mathematics (مبادئ الرياضيات).
ينظر: The Encyclopedia Americana vol. 23, pp. 874-875.

معنى الكلمة

إن «المعجم» هو المستودع الرئيسي للمعنى؛ فهو الذي يوفِّر المعلومات المتعلقة بمعاني المفردات، تلك المعاني التي تتصل – بدورها– اتصالا وثيقا بـــ «تفسير» معاني الجمل. ونحن لا نعلم إلا النذر اليسير عن «طبيعة» معنى الكلمة، وعن الكيفية التي ينبغي أن يُمثَّل بها. وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا الأمر جدير بأن نعرض – ولو على نحو مختصر– لأبرز وجهات النظر المتعلقة به، وأن نعرض –كذلك– للمشكلات التي تعترض كلاً من وجهات النظر هذه.

المشار إليه (= المدلول) [1] Referent

حاول أحد الاتجاهات المشهورة، في مجال البحث الدلالي، أن يسوِّي بين معنى الكلمة، من جهة، والموجودات entities التي تشير إليها تلك الكلمة (= مدلولاتها)، من جهة أخرى. ووَفْقاً لهذا «الاتجاه»، فإن «معنى» كلمة «كلب» يتطابق مع جمهرة الموجودات التي اصطفتْها تلك الكلمة، في العالم الواقعي (= جنس الكلاب).

وعلى الرغم من أن هذا «الاتجاه» لا ينطوي –في جوهره– على ما يجعله احتمالاً مستبعدا، فإنه يجابه اعتراضاتٍ جدّيةٍ لا خلاف

---

(١) من الترجمات الأخرى لمصطلح referent: المسمَّى، والمحال إليه، والمرجِع، والمُرجَع إليه، والمقصود (ينظر: معجم المطلحات اللغوية ص٤٢٢).

عليها. فمن ذلك: أن ثمة مشكلةً في الكلمات التي مثل: أُحاديّ القرن unicorn، والتنين dragon، أي: تلك الكلمات التي لا وجود لمدلولاتها في العالم الواقعي، ومع ذلك، فإنها بمنأى عن أن توصف بأنها «عديمة المعنى».

كما تبرز – في هذا الصدد كذلك– مشكلةٌ من ضرب آخر، أعني تلك التي تتعلق بعبارات مثل «رئيس وزراء بريطانيا» و «زعيم حزب المحافظين» –وكلاهما يشير (على الأقل في سنة١٩٨٩م) إلى «مرجريت تاتشر Margret Thatcher–... فعلى الرغم من أنه يمكن أن يكون لهاتين العبارتين مدلولٌ واحد referent، فإننا لا نستطيع الزعم بأن لهما معنىً واحداً. ولن يستطيع أحد البرهنة على أن عبارة «رئيس وزراء بريطانيا العظمى» يمكن أن تعرَّف على أنها «زعيم حزب المحافظين»، أو العكس.

الماصَدَق والمفهوم Extension and Intension

إن استحالة مساواة معنى الكلمة بما تشير إليه (=مدلولاتها)، قد قاد إلى التفريق بين مصطلحي «الماصَدَق» extension و «المفهوم» intension: ففي حين يقصد بـ «الما صَدَق» –لكلمة ما – مجموعةُ موجودات بعينها، تدل عليها تلك الكلمة، في عالمنا هذا. فإن المقصود بـ «مفهوم» هذه الكلمة، هو معناها الجواني، أي

المكونات الذهنية concepts التي يستدعيها هذا المفهوم. ودونك – في الجدول (٦-١)- أمثلةً للتفريق بين مفهومي هذين المصطلحين:

الجدول (٦-١)

الماصدَق في مقابل المفهوم

العبارة	الماصدَق	المفهوم
- رئيس وزراء بريطانيا العظمى	«مارجريت تاتشر»	رئيس حزم الأغلبية في «البرلمان»
- أبطال World Series لعام ١٩٨٨م	فريق الـــ «دودجرز» بلوس انجيلوس (L.A.Dodgres)	الفائزون ببطولة كرة «البايسبول»
- عاصمة «كاليفورنيا»	«ساكرامنتو» Sacramento	المدينة التي تحتوي على مبنى الهيئة التشريعية

وعلى ذلك، فإن «ماصدق» كلمة «امرأة» سيكون هو مجموعة موجودات بعينها (=النساء). في حين أن «مفهوم» هذه الكلمة سوف يتضمن «مكونات» مثل: «أنثى» و «إنسان». وكذلك فإن عبارة «رئيس وزراء بريطانيا العظمى» سوف يكون لها «ماصدَق» واحد بعينه (مرجريت تاتشر)، ولكن مفهوم هذه العبارة سيكون هو «رئيس حزب الأغلبية في البرلمان».

إن التفريق بين «مفهوم» الكلمة و «ما صدقها» لا يمكّننا من حل مشكلة المعنى، بيد أنه يتيح لنا أن نطرحها بطريقة جديدة: ما طبيعة المعنى الجواني للكلمة، أو مفهومها؟ لقد ذهبتْ إحدى وجهات النظر إلى أن معاني الكلمات (مفاهيمها) هي صورها الذهنية. ووجهة النظر هذه - كما هو واضح- تمثّل تطويراً للنظرية الإشارية Referential؛ إذ إن من السائغ عقلاً أن يكون هناك لدى كلٍ منا «صورة ذهنية» لـــ «أُحاديّ القرن»، أو لـــ «التنين»، ولو لم يكن لهذه الكائنات وجودٌ في عالمنا الواقعي.

بيد أن هذه «الرؤية» تجابه -للأسف- اعتراضاتٍ جدّيةً من نوع آخر. فمثلا: يصعب أن نتخيل صوراً ذهنية لكلمات مثل: النيتروجين-٥٢٢-١٠١- إذا- جدّا...الخ. وفضلا عن ذلك، فلا يبدو أن ثمة صورةً ذهنية، لمعنى كلمة «كلب»، تتسع على نحو كافٍ - من ناحية - لتشمل كلاب «الشِّيواو»[1] Chihuahuas، والكلاب الذئبية الأيرلندية[2] Irish wolf hounds ثم لا تسمح- مع ذلك- بإدخال الثعالب والذئاب.

---

(١) كلاب «الشِّيواو» هي أصغر سلالة كلاب في العالم، إذ يتراوح ارتفاعها بين (١٠-١٥سم)، ووزنها بين (½-½ ٢ كجم)، وقد اكتسبت اسمها هذا من اسم إحدى ولايات المكسيك (Chihuahua) حيث عُرفت واشتهرت.

ينظر: The Encyclopedia Americana, vol. 6, p.449

(٢) الكلب الذئبي الأيرلندي هو نوع من الكلاب عُرفت ــ أول ما عُرفت ــ في «أيرلندا»، وهي تتميز بكبر حجمها؛ إذ يبلغ ارتفاعها نحواً من ٨٦سم، ووزنها نحواً من ٥٤كجم، وتستعمل في صيد الثعالب والذئاب!

ينظر: The Encyclopedia Americana, vol.15, p.442

السمات الدلالية Semantic features

ما زال ثمة – بعد – اتجاهٌ آخر في درس المعنى، ذلكم هو الاتجاه الذي يحاول معادلة مفهوم الكلمة بمفهوم مجرد يتألف من مكونات صغرى، تُسمَّى «السمات الدلالية» Semantic features. وتظهر فعاليةُ هذا التحليل التكويني –على نحو خاص– حين يصل إلى تمثيل عناصر التماثل والتباين بين الكلمات المتقاربة المعاني. والرسم التوضيحي (٦–١) يوضح هذا النوع من التحليل مطبَّقًا على كلمات «الرجل» و «المرأة»، و «الولد» و «البنت»:

رجل	ولد
+ إنسان	+ إنسان
+ ذكر	+ ذكر
+ بالغ	– بالغ

امرأة	بنت
+ إنسان	+ إنسان
– ذكر	– ذكر
+ بالغ	– بالغ

الرسم التوضيحي (٦–١)

(مجموع السمات الدلالية لكلمات: رجل – امرأة / ولد – بنت)

إن من الميزات الواضحة لهذا الاتجاه في درس المعنى، هو أنه يتيح لنا أن نصنّف الموجودات إلى «طبقات» واضحة الحدود والمعالم، على نحو ما نصنع لدى الدراسة «الفونولوجية» للأصوات[1].

وعلى ذلك فإن كلمتي «رجل» و «ولد» يمكن أن يصنّفا معا على أساس أنهما يشتركان في السمتين الدلاليتين: [+ إنسان + ذكر]، في حين يمكن وضعُ كلمتي «رجل» و «امرأة» في «طبقة» تُعرَّف بالسمتين الدلاليتين الآتيتين: [+ إنسان + بالغ].

إن «التحليل التكويني» للمعنى يؤتي أفضل أُكُله، حين يطبَّق على كلمات تدل على صنوف ذات سمات مشتركة من الموجودات. وكما أوضحنا – توًّا– فإن قَدْرًا قليلاً من السمات الدلالية، يتيح لنا أن

---

(١) يتم هذا النوع من الدراسة «الفونولوجية» بتحديد السمات الفارقة (أو المميزة) distinctive features بين الأصوات، كالجهر في مقابل الهمس، والانفجار في مقابل الاحتكاك... الخ، ثم بيان نصيب كل صوت من هذه السمات الصوتية. ويتم ذلك ـــ غالباً ـــ باستعمال علامة (+) للإشارة إلى اتصاف الصوت بالسمة الفارقة، وعلامة (–) للإشارة إلى عدم الاتصاف بها. وذلك كأن يقال في وصف أصوات التاء والدال والطاء (المعاصرة) ما يلي:

	مجهور	انفجاري	مفخم	...الخ
/ت/	–	+	–	
/د/	+	+	–	
/ط/	–	+	–	

وتتميز هذه السمات الصوتية الفارقة بدقة مفاهيمها، وقلة عددها. وسوف ينوّه المؤلف بذلك بعد أسطر قليلة.

نمايز بين صنوف من الجنس البشري: رجال – نساء – أولاد – بنات.

وفي المقابل، يبدو أن هذه السمات الدلالية تفتقر إلى الانتظام في «طبقة» قليلة العدد، محددة المعالم، بخلاف السمات الفونولوجية التي لا تُعْوِزها تلك القلة، ولا ذلك التحديد. كما أنه يصعب – في حالات كثيرة – أن «نحوّل» معاني الكلمات إلى مكونات صغرى: فهل نستطيع –مثلا– القول بأن معنى كلمة «أزرق» يتألف من السمة الدلالية [+ أزرق] ومن شيء آخر؟ وإذا أمكن ذلك، فما هو هذا الشيء الآخر؟ أليس هو الزرقة؟! فإن صح ذلك، فإننا لمّا نُشقِّق بعدُ معنى كلمة «أزرق» إلى سمات دلالية صغرى، ولقد عدنا – إذن– إلى حيث بدأنا!!

وفي حالات أخرى، يكون ثمة شك في قيمة «الإضاءة» التي تقدمها «السماتُ الدلالية» لطبيعة المعنى، ذلك الذي يفترض أن هذه السمات تمثِّله. فمثلاً: أية قيمة تتحقق في وصف معنى كلمة «كلب» بالسمتين المعقدتين [+ حيوان + الفصيلة الكلبية]... أية قيمة لذلك إذا لم يكن ثمة مزيدُ تحليلٍ للمفهوم المندرج تحت سمة [+ الفصيلة الكلبية]؟ وبمثل ذلك، يمكن أن يُعترَض على استعمال سمات مثل [إنسان] و [ذكر] لدى تعريف كلمتي «رجل» و «امراة».

العلاقات الدلالية بين الكلمات

على الرغم من الصعوبات المرتبطة بتحديد الطبيعة الدقيقة للمعنى، فإن من الممكن أن نعيّن عدداً من العلاقات الدلالية العالمية المهمة، تكون مناسبةً لتحليل معنى الكلمة. ويأتي في مقدمة هذه العلاقات: علاقة الترادف، والتضاد، والاشتراك اللفظي (بنوعيه).

الترادف Synonymy

توصف الكلمات – أو العبارات- ذات المعاني المتطابقة بأنها «مترادفة» synonyms. وعلى الرغم من أن الترادف الحقيقي نادر الوجود في اللغة الإنسانية، فإن أزواج الكلمات الواردة في الجدول (٦-٢) تُمدّنا بأمثلة مقبولة للترادف التام، أو شبه الترادف near synonymy:

الجدول ٦-٢

(بعض المترادفات الإنجليزية)[1]

youth	adolescent	(شاب)
automobile	car	(سيارة)
remember	recall	(يتذكر)
purchase	buy	(يشتري)
big	large	(كبير)

التضاد Antonymy

توصف الكلمات ـ أو العبارات ـ ذات المعاني المتقابلة بأنها «متضادة» Antonyms. ويعرض الجدول (٦-٣) أمثلة لأزواج من هذه الكلمات:

(١) من أمثلة الألفاظ المترادفة ـ ترادفاً شبه تام ـ في العربية: (الغِنى والجِدَة) ـ (الكِبْر والصَّلَف) ـ (العَفْو والصَّفْح) ـ (المريض والسَّقيم)... الخ. [ينظر: الرُّمّاني: الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى ص٥٨، ٦٠، ٦٩، ٧٥ على التوالي].

الجدول ٦-٢

(بعض الكلمات الإنجليزية المتضادة)

dark (مظلم)	light (مضئ)
male (ذكر)	female (أنثى)
hot (ساخن)	cold (بارد)
up (فوق)	down (تحت)
in (داخل)	out (خارج)
come (يأتي)	go (يذهب)

الاشتراك اللفظي (بنوعيه) Polysemy and Homophony

حين يكون للكلمة الواحدة معنيان -أو أكثر- وتكون العلاقة بين هذين المعنيين على قدر -ولو جد ضئيل- من الوضوح، فإننا نكون بإزاء نوع من «المشترك» أوجده التعدد في المعنى Polysemy (نظر: الجدول ٦-٤):

الجدول ٦-٤

(أمثلة من الإنجليزية للمشترك الناتج عن تعدد المعنى)[1]

- آلة (من حديد) لكي الملابس	- نوع من المعادن	iron
- ملعب لكرة البايسبول (على شكل ماسة)	- حجر كريم	diamond
- لوح ورق	- جزء من الشجرة	leaf

وأما كلمات المشترك الصوتي Homophones، فهي كلمات ذات صورة صوتية واحدة، بيد أن معانيها متباينة كل التباين (انظر: الجدول ٦-٥)

(١) من أمثلة ذلك في العربية: لفظ «العين»، بمعنى: حاسة البصر، ثم «العين» بمعنى: ينبوع الماء (تُشبه العين الباصرة في الاستدارة والصفاء)، وبمعنى: سيِّد قومه (على التشبيه بأهمية العين الباصرة بين الحواس الأخرى)، وبمعنى الجاسوس (من باب تسمية الكل باسم الجزء)...الخ [انظر: تاج العروس (عين) ٣٥/٤٤٠-٤٦٨، وسليمان بن بنين الدَّقيقيّ: اتفاق المباني وافتراق المعاني ص١٠٧-١٢١].

الجدول ٦-٥

(أمثلة من الإنجليزية للمشترك الصوتي)[1]

المعنى الأول	المعنى الثاني		الكلمة
- إحدى أدوات رياضة البيسبول	- حيوان ثدييّ قارض ذو جناحين	→	bat
- منحدر صخري صغير عند حافة النهر	- مؤسسة تجارية لإقراض المال	→	bank
- سلاح غير حادّ (الهراوة)	- مؤسسة اجتماعية	→	club
- قفص صغير (لطير أو حيوان)	- أداة للكتابة	→	pen

(١) قريب من ذلك في العربية: بعض الكلمات المبدلة، أو المقلوبة قلباً مكانياً. إذ يحصل ـــ أحياناً ـــ أن تُشبه الكلمة في صورها المبدلة ـــ أو المقلوبة ـــ كلمةً أخرى مستعملة في اللغة، ولها معنى مغاير لمعنى تلك المبدلة، فيصير لدينا ـــ في نهاية الأمر ـــ كلمة واحدة بمعنيين: أصلي وطارئ بالإبدال. فكلمة «الثروة» ـــ مثلاً ـــ ومعناها: كثرة المال، قد أُبدلت ثاؤها فاءً في بعض اللهجات العربية، فطابقت ـــ بالمصادفة ـــ كلمةً أخرى بمعنًى مغاير، هي كلمة «الفروة»، بمعنى: جِلْدة الرأس. فصار لدينا ـــ أخيراً ـــ كلمة واحدة، هي الفروة، بمعنيين متباينين: أحدهما معناها الأصلي (جلدة الرأس)، والثاني طارئ عليها بطريق الإبدال (كثرة المال).

[انظر: ابن السكيت: كتاب الإبدال ص١٢٧، ولسان العرب (فرا) ٣٤٠٧/٥ (ط. دار المعارف)].

وفي اللهجة المصرية المعاصرة تستعمل كلمة «أَمَرْ» بمعنى: طَلَب أداء الشيء على نحو واجب (معناها الأصلي)، وبمعنى الكوكب المعروف (معناها الطارئ بإبدال القاف همزة).

ويُفترض – في مثل هذه الحالات- أننا بإزاء كلمتين مستقلتين تنطقان نطقا واحدا، لا أننا أمام كلمة واحدة، بمعنيين متقاربين.

إن الاشتراك اللفظي (بنوعيه) يفضي إلى ما يسمى بـ «الغموض المفرداتي» lexical ambiguity؛ من حيث وجود معنيين -أو أكثر- للمفردة الواحدة. وعلى ذلك، فإن جملة كالجملة (رقم1) تحتمل معنيين: الأول أن «ليز» Liz اشترت إحدى أدوات الكتابة، والثاني: أنها اشترت قفصاً صغيراً:

1- Liz bought a pen

ولا شك -بعد- في أن الغالب، لدى الكلام الفعلي، هو أن يوضّح السياقُ المعنى المراد؛ ولذا يبعُد أن يكون ثمة غموضٌ في جملة كالجملة (رقم2) التالية[1]:

2- He got a loan from the bank

(حصل على قرَض من المصرف)

العلاقات الدلالية التي تنتظم الجمل

إن للجمل – مثل الكلمات- معاني يمكن تحليلُها بالنظر إلى علاقة الجملة بالأخرى. وسوف ندرس هاهنا ثلاثاً من هذه العلاقات،

---

(١) كذلك لا غموض في المقصود من الـ «عيون» في قوله تعالى: ﴿وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماءُ على أمر قد قُدِر﴾ (سورة القمر ٥٤/١٢).

هي إعادة السَّبْك[1] paraphrase، والاستلزام entailment، والتناقض contradiction.

إعادة السَّبْك Paraphrase

توصف الجملتان المتطابقتان في المعنى، بأن كلاً منهما «إعادةُ سَبْكٍ» للأخرى. وتجسّد أزواجُ الجمل التالية أمثلة لعلاقة «إعادة السبك» التامة، أو شبه التامة:

3- a) The police chased the burglar.
(طاردت الشرطةُ اللصَّ)
b) The burglar was chased by the police.
[طورد اللص (من قِبَل الشرطة)]

4- a) I gave the summons to Erin.
(أعطيتُ أمرَ الاستدعاء «إرين»)
b) I gave Erin the summons.
(أعطيت «إرين» أمرَ الاستدعاء)

5- a) It is unfortunate that the schooner lost.
(إن مما يؤسف له أن المركب الشراعي قد فُقد)
b) Unfortunately, the schooner lost.
(للأسف... فُقد المركب الشراعي)

---

(١) هذه هي ترجمة مجمع اللغة العربية لهذا المصطلح كما ذكر د. رمزي البعلبكي (ينظر: معجم المصطلحات اللغوية ص٣٨٥). والترجمات الأخرى التي أوردها له هي: مناقلة ــ إعادة الصياغة ــ ترديد ــ تفسير نص.

6- a) The game will begin at 3:00 P.M.

(سوف تبدأ المباراة في الثالثة بعد الظهر)

b) At 3:00 P.M., the game will begin.

(في الثالثة بعد الظهر، سوف تبدأ المباراة)

فلا يخفى أن أزواج الجمل – تلك المذكورة توًّا – تتميز بأنها ذاتُ معانٍ جِدّ متشابهة. وفي الحق: أن من المستحيل عقلاً أن تصدُق أية جملة من أزواج الجمل تلك، دون أن تصدُق قرينتُها كذلك. وعلى ذلك: إذا صدق أن الشرطة قد طاردت اللص، فلا بد أن يصدق – كذلك– أن اللص قد طورد (من قِبَل الشرطة). ويرى بعض اللغويين أنه إذا كنا بإزاء جملتين واجبتي التصديق معاً، أو واجبتي التكذيب معا، فإن ذلك لممّا يبرهن على أن لهاتين الجملتين معنًى واحدًا.

بيد أنه يجب التنبُّه – من جانب آخر– إلى أننا قد نلحظ فروقًا دقيقةً في «محل التركيز» بين الجمل (a-b) في كل من أزواج الجمل السابقة: فمن الطبيعي – مثلا– أن يتوجه فهمُنا للجملة (3a) على أنها إخبار عما «صنعه رجال الشرطة»، وللجملة(3b) على أنها إخبار عما «وقع للص». وبالمثل: يبدو أن الجملة (6a) أكثر تركيزا –من قرينتها (6b)– على «الموعد» الذي ستبدأ فيه المباراة.

ويرى بعض اللغويين -بعد- أن في احتفاظ اللغة بتراكيب متطابقة المعنى -كل التطابق- ضربًا من (الترف) غير الضروري؛ ولذلك فإن علاقة «إعادة السبك» التامة -في رأيهم- لا وجود لها.

الاستلزام Entailment

علاقة «الاستلزام» هي تلك العلاقة التي تربط بين جملتين، حين يقتضي صدقُ إحداهما صدقَ الأخرى بالضرورة، وذلك كما هو الشأن في العلاقة بين أزواج الجمل السابقة (3-6). وقد تميزت علاقة «الاستلزام» المتحققة بين جملتيْ كل زوج من هذه الجمل بأنها «تبادلية»، بمعنى: أن صِدْق أيٍّ من جملتي كل زوج يستلزم صدقَ قرينتها.

وفي المقابل، توجد بعض الحالات التي تكون فيها علاقة «الاستلزام» علاقةً غير تبادلية asymmetrical، وذلك على نحو ما توضح الأمثلة التالية:

7- a) The police wounded the burglar.

(جرح رجال الشرطة اللص)

b) The burglar is injured.

(جُرِح اللص)

8- a) The house is red.

(المنزل أحمر اللون)

b) The house is not white.

(المنزل ليس أبيض اللون)

فالجملتان المُعلّمتان بـــ (a) في كل من (7) و (8) تستلزمان الجملتين المقارنتين لهما والمعلمتين بـــ (b): فإذا صَدَق أن رجال الشرطة قد جرحوا اللص، فلابد أن يصدق كذلك أن اللص قد جُرح. بيد أن عكس ذلك لا يلزم: إذ يمكن أن يكون اللص قد جُرح، دون أن يكون لرجال الشرطة دورٌ في ذلك. وبالمثل: إذا صَدَقَ أن المنزل أحمر اللون، فصدِّق كذلك أنه لا يمكن أن يكون أبيض اللون، بيد أن العكس لا يلزم كذلك: فإن عِلْمنا بأن المنزل ليس أبيض اللون، لا يمكن أن يُستنتج منه أنه يجب أن يكون أحمر اللون.

التناقض Contradiction

يحدث –أحيانا– أن يستلزم صدقُ جملة ما استحالةَ جملةٍ أخرى، وذلك كما هو الحال في المثال (9) الآتي:

9- a) Charles is a bachelor.

(تشارلز رجل عَزَب)

b) Charles is married.

(تشارلز رجل متزوّج)

فإذا صَدَق وَصْفُ «تشارلز» بأنه «عزب»؛ فيستحيل –إذن– وصفُه بأنه «متزوج». فهذه العلاقة التي يجسِّدها زوج المثال السابق

–وغيره– مما يكون فيه صدقُ جملة ما، مستلزمًا لكذب أخرى، هو ما اصطُلح على تسميتها بعلاقة «التناقض».

لقد درسنا –في هذا الجزء– بعض المشكلات المهمة المتعلقة بتمثيل معنى الكلمة، كما درسنا بعض العلاقات والفروق الدلالية الأساسية التي تنتظم كلاً من الكلمات والجمل. والمهمة التي علينا أن نضطلع بها الآن، هي دراسة الكيفية التي يتمكن بها مستعملو لغة ما، من إنتاج –وفهم– ما هو تام الفائدة من «كلام» لغتهم. وعلى الرغم من أن كثيراً من جوانب هذا المجال معقد كلَّ التعقيد، فإنه جدير بأن نقف عنده؛ لندرس – في صورة مبسطة– قليلا ممّا طُرح بشأنه.

٦–٢ البنية التركيبية وعلاقتها بتفسير معاني الجمل

لا تقتصر أهمية ما قدمه علم القواعد من تمثيل شجري للتراكيب على تحديد بنية الجمل، بل إن لهذا التمثيل الشجري أهميته في تفسير معاني تلك الجمل كذلك. وسوف ندرس في هذا الجزء مدى صلة البنية التركيبية بتفسير معنى الجملة، وذلك من خلال ثلاث ظواهر تتعلق بهذا التفسير، وهي: تمثيل الغموض التركيبي، وتعيين الأدوار المحورية thematic roles، وتفسير الضمائر المنعكسة reflexive pronouns (تعيين مرجعيتها).

الغموض التركيبي Structural Ambiguity

لقد لاحظنا في فصل علم التراكيب Syntax أن بعض الجمل تتسم بالغموض؛ لأن الكلمات المكونة لها يمكن أن تتركب -في عبارات- على أكثر من وجه، وهذا ما يسمى بـ «الغموض التركيبي». ولابد أن نفرق -هنا- بين هذا الغموض التركيبي، وضرب آخر من الغموض يُعرَف بـ «الغموض المفرداتي» Lexical ambiguity؛ فإن هذا الأخير يتسبب عن اشتمال الجملة على إحدى كلمات المشترك اللفظي.

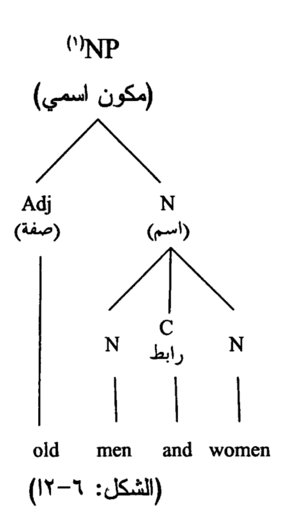
ويمكننا التمثيل للغموض التركيبي بعبارات مثل: old men and women حيث يمكننا النظر إلى old على أنه وصف لكل من men و women، أو على أنه وصف لكلمة men فقط. ويمكن لكل من هذين التفسيرين -أو تلك القراءتين- أن يرتبط بتركيب شجري منفصل، كما يُظهر الشكل (٦-٢):

فالشكل (٦-٢أ) ينطبق على القراءة التي تجعل من old وصفاً لكلٍ من men و women. وقد تم توضيح ذلك بجعل الصفة قسيما للباب النحوي category[1] الذي ينتظم كلا من هذين الاسمين.

---

(١) ترجمة (grammatical) category بـ «باب نحوي» هي ترجمة د. رمزي بعلبكي (ينظر: معجم المصطلحات اللغوية ص٨٤، ٢١٧) وقال بشأنه: «في النحو التوليدي، أي باب يُمثّل برمز خاص، من مثل S للجملة، و NP لشبه الجملة الاسمي، و V للفعل».

وفي مقابل ذلك نجد أن الصفة، في الشكل (٦-٢ب) تؤاخي الاسم men فقط، مجسدةً بذلك «القراءة» التي تجعل من old وصفا للاسم men فقط:

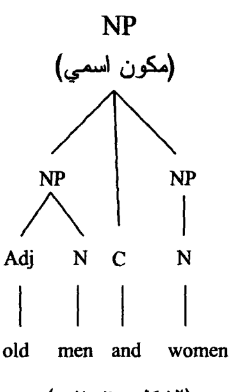


(الشكل: ٦-١٢)

(١) تمثل رموز هذا الشكل مختصرات للمصطلحات الآتية:

NP = noun phrase (مكون اسمي/ شبه جملة اسمي/ عبارة اسمية/ تعبيرة اسمية)
N = noum (اسم)
Adj= Adjective (صفة)
C = Conjunction (رابط/ أداة عطف/ أداة وَصْل...)

ويطلق مصطلح noun phrase على «مجموعة من كلمتين أو أكثر وظيفتها النحوية كوظيفة الاسم، والكلمة المركزية فيها اسم؛ مثلا: The young man ... وقد تحل الكلمة الواحدة ــ كالاسم واسم العلم ــ محلّ شبه الجملة الاسمي، نحو thanked me، he me . ويطلق المصطلح في النحو التوليدي على جزء الجملة المتضمن المسندَ إليه (Subject)، أي الجزء الذي يُشكّل الجملةَ مع شبه الجملة الفعلي [VP]» (معجم المصطلحات اللغوية ص٣٤٠). (ترجمة noun phrase بـــ «مكون اسمي» هي ترجمتي، والترجمات الأخرى هي مما ورد بالمعجم المذكور. وينظر في ترجمات مصطلح conjanction المعجم نفسه ص١١٤).



(الشكل: ٦-٢ب)

وثمة نمط آخر للغموض التركيبي يتمثل في جمل كالجملة رقم (10) الآتية:

10- Nicole saw the people with binoculars.

(رأت «نيكول» الناس بمنظار)

ففي أحد التفسيرين المحتملين لهذه الجملة، يكون الناس -حين رأتهم «نيكول»- يحملون منظاراً، أي يكون شبه الجملة with binoculars مبيّنًا حال الناس (people). وأما على التفسير الثاني، فإن «نيكول» تكون قد رأت النَاس مستعملة منظارا، أي يكون شبه الجملة متعلقا بفعل الرؤية[١].

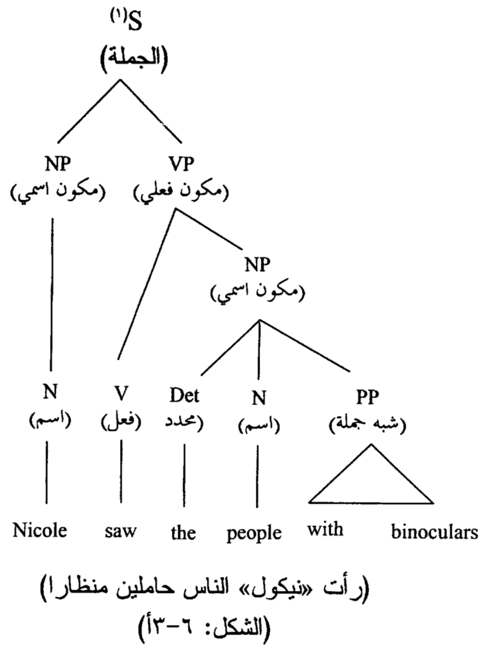
---

(١) وقريب من ذلك قولنا: «ضربتُ زيداً ضاحكاً» فهي جملة تحتمل معنيين: الأول: «ضربت زيداً وأنا أضحك»؛ فيكون الفاعل هو صاحب الحال، والثاني: «ضربت زيداً وهو يضحك»؛ فيكون المفعول به هو صاحب الحال.

[ينظر في هذا المثال وغيره مما يجسِّد صوراً متعددة للغموض: كتاب «العربية والغموض» للدكتور حلمي خليل. والمثال المذكور موجود في ص٢١٣ من الكتاب].

ويمكن تمثيل هاتين القراءتين على النحو المبين في الشكل (٦-٣):

ففي الشكل (٦-٣أ) يتركب شبه الجملة with binoculars (بمنظار) مع الاسم (people) مجسِّداً القراءة الأولى لهذه الجملة. وأما في الشكل (٦-٣ب) فنجد شبه الجملة مؤاخيًا للفعل saw ومفعوله المباشر، وغير مرتبط -على أي نحو- بالاسم people:



(رأت «نيكول» الناس حاملين منظارا)

(الشكل: ٦-٣أ)

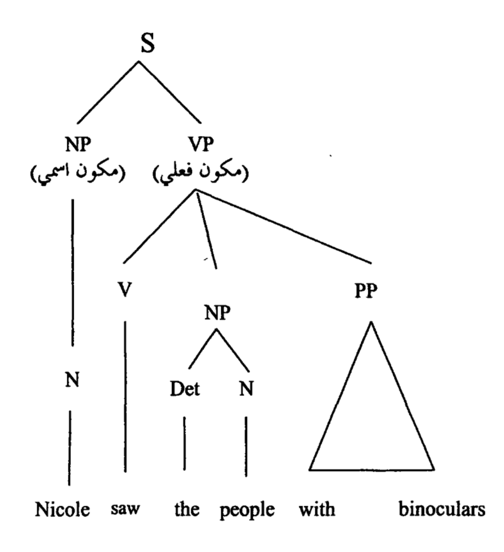
---

(١) تمثل رموز هذا الشكل مختصرات لمصطلحات، هي ــ مما لم يسبق ذكره ــ :

S = sentence (جملة)
VP = verb phrase (مكون فعلي/ عبارة فعلية ...)
V = verb (فعل)
Det = determiner (محدِّد)
PP = prepositional phrase (شبه جملة)

ومصطلح «المحدِّد» determiner هذا، يُطلق على قسم من أقسام الكلم يتميز بوقوعه مجاورا للمكونات الاسمية. ويشمل هذا القسم أدوات التعريف والتنكير (The — a — an...)، وضمائر الملكية (his — her....)، والإشارة (This — That....)، والأعداد numerals (First — Second...)، وكلمات أخرى مثل: more — much — some — any....الخ.

[يظر: Hartman: Dictionary of Language and Linguistics, p. 64]



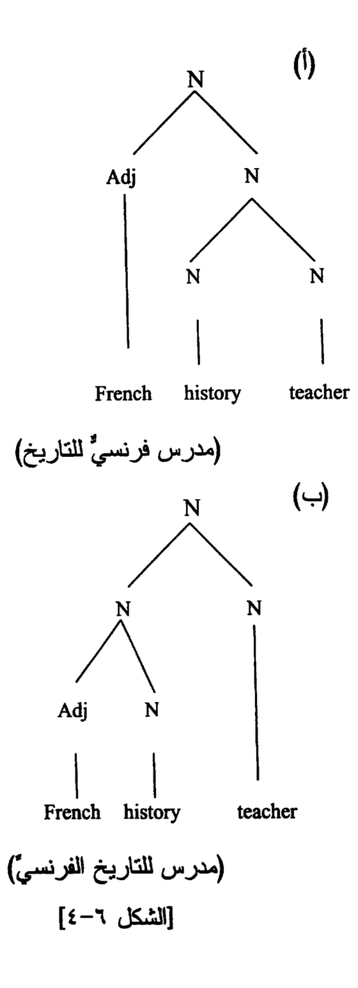
(رأت «نيكول» الناس مستعملة منظاراً)

(الشكل ٦-٣ب)

وإذا أردتَ ـــ بعد ـــ مثالاً أخيراً على هذا النوع من الغموض التركيبي، فتأمل التركيب التالي:

French history teacher (مدرس تاريخ فرنسي)

فهو: إما أن يدل على مدرس فرنسيِّ الجنسية للتاريخ، أو أن يدل على مدرس للتاريخ الفرنسي. ويمكن التمثيل لهاتين القراءتين ـــ على الترتيب ـــ بالرسمين الشجريين الموضحين في الشكل (٦-٤أ / ٦-٤ب):


(أ)
N
Adj
N
N
N
French
history
teacher
(مدرس فرنسيٌّ للتاريخ)
(ب)
N
N
N
Adj
N
French
history
teacher
(مدرس للتاريخ الفرنسيّ)

[الشكل ٦-٤]

إن حالات الغموض التركيبي الثلاث، تلك التي سبق إيجازها توًّا، تشترك في أن التفسيرين المقدَّمَيْن لكل منها، يمكن أن يُعْزَوا إلى الاختلافات في البنية السطحية surface structure. وفي مقابل ذلك، يحدث أحياناً ألا يتأتّى الوصفُ الدقيق للغموض التركيبي إلا بـــ «النظر» إلى البنية العميقة deep structure، لا السطحية. ودونك ــ بهذا الصدد ــ المثال التالي، فتأمَّلْه:

11- Who do you expect to play?

ففي إحدى القراءتين، يمكن أن تفسّر الجملة (11) على أنها سؤال عمَّن سيكون منافسك (من الشخص الذي ستلعب ضِدّه). في حين أن القراءة الأخرى تسأل عمَّن سوف يلعب. وإذا كان من الصعب أن ننظر؛ فنرى، كيف يمكن لتركُّب عناصر الجملة في البنية السطحية أن يعكس هذين التفسيرين المختلفين، فإن اعتبار البِنَى العميقة المناسبة لهذه الجملة يُمدّنا بـــ «الإضاءة» المطلوبة: فالقراءة الأولى تتطابق مع البنية العميقة (12a)، حيث تبدو who مفعولاً مباشرًا direct object للفعل play. وفي المقابل، فإن التفسير الثاني يرتبط بالبنية العميقة الموضحة في (12b)، حيث تكون who فاعلاً subject للفعل play. وفي كلتا الحالتين، فإن حركة who سوف تثمر الجملة رقم (11).

12- a) you expect to play who?

(من تتوقع أن تُلاعب؟)

b) you expect who to play

(من تتوقع أنه سوف يلعب؟)

إن ما ثبت من ضرورة اعتبار «البنية العميقة»، لدى شرح ضروب معينة من الغموض، يقدم شاهداً إضافياً (شائقاً) يدعم وجهة النظر القائلة بأن ثمة مستويين ـ على الأقل ـ للبنية التركيبية: مستوى البنية السطحية، ومستوى البنية العميقة.

الأدوار المحورية Thematic Roles

يمثّل تعيين «الأدوار» التي تؤديها مدلولات المكونات الاسمية (NP)، في «المشهد» الذي تصفه الجملة، مقوِّماً من مقومات التفسير الدلالي لهذه الجملة. ودونك ـ بهذا الصدد ـ الجملة البسيطة (13)، فتأمَّلها:

13- The senator sent the lobster from Maine to Nebraska.

(أرسل عضو مجلس الشيوخ «جراد البحر» من ولاية «مين» إلى ولاية «نبراسكا»).

إن من المستحيل فهم هذه الجملة، إذا لم ننظر إلى the senator (عضو مجلس الشيوخ) على أنه الشخص المسئول عن إرسال شيء ما، وإلى the lobster (جراد البحر) على أنه الشيء المرسَل... وهكذا. إن مصطلح الدور المحوري Thematic role ـ أو الدور الدلالي semantic role ـ يُستعمل لوصف «الدور» الذي ينهض به كائنٌ معين، في حدث ما. ويُظهر الجدول (٦-٦) الحد

الأدنى من الأدوار المحورية التي يمكن تبيُّنها في معظم التحليلات اللغوية (يُلاحظ أن تعريفات هذه الأدوار قد بُسِّطت إلى حدّ ما).

الجدول (٦-٦) الأدوار المحورية

The senator sent the lobster from Maine to Nebraska

Agent: (القائم بالفعل)	الكائن الذي يؤدي ـ عن عمد ـ حدثاً ما	⟵ the senator (عضو مجلس الشيوخ)
Theme[1]: (الواقع عليه الفعل)	الكائن الذي يتعرض لتغير ما في حالته أو يتعرض للنقل	⟵ the lobster (جراد البحر)
Source: (المصدر)	نقطة الابتداء في حدث النقل	⟵ Maine (اسم ولاية أمريكية)
Goal: (الهدف)	نقطة الانتهاء في حدث النقل	⟵ Nebraska (اسم ولاية أخرى)

(١) يلاحظ في هذا المثال ـ وغيره مما سيأتي ـ استعمال مصطلح Theme للدلالة على «من وقع عليه الفعل» ـ فعل التحريك أو النقل... الخ ـ ويوظَف هذا المصطلح كذلك للتعبير عن وظيفة «المسند إليه»، فيكون قسيماً لمصطلح Rheme (المسند). ويكون هو وقسيمه هذا قريبين ـ حينئذ ـ من المصطلحين: Topic (الموضوع)، و Comment (التعقيب).

ينظر: [Trask: A dictionary of grammatical terms in linguistics, p. 278 ومعجم المصطلحات اللغوية ص٥٠٣].

وأشير ــ بعد ــ إلى أن المقصود بفكرة النقل ــ أو الانتقال ــ تلك التي استُعملت في تعريف «الواقع عليه الفعل» theme ، و «المصدر» source، و «الهدف» goal، لا يقتصر على الحركة المادية الفعلية، بل تشمل فكرة النقل ــ كذلك ــ ضروب التبدلات الطارئة على «الملكية»، كما في الجملة (14)، أو على «الهُوِيَّة»، كما في الجملة (15):

14- Terry gave the skis to Mary
(agent) (theme) (goal)
(أعطت «تيري» الزُّحلُوقة لــ «ماري»)

15- The magician changed the handkerchief into a rabbit
(agent) (theme) (goal)
(حوّل الساحر المنديل إلى أرنب)

وثمة أدوار محورية أخرى تكشف عنها التحليلاتُ الدلالية، لدى وصف المكونات الاسمية للجمل. ومن ذلك: ما يمثّله الجدول (٦–٧)، في وصف جُمَل كتلك التالية:

16- The astronomer saw the comet with a new telescope at the observatory
(رأى الفلكيُّ المذنَّب؛ بمجهر جديد، داخل المرصد)

الجدول (٦-٧)

بعض الأدوار المحورية الأخرى

The astronomer saw the comet with a new telescope at the observatory

Experiencer: (المتأثِّر بشيء أو المجرب له) [1]	الكائن الذي يدرك شيئاً ما	⟵	the astronomer (الفلكيّ)
Stimulus: (المثير)	الشيء المدرَك	⟵	the comet (المذنَّب)
Instrument: (الأداة/ الوسيلة)	الشيء المستعمل لتنفيذ حدث ما	⟵	a new telescope (مجهر جديد)
Location: (الموقع)	المكان الذي يقع فيه حدثٌ ما أو يَقَرّ فيه كائن ما	⟵	the observatory (المرصَد)

تعيين الأدوار المحورية:

تشتمل المعاجم على «معلومات» تتعلَّق بنوع الأدوار المحورية المرتبطة بأفعال وحروف جر معينة: فالمدخل المعجمي

---

(١) من الترجمات الأخرى لمصطلح experiencer: الواقع عليه، والمُعاني (ينظر: معجم المصطلحات اللغوية ص١٢٨).

(entry) الخاص بالفعل send (يرسل) ـ مثلاً ـ يشير إلى أن المكون الاسمي (NP) الواقع قبل هذا الفعل يجسِّد دور القائم بالفعل (agent)، وأن المكون الاسمي الواقع بعد هذا الفعل مباشرةً يجسّد دور الواقع عليه الفعل (theme)... وهكذا (كُتب الدور المحوري للمكون الاسمي الواقع قبل الفعل على يسار الشَّرْطة، والدور الوظيفي للمكون الاسمي الواقع بعد الفعل على يمينها، حَسَبَ العرف المتَّبع في ذلك):

17- send (يرسل)

NP	——	NP	(from NP)	(to NP)
agent		theme	source	goal
(القائم بالفعل)		(الواقع عليه الفعل)	(المصدر)	(الهدف)

ومثال ثان: يشتمل المدخلان المعجميان للفعلين see (يبصر) و receive (يتسلم) على المعلومات التالية:

18- see

NP	——	NP
experiencer		stimulus
(المتأثِّر / المجرِّب)		(المثير / المنبه)

19- receive

NP	–	NP
goal		theme
(الهدف)		(الواقع عليه الفعل)

ومثال ثالث: يشتمل المدخل المعجمي لـ near (قُرْب) على المعلومة التالية:

20- near

—— NP

location

(موقع)

إن الدور المحوري الذي يؤديه المكون الاسمي (NP) يتحدّد حَسَبَ الموقع الذي يحتلّه في البنية العميقة. ولننظر ـ بدْءاً ـ في جملة كتلك المرقمة برقم (13) (أعيدت كتابتها هنا برقم 21)، وهي جملة تتميز بتطابق بنيتيها: العميقة والسطحية:

21- The senator sent the lobster from Maine to Nebraska.

(أرسل عضو مجلس الشيوخ «جراد البحر» من ولاية «مين» إلى ولاية «نبراسكا»)

فها هنا: ترتَّبت المكوناتُ الاسمية في البنية العميقة، بحيث يمكن قِرانها بالأدوار المحورية التي سَبَقَ ذكرُها في المدخل المعجمي للفعل send (برقم17): كل مكوّن إزاء دوره المحوري بذات الترتيب تماماً.

وثمة حالة أخرى ـ بهذا الصدد ـ تلفت الانتباه، وتلكم هي الحالة التي تجسّدها الجملة (22)، حيث يقع المكون الاسمي ـ حاملاً

الدور المحوري الاستفهاميّ What ــ في بداية الجملة، بدلاً من وقوعه بعد الفعل، وهو الموقع ــ أعني الوقوع بعد الفعل ــ الذي يتطابق مع الدور المحوري المذكور في المدخل المعجمي للفعل send:

22- What will the senator send from Maine to Nebraska?

(ما الذي سيرسله عضو مجلس الشيوخ من ولاية «مين» إلى ولاية «نبراسكا»؟)

ولحسن الحظ، فإن هذا التباين في «الترتيب» لا يمثّل مشكلة، وذلك لأن المكون الاسمي (What) سيقع ــ في البنية العميقة ــ على يمين الفعل send، وهو موقعه الأصلي، لينهض بدوره المحوري، على نحو ما تُظهر ذلك الجملةُ (23)، حيث يقع What في موقع المفعول المباشر، قبل حصول ما يُسمَّى بحركة أدوات الاستفهام المبدوءة بـ Wh[1] (Wh Movement)

---

(١) تجسِّد حركة أدوات الاستفهام المبدوءة بـ wh (wh-movement) أحد القوانين التحويلية التي تُعنى بها نظرية «العمل والربط» Government and binding theory (=GB). وبمقتضى ذلك القانون التحويلي تتحرّك أدوات الاستفهام تلك من مواقعها الأصلية (في البنية العميقة أو التحتية) إلى موقع الصدارة (في البنية السطحية) تاركة أثراً (ذهنيًّا) Trace (= t) في الموقع الذي تحرّكت منه. وعلى ذلك، يمكن القول بأن جملة مثل: who did you hit (من كرهت؟) قد تكونت كما يلي:

البنية العميقة: did you hit who

البنية السطحية: who did you hit (t)

وقد تأسس القول بحصول هذا «التحرك»، في مثالنا هذا، على أن الفعل hit (يكره) فعل متعدٍّ يتطلب مفعولاً مباشراً تالياً ومجاوراً له (في البنية التحتية). فلما لم يكن هذا الشأن (في البنية السطيحة) بأن وقع هذا المفعول (who) سابقاً للفعل، لا تالياً له، افتُرض أنه قد تحرّك عن موضعه هذا، مجسِّداً أحد العمليات التحويلية.

(ينظر: Riley,English Grammar, p. 209)

23- The senator will send what from Maine to Nebraska.

(عضو مجلس الشيوخ سيرسل «ماذا» من ولاية «مين» إلى ولاية «نبراسكا»)

البنية العميقة والمعنى

كان لتبيُّن وثاقة صلة البنية العميقة، بتفسير الجملة، تأثيرٌ مهمّ وممتدّ على النظرية اللغوية، ومكّن من صياغة الافتراض التالي:

24- In sentences with the same deep structure, noun phrases will be associated with the same thematic roles.

(في الجمل ذات البنية العميقة الواحدة، يكون للمكونات الاسمية نفسُ الأدوار المحورية).

ولا تقتصر صحة هذا التعميم على الأسئلة المبدوءة بـ wh فقط بل تصح ـ كذلك ـ على أزواج الجمل الأخرى التي تتقاسم بنيةً عميقة واحدة. ولنتأمل أزواج الجمل التالية:

25- a) Anton will throw the ball.

(«أنطون» سيقذف بالكرة)

b) Will Anton throw the ball?

(هل سيقذف «أنطون» بالكرة؟)

Anton = agent (القائم بالفعل)

the ball = theme (الواقع عليه الفعل)

26- a) The boxer knocked out the champion.

(صرع الملاكمُ خصمه البطل بالضربة القاضية)

b) The boxer knocked the champion out.

(صرع الملاكم خصمه البطل بالضربة القاضية)

the boxer = agent (القائم بالفعل)

the champion = (الواقع عليه الفعل)
theme

27- a) Sandra received the book.

(تسلمتْ «ساندرا» الكتاب)

b) The book was received by Sandra.

[تُسُلِّم الكتاب (من قِبَل ساندرا)]

Sandra = goal (الهدف)

the book = theme (الواقع عليه الفعل)

إن ما تبيَّن من وثاقة صلة البنية العميقة بتعيين الأدوار المحورية، هو أمر مهم لسببين: **الأول**: أنه يظهر أن البِنَى التركيبية لا تجسِّد الطريقة التي تنتظم بها الكلمات في عبارات فحسب، بل إن لها صلةً وثيقة بالتفسير الدلالي كذلك. **الثاني**: أن ما ثبت من أن موقع المكون الاسمي (NP)، في البنية العميقة، يحدد دوره المحوري، هو شاهد إضافي يؤكد على وجود هذا المستوى التحتيّ للبنية التركيبية.

وهذا ــ بدوره ــ يضيف دَعْماً للافتراض القائل بحتمية وجود نمطين ــ على الأقل ــ للقواعد التركيبية: قواعد بنية العبارة Phrase structure rules وهي التي تكوِّن البنية العميقة، والقواعد التحويلية Transformations التي تنهض بتحويل تلك البنية العميقة إلى أخرى سطحية.

تفسير الضمائر المنعكسة[1] (= بيان مرجعيتها):

إن تفسير الضمائر المنعكسة ــ مثل: himself (نفسه)، herself (نفسها)، themselves (أنفسهم) ــ يرفدنا بشاهد آخر على مدى وثاقة صلة البنية التركيبية بــ «علم الدلالة».

إن الضمائر المنعكسة تصنَّف على أنها نوع من المكونات الاسمية (NP)؛ وذلك أنها تقع في نفس المواقع التي تُخَصَّص ــ عادة ــ لهذه المكونات. ودونك ــ مثلاً ــ الجملة (28)، ففيها يقع الضمير المنعكس himself (نفسه) في الموقع المخصص للمفعول المباشر:

28- Jim hurt himself

(جرح «جيم» نفسَه)

---

(١) الضمائر المنعكسة ــ في الإنجليزية ــ ضمائر تتميز بانتهاء كلٍّ منها باللاحقة self ــ (للمفرد)، أو اللاحقة selves ــ (للجمع). وتحتوي الإنجليزية على ثمانية ضمائر من هذا النوع: خمسة للمفرد (myself - yourself - himself - herself - themselves) وثلاثة للجمع (ourselves ــ yourselves ــ themselves).

ولابد لهذه الضمائر من مرجع تعود إليه، ويسبقها في الموقع.

انظر: Riley, English Grammar, p. 92.

وقد أفرد د. محمود نحلة للضمائر المنعكسة في العربية مبحثاً مستقلاً ضمن كتابه «آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر» (ص٢٣١-٢٥٩)، حيث عرض لجهود نحاة العربية ــ وخاصة سيبويه ــ في دراسة هذه الضمائر: متصلةً بأفعال القلوب (ظن ← ظننتُني غنيًّا....)، أو مسبوقة بكلمة «نفس» ــ مع غير أفعال القلوب ــ (ظلمتُ نفسي...)، وذلك في ضوء ما ورد من هذه الضمائر في القرآن الكريم في المقام الأول.

وحتى نُعيِّن المراد من أي ضمير منعكس، فمن الضروري أن نحدِّد ــ في مكان آخر من الجملة ــ المكوّن الاسمي الذي يجسِّد ما يشير إليه ذلك الضمير (= مرجعيته). ففي جملة، مثل الجملة (28)، نجد أن ما يشير إليه الضمير المنعكس himself قد تخصَّص بالمكون الاسمي Jim. ويُسمَّى هذا المكون الاسمي الذي يطلبه ضمير ما، في الجملة، بــ «مرجع» هذا الضمير its antecedent.

والآن، فلنتأمل الجملتين التاليتين:

29- a) [s Clare showed Alice a picture of herself]

(أرت «كلير»«أليس» صورةً لنفسها)

b) [s Clare said [s Alice took a picture of herself]]

(قالت «كلير»: إن «أليس» أخذتْ صورة لنفسها)

إن معظم أهل الإنجليزية سيجدون أن الجملة الأولى مُلبسة؛ من حيث إن الضمير herself يمكن أن يرجع إلى «كلير»، أو إلى «أليس». وعلى ذلك فإن الصورة (picture) المذكورة في الجملة (29a) يمكن أن تكون لأيهما. وليس هكذا الشأن في الجملة (29b)؛ إذ لا يمكن أن تتوجّه مرجعية الضمير herself إلا إلى «أليس». وينبثق السبب في هذه المفارقة من المبدأ التالي:

30- The Same S requirement: A reflexive pronoun and its antecedent must occur in the same S.

(الضمير المنعكس ومرجعه يجب أن يقعا في نفس الجملة)

ففي (29a) يوجد مكوّنان اسميان (أعني: Clare و Alice) في نفس الجملة، كما يوجد ضمير منعكس (herself) في الجملة ذاتها كذلك. ووَفْقًا للمبدأ (30) فإن أيًّا من ذَيْنِك المكونين الاسميين يمكن أن يكون مرجعًا لذلك الضمير المنعكس؛ ولذلك فإن الجملة (29a) جملةٌ ملبسة. وأما في الجملة (29b) ـ في المقابل ـ فيقع مكوّن اسمي واحد (أعني: Alice) ـ مع الضمير المنعكس في نفس الجملة. وأما المكوّن الاسميّ الآخر (أعني: Clare) فيقع خارج الجملة المحصورة بين قوسين مربعين، وهي الجملة التي يقع فيها الضمير المنعكس (herself)؛ ولذا فلا يمكن لذلك المكوّن الاسمي (Clare) أن يشغل وظيفة مرجع هذا الضمير المنعكس.

إن ما سبق يُظهر لنا الدور الحاسم الذي تنهض به ـ أحيانًا ـ إحدى خصائص البنية التركيبية، في تفسير معاني الجمل، أعني خصيصة وجود «فواصل» بين الجمل الفرعية clause boundaries.

متطلَّبات التحكم المكوِّنيّ (=التحكم في المكونات) C-Command Requirement[1]

ثمة خصيصة أخرى للبنية التركيبية، تتميز بأنها أكثر تجريدًا، و تتدخل في تفسير الضمائر المنعكسة. وذلك في جمل كتلك المُعلَّمة برقم (31)، وهي الجملة التي يمكن تمثيلها بالمخطط الشجري الموجود في الشكل (٦-٥)

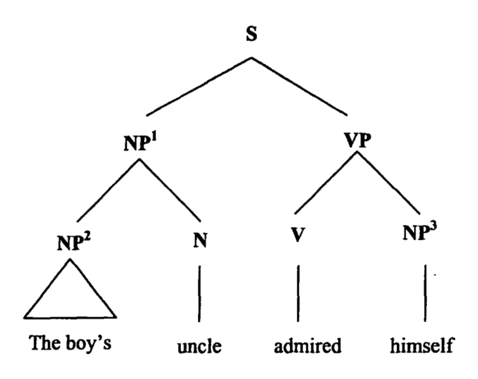
31- The boy's uncle admired himself

(أُعجب عمُّ الولد بنفسه)

---

(١) مصطلح C-Command هواختصار لـ Constiuent command .بمعنى: التحكُّم المكوِّني ـــ أي: التحكُّم في المكوِّنات ـــ [ينظر في هذه الترجمة: د. مرتضى جواد باقر: مقدمة في نظرية القواعد التوليدية ص١٤٨]. ويمثِّل «التحكم المكوِّني» هذا أحد أهم عناصر (نظرية) العمل والربط Government and binding theory، تلك التي تمثل طورًا جديدًا للنظرية التحويلية، يتميز بتركيزه على دراسة العلاقات بين «مكونات» الجملة، من حيث تحديد أي هذه المكونات يتحكم في الآخر (= goverment) من ناحية، وايها ـــ من ناحية أخرى ـــ يمكن أن يترابط (= binding)؛ حتى تفسَّر الجملة تفسيرًا مقبولاً. والمقصود بـــ «التحكم» هاهنا ـــ إجمالاً ـــ هو «تطلُّب الوجود»، بمعنى أن وجود المكوِّنات المتحكِّمة يقتضي وجود المكوِّنات المتحكَّم فيها، فالفعل hit (يكره) ـــ مثلاً ـــ يتحكَّم (= governs) في المكوِّن الاسمي (NP) التالي له، من حيث إن وجود هذا الفعل (المتعدي) يقتضي وجود مكون اسميٍّ تالٍ له، كما في قولنا: hit the donkey.

[ينظر فيما سبق: Aitchison: Linguistics, pp. 192-196 وينظر ـــ من المصادر العربية التي بسطت القول في (نظرية) العمل والربط بعناصرها المتعددة ـــ : د. مرتضى باقر: مقدمة في نظرية القواعد التوليدية ١٤٧-١٦٦].



(الشكل ٦-٥)

فعلى الرغم من وجود مكوّنين اسميين مع الضمير المنعكس himself في نفس الجملة، فإن واحدًا فقط من هذين المكوّنين الاسميين (أعني: The boy's uncle = عم الولد) يمكن أن يكون هو مرجع ذلك الضمير المنعكس. وعلى ذلك، فإن الشخص الذي أُعجب بنفسه في الجملة (31) يجب أن يكون هو «عم الولد»، وليس «الولد».

و «المبدأ» الذي نحتاج إليه لتعزيز هذا التفسير السابق، يُفضي بنا إلى توظيف «فكرة» التحكم المكوّني C-Command، تلك التي تُعرَّف كما يلي:

32- The NP *x* C-commands the NP *y* if every category dominating *x* also dominates *y*.

[المكون الاسمي (*X*) يتحكم مكوّنيًا في المكوّن الاسمي (*Y*)، حين يكون كل باب نحويّ مسيطر على[1] (*X*) مسيطراً كذلك على (*Y*)].

وثمة تقييد ثانٍ يتعلق بتفسير الضمائر المنعكسة، ذلكم هو ما تمت صياغتُه الآن على النحو التالي:

33- The C-Command Requirement: A reflexive pronoun must be c-commanded by its antecedent.

(الضمير المنعكس يجب أن يتم التحكمُ فيه مكوّنيًا بواسطة مرجعه).

والآن، فلننظر: كيف ينطبق «المبدأ» السابق على المكوّنين الاسميين: the boy و the boy's uncle، في تركيب كذلك المبيَّن في الشكل (٦–٥).

إن ثمة بابًا نحويًا واحداً يسيطر على dominate المكون الاسمي The boy's uncle، أعني باب الجملة (S). ولما كان هذا الباب النحويّ يسيطر ــ كذلك ــ على الضمير المنعكس، فإن المكون

---

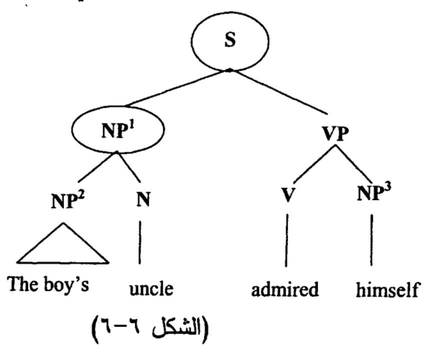
(١) ترجمة مصطلح dominationg أو domination بــ «سيطرة» هي ترجمة د. البعلبكي وذكر في التعريف به: «في النحو التوليدي، العلاقة النظمية بين العناصر اللغوية المختلفة كما تُظهرها العُقَد nodes على الرسم المشجَّر. فالعنصر المعتمد على عنصر آخر بحسب التحليل التركيبي، يكون تحت سيطرة ذلك العنصر، سواء أكانت السيطرة مباشرة أم غير مباشرة» (معجم المصطلحات اللغوية ص١٥٨).

والمقصود بــ «العُقد» ــ جمع عُقدة node ــ هو النقطة التي يتشعّب عنها عناصر أخرى في الرسم الشجري، وإن كان بعض العقد لا يتشعّب (ينظر المصدر السابق ص٣٢٩).

وتكون السيطرة «مباشرة» حين لا توجد عُقَد تفصل بين العنصر المسيطِر والعنصر المسيطَر عليه، و «غير مباشرة» حين توجد مثل تلك العُقَد الفاصلة (ينظر المصدر السابق ص١٥١، ٢٤٤).

الاسمي الأول (NP^1) يتحكم مكوّنيًا في himself؛ وَفْقًا لتعريفنا السابق؛ ويصحّ ــ بالتالي ــ أن يشغل وظيفة مرجع ذلك الضمير. وكما رأينا توًّا، فإن الجملة قد فُهمت في ضوء هذا التفسير.

والسؤال ــ بعد ــ هو: ما بال التفسيرات الأخرى غير المقبولة لهذه الجملة؟ إن المكوّن الاسمي الثاني The boy (NP^2) ــ في الشكل (٦-٥) ــ يسيطر عليه بابان نحويان، هما: الجملة(S) والمكون الاسمي الأول في التفريع الشجري (NP^1) [يلاحظ أن كلا منهما قد أحيط بدائرة في الشكل ٦-٦]. ولما كان الباب الأول منهما فقط (باب الجملة = S) هو الذي يسيطر على الضمير المنعكس، فإن المكون الاسمي الثاني في التفريع الشجري (NP^2) لا يتحكم مكوّنيًّا في الضمير المنعكس himself[١]؛ ولذلك فلا يمكن أن يشغل وظيفة «مرجعه»، وتلك هي النتيجة المطلوبة.



(الشكل ٦-٦)

(١) وذلك لما سبق بيانه بشأن فكرة التحكم المكوّني، من أن تحكُّم مكون اسمي في آخر يستلزم أن يكون كل باب نحوي مسيطرٍ على الأول مسيطراً كذلك على الثاني.

٦-٣ عوامل أخرى ذات دور في تفسير معاني الجمل

إن البنية التركيبية ليست إلا عاملاً واحدًا، من جملة عوامل، تُسهم في تفسير معاني الجمل. فنحن ـ حتى نستعمل اللغة استعمالاً يناسب مقتضى الحال ـ ينبغي أن نثقف الكيفية التي «تتفاعل» بها «قواعد» اللغة، مع «أنساق» المعارف والمعتقدات الذائعة في المجتمع. ودونكم ـ الآن ـ أمثلةً متنوعة لهذا الضرب من «التفاعل»:

التداولية Pragmatics

يطلق مصطلح «التداولية» عادة على حُزْمة «المعارف» ذات الدور المهم في تفسير معنى الجملة. وتشتمل حزمة المعارف هذه، على مخزون المعتقدات والأعراف التي لدى كل من المتكلِّم والمخاطب. كما تشتمل على استيعاب كلٍّ منهما للسياق الذي تُستعمل فيه الجملة، وعلى معرفتهما ـ كذلك ـ بـ «الطرق» التي توظِّف بها اللغة لـ «توصيل» المعلومات. وللتمثيل على ذلك، تأمل الجملتين التاليتين:

34- a) The councilors refused the marchers a parade permit because they feared violence.

[رفض أعضاء المجلس (المسئولون) إعطاء تصريح للمتظاهرين بالمسير؛ لأنهم خشوا من أعمال العنف]

b) The councilors refused the marchers a parade permit because they advocated violence.

[رفض أعضاء المجلس (المسئولون) إعطاء تصريح للمتظاهرين بالمسير؛ لأنهم أيدوا أعمال العنف]

فالبنية التركيبية لهاتين الجملتين واحدة، فيما عدا الفعلين الواردين في الجزء الثاني منهما [Feared (خشوا) في الجملة الأولى مقابل advocated (أيدوا) في الثانية]. وعلى الرغم من ذلك، فثمة تباين في تعيين مرجعية الضمير they في كلٍّ: حيث يعتقد معظم الناس بأن مرجع هذا الضمير، في الجملة الأولى، ينبغي أن يتوجّه إلى councilors (أعضاء المجلس)، في حين ينبغي أن يتوجّه إلى marchers (المتظاهرين)، في الجملة الثانية.

وليس يبدو أن لهذا الترجيح الغالب لمرجعية الضمير صلةً بـ «قواعد» اللغة، بل يبدو أنه «يعكس» ما وقَر في «معتقدنا» بشأن بعض «الجماعات» داخل مجتمعاتنا، أعني ـ تخصيصًا ـ أنه يعكس ترجيحنا لأن يكون «أعضاء المجلس» (المسئولون) هم الفئة التي تخشى من حصول أعمال عنف، لا أن يكونوا الفئةَ المؤيدة له.

The Cooperative Principle مبدأ التعاون (في المحادثة)

توظَّف المعرفة التداولية، في حالات كثيرة، توظيفًا دقيقًا، في بيان المراد من بعض الجمل.

هَبْ ــ مثلاً ــ أن رُبّان إحدى السفن، قد دوّن الملاحظة التالية، في سجلّ متابعة الأداء اليومي على السفينة: «لم يكن المساعد الأول للرُّبّان مخمورًا هذه الليلة». فعلى الرغم من أن هذا «التقرير» statement لا يذكر شيئًا عن «حالة» مساعد الربّان هذا، في الليالي الأخرى، فإن قارئ هذه «الملاحظة» قد يستنتج منها أن لدى هذا المساعد مشكلةً مع السُكْر. ولم ينبثق هذا الاستنتاجُ من المعنى الحرفيّ لهذه الجملة، بل من «الطريقة» التي وُظِّفت بها اللغة لـ «توصيل» المعلومة.

إن من المفترض ــ عادة ــ أن تكون الجمل التي نستعملها جملاً تامّة الفائدة، ومناسبةً للمقام. وقد صار هذا جزءًا مما بات يُعرف بـ «مبدأ التعاون» cooperative principle اللازم للمحادثة. وحين يبدو الكلام غير تامّ الفائدة، أو غير مناسب للمقام، فإن السامع ــ أو القارئ ــ يفترض حينئذ أن عليه ــ أو عليها ــ أن يستنبط ما يردّ به هذا الكلام إلى حال «الإفادة» و «المناسبة».

وفي المثال الذي نحن بصدده، تتضمن عمليةُ «الردّ» إلى حال «الإفادة» هذه، تناولَ هذا التقرير الذي يبدو تقريرًا غير ذي إفادة عن شخص ما (فمساعد الرُّبّان لا يُتوقَّع أن يكون مخموراً)، ثم استنباطَ فائدةٍ ما منه (أعني: أن كون هذا الشخص في غير حال السُكْر، في ليلة ما، هو أمر نادر الحدوث).

ولم يتأسّس هذا الاستنباطُ على معنى الجملة الأصلي، ولا على نَسَق تركيبها، بل تأسّس على افتراض معيَّن، ذلكم هو أن الربّان ـ حين دوّن هذه الملاحظة في سجلّ السفينة اليومي ـ كان يريد أن يفيد «معلومةً» بشأن هذا المساعد. إن مثل هذا «الاستنباط»، أعني ذلك الذي يتأسّس على افتراض معيَّن يتعلّق بـ «الكيفيات» التي «نتواصل» بها... مثل هذا الاستنباط هو ما بات يُعرَف في الاصطلاح باسم «الاستتباع الحواري»[1].

الافتراضات المسبقة Presuppositions

ثمة «مَجلًى» آخر، يمكن لـ «معارف» المتكلم، أن تتجسّد فيه، لدى «استعماله» اللغة. وهناك أمثلة مألوفة تساق للبرهنة على ذلك، منها:

---

(١) هذه هي ترجمة د. رمزي البعلبكي للمصطلح المذكور (ينظر: معجم المصطلحت اللغوية ص١٢٤). وترجمة د. أحمد المتوكل بـ «الاستلزام التخاطبي» (ينظر بحثه: اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم لوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي ص١٧).

35- Have you stopped exercising regularly?

(هل توقّفتَ عن المِران بشكل منتظم؟)

فاستعمال الفعل stop يقضي بأن لدى المتكلم «سابقَ معرفةٍ» بأن المخاطَب كان قد تعوّد على ممارسة بعض التمرينات ممارسةً منتظمة. وفي المقابل، فإن مثل هذا «الافتراض» لا يتحصّل من استعمال الفعل try (يجرّب)، وذلك على نحو ما يظهر من الجملة (36) التالية:

36- Have you tried exercising regularly?

(هل جَرّبتَ المِران بشكل منتظم؟)

إن هذا «الافتراض» ــ أو تلك «المعرفة» ــ التي تتحصّل ضمناً، بسبب استعمال كلمة معيَّنة، أو تركيب معيّن، هو ما بات يُعرَف في الاصطلاح بــ «الافتراض المسبق» presupposition. وهاكم ــ بعد ــ زوجًا آخر من الأمثلة على هذا النوع من «الافتراض»:

37- a) George admitted that the team had lost.

[أقرّ «جورج» بأن الفريق قد هُزِم]

b) George said that the team had lost.

[قال «جورج» إن الفريق قد هُزِم]

فاختيار الفعل admit (أقرّ) في الجملة (37a) يدل على أن المتكلم «يفترض مسبقًا» صحةَ الزعم القائل بهزيمة الفريق. وفي المقابل، فإن هذا «الافتراض المسبق» لا يتحصّل باستعمال الفعل say في الجملة (37b)؛ فالمتكلم في هذه الجملة إنما «ينقُل» تصريح «جورج» فحسب، أي: دون أن يُضمِّن نَقْلَه هذا ما يَشِي بـ «موقفه» إزاء صحة هذا التصريح.

وثمة ـ بعد ـ نوع آخر من «الافتراضات المسبقة»، ذلك هو النوع الذي توضحه الجملة (38) التالية:

38- a) Abraham Lincoln was assassinated in 1865.

(اغتيل «ابراهام لنكولن» في سنة ١٨٦٥)

b) Abraham Lincoln was murdered in 1865.

(قتل «ابراهام لنكولن» ـ عمداً ـ في سنة ١٨٦٥)

ففي حين يتضمن استعمالُ الفعل assassinate (يغتال)، في الجملة (38a)، التنويه بأن «إبراهام لنكولن» كان شخصيةً سياسية شهيرة، فإن استعمال الفعل murder (يقتل عمدًا) لا يتضمن هذا التنويه.

الأحداث الكلامية[1] (= الأحداث التي يصنعها الكلام) Speech Acts

ما زال هناك ـــ بعد ـــ مجموعة من العوامل التي يجب أن توضع في الاعتبار، لدى اصطناع تحليل دلاليٍّ ما. ومما تتضمّنه تلك العوامل: نمط «الحدث» المصاحب لنطق جملة من الجمل. ووفقًا لإحدى الأطروحات المهمة والمؤثرة في هذا الصدد[2]، فإن ثمّة ثلاثة أنماط أساسية من الأحداث الكلامية، هي:

---

(١) يترجم speech act ـــ مفرداً ـــ بترجمات أخرى، منها: العمل الكلامي، والفعل الكلامي، والفعل النطقي [ينظر: د. البعلبكي: معجم المصطلحات اللغوية ص٤٦٥] وقد آثرتُ استعمال «الحدث» بدلاً من «الفعل»، لما قد يسبّبه استعمال هذا الأخير من التباس بينه بمعناه المراد هنا (الشيء المنجز) من جهة، ومعناه الآخر، كفصيل نحوي مقاسم للأسماء والحروف من جهة أخرى.

(٢) يقصد ـــ كما هو متعالم مشهور ـــ نظرية الأحداث الكلامية Speech Act Theory للفيلسوف الإنجليزي «أوستن» Austin، كما جسدها محاضراته الشهيرة المعنونة بـــ How to do things with words (كيف تنجز أشياء بواسطة الكلمات). وقد ترجمها عبدالقادر قينيني (أفريقيا الشرق ـــ الدار البيضاء ١٩٩١). ومن المصادر العربية التي عرضت لهذه النظرية بالتفصيل: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر للدكتور محمود نحلة، ونظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب لطالب هاشم الطبطبائي.

- الحدث القولي[1] Locutionary act، وهو المتمثِّل في «النطق» بجملةٍما لها معنًى معيَّن .

- الحدث الغَرَضي[2] illocutionary act، وهو يعكس «غرض» المتكلم، حين نطق بتلك الجملة (المدح ــ النقد ــ التحذير).

- الحدث التأثيريّ[3] perlocutionary act، وهو يتضمن «الأثر» الذي حقّقه المتكلمُ فيمن يخاطبه، حين نَطق بتلك الجملة.

هب ــ مثلاً ــ أن أحد المدرسين كان يعاني من مشكلة تتعلق بالحفاظ على النظام داخل قاعة الدرس؛ فنَطَقَ ــ ذات يوم ــ بالجملة الآتية: «سأحجزكم داخل القاعة بعد انتهاء الدرس». إن هذا المدرس، حين نطق به الجملة، قد أنتج ثلاثة أحداث كلامية في آن واحد: **أولها:**

---

(١) يترجم locutionary act بترجمات أخرى، منها: الحدث التعبيري، والحدث الكلامي [ينظر: د. رمزي بعلبكي: معجم المصطلحات اللغوية ص٢٩٣] والفعل اللفظي [ينظر: د. محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٦٨] والفعل القولي [ينظر د. عبدالمجيد جحفة: مدخل إلى الدلالة الحديثة ص٣٠].

(٢) يترجم illocutionary act بترجمات أخرى، منها: الحدث التحقيقي [ينظر: معجم المصطلحات اللغوية ص٢٣٦] والفعل الغرضي أو الإنجازي [ينظر: آفاق جديدة ص٦٨].

(٣) يترجم perlocutionary act بترجمات أخرى، منها: الفعل التأثيري [ينظر: آفاق جديدة ص٦٨]، وفِعْل جعْل الإنجاز [ينظر: مدخل إلى الدلالة ص٣٠].

الحدث القولي locutionary act (يتضمن النطق بجملة معناها: سأجعلكم تبقُون بالمدرسة، إلى وقت متأخر، عن الوقت المعتاد للانصراف). **وثانيها:** الحدث الغَرَضي illocutionary act (تحذير)، **وثالثها:** الحدث التأثيري perlocutionary act (إسكات الطلاب).

وليس ثمة ارتباط تلازمي بين أنماط بعينها من البنى التركيبية من جهة، والأحداث الكلامية من جهة أخرى، بحيث يقال إن الحدث الكلامي الفلاني، يرتبط بالبنية التركيبية الفلانية: فتحقيق «غرض» التحذير ــ مثلاً ــ يمكن أن يتجسَّد في:

أ- جملة خبرية (تقرير أو بيان statement).

ب- جملة (تبدأ) بفعل أمر imperative.

ج- سؤال تكون الإجابة عنه بـــ «نعم» أو «لا» (a yes – no question).

د- سؤال يبدأ بأداة استفهام أولها: Wh[1] (a wh question).

وذلك كما يلي:

---

(١) وذلك مثل: what – where– when – why وغيرها. ولا يجاب بـــ «نعم» أو «لا» عن الأسئلة المصدّرة بأدوات الاستفهام تلك [ينظر: معجم المصطلحات اللغوية ص٥٣٦].

39- a) There is a bear behind you.

(هناك دُبٌّ خلفك)

b) Run!

(اجرِ)

c) Did you know there is a bear behind you?

(هل تعلم أن هناك دُبًّا خلفك؟)

d) what is that bear doing in here?

(ماذا يفعل ذلك الدبُّ هنا؟)

وبالمثل، فإن حدثًا تأثيريًّا يهدف إلى جعل شخص ما، يفتح النافذة (= التأثير المطلوب)، يمكن أن يتحقّق التعبير عنه بأنماط تركيبية متعددة، كما يلي:

40- a) I wish you'd open the window.

(أرجو أن تتفضّل بفتح النافذة)

b) Open the window

(افتح النافذة)

c) Could you opent the window?

(هل يمكن أن تفتح النافذة؟)

d) It's awfully hot in here.

(إن حرارة الجو هاهنا لا تطاق)

وبسبب من القدرة «التأثيرية» المرتبطة بنطق الجمل السابقة، فإن ردّ الفعل المناسب، من جانب السامع، لابد أن يكون هو فتح النافذة. وعلى ذلك، فإن المتكلمين بالإنجليزية يعلمون أن الجملة (40c) لا يصح أن تؤوّل على أنها مجرَّد سؤال يراد به تحصيلُ معلومة معيَّنة. فإذا حدث أن أجاب شخصٌ ما عن هذا السؤال بقوله: Yes, I could (نعم، يمكنني)، ثم اكتفى بتلك الإجابة، ولم يتحرّك لفتح النافذة، فإن ذلك يكون من باب «المِزاح»، ولا ريب.

وعلى الرغم من عدم وجود علاقة مباشرة بين بنية الجملة من جانب، والأحداث الكلامية من جانب آخر، فإن هناك مجموعة محدودة من الأفعال، تتميز بأن استعمالها يفضي إلى زيادة وضوح «الغرض» المنشود من التلفظ بالجملة. ومن الأمثلة الشائعة لهذا النوع من الأفعال: promise (يَعِدُ)، و bet (يراهن)، و warn (يحذر)، و agree (يوافق). وذلك كما في الجمل الآتية:

41- a) I promise that I'll be there.

(أعد بأنني سأكون هناك)

b) I bet that the Yankees will lose

[أراهن أن فريق «اليانكيز»[1] سوف يخسر (المباراة)]

---

(١) فريق الـ «يانكيز» yankees هو أحد فرق رياضة كرة «البايسبول» بـ «نيويورك».

c) I warn you that's not a good idea.

(أحذرك... هذه ليست فكرة جيِّدة)

d) I agree that you should do it.

(أوافق على أنك يجب أن تفعل ذلك)

إن هذه الأفعال الموجودة في الجمل المرقمة برقم (41) تشير إلى نوع «الحدث الغرضيّ» المقترن بنطق كلٍّ من هذه الجمل. وقد شمل ذلك: إحداثَ «وعد»، وإحداثَ «تحذير»...الخ. وتُسمَّى هذه الأفعال ــ وأمثالها ــ بالأفعال الإنجازية [١] Performatives؛ حيث إن النطق بأيٍّ منها يُنجِز في التوّ «حدثًا» مستهدَفًا بعينه. وعلى ذلك، فحين أنطق بجملة: I promise that I'll be there (أعد بأنني سأكون هناك)، فإنني بذلك أصنع ــ في التوّ ــ حدثًا معيَّنا، هو «الوعد». وفي المقابل، يختلف الأمر حين أنطق بجملة I'll be there (سأكون هناك). فهذه الجملة الأخيرة قد تكون ــ بخلاف الأولى ــ مجرد تنبؤ، أو تحذير، أو ربما تهديد.

وحين يُستعمل فعل ما، لصنع حدث ما، فإن فاعلة يكون دائماً هو الشخص الأول: مفردًا (I)، أو مجموعًا (we). كما أنه يكون في صيغة الفعل المضارع. وتبقى ــ بعد ــ شروطٌ إضافية،

---

(١) يترجم المصطلح أيضًا بـــ «الأفعال الأدائية». ينظر: د. محمود نحلة: آفاق جديدة ص٦٢.

تتعلّق ببعض الأفعال الإنجازية الأخرى، كأن يكون الناطق بهذه الأفعال صاحبَ سلطةٍ، أو مكانةٍ اجتماعية خاصة، تمنحه حقّاً النطق بها. فمثلا: القسيس، أو قاضي الصلح، هما ـ فقط ـ من يحق لهما التلفظُ بالجملة الآتية: I pronounce you man and wife (أعلنكما زوجًا وزوجة). في حين أن القاضي ـ وحده ـ هو من يحقّ له التلفظُ بجملة: I sentence you to five years in prison (أحكم عليك بالسجن لمدة خمس سنوات).

٦-٤- اللغة والمعنى والفكر Language, Meaning and Thought

لقد سَبَرْنا ـ فيما سبق ـ «الطريقة» التي تُستعمل بها «مفردات» اللغة و «تراكيبها» للتعبير عن «المعنى». ومن الطبيعي ـ بعد ـ أن نتساءل عمّا قد يكون للغة من تأثير على «تشكيل»الطريقة التي «نفكّر» بها.

فإذا كان القول بأن اللغة تيسّر التفكير، وتيسّر حلَّ المشكلات، عن طريق تزويدنا بـ «وسيلة» تجسِّد الأفكار المعقَّدة... إذا كان القول بذلك هو افتراض نتقبّله، بل لا نشك في معقوليته، فلقد جاوز الأمر ذلك إلى القول بأن الأنظمة اللغوية قد يكون لها تأثير جدُّ جوهريّ على عملية الإدراك cognition. بل لقد افتُرض ـ فعلاً ـ أن اللغة المعيَّنة ـ التي

يتكلمها شعب معيَّن ــ «تُشكِّل» الطريقةَ التي «يفكّر» بها هذا الشعبُ من جهة، والطريقةَ التي «يُدرك» بها العالَمَ، من جهة أخرى.

افتراض «سابير» و «وُرْف» The Sapir – Whorf Hypothesis

لقد صار هذا الافتراض السابق ــ في اشهر مجاليه وأعظمها تأثيرًا ــ يعرف باسم «افتراض سابير وورف»، تنويهًا باللغويَيْن اللذين عبّرا عنه أوضح تعبير: إدوارد سابير[1] Edward Sapir وبنيامين لي ورف[2] Benjamin Lee Whorf.

لقد كتب «سابير» ــ مثلاً ــ في سنة ١٩٢٩م: «إن البشر يخضعون ــ كل الخضوع ــ لرحمة اللغة المعينة التي غدت وسيلة التعبير في مجتمعهم... إن العالم الواقعي يتشكَّل ــ إلى حدّ بعيد ــ في

---

(١) إدوارد سابير (١٨٨٤-١٩٣٩م) لغويّ وأنثروبولوجي أمريكي معروف. ولد في ألمانيا، ثم هاجر مع أسرته إلى الولايات المتحدة الأمريكية في ١٨٨٩م، وحصل على الدكتوراه من جامعة كولومبيا في ١٩٠٩م. انصبت دراساته ــ في المقام الأول ــ على اللغات الهندية الأوربيةْ. ومن أبرز أعماله: Language: An Introduction to The study of Speech (1921) (اللغة: مقدمة لدراسة الكلام)

(ينظر: The Encyclopedia Americana, vol. 24, p.253)

(٢)بنيامين لي وُرْف (١٨٩٧-١٩٤١م) لغوي أمريكي، من تلاميذ «إدوارد سابير»، اشتهر بالافتراض المذكور حول طبيعة العلاقة بين اللغة والفكر، كما اشتهر بدراساته في اللغة العبرية واللغة الهوبية Hopi Language

ينظر: The New Encyclopedia Britannica, vol. 12, p. 645.

ضوء الأعراف اللغوية language habits الشائعة لدى أهل اللغة، ودون وَعْي منهم بذلك».

ولقد تصرّمتْ سنون عدة، على مقولة «سابير»، تلك السابقة، ليأتي بعده «وُرْف» Whorf، فيجسّد الفكرة نفسها، في صورة «الزعم» التالي:

«إننا نعاين الطبيعة (ندرك مكوناتها) عَبْر دروب خططتها لغتنا الأم. ونحن لا نكتشف ما نقوم بفرزه من عالم الظواهر the world of phenomena، أي مكوّناته: من طبقات categories وأصناف types...؛ لأن هذه المكونات، من الوضوح والتمايز، بحيث تكاد تحملق في وجه الناظر إليها. أقول: نحن لا نكتشف تلك المكونات، بل إن ما يحدث هو عكس ذلك تماماً: فالعالم هو الذي يُقدِّم لنا في تيار متتابع ومتجدد من الانطباعات (الذهنية). وهذا التيار يتوجّب تنظيمُه بواسطة عقولنا، أو ـ بالأحرى ـ بواسطة الأنساق اللغوية الموجودة في عقولنا».

وثمة ظاهرتان لغويتان، يشيع الاستشهاد بهما، لدى دعم افتراض «سابير وورف» ذلك السابق:

الأولى: التباين في عدد المفردات اللغوية.

الثانية: التنوُّع في نمط التقابلات النحوية grammatical contrasts التي تشتمل عليها اللغة.

فأما الظاهرة الأولى، فيُمثَّل لها بما هو مقرَّر من احتواء لغة الإسكيمو على كلمات تتعلّق بالثلج، أكثر من تلك التي تحتوي عليها اللغةُ الإنجليزية، في حين أن العربية أعظم ثراءً في مجال المفردات الدالة على «الرمل». وتأسيسًا على ذلك، يُستنتَج ــ أحيانًا ــ أن اللغة الإسكيمية واللغة العربية تسمحان للمتكلمين بهما بــ «إدراك» ما بين أنواع الثلج والرمل من «فروق» حسيَّة، في حين لا تسمح الإنجليزية للمتكلمين بها بــ «إدراك» مثل هذه الفروق.

وثمة تفسير آخر أكثر «معقولية» من ذلك السابق، وهو أن اللغة تتشكّل حَسَبَ الحاجة؛ لتتكيَّف مع مكوِّنات البيئة: ثقافية كانت أم مادية. ووَفْقًا لهذه «الرؤية» البديلة، فإنه إذا احتوت لغةٌ ما، على قدر وفير من المفردات في مجال ما، فما ذلك إلا لأهمية الفروق الدقيقة التي تعبّر عنها هذه المفردات، لدى الناطقين بتلك اللغة. بل إنّ من يتكلمون لغة لا تمتلك مثل هذا القدر الوفير من المفردات، في ذلك المجال، يستطيعون اصطناع قَدْر من «الفروق» المناسبة، إذا صار لهذه الفروق أهميةٌ لديهم. ولعلّ هذا ما يفسِّر لنا قدرة المتزحلقين على الجليد ــ مثلاً ــ على «التمييز» بين أنواع متباينة من «الثلج»، على الرغم من أن لغاتهم لم تُفرد كلماتٍ مستقلّةً لكل من هذه الأنواع. فهم يستطيعون ــ لدى الضرورة ــ أن يستثمروا «موارد» لغاتهم، لرصد هذه «الفروق»، وذلك بابتكار تعبيرات جديدة، مثل: الثلج المسحوق powder snow.

ولننتقل ــ بعد ــ إلى «النَّظَر» في الاختلافات اللغوية المتعلّقة بالتعبير عن التقابلات النحوية grammatical contrasts، وهي الظاهرة التي ركّز عليها «وُرْف» Whorf. لقد حاول «وُرْف» أن يربط بين خلوّ اللغة الهُوبيّة Hopi ــ إحدى لغات الهنود الحمر في الجنوب الغربي الأمريكي ــ خلوًّا ملحوظًا، من صيغ تعكس التقابلات الزمنية، وبين الموقف الحضاري إزاء «الزمن» و «المستقبل»، لدى الهوبيين مقارنةً بغيرهم.

فحسبما يعتقد «وُرْف»: لا يتألّف الزمنُ ــ لدى الرجل الهُوبي ــ من تعاقب وحدات متمايزة، كالأيام، بل هو «شيء» واحد يتعاقب على نحو منتظم: ظهورًا واختفاء؛ فليس لدى الهوبيّ يومٌ «جديد» ــ على زعم «وُرْف» ــ بل عودةُ ظهورٍ لليوم نفسه فحسب! لقد اعتقد «وُرْف» أن هذا الموقف من «الزمن» قد انعكس في عقيدة الرجل الهوبي، بحيث صار يرى أن من الأفضل التعاملَ مع «المستقبل»، بالعمل في الوقت «الحالي»، ذلك الذي سيرجع بدوره باعتباره هو المستقبل.

ومرة أخرى، تثور اعتراضاتٌ لا حصر لها، ضِدَّ رؤية «وُرْف»، تلكَ السابقة: فقد ثبت ــ بَدْأَةَ ذي بَدْأ ــ أن «وُرْف» كان مخطئاً، حين اعتقد بخلوّ اللغة الهوبية من صيغ دالة على تنوُّعات الزمن؛ إذ ثَبَتَ ــ فعلاً ــ وجودُ هذه الصيغ الزمنية في تلك اللغة.

وفضلاً عن ذلك، فلو سلَّمنا ــ جدلاً ــ بأن اللغة الهوبيّة تخلو من صيغ تعبِّر عن «تنوعات» الزمن، أو سلَّمنا بأن تلك «التنوعات» تختلف ــ كلَّ الاختلاف ــ عن نظيراتها في اللغة الإنجليزية، فإنه يبعُد أن يكون لذلك ارتباطُ حتميّ بـــ «موقف» متكلمي تلك اللغة من «الزمن». فلا أحد يشكّ ــ مثلاً ــ في تبنّي عدد كبير من متكلمي الإنجليزية للفلسفة «الهوبيَّة» في التعامل مع الزمن، كما لا يُشَكّ ــ كذلك ــ في أن بعض الهوبيين لا يتبنّى تلك الفلسفة.

فإذا نحّينا مشكلة «الزمن» في اللغة الهوبيّة جانبًا، فإن الربط بين كثير من الظواهر النحوية من جهة، والقدرة على صنع تقسيمات في عالمنا الواقعي من جهة أخرى، هو أمر يبدو ــ في معظم حالاته ــ بعيدًا عن منطق العقل: فاللغة الفنلندية ــ مثلاً ــ لا تتضمّن تقابلات في الفصائل النحوية تعكس «التنوع» في الجنس الطبيعي (ذكر / أنثى)، فهل يسوغ ــ في ضوء ذلك ــ أن نقول بأن غياب التميز النحوي بين «هو» و «هي» يعوق قدرة «الفنلنديين»على التمييز بين «الذكور» و «الإناث»؟! وكذلك: يصعُب التصديق بأن الفرنسيين يعتقدون بأن بين «النساء» و«الخيَم» و «القمصان» قدرًا من التشابه، لمجرد أن الألفاظ الدالة عليها (femmes, tentes, and chemises) تنتمي إلى نفس الفصيل النحوي (المؤنث).

تجربة

أُجريت عدة تجارب للتحقق من افتراض «سابير» و «وُرْف»، وذلك بالاستعانة بوسائل تجريبية. وكانت أشهر هذه التجارب، تلك التي أُجريت عام ١٩٥٨م.

كان الهدف الرئيسي من هذه التجربة، هو تحديد تأثير اللغتين: الإنجليزية والنافاهية[1] Navaho على «الإدراك الحسيّ» perception لـ «اللون»، و «الحجم»، و «الشكل». ففي اللغة «النافاهِيّة»، تتنوع صيغ الأفعال الدالة على معالجة الأعمال، وَفْقًا لـ «شكل» الشيء موضع المعالجة: فالشيء الطويل المرِن (ثعبان مثلاً) يتطلّب صيغةً فعلية معيَّنة (šánléh)، والشيء الطويل الصُّلب (رمح مثلاً) يتطلَّب صيغةً فعلية أخرى (šántuh)، ثم هناك صيغة فعلية ثالثة (šánilcoos) للمادة المرنة المسطَّحة. وحيث إن هذا التقسيم غير موجود في «قواعد» اللغة الإنجليزية، فقد ظُنّ أنْ سيكون تباينٌ

---

(١) الـ «نافاهو» Navaho هي إحدى أشهر لغات عائلة اللغات «الأثاباسكانية» Athabaskan ـ إحدى عائلات اللغات الهندية الأمريكية ـ وتنتشر الـ «نافاهو» في كل من Arizona و New Mexico ، ويتكلم بها نحو مائة وعشرين ألف نسمة.

ينظر:

Crystal: An Encyclopedic Dictionary of Language and Languages, p. 261.

في «تصنيف» الأشياء بين الأطفال الذين يتحدثون بهاتين اللغتين. وقد صُمِّمت التجربة لاختبار هذه «الظِّنّة».

زُوِّد كلٌّ من الأطفال المشاركين في التجربة بزوج من الأشياء (عصًا وقطعةِ حَبْل)، ثم عُرِض عليهم شيء ثالث، وطُلب منهم أن يُخبروا مُجرِي التجربة: أيّ الزوجين (العصا أم قطعة الحبل) أليَق بالاقتران بهذا الشيء الثالث الجديد؟

وقد كان المتوقَّع أن تعكس استجاباتُ الأطفال المتحدثين بـ «النافاهِيّة» ذلك التصنيفَ الذي يفرضه نظامُ الأفعال في لغتهم، أعني أن تتأثّر هذه الاستجاباتُ بالتشابه في «الشكل»، دون «الحجم»، أو «اللون». ومع ذلك، فقد تبيَّن أن استجابات الأطفال السبعة والأربعين البيض الناطقين بالإنجليزية ـ وكانوا من ولاية بوسطن Boston ـ كانت قريبة جدًّا من استجابات الأطفال التسعة والخمسين الناطقين باللغة «النافاهِيّة»: لغتِهم الأصلية والوحيدة. فإذا سلَّمنا بالفروق النحوية بين اللغتين، فقد جاءت نتيجة هذه التجربة ـ إذن ـ مخالفةً لما كان متوقَّعًا، حَسَبَ افتراض «سابير» و «وُرْف».

لقد أدّى الإخفاق المتكرّر لما أجُري من محاولات تجريبية، للكشف عن وجود تأثيرات مطّردة للغة على تشكيل العالم... أدّى إلى الانتقاص من مصداقية افتراض «سابير» و «وُرْف»، كأَبْلَغ ما يكون الانتقاص. بيد أن هذا الانتقاص لا يعني أن اللغة لا تمثِّل الواقع، من

مناخ مختلفة؛ فلا شك أن لها دوراً في ذلك، فمثلاً: تفرّق اللغة الفرنسية بين معرفة شخص ما (connaitre)، ومعرفة شيء ما (savoir)، وهي تفرقة لا يعرفها نظامُ «الفعل» في اللغة الإنجليزية. وفي المقابل، فإن اللغة الإنجليزية تشتمل ـ في مجال «الضوء» ـ على حَشْد من الأفعال، يجسّد فروقًا جِدّ دقيقة لأشكال الضوء، مما لا نجده في اللغات الأخرى، ومن تلك الأفعال: glimmer (يومض)، glitter (يتألق/ يلمع)، glow (يتوهّج)، glisten (يتلألأ).

وأما ما هو محلّ شك، فهو مدى صحة القول بأن هذه الاختلافات في الوصف اللغوي لـ «الواقع»، تعكس اختلافات أعمق في أنماط «الفكر»، أو «الإدراك الحسيّ».

تلخيص

يُعنى علم الدلالة بدراسة قدر وافر من الظواهر اللغوية، منها: طبيعة المعنى، ودور البنية التركيبية في تفسير معاني الجمل، وتأثير «التداولية» pragmatics ومعارف المتكلم في فهم المنطوقات اللغوية. وعلى الرغم من استمرار وجود مشكلات عويصة في كل من هذه المجالات، فإن الدرس الدلالي قد نجح ـ في الأعوام الأخيرة ـ في تحديد أنماط «العلاقات» و «الآليات»، و «المبادئ» اللازمة لـ «فهم» اللغة. ومن ذلك: فكرة «الماصدق» extension، و «المفهوم» intension، لدى دراسة معنى الكلمة، وفكرة «متطلبات التحكم المكوِّني» C-

لدى تفسير الضمائر، وفكرة تعيين الدور Command Requirement المحوري Thematic role لدى تفسير معنى الجملة

المصادر Sources

تشتمل كثير من الكتب ــ تلخيصًا ومناقشة ــ على كثير من النظريات المتعلقة بطبيعة معنى الكلمة، وبالعلاقات الدلالية. ومن هذه الكتب الكتابان المذكوران أسفل (في القراءات المقترحة) لكل من «فودر» Fodor و «كمبسون» Kempson.

وأما مبدأ التعاون (في المحادثة) Cooperative Principle، فقد نهض بتلخيصه والمنافحة عنه «بول جرايس» Paul Grice في مقالته المهمة Logic and Conversation (علم المنطق والمحادثة) المنشورة في كتاب Syntax and Semantics 3 (علم التركيب وعلم الدلالة ٣) الذي حرّره كلٌّ من «كول» P.cole و «مورجان» J.Morgan (New York: Academic Press, 1975).

وأما نظرية الحدث الكلامي Speech Act Theory فقد عُرِضت في كتاب «أوستن» J.Austin الشهير: How to Do Things with Words (كيف تنجز أشياء باستعمال الكلمات) (Oxford: Clarendon Press, 1962).

وأما نص «إدوارد سابير» Edward Sapir الوارد في موضوع «اللغة والفكر» فقد تم اقتباسه من فقرة وردت في مقال «وُرْف» Whorf: «The Relation of Habitual Thought and Behavior to Language» (علاقة أنماط الفكر والسلوك باللغة)، وهو المقال الذي أعيد نشره في كتاب Language, Thought and Reality (اللغة والفكر والواقع) الذي حرّره «كارول» J. Carroll (Cambridge, Mass.: MIT Press, 1956).

وأما نصّ «وُرْف»، فقد تم اقتباسه من مقاله Science and Linguistics (العلم وعلم اللغة)، وهو المقال الذي أعيد نشره كذلك في كتاب «اللغة والفكر والواقع».

وأما تلك المحاولة التي نُفِّذت للتحقق ــ تجريبيًا ــ من صحة افتراض «سابير» و «وُرْف»، فقد ذُكرت في مقال مشترك لكل من «كارول» J. Carroll و «كازاجراندي» J. Casagrande، بعنوان: The Function of Language Classification in Behavior (دور التصنيف اللغوي في السلوك) . وقد نُشر هذا المقال في كتاب Readings in Social Psychology (قراءات في علم النفس الاجتماعي) الذي حرره «ماكوبي» E. Maccoby وآخرون (New York: Henry Holt, 1958).

قراءات مقترحة:

- Fodor, Janet Dean. 1978. *Semantics: Theories of Meaning in Generative Grammar*. Cambridge, Mass.: Harvard University Press.
- Hurford, James and Brendan Heasley. 1983. *Semantics: A Coursebook*. London: Cambridge University Press.
- Kempson, Ruth. 1977. *Semantic Theory*. London: Cambridge University Press.
- Lyons, John. 1977. *Semantics*. Vols. 1 and 2. London: Cambridge University Press.
- McCawley, James. 1981. *Everything That Linguists Have Always Wanted to Know About Logic*. Chicago: University of Chicago Press.

مصادر وحواشي الترجمة

١- المصادر العربية والمترجمة

- **د. أحمد المتوكل:**

- اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم لوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي، ضمن كتاب مؤتمر «البحث اللساني والسيميائي»، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

- **أوستين:**

- نظرية أفعالِ الكلام العامة (كيف تنجز الأشياء بالكلام)، ترجمة عبدالقادر قينيني، أفريقيا للشرق ـ الدار البيضاء ١٩٩١م.

- **د. حلمي خليل:**

- العربية والغموض، دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية ١٩٨٨م.

- **الرُّماني (أبو الحسن علي بن عيسى):**

- الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى، تحقيق د. فتح الله صالح المصري، دار الوفاء ـ المنصورة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

- **ابن السكيت (أبو يوسف يعقوب بن إسحاق):**
  - كتاب الإبدال، تحقيق د. حسين محمد شرف، مجمع اللغة العربية ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
- **سليمان بن بنين الدقيقي:**
  - اتفاق المباني وافتراق المعاني، تحقيق د. يحيى عبدالرؤوف جبر، دار عمّار ـ عمّان ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
- **طالب سيد هاشم الطبطبائي:**
  - نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت ١٩٩٤م.
- **د. مرتضى جواد باقر:**
  - مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق ـ عمّان ٢٠٠٢م.

٢- المصادر الأجنبية

- **Aitchison, Jean:**
  - Linguistics, Hodder & Stoughton, London, 1992.
- **Crystal, David:**
  - An Encyclopedic Dictionary of Language and Languages, Blackwell, Oxford, 1992.
- **Hartman R.R.K. and Storck F.C.**
  - Dictionary of Language and Linguistics, Applied Science Publishers LTD, London, 1976.
- **Riley, Kathryn and Parker, Frank:**
  - English Grammar, Allyn and Bacon, London, 1998.
- **The Encyclopedia Americana** (International Edition), Grolier incorporated, 1992.
- **The New Encyclopedia Britannica,** Encyclopedia Britannica, Inc., 2003.
- **Trask R.L.:**
  - A Dictionary of Grammatical Terms in Linguistics, Routledge, London, 1993.

مصطلح "المعنى" فى كتاب سيبويه

(دراسة فى ضوء علم المصطلح)

د. صبحى إبراهيم الفقى

١٤٢٧هـ ــ ٢٠٠٦م

المقدمة

لقد اتجهت جُل الأبحاث اللغوية؛ قديماً وحديثاً، صوب دراسة «المعنى»؛ وذلك لأهميته القصوى، ليس فى اللغة فحسب؛ بل فى كثير من مجالات الدراسة؛ فـ «المعنى» قمة الدراسات اللغوية من ناحية، والهدف من الكلام فى أى من المجالات هو توصيل «المعنى»؛ فهو مصطلح قديم جديد فى كثير فى اللغة وغيرها.

وقد اتجه علم اللغة المعاصر نحو دراسة هذا الفرع اللغوى؛ ابتداء من بيان مفهومه، ومروراً بكيفية تحصيله، والتغيرات التى يمر بها عبر العصور، بالانتقال، أو التوسيع، أو التضييق، أو الرقى، أو الانحطاط... إلخ من القضايا المتصلة به مثل السياق بنوعيه.

لكن دراسة هذا المصطلح فى مصادر النحو العربى، على وجه الخصوص «الكتاب»، لم تلق دراسة مستقلة عبر علم المصطلح على الرغم من أهميته القصوى كما أشرنا.

والنقطة الأخيرة تلقى الضوء على الفكرة التى سيدور حولها هذا البحث، فلن يتجه نحو دراسة «المعنى» بالصورة التى اتجهت نحوها جل

الدراسات اللغوية الغربية والعربية، لكن بدراسته عبر علم المصطلح "Terminology" ، ما دلالته عند القدماء والمحدثين، ثم الدلالات التى حملها عند سيبويه.

والاتجاه نحو تحديد المصطلحات له أهمية قصوى فى تحديد معالم المصطلح، وتحديد المجال الذى يستعمل فيه، ومن ثم استقرار العلم الذى يقع هذا المصطلح فيه، وكذا التخلص من حالة الاختلاف فى دلالة المصطلحات التى يشهدها كثير من مصطلحات علم اللغة.

ونظراً لكثرة الدراسات حول «المعنى» منذ القدم وحتى يومنا هذا، فلن يخوض هذا البحث فى القضايا المتصلة بـ «المعنى» كما أشرنا، لكن التركيز سيكون على التنظير المختصر، ثم الدراسة التطبيقية، بمعنى إبراز دلالة المصطلح، لغة واصطلاحاً، ثم دلالته حديثاً، عربياً وغربياً، عبر بعض دراسات اللغويين المحدثين، ثم الدراسة التطبيقية فى «الكتاب» كما سيتضح من خطة البحث.

وغنى عن الذكر أن الدراسة الاصطلاحية، أو علم المصطلح فرع من علم اللغة التطبيقى[1]، Applied Linguistics ، وهذا الجانب لا شك فى حاجة المكتبة العربية.

وهذا المصطلح قد توفرت فيه كل العوامل التى تؤهله لأن يُسَمى مصطلحاً، وذلك لكونه دالاً على مفاهيم محددة، وكونه مفرداً، ومتفقاً عليه تقريباً... إلخ من العوامل أو شروط المصطلح[2].

---

(١) د. محمود فهمى حجازى: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت، ص ٢٤.

(٢) السابق، ص ٢٤ ـ ٢٨.

وليس الاتجاه نحو علم المصطلح جديداً فى ذاته، لكنه يمثل أهم مظاهر استقرار العلوم عامة، والعلوم اللغوية خاصة، ولهذا كثرت الدراسات التى تدور حول علم المصطلح بصور واضحة[٣].

وسوف تسير خطة الدراسة على النحو التالى:

(٣) بالبحث فى شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت» تبين أن عدد المواقع البحثية حول علم المصطلح، المصطلح اللغوى Linguistic Terminology هو ١٩٦٠٠، وعدد المواقع التى تبحث فى Terminology هو ٤٨١٠٠٠٠٠. تاريخ هذا الإحصاء ٢٠٠٥/٥/٣١.

العنوان: مصطلح"المعنى" عند سيبويه :دراسة في ضوء علم المصطلح

المقدمة : وتدور حول الدراسات السابقة ، وأهمية هذا الموضوع ٠

المبحث الأول : مصطلح "المعنى" بين سيبويه وعلم اللغة الحديث ؛ وينقسم إلى:

أولاً : تعريف المصطلح :

أ- التعريف اللغوي ٠

ب- التعريف الاصطلاحي ٠

ثانياً : مصطلح "المعنى" بين سيبويه وغيره :

أ – ورود مصطلحي "المعنى" و "الدلالة" عند سيبويه وبعض اللغويين العرب ؛ مثل : المبرد وابن السراج وابن جني والزمخشري وابن هشام ٠ وكيفية تعامل سيبويه مع المصطلح ٠

ب – مصطلح "المعنى" عند المحدثين ٠

المبحث الثاني : مصطلح "المعنى" على المستوى النحوي :

١ – العمل النحوي ٠

٢ – التقدير النحوي ٠

٣ – مصطلح المعنى وأقسام الكلمة ٠

المبحث الثالث : مصطلح "المعنى" على المستوى الدلالي :

١ – الترادف ٠

٢ – الدلالة :

أ- الدلالة الاجتماعية ٠

ب- الدلالة النحوية أو التركيبية ٠

المبحث الرابع : مصطلح "المعنى " على مستوى الأساليب ٠

- الخاتمة ٠
- أهم المصادر والمراجع ٠
- فهرس البحث ٠

لقد أفرزت الدراسات اللغوية القديمة والحديثة عددا كبيرا من الدراسات العامة والخاصة على النحو التالي :

أولاً : مصادر النحو العربي جميعها ؛ فلم تتوقف مادتها على الموضوعات النحوية فقط ؛ بل اشتملت كذلك على قضايا كثيرة متصلة بـ"المعنى" ؛ وليس أدل على ذلك من اشتمال كتاب سيبويه (١٨٠هـ) على (٢٤٢٠) موضعا لمصطلح "المعنى" ومشتقاته المتعددة ؛ غير المترادفات التي تدور في المجال الدلالي لهذا المصطلح . ولم يتوقف الأمر عند سيبويه بل تعداه إلى من عاصره ، ومن جاء بعده ؛ وهذا أمر طبيعي ؛ لأن أغلب من جاء بعده دار في فلكه ؛ بالشرح ، والنقد ، والتبويب ، والترتيب ... إلخ [4] .

ثانيا: مصادر لغوية تخصصت بكاملها في بعض قضايا " المعنى" ؛ مثل : كتب (الأضداد في اللغة) لكل من : ابن الأنباري ، وابن السكيت ، وأبي حاتم ، وأبي الطيب اللغوي ، والأصمعي . وكتب (المشترك) ؛ مثل كتاب (ما اتفق لفظه واختلف معناه) لأبي العميثل الأعرابي ، وكتب الأشباه والنظائر ... إلخ .

ثالثا: أما الدراسات الحديثة فالحديث عن "المعنى" فيها كثير جدا عن تلك الدراسات القديمة ؛ على وجه الخصوص حينما عُدَّ "المعنى" الوجه الثاني لعملة التحليل اللغوي : منظومة الشكل والمعنى؛ ومن ثم توجهت معظم الدراسات اللغوية الحديثة تلقاء "المعنى" ؛ خاصة عند الحديث عن التحليل اللغوي ، أو كتب (مقدمة في علم اللغة) [5] .

أما عن أهمية هذا البحث من بين هذا الكم الكبير من الدراسات حول المعنى ، فتكمن في أن معظم هذه الدراسات ، إن لم تكن كلها ، قد اتجهت نحو معالجة المعنى بوصفه العنصر المقابل للشكل ، أو من خلال القضايا المتصلة بالمعنى كما أشرنا مثل السياق وغيره . لكن هذا البحث يتجه نحو سير هذا المصطلح بين المستويات

---

[4] - انظر تفصيل الاحصاءات الواردة عن بعض النحويين القدماء لمصطلحي "المعنى" و"الدلالة" في الجزء الخاص بـ "مصطلح المعنى بين سيبويه وغيره" .

[5] - انظر على سبيل المثال:

- د .محمود السعران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، دار المعارف ، مصر ،الطبعة الأولى، ١٩٦٢ .
- د . أحمد مختار عمر: علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ،الطبعة الثانية ، ١٩٨٨ .
- مدخل إلى علم اللغة لكل من د . محمود فهمي حجازي و د . رمضان عبد التواب و د . حلمي خليل
- د . محمود سليمان ياقوت : قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين
- د . فايز الداية : علم الدلالة العربي ؛النظرية والتطبيق ،دراسة تاريخية ، تأصيلية ، نقدية ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٦ .
- استيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة ، ترجمة د . كمال بشر ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٠ .
- ماريوباي: أسس علم اللغة ، ترجمة د . أحمد مختار عمر
- ف .ر .بالمر : علم الدلالة إطار جديد ، ترجمة د . صبري إبراهيم السيد ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٢ .

-Palmer ,F. Semantics. Cambridge :Cambridge University Press. 1981
- John Lyons.Semantics. London:Cambridge University Press. 1977

- كذلك يوجد عدد ٠٠٠ و٧٠٠ و١٤ نتيجة بحث عن مصطلح "Semantics " ، وكذلك :٠٠٠و ٠٠٠و ٢٢٠ نتيجة عن مصطلح "Meaning"وذلك بتاريخ ٢٨- ١- ٢٠٠٦ على الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) .
- وبالبحث في الدراسات الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق على (الإنترنت) وُجد ٢٢٠ موضعا عن (الدلالة) ، و٤٦١ موضعا عن (المعنى) ؛ وذلك بالتاريخ السابق نفسه .

اللغوية الأخرى ؛ خاصة (النحو) و(الدلالة) ، لكن على المستويين المعجمي والصرفي كان قليلا . فقد اتضح أن هذا المصطلح سوف يحمل دلالات أخرى غير ما اتفقت عليه تلك الدراسات السابقة .

وكذلك تكمن الأهمية في أن علم المصطلح "**Terminology**" يُعد جديدا نسبيا[٦] بالقياس إلى قضايا علم اللغة الأخرى ؛ فقد اتجهت الدراسات الحديثة في الشروع في عمل ما يسمى بـ"بنك المصطلحات **Term-banks**" [7] ؛ تلك التي تشبه الموسوعات العلمية .

وهذا البحث يعد كذلك دعوة إلى محاولة البحث في مصطلحات اللغة ؛ وذلك من خلال الاستعمال الواقعي لها في كتب التراث ؛ وذلك للتأصيل لهذه المصطلحات في محاولة لإعداد ما يُسمى ببنك المصطلحات اللغوية في الكتب التراثية مقارنة بتلك المصطلحات في علم اللغة الحديث .

ولعل السبب في اختيار (الكتاب) مجالاً للتطبيق ؛ ما احتله من قيمة لاتخفي عن كل ذي لُب ؛ وكذلك لاشتماله على " مصطلحات النحو إلا أقلها"[٨] ، بل يعد أكثر الكتب التراثية ذكرا لمصطلح " المعنى" كما سيتضح [٩] .

6- J.C.Sager. Apractical course in Terminology processing.Amsterdam.1990 .

7- D.Gibbon, R.Moore, R.Winski.Handbook of Standards and Resources for spoken Language Systems. Mouton de Gruyter. Berlin. 1997

8 - د . عبد الإله نبهان : الأسس الموضوعية لنشأة المصطلح في النقد العربي القديم ، مجلة التراث العربي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سورية ، العدد ٥٩ ، السنة الخامسة عشرة ، أبريل ، ١٩٩٥ .

9 - فقد ورد هذا المصطلح بمشتقاته في (٢٤٢٠) موضعا من الكتاب .

المبحث الأول : مصطلح"المعنى" بين سيبويه وعلم اللغة الحديث

أولا : " المعنى" لغة واصطلاحا

المعنى اللغوي: الجذر المعجمي لهذا المصطلح إما واوي اللام وإما يائي ؛ فالواوي" عنوت الشيء: أخرجته وأظهرته ٠٠٠وعنيت بالقول كذا أعني عناية ؛ أي : أردت وقصدت ٠٠٠ وعرفت ذلك في معنى كلامه ، وفي معناة كلامه ، وفي مَعْنِيِّ كلامه٠٠٠"[١٠] ٠

ويتفق ابن منظور مع الرازي في هذه الدلالة اللغوية[١١] ٠ و ابن فارس كذلك يتفق مع هذين العالمين لكنه يضيف قائلا :"٠٠٠ يقال : هذا معنى الكلام ، ومعنى الشعر ؛ أي: الذي يبرز من مكنون ما تضمنه اللفظ"[١٢] ٠ غير أن الأزهري يرى أن " المعنى والتفسير والتأويل واحد ٠٠٠ومعنى كل شيء ٠٠٠حاله التي يصير إليها أمره "[١٣] ٠ ويضيف الفيروزآبادي على ما سبق أن" عَنَوت الشيء : أبديته ٠٠٠وعنوان الكتاب : سِمَتُه ، كمعناه٠٠٠"[١٤] ٠

يتضح مما سبق أن المعنى اللغوي لهذا المصطلح يدور حول عدة دلالات هي :

- الإخراج ٠
- الإظهار ٠
- الإرادة ٠
- القصد ٠
- الحال التي يصير إليها ٠
- إبداء الشيء ٠

فهل لهذا المعنى اللغوي علاقة بالمعنى الاصطلاحي؟

أما المعنى الاصطلاحي فقد اختلفت وجهات النظر إلى حد كبير حول دلالته ؛ فيذهب البعض إلى أنه " التعبيرات اللغوية عن العالم الذي نعيش فيه بصورة واقعية ، أو التعبيرات اللغوية عن العالم المتخيل أو الممكن "[١٥] ٠ ويقول آخر:" المعنى هو الميزة التي تُمنح للشكل اللغوي **linguistic-form** لالتقاط الجوانب غير اللغوية **non-linguistic** للواقع"[١٦] ٠

---

[10] - الرازي: مختار الصحاح ، تحقيق محمود خاطر ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٥ ، ص١٩٢ ٠

[11] - ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، مادة (عنا) ، د٠ت ٠

[12] - ابن فارس : مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٧١ ٠

[13] - الأزهري : تهذيب اللغة ، تحقيق عبد الحليم النجار ، علي حسن الهلالي ، يعقوب عبد النبي ، الدار المصرية العامة للتأليف والترجمة ، ١٩٦٤ ٠

[14] - الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، مادة(عنو) ٠

[15] - J.Richards, J.Platt and H. Weber . Longman Dictionary of Applied Linguistics . Longman . - England . 1987 . p.172

[16] - R.L. Trask. Key concepts in Language and Linguistics. Routledge . London .1999 . p.181 .

ويشير (ديفيد كريستال) إلى أن " موضوع المعنى الأساسي في سياق اللغة هو العوامل غير اللغوية ؛ مثل : التفكير ، والسياق ، والمعرفة ، والقصد 000إلخ"[١٧] . ولاشك في أن التحديد الأخير يوحي بالخلط بين "المعنى" و"الدلالة" ؛ فعلم الدلالة يهتم بهذه القضايا التي أشار إليها كريستال ؛ وقد أفاض في الحديث عن علم الدلالة كثيرا في موسوعته دون التعرض لتعريف محدد للمعنى ؛ بل جعله مرادفا لعلم الدلالة حينما أشار إلى مستويات التحليل اللغوي: الأصوات ، والتركيب ، والمعنى؛ أو الشكل والمعنى ... [١٨] .

أما عن اللغويين العرب المحدثين ؛ ففي الوقت الذي نجد فيه الدكتور أحمد مختار عمر ، في كتابه (علم الدلالة) ، لم يذكر تعريفا لمصطلح "المعنى" ؛ نجد الدكتور فايز الداية لايذكر تعريفا مباشرا للمصطلح ؛ بل رأى تبعا لابن قتيبة أن " مجموعة الأبيات التي تعبر عن فكرة مكونة من جزئيات فإنها تنضوي جميعها تحت كلمة (المعنى) "[١٩] . ويرى كذلك أن ربط الناقد أجزاء العبارات بالغرض أو الفكرة التي يدور عليها الكلام ؛ يدعوه ابن قتيبة مصطلح (المعنى) [٢٠] ؛ بل يذكر أن " النقاد أطلقوا المصطلح على الفكرة العامة لنص شعري ، وما تتفرع إليه من أفكار جزئية مكونة لها ، ويدل على ما يشتمل عليه بيت واحد من أفكار عدة أو فكرة واحدة.. .ويستعمل أحيانا مرادفا للأغراض الشعرية ولما تتشعب إليه من صفات ومواقف فرعية "[٢١] .

واضح من هذه الاقتباسات أن هناك عدم ذكر لمعنى المصطلح من ناحية ، وخلطا بين المعنى وعلم الدلالة من ناحية ثانية ، واتفاقا على أنه يمثل العوامل غير اللغوية ثالثا ، والفكرة العامة للنص رابعا ... إلخ[٢٢] . بل أشار بعضهم أن "المعنى من المفاهيم المعقدة"[٢٣] .

ثانيا : مصطلح "المعنى" بين سيبويه وغيره

[17]- D. Crystal 0 A Dictionary of Linguistics and Phonetics .Oxford . UK 1986 . p.190

[18]- D. Crystal 0 The Cambridge Encyclopedia of language . Cambridge . USA . pp.83,100

[19] - د .فايز الداية: علم الدلالة العربي :النظرية والتطبيق :دراسة تاريخية ، تاصيلية ، نقدية ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٦ ،ص٣٨ .

[20] - السابق .

[21] - السابق ، ص٦٩ .

[22] - لاشك في أن مشكلة تعدد التعريفات يعد سببا في اضطراب المصطلح ؛ وقد تحدث البعض عن هذه القضية (اضطراب المصطلح) عامة . انظر – على سبيل المثال- د . شرشار عبد القادر : اضطراب المصطلح في الدراسات الأدبية والنقدية ، مجلة الموقف الدبي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، العدد٣٧٧ ، أيلول ٢٠٠٢ . و : د . خالد بسندي : تعدد المصطلح وتداخله ، مجلة التراث العربي ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، العدد٩٨ ، السنة ٢٥ ، حزيران ٢٠٠٥ .

[23]- W.M.Roth . The politics and Rhetoric of conversation and Discourse analysis (FQS) , V.2 , No.2,May 2001 . دورية من شبكة المعلومات ، وعنوان الموقع: WWW.qualitative-Research.net بتاريخ:١٧-٢-٢٠٠٦

أ- ورود المصطلح عند سيبويه وبعض اللغويين القدماء

إن المتأمل في "الكتاب" خاصة ، وبعض من جاء بعده من اللغويين ، ليجد أنهم استعملوا مصطلح "المعنى" بصورة لافتة للانتباه ؛ بالمصطلح معرفة تارة ، ونكرة تارة أخرى ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هذا المصطلح قديم من ناحية ، وأنه لم يكن بعيدا عن اتجاهات التحليل اللغوي قديما من ناحية أخرى ٠

وقد لوحظ أن استعمالاته عند غير سيبويه - تقريبا – هي الاستعمالات نفسها ؛ وهذا أمر بدهي ؛ لأن جل هذه المصنفات اللغوية دارت في فلك سيبويه بصورة أو بأخرى؛ وذلك لأن المصَنَّف الرائد في أي من العلوم ، في الغالب ، يمثل مركز دوران كثير من الدراسات التي تأتي بعده ٠

وقد قمت باستقراء مصطلح "المعنى" ومشتقاته ، بل مصطلح "الدلالة" كذلك ومشتقاته ، عند سيبويه وبعض ممن جاء بعده [٢٤]، وهذه المصنفات كالتالي:

١- الكتاب لسيبويه (١٨٠هـ)
٢- المقتضب للمبرد (٢٨٥هـ)
٣- الصول في النحو لابن السراج (٣١٦هـ)
٤- الخصائص لابن جني (٣٩٢هـ)
٥- المفصل للزمخشري (٥٣٨هـ)
٦- مغني اللبيب لابن هشام (٧٦١هـ)

وأسفر هذا الاستقراء عمايلي:

الاسم	المعنى	معنى	الدلالة	دلالة	دلالته	دلالتها	دلالتهما	المجموع
سيبويه	٩٥٢	١٤٦٨	١٨	٢٢	٢	--	--	٢٤٢٠
المبرد	١٨١	٢٤٦	٢	٣	١	--	--	٤٢٧
ابن السراج	١٩٩	٢٣١	--	--	--	--	--	٤٣٠
ابن جني	١٧١	١٧٨	٣٠	٢٧	٢	--	١	٣٥٩
الزمخشري	١٣	٤	١	٢	--	--	--	١٧
ابن هشام	٢١١	٢٠٦	٤	٦	--	١	--	٤١٧

[24] - تم هذا الاستقراء عن طريق الحاسوب ؛ من خلال القرص المضغوط (CD) ؛ بعنوان :مكتبة النحو العربي ، الإصدار الثاني ، مركز التراث للبرمجيات، القاهرة ٠ ولتأكيد الاستقراء ارجع إلى:
- سيبويه: الكتاب ، تحقيق الشيخ عبد السلام هارون، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى، د٠ت ٠
- المبرد : المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشيءون الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٩٩ ٠
- ابن السراج: الأصول في النحو ، تحقيق د٠عبد المحسن الفتلي ، موسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
- ابن جني : الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٦ ٠
- الزمخشري : المفصل ، تحقيق د٠علي بوملحم ، مكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ ٠
- ابن هشام : مغني اللبيب ، تحقيق مازن المبارك ،ومحمد علي حمدالله، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٥ ٠

فمصطلح "المعنى" أكثر ورودا عند سيبويه، وأقل ورودا عند الزمخشري ، في حين أن مصطلح " الدلالة" أكثر ورودا عند ابن جني ، وأقل ورودا عند ابن السراج ؛ حيث إنه لم يرد مطلقا عنده ٠ وبصفة عامة مصطلح " الدلالة" أقل ورودا في هذه المصنفات قياسا بمصطلح " المعنى" ٠

أما عن كيفية تعامل سيبويه مع مصطلح المعنى فتكمن – بإيجاز - في أنه لم يكتف بمعالجة المصطلح بوصفه الوجه المقابل لمصطلح الشكل ؛ كما عالجه علم اللغة الحديث ؛ بل تعدى ذلك النمط إلى استعماله على كل المستويات التحليلية :

- الصوتي ٠
- الصرفي ٠
- النحوي ٠
- الدلالي ٠

لكن الباحث ، من خلال استقراء استعمالات سيبويه لهذا المصطلح ، وجد أنه استعمله بصورة أكثر في المستويين (النحوي والدلالي) ، وقليلا جدا على المستويين (الصوتي والصرفي) [٢٥] ٠

وليس المقصود هنا الربط بين المستويات عند سيبويه ، على الرغم من كونه قدم " أقدم صور التعبير عن المقابلة بين الشكل والمعنى " على حد تعبير د ٠ فايز الداية [٢٦] ٠ لكن المقصود المجالات الدلالية التي استعمل فيها المصطلح ؛ على وجه الخصوص القضايا النحوية ، من ناحية ، والقضايا الدلالية من ناحية أخرى ؛ فقد اختلف معنى المصطلح من مستوى إلى آخر ؛ بل من قضية إلى أخرى في المستوى نفسه ؛ فقد جاء هذا المصطلح في المستوى النحوي بدلالا منها:

- التقدير النحوي ٠
- العامل النحوي ٠
- أقسام الكلمة " الفعل- الاسم- الحرف" ٠

---

25 - فقد استعمل المصطلح بمعنى (التنكير) أحيانا ١٩/٢ ، ٣٠ ، وفعيل بمعنى فعول :٦٤٧/٣ ،والقياس الصرفي :٦٤٨/٣ ٠٠٠إلخ ٠

26 - د ٠فايز الداية: علم الدلالة العربي :النظرية والتطبيق :دراسة تاريخية ، تأصيلية ، نقدية ، ص٣٢ – ٣٣ ٠

مصطلح "المعنى" عند المحدثين

لقد أشرنا في المبحث الخاص بالمعنى الاصطلاحي لهذا المصطلح إلى نظرة بعض الدراسات الحديثة اتجاهه ؛ ففي الوقت الذي اتجه فيه سيبويه نحو استعمال المصطلح مرتبطا بعدد من المستويات اللغوية ، نجد المحدثين يعالجونه بوصفه المجال الذي يدرسه "علم الدلالة" ؛ إذ يعد أبسط تعريف له "هو علم دراسة المعنى" [٢٧].

وكذلك اتجه علم اللغة نحو دراسة القضايا المتعلقة بالمعنى مثل:

- تغير المعنى .
- توسيع المعنى.
- تضييق المعنى.
- انتقال المعنى.
- سياق الحال.
- المجالات الدلالية .
- معنى المعنى .
- الصلة بين المعنى والمستويات الأخرى .
- العلاقات الدلالية مثل الترادف والمشترك والاشتقاق والأضداد ... إلخ .

بل أصبح المعنى مجال اهتمام كثير من العلوم الأخرى غير اللغة ؛ مثل علم النفس ، وعلم الاجتماع ، والفلسفة ... إلخ . وهذا أمر طبيعي ؛ فالهدف من استعمال اللغة في المجال اللغوي، مجال المستويات التحليلية المختلفة ، وفي المجالات الأخرى المشار إليها غير اللغة، هو توصيل المعنى .

إذن ركز علم اللغة دراساته للمعنى على المحاور التالية:

- بوصفه المجال الأساسي لدراسات علم الدلالة .
- بوصفه أحد المستويات التحليلية المعروفة .
- بوصفه الهدف من التحليل اللغوي بصفة عامة .
- بوصفه الوجه المقابل للشكل .

وفي هذه المحاور اتفق علم اللغة مع سيبويه ، لكنه اختلف – أي علم اللغة – عن سيبويه في التقسيم إلى مستويات ، وتنظيم القضايا المتصلة بالمعنى ؛ كما أشرنا ، وجعله علما مستقلا بذاته من العلوم اللغوية ، وكذلك في معالجة المعنى بعيدا عن كونه مرادفا لبعض المصطلحات النحوية والدلالية ؛ كما سيتضح في الدراسة التطبيقية ، ولانريد الخوض في هذه المقارنة [٢٨] .

---

[27] - A.S.Hornby. Oxford advanced Learner,s Dictionary . Oxford University press. Sixth edition . 2000, p.1209

[28] - لتفصيل الحديث عن المعنى عند المحدثين يُرجع إلى المصادر التي أشرنا إليها سابقا .

ثانياً: مصطلح "المعنى" على المستوى النحوي

١ـ العمل النحوي

من أبرز القضايا التي دار حولها التأليف النحوي ؛ من قبل سيبويه (١٨٠هـ) حتى عهد قريب ؛ قضية "العامل النحوي" ؛ إذ من البدهي كون الأبواب النحوية معظمها ؛ إن لم تكن كلها تدور في فلك العامل والمعمول والعمل النحوي في النهاية ، سواء أكان العامل حرفياً ،أو فعلياً ، أو اسمياً .

وفي هذا الإطار دارت أبحاث كثيرة تناقش القضايا المتعلقة بهذه القضية نظرية وتطبيقاً ، وبالقبول أحياناً وبالرفض أحياناً أخرى. غير أن المجال لايسع لتفصيل ذلك هنا [٢٩].

أما ما يخص هذا البحث؛ فقد استطاع الباحث الحصول على مواضع كثيرة في "الكتاب" استعمل فيها "سيبويه" مصطلح "المعنى " ، وأراد به : العمل النحوي [٣٠] .

من هذه المواضع قول سيبويه"... ومع هذا أنك ترى الصفة تُجرى في معنى يَفعَلُ يعني هذا رَجلٌ ضاربٌ زيداً وتَنْصِب كما ينصِب الفعلُ"[31]. فالصفة المذكورة هنا يُراد بها اسم الفاعل ، والدليل ما ورد في المثال"ضارب". وقد عمل هذا الاسم عَمَلَ الفعل بنصب المفعول"زيداً". إذاً مصطلح"معنى" هنا يعني "العمل النحوي".

وكذلك حينما يدخل حرف الجر الزائد ، يكون ما بعده مجروراً لفظاً منصوباً محلاً؛ ومثال ذلك "وإذا قلتَ مررتُ بزيد وعمراً مررتُ به، نصبتَ وكان الوجهَ؛ لأنك بدأت بالفعل ولم تَبتدئ اسما تَبنيه عليه ولكنك قلت فعلتُ ثم بنيتَ عليه المفعول وإن كان الفعلُ لا يَصِلُ إليه إلاّ بحرف الإضافة؛ فكأنك قلت :مررتُ زيداً، ولولا أنّه كذلك ما كان وجهُ الكلام زيدا مررتَ به وقمتُ وعمراً مررتُ به .ونحوُ ذلك قولك: خَشّنْتُ بصدره فالصدرُ في موضع نصبٍ وقد عَمِلت الباءُ، ومثله (قلْ كَفى باللهِ شَهيداً بَيْني وبَيْنَكُمْ) [٣٢] إنّما هى كفى اللهُ ولكنّك لمّا أدخلتَ الباءَ عَمِلتْ والموضُع موضعُ نصب وفي معنى النصب"[٣٣] ؛ أي العمل النحوي هنا النصب تقديراً ؛ فدلالة المصطلح هنا "العمل النحوي" ؛ وهو النصب المقدر .

---

[29] ـ ارجع ـ على سبيل المثال- الدراسات التالية حول "العامل": ـ د. عبده الراجحي : النحو العربي والدرس الحديث ، و د. محمود سليمان ياقوت : قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين

[30] ـ من هذه المواضع :(١)٢١، ٩٢، ٩٤، ١٠١، ١٠٧، ١٣٠، ١٣١، ١٤٢، ١٥٧، ١٧٢، ١٨١، ١٨٤، ١٨٧، ١٩٤، ٢٠٧، ٢٢٠، ٢٣٩، ٢٥٣، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٠١، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣١٠، ٣٢٠، ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٥٦، ٣٨٣، ٤٠٣ . (٢) ١٥٥، ١٦١، ١٧١، ١٧٣، ٣٠٩، ٣١٦ . (٣)٤١، ٤٧، ٨٩ . (٤) ٢٢٢ .

[31] ـ سيبويه:الكتاب ، تحقيق:عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ، بيروت، الطبعة الأولى،(د.ت). ١/ ٢١ .

[32] ـ سورة الإسراء، آية ٩٦ .

[13] ـ الكتاب : ١/ ٩٢ .

ومن دلالة هذا المصطلح على "العمل النحوي" ؛ حمل اللازم على المتعدي ؛ بأن يعمل عمله ؛ فيقول سيبويه:" ...ولو قلت مررتُ بعمرٍو وزيدا لكانَ عربيا فكيف هذا لأنه فعِلٌ والمجرورُ في موضع مفعولٍ منصوبٍ ومعناه أتيتُ ونحوُها تحمل الاسمَ إذا كان العاملُ الأولُ فعلا وكان المجرورُ في موضع المنصوب على فعلٍ لا ينقض المعنى ؛ كما قال جرير :

جِئنِي بمثلِ بنى بَدْرٍ لقومِهِم   أو مثلَ أُسْرةِ مَنْظورِ بن سَيَّارِ

ومثله قول العجّاج

يَذْهَبْنَ في نَجْدٍ وغَوْراً غائرا

كأنه قال ويَسلكن غورا غائرا لأنّ معنى يَذْهَبْنَ فيه يسلكْن "[٣٤]

فالأفعال (مررت، جنني، يذهبن) أفعال لازمة ، لكن حملها سيبويه على المتعدي؛ فحمل مررت على أتيت، وحمل يذهبن على يسلكن ...وهكذا . ولذلك حينما يقول: معناه أتيت ؛ فإنه يعني: عمل عمله ؛ وذلك لأن المجرور في موضع مفعول منصوب؛ على حد تعبيره كذلك . فمصطلح المعنى هنا يقصد به "العمل النحوي"؛ وهو عمل اللازم عمل المتعدي . ومن الممكن حمل اللازم على المتعدي في العمل النحوي.

وكذلك يأتي مصطلح "المعنى" ويراد به "العمل النحوي" لاسم الفاعل عملَ الفعل كما ورد في النموذج الأول من هذا المبحث؛ وكما في قوله:"...لو قلت: هل زيدٌ أنا ضاربُه لكان جيّدا في الكلام لأن ضارباً اسمٌ وإن كان في معنى الفعل"[٣٥] ؛ أي يعمل اسم الفاعل (ضارب) عمل الفعل؛ وذلك بنصب المفعول . مع ملاحظة استعمال سيبويه عمل اسم الفاعل عمل الفعل في هذا النص دون تفصيل.

لكنه ورد في نص آخر بالتفصيل لنوع الفعل الذي عمل اسم الفاعل عمله ؛ فأراد بمصطلح "المعنى" إعمال اسم الفاعل عمل الفعل المضارع الدال على الحال ، وكذلك في حال دلالته على المستقبل، بل إعماله عمل الفعل الماضي أيضا، وذلك بقوله:" ... وتقول هذا ضاربٌ كما ترى فيجيءُ على معنى هذا يضْربُ وهو يَعمل في حال حديثك وتقول هذا ضاربٌ فيجيءُ على معنى هذا سيَضْربُ وإذا قلت هذا الضاربُ فإنّما تعرّفُه على معنى الذي ضَرَبَ"[٣٦]

---

[34] ـ الكتاب، ١/ ٩٤ .

[35] ـ الكتاب ، ١/ ١٠١ .

[36] ـ الكتاب ، ١/ ١٣٠، ١٣١ . ومن هذه الدلالة لمصطلح المعنى قوله:" وإنما جاز هذا الإضمارُ لأنّ معنى الحديث في قولك: هذا ضاربُ زيدٍ :هذا ضَرَبَ زيدا" ١/ ١٧٢ ؛ فاسم الفاعل أضيف إلى زيد من إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله ؛ فهو في تقدير المنصوب ك

وقد يكون المقصود بمصطلح المعنى إعمال الفعل الماضي (فَعَلَ) عَمَلَ الفعل المضارع المتصل بلام الأمر (ليفعل) ؛ "٠٠٠ وتقول زيداً قطعَ اللهُ يدَه وزيداً أمَرَّ اللهُ عليه العيشَ لأن معناه معنى زيداً لِيَقطعِ اللهُ يده "[٣٧] وقد يكون المقصود بالمصطلح هنا "التقدير النحوي" ؛ فتقدير الجملة:

- زيداً قطعَ اللهُ يدَه ٠

هو: زيداً لِيَقطعِ اللهُ يده ٠

والوزن السابق للفعل (فَعَلَ) يعمل عمل الفعل (أفعَلَ) ؛ فيكون استعمال مصطلح "المعنى" العمل النحوي ؛ ويتضح هذا في قوله:" وإن شيءت نصبتَه على أنك إذا قلت جَعَلتُ متاعَك بعضَه فوقَ بعض لأنّ ألقيتُ يدخله معنى ألقيتُ فيصيرُ كأنك قلت ألقيتُ متاعَك بعضَه فوقَ بعض لأنّ ألقيتُ كقولك أسقطتُ متاعَك بعضَه على بعضٍ وهو مفعولٌ من قولك سقَط متاعُك بعضُه على بعضٍ فجرى كما جرى صَكَكْتُ الحَجَرَين أحدَهما بالآخَرِ فقولك بالآخر ليس في موضع اسم هو الأوّلُ ولكنه في موضع الاسم الآخِرِ في قولك صكَّ الحَجَرَان أحدُهما الآخَرَ ولكنك أوصلتَ الفعلَ بالباء كما أنّ مررتُ بزيدٍ الاسمُ منه في موضع اسمٍ منصوبٍ ومثل هذا طرحتُ المتاعَ بعضَه على بعضٍ لأن معناه أسقطتُ فأجرى مُجراه وإن لم يكن من لفظه فاعلٌ "[٣٨] ؛ فالفعل (جعل) يدخله معنى الفعل (ألقى) ٠

والفعل (طَرَحَ) يدخله معنى الفعل (أسقط)؛أي يعمل عمله النحوي ، وقد يكون المراد بالمصطلح هنا الدلالة ؛ وهي الترادف ٠ أو الحمل على المعنى ٠

من الملاحظ في الأمثلة السابقة أن مصطلح المعنى جاء ويقصد به "العمل النحوي" بالإيجاب ٠ لكنه قد يأتي بالنفي ؛ أي بمعنى "لاتعمل" ؛ وذلك كما ورد في باب الصفة المشبهة بالفاعل فيما عملت فيه ؛ يقول سيبويه:"ولم تقو- أي الصفة المشبهة- أن تعمل عمل الفاعل لأنها ليست في معنى الفعل المضارع٠٠٠"[٣٩] ؛فاسم الفاعل يشبه المضارع في العمل وفي الحركات والسكنات٠ لكن الصفة المشبهة لاتعمل عمل الفعل المضارع ؛ بل تشبه باسم الفاعل٠[٤٠]

ضرب زيداً٠ ومثله كذلك قوله:" واعلم أن معنى ما انتصب بعد أو على إلا أن كما كان معنى ما انتصب بعد الفاء على غير معنى التمثيل تقول لألزمنك أو تقضيني ولأضربنك أو تسبقني فالمعنى لألزمنك إلا أن تقتضيني ولأضربنك إلا أن تسبقني هذا معنى النصب" ٣/ ٤٧ ٠ فمصطلح "المعنى" هنا يُقصد به "العمل النحوي" ؛ وهو النصب بعد (أو) ٠ ويحتمل كذلك دلالته على الأصل المقدر كما سنفصل فيما بعد٠ ومثله أيضا؛ إعمال اسم الفاعل عمل الفعل؛ باب بعنوان:" (هذا بابٌ صار الفاعلُ فيه بمنزلة الذي فَعَلَ في المعنى وما يَعمَلُ فيه) ؛وذلك قولك هذا الضاربُ زيداً فصار في معنى هذا الذي ضرَبَ" ١/ ١٨١ ٠ فاشتمل النص على التركيب المستعمل ، وعلى الأصل المقدر لهذا التركيب؛ أو- على حد تعبير التحويليين- البنية العميقة والبنية السطحية(SS)and (DS) ٠ مع ملاحظة استعمال مصطلح "المعنى" نفسه في عنوان الباب٠ وانظر كذلك اشارته إلى "الصفة التي في معنى الفعل" ؛ أي تعمل عمله النحوي؛ ١/ ٢٠٧ ٠وانظر:١/٢٥٣ ٠

[37] - الكتاب ، ١/ ١٤٢ ٠

[38] - الكتاب ، ١/ ١٥٧ ٠

[39] - الكتاب ،١/ ١٩٤ ٠

[40] - وانظر كذلك في دلالة النفي:١/١٨٧ ٠

وأحياناً يكون العمل النحوي المقصود (الرفع) ؛ كما يرفع نائب الفاعل ؛" وتقول سير عليه ليلٌ طويلٌ وسير عليه نهارٌ طويل وإن لم تُذكر الصفة وأردتَ هذا المعنى رَفعتَ إلا أنَّ الصفة تبيّن بها معنى الرفع وتُوَضّحُه"[41] .

ومن العمل النحوي بالرفع كذلك الاسم التالي لـ(كيف)؛إذ" ... في كيف معنى(يكون) فجرى (ماأنت) مجرى(ماكنت)؛ كما أن (كيف) على معنى (يكون)"[42]

من الملاحظ ممّا سبق أن أغلب هذه الدلالات للعمل النحوي لمصطلح "المعنى" قائمة على الحمل على المعنى ،أو على العمل النحوي. والدلالة الاصطلاحية هنا قائمة على الحمل على العمل النحوي ؛فكما أن ما بعد(يكون) يكون مبنياً عليه بالرفع ؛ فإن ما بعد (كيف) يأتي كذلك مرفوعاً. ومن الحمل على المعنى وعلى العمل النحوي معاً ؛قوله:" ومن ثمَّ قالوا حسبُك وزيداً لمّا كان فيه معنى كَفاك وقبح أن يَحملوه على المضمَر نَووا الفعل كأنه قال حسبُك وبحسب أخاك درهمٌ ... وأمّا وَيْلاً له وأخاه وويله وأباه فانتصب على معنى الفعل الذي نصبه كأنك قلت ألزمه الله ويله وأباه فانتصب على معنى الفعل الذي نصبه فلمّا كان كذلك وإن كان لا يَظْهَرُ حَمَلُه على المعنى وإن قلتَ ويلٌ له وأباه نصبتَ لأنَ فيه ذلك المعنى كما أنَ حسبُك يرتفع بالابتداء وفيه معنى كفاك وهو نحو مررتُ به وأباه وإن كان أقوَى لأنَّك ذكرتَ الفعلَ كأنك قلت ولقيتُ أباه وأما هذا لك وأباك فقبيح أن تنصب الأب لأنه لم يذكر فعلا ولا حرفا فيه معنى فعل حتى يصير كأنه قد تكلم بالفعل"[43]

ومَن مَتطلبات العمل النحوي المفهوم من هذا المصطلح ؛ الأفعال التي تتعدى إلى أكثر من مفعول ؛ " ألا ترى أنّك لو قلت أرأيتَ أبو من أنت أو أرأيت أزيدٌ ثمَّ أم فلانٌ لم يَحسن لأنَ فيه معنى أخبرْني عن زيد وهو الفعل لا يَستغْنِي السكوتُ على مفعوله الأول ..."[44]؛ فحُمِل (أرأيت) على(أخبرني) في "العمل النحوي"؛ وذلك بالتعدية إلى أكثر من مفعول.

---

[41] ـ الكتاب ،١/٢٢٠ .

[42] ـ الكتاب، ١/٣٠٤، ٣٠٦ ،وانظر كذلك إشارته إلى هذه الدلالة للمصطلح :١/٣٨٣ .

[43] ـ الكتاب، ١/٣١٠ ،مع ملاحظة تكرار مصطلح "المعنى" في هذا النص سبع مرات .

[44] ـ الكتاب ،١/ ٢٣٩ . وانظر:١/٢٨٨؛ حيث الحديث عن دلالة التعدية بوصفها عملاً نحويا دلّ عليه مصطلح "المعنى" ،وذلك تعليقاً على قول عبد العزيز الكلابي:

وَجَدْنا الصَّالحينَ لهم جزاءً وجنّاتٍ وعَيناً سَلْسَبِيلاً

لأنَ الوِجْدانَ مشتملٌ في المعنى على الجزاء فحَمَلَ الآخِرَ على المعنى ولو نصب الجزاءَ كما نصب النّابغ جاز" .

ويتابع مصطلح "المعنى" دلالته على (العمل النحوي) من خلال باب آخر ؛هو باب المفعول معه؛ ذلك "لأنك إنما تعطف بالواو إذا أردت معنى (مع)"[٤٥]؛ أي :إذا أردت إعمال النصب فيما يلي (الواو) ٠

وأحياناً يجمع سيبويه تحت هذا المصطلح "العمل النحوي"مع"التقدير النحوي"؛ وذلك مثل"وشأني حمدُ الله وثناءٌ عليه ولو نَصَبَ لكان الذي في نفسه الفعلَ ولم يكن مبتدأ ليُبْنَى عليه ولا ليكونَ مبنيًا على شيء هو ما أظهَرَ وهذا مثلُ بيتٍ سمعناه من بعض العرب ٠٠٠ يَرويه :

فقالت حَنَانٌ ما أتى بك ههنا　　　أذو نَسَبٍ أمْ أنتَ بالحي عارفُ

لم تُردْ حِنٌ ولكنها قالت أمرنا حَنانٌ أو ما يصيبنا حنانٌ وفي هذا المعنى كله معنى النصب ومثله في أنّه على الابتداء وليس على فعلٍ قوله عزّ وجلّ (قالُوا مَعْذِرَةٌ إلى رَبِّكُمْ) لم يريدُوا أن يَعتذروا اعتذاراً مستأنَفاً من أمرٍ لِيمُوا عليه ولكنَّهم قيل لهم لِمَ تَعِظُونَ قوْماً قالوا مَوْعِظتُنا مَعْذِرَةٌ إلى رَبّكُم ولو قال رجلٌ لرجلٍ معذرةٌ إلى الله وإليك من كذا وكذا يريد اعتذاراً لنَصَبَ "[٤٦] ؛ إذ يُفسِّر مصطلح المعنى هنا على أنه إذا جاءت هذه الكلمات مرفوعة ؛ فإنها على تقدير :

أمرنا حنانٌ وموعظتنا معذرةٌ ٠٠٠إلخ

لكن حين النصب ؛ فإنه على تقدير فعل محذوف، وليس على تقدير اسم مبتدأ، فينصب المصدر المذكور في التركيب محمولاً على فعل محذوف مقدر ؛ مثل سقياً وحمداً ٠٠٠إلخ٠ فالاختلاف في العلامة الإعرابية مرتبط بالعمل، ومرتبط كذلك بالتقدير:

- فتقدير الاسم يؤدي إلى رفع المبني عليه ؛يؤدي إلى إعمال المبتدأ في الخبر ٠
- وتقدير الفعل يؤدي إلى نصب المبني عليه ؛ يؤدي إلى إعمال الفعل في منصوبه٠[٤٧]

ومثله النصب على الحال ؛"٠٠٠فإنَّما انتصب هذا لأنك مررتَ به في حال تصويتٍ ولم ترد أن تَجعل الآخِرَ صفةً للأول ولا بدلاً منه ولكنَّك لمَّا قلتَ له صوتٌ عُلم أنه قد كان ثَمَّ عَمَلٌ فصار قولك له صوتٌ بمنزلة قولك فإذا هو يصوِّتُ فحملتَ الثاني على المعنى وهذا شبيهٌ في النصب لا في المعنى بقوله تبارك وتعالى (وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا) لأنه حين قال جاعلُ الليلِ فقد عَلِمَ القارئُ أنه على معنى جَعَلَ فصار كأنه قال وَجَعَلَ الليلَ سَكَنًا وحَمَلَ الثاني على المعنى فكذلك له صوتٌ فكأنّه قال فإذا هو يصوّتُ فحَمَلَه على المعنى فنَصَبَهُ كأنّه توهَّم بعد قوله له صوتٌ يُصوّتُ صوتَ الحمار٠٠٠"[٤٨] ؛ حيث ارتبط الإعمال النحوي بتقدير الفعل

---

[45] - الكتاب، ٣٠١/١ ٠
[46] - الكتاب ،١/ ٣٢٠ ٠
[47] - انظر لمزيد من الأمثلة:الكتاب ، ٣٢٦/١، ٣٢٩، ٣٣٠ ؛ حيث يربط بين الفعل المقدر ، والإعمال بالنصب للاسم المبني عليه ؛ والاعمال بالرفع كذلك ٠
[48] -الكتاب ، ١/ ٣٥٦ ٠

بالعمل وهو النصب ؛ فالعامل فعل محذوف ،والإعمال هو إحداث النصب ، والعمل هو علامة النصب آخر المعمول.[49]

وليس الإعمال النحوي مرتبطاً بالأسماء والأفعال العاملة فحسب ؛بل يرتبط كذلك بالحروف والأدوات كما سيتبين في مبحث مستقل [50] .

إذن من خلال هذه النماذج يتضح أن مصطلح "المعنى" دلَّ على "العمل النحوي" بالرفع تارة ، وبالنصب تارة ،وبالجر أخرى. ودار "العمل النحوي" من خلال مصطلح المعنى حول المحاور التالية:

- اللازم والمتعدي.
- إعمال المشتق عمل الفعل.
- إعمال الماضي عمل المضارع المتصل بلام الأمر.
- إعمال الصيغ عمل بعضها ؛مثل إعمال (فعَلَ) عمل (أفعَلَ).
- إعمال الرفع كما في نائب الفاعل.
- حمل الأفعال والأسماء على غيرها في العمل والدلالة.
- الرفع للاسم المبني على(كيف) قياساً على الاسم المبني على (يكون).
- النصب على الحال.
- ارتباط "العمل النحوي" بـ"التقدير النحوي" كما سيتضح في المبحث التالي.

[49] - وانظر كذلك : ١/ ٤٠٣ .

[50] - انظر على سبيل المثال :الكتاب ،١٦١/٢، ١٧٣ .وانظر التفصيل في المبحث الخاص بالادوات والحروف.

٢- التقدير النحوي

يرتبط هذا المبحث ارتباطاً وثيقاً بسابقه ؛ إذ يرتبط "العمل النحوي" المتمثل في العلامة الإعرابية الأصلية أو الفرعية، يرتبط بـ"العامل" الظاهر أو المقدر ٠ وما يعنينا هنا العامل المقدر أو المعمول المقدر أحياناً ؛وهذا الباب واسع في النحو العربي [٥١] ٠

وقد أسفر استقراء"الكتاب" عن وجود مواضع كثيرة استعمل فيها سيبويه مصطلح "المعنى" ، ودلَّ السياق الذي استعمل فيه هذا المصطلح ، في هذه المواضع، دلَّ على أنه يعني به "التقدير النحوي" [٥٢] ٠

ويرتبط (التقدير النحوي) ،بصفة أساسية ، بما يُسَمى في النظرية التحويلية التوليدية **Transformational Generative theory(T G)** - البنية العميقة (**DS**)والبنية السطحية (**SS**)؛ أو الأصل المقدر ، أو جملة النواة ؛ أوجملة البذرة٠ وللتحويل من البنية العميقة ؛ التي تمثل الأصل المقدر ، إلى البنية السطحية التي تمثل الاستعمال اللغوي ، تمر الجملة بعدة عمليات تُسَمى : العمليات التحويلية ؛ مثل إعادة الترتيب **permutation**، والحذف **deletion**، والزيادة **addition**، والإحلال **replacement** ٠٠٠إلخ٠ [٥٣]

ومن مواضع استعمال هذا المصطلح ، ويُراد به"التقدير النحوي" تقدير الضمير المتصل بالفعل ؛ يقول:" ٠٠٠وإنْ قلت: زيدٌ إذا يأتيني أضربُ، تريد معنى الهاء ، ولاتريد : زيداً أضربُ إذا يأتيني٠٠٠"[٥٤] ؛ فقوله"تريد معنى الهاء" ؛ يقصد به (تقدير) الهاء الواقعة مفعولاً به للفعل "أضربُ" ؛ فهنا مصطلح المعنى يُقصد به (تقدير المعمول) ؛ فقوله: (تريد معنى الهاء) ؛ يقصد به : تريد (تقدير) الهاء الواقعة مفعولاً به للفعل (أضرب) ٠

وكذلك ورد مصطلح (المعنى) ، وأراد به سيبويه (تقدير حرف الجار) ؛ فيقول:" وممَّا لا يكون العملُ فيه من الظروف إلاَّ متصِلا في الظَّرف كلّه قولك سير عليه الليلَ والنهارَ والدَّهرَ والأبدَ وهذا جوابٌ لقوله كَمْ سِيرَ عليه إذا جعله ظرفا لأنه يريد

---

[51] ـ انظر في ذلك: ١ـ د٠محمود سليمان ياقوت: قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية
٢ ـ د٠عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٨ ٠
٣ـ صبحي إبراهيم الفقي : نظام ترتيب الكلام في الجملة العربية في ضوء النظرية التحويلية، رسالة ماجستير نوقشت بكلية الآداب ، جامعة طنطا، ١٩٩٤ م٠

[52] ـ من هذه المواضع على سبيل المثال: ج١: ١٣٥ـ ٢٢٠ـ ٢٢٦ ٢٧٥ـ ٢٨٨ـ ٣٢٠ـ ٣٢٦ـ ٣٢٩ـ ٤٤٠ ٠ (ج٢) ٧٤ـ ١٤٤ـ ١٥٧ـ ١٦٠ـ ١٦٢ـ ٢٣٤ـ ٢٣٥ـ ٢٣٧ـ ٢٣٨ـ ٢٧٦ـ ٣٠٢ـ ٣٠٩ـ ٣١٨ـ ٣١٩ـ ٣٢٥ـ ٠(ج٣) ٢١ـ ٣٢ـ ٣٦ـ ٤٧ـ ٤٩ـ ٥٢ـ ٦٢ـ ٦٦ـ ٦٨ـ ٧٤ـ ٨١ـ ٨٤ـ ١٠٦ـ ١٣٢ـ ١٦١ـ ١٨٤ ٠ ويلاحظ في هذه المواضع خلو الجزء الرابع من الحديث عن هذه القضية ٠ وقلة المواضع التي ورد مصطلح المعنى فيها بمعنى العمل النحوي كما سلف ؛ وسبب هذا أن الأجزاء الثلاثة الأولى تتحدث عن القضايا النحوية ، بينما الجزء الرابع عن القضايا الصرفية ؛ وهذه الأخيرة يقل فيها التقدير والعمل النحوي كثيراً٠

[53] ـ ارجع ـ لتفصيل الحديث عن هذه النظرية : المراجع المذكورة في هامش ٥١ ، د٠محمد حماسة عبد اللطيف : الجوانب التحويلية في الجملة العربية ،٠٠٠وغيرها٠

[54] ـ الكتاب ،١/ ١٣٥ ٠

في كَمْ سيرَ عليه فتقول مجيباً له: الليلَ والنهارَ والدهرَ والأبدَ ؛على معنى في الليل والنهار وفي الأبد..."[55] .

فالبنية السطحية للتركيب النحوي: الليلَ والنهارَ والدهرَ والأبدَ.
والبنية العميقة ؛أو الأصل المقدر لهذا التركيب- كما ذكره سيبويه- هو :في الليلِ والنهار وفي الأبدِ ؛ بل أضاف أن هذه البنية العميقة فيها استفهام مقدر سابق: في كم سير عليه؟.

ويتضح قصد (التقدير النحوي) أكثر في تقديره للفعل الرافع للفاعل المذكور في الشاهد الشعري "

لِيُبكَ يَزيدُ ضارعٌ لخُصومةٍ ومُختبِط ممّا تُطيحُ الطوائحُ "[56]

إذ يقول مبرراً رفع كلمة(ضارع):" لمّا قال: لِيُبْك يزيدُ؛ كان فيه معنى: لِيَبْكِ يزيدَ كما كان في القَدَم أنّها مسالِمة كأنه قال: لِيَبْكِهِ ضارعٌ "[57].

فيتبين أن الأصل المقدر أو (التقدير النحوي) ؛كما ذكره سيبويه: ليبك يزيدَ ليبكه ضارعٌ . أو –على حد تعبيره- لِيَبْكِ يزيدَ . أما البنية السطحية فإنها: لِيُبْكَ يزيدُ ضارعٌ لخصومة؛ كما ورد في الشاهد.

والعملية التحويلية هنا ، من الأصل المقدر إلى البنية السطحية ؛ هي(الحذف)؛ إذ حُذِف الفعل (يبكي) من هذه البنية ، ودل على حذفه الفعل المذكور سابقاً.

وإذا كان الفعل المحذوف في المثال السابق رافعاً للفاعل(ضارع) ؛ فإنه ورد مثال على حذف الفعل الناصب للمصدر؛ إذ يقول:" ومما ينتصب فيه المصدرُ على إضمار الفعلِ المتروك إظهارُه ولكنّه في معنى التعجُّبِ قولك: كَرَماً وصَلَفاً، كأنّه قال: ألزمَكَ اللهُ وأدامَ لك كَرَماً وألزمْتَ صَلَفاً، ولكنهم خَزَلوا الفعلَ ههنا"[58] ؛ فالتقدير النحوي حدث عن طريق الحذف كذلك.

لكن قد يرتبط التقدير النحوي الدال عليه مصطلح"المعنى" ، يرتبط بفعل ناصب لغير المصدر؛ فـ" وقد يجوز أن ينصب ما كان صفة على معنى الفعل ولا يريد مدحا ولا ذما ولا شيئا مما ذكرت لك وقال :

وما غرّني حَوْزُ الرّزاميّ مِحْصناً عَواشيَها بالجَوّ وهو خَصيبُ

ومحصن اسم الرزامي فنصبه على :أعني وهو فعل يظهر لأنه لم يرد أكثر من أن

---

[55] - الكتاب ،1/ 216 .
[56] - الكتاب ، 1/288 .
[57] - نفسه .
[58] - الكتاب ،1/ 328 .

يعرفه بعينه ولم يرد افتخارا ولا مدحا ولا ذما"[59]؛ فالتقدير النحوي؛أعني محصنا؛ عن طريق الحذف.

وقد يكون التقدير النحوي الحادث عن طريق (إعادة الترتيب)**Permutation**؛ وذلك في قوله:"... وأمّا قوله : شيءٌ ما جاءَ بك ؛ فإنه يَحسُن وإن لم يكن على فعل مضمَرٍ ؛لأنّ فيهِ معنى : ما جاء بك إلا شيءٌ"[60].

فالأصل : ما جاء بك إلا شيء ؛بترتيب(١+٢+٣+٤+٥) .
والمستعمل: شيء ما جاء بك ؛ بترتيب (٥+١+٢+٣+...) ؛ حيث يشير الجزء المنقوط إلى مكان الزيادة المُمَثّلة في(إلا) ؛ والتي حُذِفت أثناء التحويل؛ فالتحويل إذن تم عبر عمليتين: أما الأولى فهي (إعادة الترتيب) ، وأما الثانية فعن طريق الحذف لـ(إلا).

وقد يرتبط مصطلح المعنى الدال على التقدير النحوي ؛ يرتبط بتقدير المنعوت المحذوف وبقاء النعت؛ فـ" لو ابتدأتَ كلاماً فقلتَ ما مررتُ برجلٍ ولكنْ حِمارٌ تريد ولكنْ هو حمارٌ كان عربيًا أو بلْ حمارٌ أو لا بل حمارٌ كان كذلك كأنّه قال ولكن الذي مررتُ به حمارٌ وإذا كان قبل ذلك منعوتٌ فأضمرتَه أو اسم فأضمرتَه أو أظهرتَه فهو أقوَى لأنك تُضمِرُ ما ذكرتَ وأنت هنا تُضمِرُ ما لم تَذكر وهو جائزٌ عربيٌّ لأنَّ معناه ما مررتُ بشيء هو رجل فجاز هذا كما جاز المنعوتُ المذكورُ نحُو قولك ما مررتُ برجلٍ صالحٍ بل طالحٌ "[61]؛

فالأصل: مامررت بشيء هو رجل .
والمُستَعمل: ما مررت برجلٍ؛ فحذف الموصوف ، وجاء بالصفة.

وقد يرتبط مصطلح المعنى بالدلالة بالتقدير النحوي في الأساليب ؛ كما في أسلوب التوكيد ؛ فيقول سيبويه:" فأما الوجه الحسن فأن يكون محمولا على الابتداء؛ لأن معنى :إن زيدا منطلق: زيدٌ منطلقٌ"[62] ؛ فالاستعمال اللغوي الظاهر ؛ أو البنية السطحية بزيادة (إنّ) للتوكيد، والأصل المقدر بحذفها. فسيبويه حينما أطلق مصطلح "المعنى" كأنه قال: لأن تقدير جملة : إنَّ زيدا منطلق؛ هو: زيدٌ منطلقٌ.

ولا يكتفي سيبويه بذكر الأصل المقدر وراء الاستعمال الظاهر للجملة؛ بل يتعداه إلى ذكر العمليات التي تمت للتحويل من الأصل المقدر إلى الاستعمال الظاهر ؛ وذلك ظاهر في تفصيله لتمييز العدد بقوله:"... وذلك أنك لو قلت كم لك الدرهم لم يجز كما لم يجز في قولك عشرون الدرهم لأنهم إنما أرادوا عشرين من الدراهم

[59] ـ الكتاب ، ٧٤/٢ .
[60] ـ الكتاب،٣٢٩/١ .
[61] ـ الكتاب ،٤٤٠/١ .
[62] ـ الكتاب،١٤٤/٢ .

وهذا معنى الكلام، ولكنهم حذفوا الألف واللام، وصيروه إلى الواحد، وحذفوا (من) استخفافا ...."[٦٣] ؛ فذكر الأصل المقدر ،أو التقدير ، ثم أردف ذلك بذكر كيفية التحويل؛ وذلك عبر ثلاث مراحل هي:

- حذف الألف واللام من "الدراهم".
- تحويل الجمع إلى مفرد: دراهم...درهم.
- حذف "من" استخفافا.

وانجرَّ التقدير النحوي الذي يعنيه سيبويه باستعمال مصطلح(المعنى) على الأسماء المنصوبة على التعظيم والتعجب والافتخار والتخصيص والنداء..إلخ نحو:"

ألم تَرَ أنا بني دارمٍ زُرارةُ منّا أبو مَعْبَدِ

فإنما اختص الاسم هنا ليعرف بما حمل على الكلام الأول وفيه معنى الافتخار..."[٦٤]، ونحو زعم الخليل:" أن قولهم بك الله نرجو الفضل وسبحانك الله العظيم نصبه كنصب ما قبله وفيه معنى التعظيم..."[٦٥]، ونحو:"

يا شاعراً لا شاعرَ اليَوْمَ مِثلَهُ جَريرٌ ولكنْ في كُلَيْبٍ تَواضُعُ

فزعما أنه غير منادى وإنما انتصب على إضمار كأنه قال يا قائل الشعر شاعرا وفيه معنى حسبك به شاعرا كأنه حيث نادى قال حسبك به ولكنه أضمر كما أضمروا في قوله تالله رجلا وما أشبهه مما ستجده في الكتاب إن شاء الله عز وجل ومما جاء فيه معنى التعجب كقولك يا لك فارسا قول الأخوص ابن شريح الكلابي :

تَمَنَّاني لِيَلْقاني لقيطٌ أعام لك بنَ صَعْصَعَةَ بن سَعدِ

وإنما دعاهم لهم تعجبا لأنه قد تبين لك أن المنادى يكون فيه معنى أفعل به يعنى يا لك فارسا"[٦٦]. فهذه النماذج على تقدير فعل مضمر ؛ وهذا مايقصده سيبويه بمصطلح المعنى ؛ فهي على تقدير: أفتخر- أُعَظّم – حسبك به- أفعِل به.

ومن المواضع التي استعمل فيها مصطلح المعنى والمقصود به التقدير النحوي قوله في سبب حذف التنوين من المضاف:" اعلم أن التنوين يقع من المنفي في هذا الموضع إذا قلت: لا غلام لك، كما يقع من المضاف إلى اسم ؛وذلك إذا قلت لا مثل زيد والدليل على ذلك قول العرب:لا أبالك ولا غلامي لك ولا مسلمي لك، وزعم الخليل رحمه الله أن النون إنما ذهبت للإضافة ولذلك ألحقت الألف التي لا تكون إلا في الإضافة ، وإنما كان ذلك من قبل أن العرب قد تقول :لا أباك في معنى

---

[63] - الكتاب، ١٥٧/٢ . وانظر ١٦٠/٢ كذلك،١٦٢ .

[64] - الكتاب، ٢٣٤/٢ .

[65] - الكتاب، ٢٣٥/٢ .

[66] - الكتاب ، ٢٣٧/٢ .

لا أبالك، فعلموا أنهم لو لم يجيئوا باللام لكان التنوين ساقطا كسقوطه في: لا مثل زيد"[٦٧].

ويرتبط التقدير النحوي عنده بالمعنى أحياناً مثل قوله:"... ومثل:لاسلام على عمرو: لابك سوء؛ لأن معناه: لاساءك الله"[٦٨]؛ والمعنى-كما هو واضح- الدعاء.

وأحيانا يكون معنى مصطلح "المعنى" تقدير حرف عامل مكان حرف آخر ؛ أو إحلال حرف مكان آخر ؛ مثل قوله:" حدثنا بذلك يونس وعيسى جميعا أن بعض العرب الموثوق بعربيته يقول ما مررت بأحد إلا زيدا وما أتاني أحد إلا زيدا وعلى هذا ما رأيت أحدا إلا زيدا فينصب زيدا على غير رأيت وذلك أنك لم تجعل الآخر بدلاً من الأول ولكنك جعلته منقطعا مما عمل في الأول والدليل على ذلك أنه يجئ على معنى ولكنَّ زيدا ولا أعني زيدا وعمل فيه ما قبله كما عمل العشرون في الدرهم إذا قلت عشرون درهما ومثله في الانقطاع من أوله إن لفلان والله مالا إلا أنه شقي فأنه لا يكون أبدا على إن لفلان وهو في موضع نصب وجاء على معنى ولكنه شقي"[٦٩]

ومثله كذلك قوله:" واعلم أن معنى ما انتصب بعد (أو) على (إلا أن) كما كان معنى ما انتصب بعد (الفاء) على غير معنى التمثيل تقول لألزمنك أو تقضيني ولأضربنك أو تسبقني فالمعنى لألزمنك إلا أن تقتضيني ولأضربنك إلا أن تسبقني هذا معنى النصب قال امرؤ القيس

فقلتُ له لا تَبْكِ عينُك إنَّما نُحاولُ مُلكاً أو نَموتَ فنُعْذَرَا

والقوافي منصوبةٌ فالتمثيل على ما ذكرت لك والمعنى على إلا أن نموت فنعذرا وإلا أن تعطيني"[٧٠] ؛ فمصطلح المعنى في هذين الموضعين يعني: تقدير حرف مكان آخر؛ فمعنى: (أنَّ) ـــــــــــــــ على تقدير(لكنَّ) .
ومعنى:(أو) ـــــــــــــــ على تقدير(إلا أن) .

وقد يكون التقدير الذي يعنيه مصطلح المعنى مؤداه (تقدير حرف محذوف) ؛ وقد شرحه سيبويه بقوله:" ... إن أتيتني لأكرمنك وإن لم تأتني لأغمنك جاز لأنه في معنى: لئن أتيتني لأكرمنك ولئن لم تأتني لأغمنك ،ولا بد من هذه اللام مضمرةً أو مظهرةً لأنها لليمين كأنك قلت: والله لئن أتيتني لأكرمنك"[٧١] .

---

[67] ـ الكتاب، ٢٧٦/٢ .
[68] ـ الكتاب، ٣٠٢/٢ ،ومثله:"... اللهم غلاماً ؛ ومعناه: اللهم هب لي غلاماً" انظر:الكتاب، ٣٠٩/٢ .
[69] ـ الكتاب ، ٣١٩/٢ ،وقد خصص سيبويه بابا كاملاً يحمل هذه الدلالة:"هذا باب ما لا يكون إلا على معنى لكن" ،الكتاب، ٣٢٥/٢ حيث تكون (إن) على تقدير(لكنْ) للاستدراك.
[70] ـ الكتاب، ٤٧/٣ ،وانظر أيضا:٤٩/٣ .
[71] ـ الكتاب، ٦٦/٣ .

وقد يكون التقدير لشبه جملة محذوف؛ نحو قوله:" وقد يجوز أن تقول: بمن تمرر أمرر، وعلى من تنزل أنزل، إذا أردت معنى :عليه وبه ،وليس بحد الكلام، وفيه ضعفٌ ومثل ذلك قول الشاعر وهو بعض الأعراب:

إنّ الكريم وأبيك يَعتَمِلْ   إنْ لم يَجِدْ يوماً على مَنْ يتَّكِل"[72]

فـ التقدير:

- بمن تمرر أمرر به .
- على من تنزل أنزل عليه .
- إن لم يجد يوما على من يتكل عليه.

وهكذا يتضح من خلال النماذج السابقة أن مصطلح (المعنى) عند سيبويه قد اكتسب دلالة أخرى هي(**التقدير النحوي**) ؛ إما عن طريق الحذف ، وإما أن يكون عن طريق الإحلال ، وإما عن طريق الزيادة... إلخ.

[72] - الكتاب ، ٨١/٣ .

٣- مصطلح(المعنى) وأقسام الكلمة

أ- الاسم[٧٣]

ليس المقصود بهذا المبحث أن مصطلح (المعنى) يعنى به (الاسم) ؛ بل يعنى به قضايا متصلة به؛ نحو إعمال المشتقات عمل الفعل، والابتداء، والإخبار ٠٠٠إلخ٠ ويلاحظ أن قضايا المصطلح المتصلة بـ(الاسم) متداخلة؛ فأحيانا تدخل قضايا العمل النحوي، وأحيانا قضايا التقدير النحوي٠٠٠وهكذا٠

فيرد مصطلح (المعنى) ويراد به عمل اسم الفاعل عمل الاسم كما في قوله:"٠٠٠ولو قلت:هذا ضارب عبدِالله وزيداً جاز على إضمار فعل ؛ أي: وضَرَبَ زيداً ،وإنما جاز هذا الإضمارُ لأنّ معنى الحديث في قولك هذا ضاربُ زيدٍ هذا ضَرَبَ زيدا٠٠٠"[٧٤]؛ فهذا المصطلح يراد به تقدير الجملة بعد عمل اسم الفاعل عمل الفعل٠

ويتداخل معنى (التقدير) مع قضية تأخير المبتدأ وهو اسم في قوله:"٠٠٠وقال كعب بن زهير:

بادتْ وغَيَّر آيَهنَّ مع البلى إلا رواكدَ جَمْرُهُنَّ هباءُ
ومُشَجَّــجٌ أمّا سَـواءُ قذالهِ فبدا وغيَّرَ سارَهُ المَعْزاءُ

لأنّ قوله :إلا رَواكَد ،هي في معنى الحديث: بها رواكدُ فحمله على شيء لو كان عليه الأوّلُ لم ينقض الحديث"[٧٥] ؛ فالدلالة المقصودة من مصطلح "المعنى" هنا ، وفي النموذج السابق ترتبط بالتقدير ، والعمل ، غير أنه لم يرد هذا المصطلح بدلالة "الاسم"٠

---

[73] - لوحظ أثناء البحث عن مصطلح "المعنى" والمقصود به "الاسم" أنه لم يرد بهذا المعنى ؛ إنما جاء في طيات قضايا العمل النحوي والتقدير النحوي ، وقد سبق تناول هاتين القضيتين بما لايدع مجالاً للتكرار هنا٠

[74] - الكتاب،١/١٧١- ١٧٢ ، وانظر:١/١٨١، ١٨٧، ٢٥٣ ؛ حيث الحديث عن اعمال اسم الفاعل عمل الفعل؛ وذلك باستعمال مصطلح"معنى"٠

[75] - الكتاب، ١/١٧٣- ١٧٤ ٠

ب- الفعل

وكذلك القضايا التي تربط مصطلح "المعنى" بـ"الفعل" ؛يتداخل فيها العمل النحوي من ناحية ، والتقدير النحوي من ناحية أخرى ، وأحيانا ثالثة يأتي مصطلح المعنى ويراد به العمل والتقدير ٠ وقد لاحظ الباحث أن دلالة مصطلح المعنى على هذين الأمرين؛ العمل والتقدير ،أكثر ورودا في المستوى النحوي دون الدلالات الأخرى٠

وقد ارتبط مصطلح "المعنى" بـ"العمل النحوي" بـ"الفعل" في مواضع كثيرة سبق شرح بعض منها في مبحث "العمل النحوي" [٧٦]؛ ومن ذلك استشهاد سيبويه بقول العجاج : " يَذْهَبْنَ في نَجْدٍ وغَوْراً غائراً ٠ كأنه قال ويَسلكن غورا غائرا لأنّ معنى يَذْهَبْنَ فيه يسلكْن٠٠٠"[٧٧] ؛ فقد عمل الفعل اللازم(يذهبن) عمل المتعدي (يسلكن) ؛ إذن :

مصطلح المعنى ←———— يعني العمل النحوي للفعل ٠

ومن المواضع التي دل فيها مصطلح (المعنى) على العمل النحوي والتقدير معاً قوله: "٠٠٠ لو قلت: زيدٌ أنا ضاربُه، لكان جيدا في الكلام ؛ لأن ضارباً اسمٌ ، وإن كان في معنى الفعل٠٠٠"[٧٨]

فقوله: (في معنى الفعل) ←———— أي(في تقديره أو يعمل عمله) ٠

وقد تكون الدلالة قاصرة على (التقدير) فقط مثل قوله :" وتقول : زيداً قطعَ الله يده ، وزيداً أمَرَّ الله عليه العيش ؛ لأن معناه معنى : زيداً ليقطع الله يده٠٠٠"[٧٩] ؛أي:

زيداً قطع الله يده ——تقدير هذه الجملة——← زيداً ليقطع الله يده ٠
باستعمال مصطلح معنى

وهكذا في المواضع الأخرى المشار إليها في الهامش ، وتلك التي نوقشت فيما سبق ؛ تشير إلى دلالة مصطلح (المعنى) على القضايا المتعلقة بالفعل ، وأهمها العمل النحوي ، وكذلك التقدير النحوي٠

---

[76] - من هذه المواضع: (١) ٩٤ ، ١٠١ ، ١٤٢ ، ١٥٧، ١٧٩، ١٩٤، ٢٣٩، ٢٨٨، ٢٨٩ (٤) ٥٨، ٦٢ ٠

[77] - الكتاب ، ٩٦/١ ٠

[78] - الكتاب ، ١٠١/١ ٠

[79] - الكتاب ، ١٤٢/١ ٠

ج- الحروف

أما الحروف وما لها من صلة بمصطلح (المعنى) ودلالته فإننا نستطيع تقسيم هذه الصلة إلى عدة محاور هي :

١- إعمال الحروف عمل بعضها ؛ أو إحلالها محل بعضها ٠
٢- العمل النحوي للحروف ذاتها ٠
٣- معاني الحروف ٠
٤- تقدير الحرف المحذوف ٠

فمن إحلال الحروف محل بعضها قول سيبويه:" ومما يُختار فيه النصبُ لنصبِ الأول ويكون الحرفُ الذي بين الأول والآخِر بمنزل الواو والفاء وثُمَّ قولك لقيتُ القومَ كلَّهم حتّى عبدَ الله لقيتُه وضربتُ القوم حتّى زيداً ضربت أباه وأتيت القوم أجمعين حتى زيدا مررت به ومررت بالقوم حتّى زيداً مررتُ به٠ فحتّى تُجْرى مَجْرى الواو وثُمّ، وليست بمنزلة أمّا؛ لأنّها إنّما تكون على الكلام الذي قبلها ولا تُبْتَدَأ وتقول رأيتُ القومَ حتّى عبدَ الله وتسكتُ، فإنّما معناه أنّك قد رأيت عبدَ الله مع القوم، كما كان رأيتُ القومَ وعبدَ الله على ذلك"[٨٠] ؛ جاز أن تحل (حتى) محل الواو وثم والفاء ؛ ودليل ذلك الأمثلة التي ساقها سيبويه في هذا الاقتباس؛ فدلالة المصطلح هنا (إعمال حتى عمل هذه الحروف العاطفة) ٠

وأحيانا تشترك دلالة المصطلح بين المستوى النحوي والمستوى الدلالي ؛ وذلك فيما نقله عن الخليل إذ يقول:" وزعم الخليل أنه يجوز بعتُ الشاءَ شاةً ودرهمٌ؛ إنَّما يريد شاةً بدرهم ويَجعل بدرهم خبراً للشاة وصارت الواوُ بمنزلة الباء في المعنى كما كانت في قولك كلُّ رَجُلٍ وضيعته في معنى مَعَ"[٨١]؛ فالواو بمعنى (مع) دلالة ، وحدث بينهما إحلال نحواً ٠

واستمرت دلالة المصطلح على الإعمال النحوي في إحلال (كم) محل (رب) من الناحية النحوية بأن تعمل الجر فيما بعدها ؛ خاصة إذا كانت (كم) خبرية ؛ وذلك في قوله:" واعلم أن كم في الخبر بمنزلة اسم يتصرف في الكلام غير منون يجر ما بعده إذا أسقط التنوين؛ وذلك الاسم نحو مائتي درهم ؛فانجر الدرهم لأن التنوين ذهب ودخل فيما قبله والمعنى معنى رب وذلك قولك كم غلام لك قد ذهب فإن قال قائل: ما شأنها في الخبر صارت بمنزلة اسم غير منون؟ فالجواب فيه: أن تقول جعلوها في المسألة مثل عشرين وما أشبهها، وجعلت في الخبر بمنزلة ثلاثة إلى العشرة ؛تجر ما بعدها كما جرت هذه الحروف ما بعدها فجاز ذا في كم حين اختلف الموضعان كما جاز في الأسماء المتصرفة التي هي للعدد٠ واعلم أن كم

---

[80] - الكتاب ، ٩٦/١ ٠
[81] - الكتاب ، ٣٩٣/١ ٠

في الخبر لا تعمل إلا فيما تعمل فيه رب لأن المعنى واحد إلا أن كم اسم ورب غير اسم بمنزلة من والدليل عليه أن العرب تقول كم رجل أفضل منك تجعله خبركم أخبرناه يونس عن أبي عمرو"[٨٢].

وقد تأتي (رب) في معنى آخر :" وذلك قولك: له كذا وكذا درهما ،وهو مبهم في الأشياء بمنزلة كم ،وهو كناية للعدد بمنزلة فلان إذا كنيت به في الأسماء، وكقولك كان من الأمر ذَيَّة وذَيَّة وذَيتَ وذَيتَ وكَيْتَ وكَيْتَ؛ صار ذا بمنزلة التنوين لأن المجرور بمنزلة التنوين ،وكذلك كأين رجلا قد رأيت زعم ذلك يونس وكأين قد أتاني رجلا إلا أن أكثر العرب إنما يتكلمون بها مع من قال عز وجل (وكأيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ)
وقال عمرو بن شأس :

وكائِنْ رَدَدْنَا عنكُمُ مِنْ مُدَجَّجٍ يجئ أمامَ الألفِ يَرْدِي مُقَنَّعَا

فإنما ألزموها مِنْ لأنها توكيد فجعلت كأنها شيء يتم به الكلام وصار كالمثل ومثل ذلك ولا سيما زيد فرب توكيد لازم حتى يصير كأنه من الكلمة وكأين معناها معنى رب وإن حذفت مِنْ وما فعربي وقال إن جرها أحد من العرب فعسى أن يجرها بإضمار من كما جاز ذلك فيما ذكرنا"[٨٣] .

فقوله :فإنما ألزموها مِنْ لأنها توكيد يشير إلى أنها بمعنى (رب) في العمل النحوي ؛ فـ (من) للجر ؛ كما أن (رب) للجر . وكذلك (كأين) هنا في معنى (رب) ؛ أي تعمل عملها .

وتجمع الدلالة على المستويين مرة أخرى في باب الاستثناء ؛ حيث تأتي (غير) بمعنى (إلا) في دلالة الاستثناء من ناحية ، وفي جريانها مجرى الاسم الذي بعد إلا من الناحية النحوية من ناحية أخرى ؛ بل يؤكد هذه الدلالة لمصطلح (المعنى) بتكراره ست مرات في نص واحد تحت (هذا باب غير) حيث يقول :" اعلم أن غيرا أبدا سوى المضاف إليه ولكنه يكون فيه معنى إلا فيجري مجرى الاسم الذي بعد إلا وهو الاسم الذي يكون داخلا فيما تخرج منه غيره وخارجا مما يدخل فيه غيره فأما دخوله فيما يخرج منه غيره فأتاني القوم غير زيد فغيرهم الذين جاءوا ولكن فيه معنى إلا فصار بمنزلة الاسم الذي بعد إلا وأما خروجه مما يدخل فيه غيره فما أتاني غير زيد وقد يكون بمنزلة مثل ليس فيه معنى إلا وكل موضع جاز فيه الاستثناء بالا جاز بغير وجرى مجرى الاسم الذي بعده إلا لأنه اسم بمنزلته وفيه معنى إلا ولو جاز أن تقول أتاني لقوم زيدا تريد الاستثناء ولا تذكر إلا لما كان إلا نصبا ولا يجوز أن يكون غير بمنزلة الاسم الذي يبتدأ بعد إلا

---

82 - الكتاب ،٢/١٦١ . هذا وقد ورد مصطلح (معنى) بدلالة الإحلال كذلك في ورود (إن) في معنى (ليس) ؛ انظر سيبويه ،٢٢٢/٤
83 - الكتاب ،٢/١٦٩ ـ١٧٠ .

وذلك أنهم لم يجعلوا فيه معنى إلا مبتدأ وإنما أدخلوا فيه معنى الاستثناء في كل موضع يكون فيه بمنزلة مثل ويجزى من الاستثناء . . . "[٨٤] .

وأحيانا تكون دلالة المصطلح على عدم الإعمال أو الإحلال ؛ وقد أفرد سيبويه بابا يحمل هذا المعنى ؛ وهو (باب مالايكون إلا على معنى لكن)[٨٥] ؛ فلا تعمل عملها ، ولاتكون على تقديرها ، وليست بدلالتها نفسها .

أما دلالة المصطلح على إعمال الحروف بذاتها فمنه إعمال حرف الجر الزائد ؛ وذلك بقوله :" . . . كأنه قال ما أتاني أحد إلا فلان لأن معنى ما أتاني أحد وما أتاني من أحد واحد، ولكن مِنْ دخلت هنا توكيدا كما تدخل الباء في قولك كفي بالشيب والإسلام وفي ما أنت بفاعل ولست بفاعل . . . "[٨٦] .
فقد عملت (من) فيما بعدها لفظاً فقط بينما ظل ما بعدها فاعلاً في المعنى كما هو ؛ لأن (من) حرف جر زائد ؛ وعملها كذلك هنا التوكيد للنفي الكائن في (ما) ؛ فمفهوم المصطلح هنا أن الموقع الإعرابي لكلمة (أحد) واحد ؛ فاعل في الاستعمالين .

ومن دلالة المصطلح كذلك على العمل النحوي للحروف ؛عمل حروف العطف ؛ ومنها قوله:"

ومَن لا يُقدّمْ رجلَه مُطمَئِنَّةً فيُثبِتَها في مُستوَى الأرض يَزلَقِ

فقال النصب في هذا جيد لأنه أراد هاهنا من المعنى ما أراد في قوله لا تأتينا إلا لم تحدثنا فكأنه قال من لا يقدم إلا لم يثبت زلق"[87]؛ حيث نصبت (الفاء) الفعل التالي لها .

أما كون المصطلح مقصودا به دلالة الحرف فمنه قول سيبويه :" وأمّا ما يجوز فيه الفعلُ مضمرا ومظهرا مقدّما ومؤخّرا ولا يستقيم أن يُبْتَدَأ بعده الأسماء فهَلاّ ولوْلا ولوْمَا وألا لو قلت: هَلاّ زيداً ضربتَ ولولا زيداً ضربتَ وألا زيداً قتلتَ جاز ولو قلتَ ألا زيدا وهلا زيدا على إضمار الفعل ولا تذكره جاز وإنّما جاز ذلك لأنّ فيه معنى التحضيض والأمر"[٨٨].
فالبنية العميقة (SS) على تقدير فعل ولذلك نُصبت الأسماء التي بعد هذه الأدوات ؛ فمصطلح المعنى هنا مفهومه (دلالة الحرف) على المستوى الدلالي .

ومن ذلك قوله:" . . . فإن قلت : زيداً يومَ الجمعة لم أضرب ، لم يكن فيه إلا النصب لأنه ليس ههنا معنى جزاء ، ولايجوز الرفع إلا على قوله: كلّه لم أصنع ؛ ألا

---

[84] ـ الكتاب ، ٣٤٣/٢ .
[85] ـ الكتاب ، ٣٢٥/٢ .
[86] ـ الكتاب ، ٣١٦/٢ .
[87] ـ الكتاب ، ٨٩/٣ .
[88] ـ الكتاب ، ٩٨/١ .

ترى أنك لو قلت : زيدٌ يوم الجمعة فأنا أضربه ، لم يكن ، ولو قلت : زيدٌ إذا جاءني فأنا أضربه ، كان جيدا ؛ فهذا يدلك على أنه يكون على غير قوله : زيداً أضرب حين يأتيك"[٨٩]؛ فمصطلح المعنى هنا يقصد به عدم استعمال حرف الجزاء (إذا) .

وتتضح هذه الدلالة جلياً حينما يتحدث سيبويه عن المفعول معه مؤكداً أن (الواو) تعني المعية ؛أي بمعنى (مع) ؛ وذلك بقوله:" ومن ذلك:رأسَه والحائطَ كأنّه قال: خَلِّ أو دَعْ رأسَه والحائطَ ؛فالرأسُ مفعولٌ معه فانتصبَا جمعاً ،ومن ذلك قولهم: شأنَك والحجَّ كأنّه قال:عليك شأنَك مع الحجِّ، ومن ذلك: امْرَأً ونفسَه،كأنّه قال: دَعْ امرَأً مع نفسه؛فصارتِ الواوُ في معنى معَ ؛كما صارتْ في معنى مَعَ في قولهم:ما صنعتَ وأخاك "[٩٠]؛ فالواو تحمل معنى المعية ؛ ولذا فإن مصطلح المعنى يراد به (الدلالة) ؛دلالة الحرف .

وأحياناً يلجأ سيبويه إلى عقد مقارنة حتى يتضح معنى المصطلح ؛ فيقارن بين الحرف الذي يعد من بنية الكلمة ، وليس له معنى حينئذ ، والحرف الذي يأتي زائدا على بنية الكلمة ؛ واصطلح النحويون على تسميته ضميرا؛ وحينئذ تكون له دلالة ؛ فيقول:" . . .وكذلك سمعنا العرب الذين يخففون يقولون اتبعوا مره لأن هذه الواو ليست بمدة زائدة في حرفِ الهمزة منه فصارت بمنزلة واو يدعو وتقول اتبعي مره صارت كياء يرمي حيث انفصلت ولم تكن مدةً في كلمة واحدةٍ مع الهمزة لأنها إذا كانت متصلة ولم تكن من نفس الحرف أو بمنزلة ما هو من نفس الحرف أو تجيء لمعنىً فإنما تجيء لمدةٍ.لا لمعنىً وواو اضربوا واتبعوا هي لمعنى الأسماء وليس بمنزلة الياء في خطيئةٍ تكون في الكلمة لغير معنىً ولا تجيء الياء مع المنفصلة لتلحق بناءً ببناءٍ فيفصل بينها وبين ما لا يكون ملحقاً بناءً ببناء"[٩١] .

فمصطلح (المعنى) في قولنا : اضربوا ويضربون وضربوا ، يعني الدلالة ؛ إذ للواو معنى أو دلالة . لكن الياء في قولنا : خطيئة ليس لها معنى أو دلالة لذاتها .

أما مجيئ مصطلح المعنى مقصودا به (التقدير) فكثير ؛ إذ يمكننا أن نعد كل المواضع التي جاءت فيها الحروف بمعنى بعضها البعض ؛ أو حلَّ بعضها محل بعض ؛ نعد المصطلح فيها دلالته التقدير[٩٢] .

وقد يأتي كذلك بهذه الدلالة دون إحلال لحرف محل حرف آخر ؛ ومنه قوله مبررا جر تمييز (كم) :" فأما الذين جروا فإنهم أرادوا معنى مِنْ ولكنهم حذفوها ههنا تخفيفا على اللسان وصارت على عوضا منها

---

[89] ـ الكتاب ، ١٣٧/١ .

[90] ـ الكتاب ، ٢٧٤/١ .

[91] ـ الكتاب ، ٥٤٨/٣ وكذلك تحدث عن معنى الحرف حينما ذكر أن (إن) في معنى (ليس) ؛ أي للنفي؛ ٢٢٢/٤ .

[92] ـ لمزيد من التفصيل عن قضايا التقدير الموجودة في النحو العربي عامة ؛ انظر ـ على سبيل المثال ـ كتاب أستاذي الجليل د/ محمود ياقوت : قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين . وانظر كذلك الكتاب الرائد لأستاذنا الدكتور عبده الراجحي : النحو العربي والدرس الحديث . وكذلك كتاب : الجوانب التحويلية في النحو العربي لأستاذنا الدكتور / كريم حسام الدين .

ومثل ذلك الله لا أفعل وإذا قلت لاها الله لا أفعل لم يكن إلا الجر وذلك أنه يريد لا والله ولكنه صار ها عوضا من اللفظ بالحرف الذي يجر"[93] ٠

فالبنية السطحية(SS) : كم جذع بيتك مبني ٠
والبنية العميقة(DS) : كم من جذع بيتك مبني ٠ فجاء مصطلح (معنى) والمقصود به هنا (التقدير)؛ تقدير حرف الجر (من) ٠

ومثله تقدير الفاء المحذوفة كما قال سيبويه:" وكما قالوا في اضطرار إن تأتني أنا صاحبك يريد معنى الفاء فشبهه ببعض ما يجوز في الكلام حذفه وأنت تعنيه"[94] ؛ فقوله : على معنى الفاء ؛ أي : على تقدير الفاء المحذوفة ٠

وكذلك تحقق هذا المعنى لمصطلح (المعنى) في حديثه عن تقدير الجازم لفعل الشرط بقوله نقلا عن الخليل :" وزعم الخليل أن هذه الأوائل كلها فيها معنى إن فلذلك انجزم الجواب لأنه إذا قال ائتني آتك فإن معنى كلامه إن يكن منك إتيانٌ آتك وإذا قال أين بيتك أزرك فكأنه قال إن أعلم مكان بيتك أزرك لأن قوله أين بيتك يريد به أعلمني وإذا قال ليته عندنا يحدثنا فإن معنى هذا الكلام إن يكن عندنا يحدثنا وهو يريد ههنا إذا تمنى ما أراد في الأمر"[95]؛ فالأمثلة على تقدير (إنْ) ؛ فقوله : على معنى ؛ أي : على تقدير ٠

وإذا كان (التقدير) في المثال السابق مرتبطا بتقدير محذوف ، فإنه في المثال التالي مرتبط بحذف مذكور ؛ إذ يقول :"ومثل : لاسلام على عمرو ، لابك سوء ؛ لأن معناه : لاساءك الله"[96] ؛ فقد انتقل التركيب من البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق حذف حرف الجر (الباء) ٠ ومصطلح (المعنى) هنا كذلك دلالته (التقدير) ٠

ومن المواضع التي تأكدت فيها دلالة المصطلح على (التقدير) قوله في باب النصب فيما يكون مستثنى مبدلا :" حدثنا بذلك يونس وعيسى جميعا أن بعض العرب الموثوق بعربيته يقول ما مررت بأحد إلا زيدا وما أتاني أحد إلا زيدا وعلى هذا ما رأيت أحدا إلا زيدا فينصب زيدا على غير رأيت وذلك أنك لم تجعل الأخر بدلا من الأول ولكنك جعلته منقطعا مما عمل في الأول والدليل على ذلك أنه يجئ على معنى ولكن زيدا ولا أعني زيدا وعمل فيه ما قبله كما عمل العشرون في الدرهم إذا قلت عشرون درهما"[97] ٠

---

[93] ـ الكتاب ، ١٦٠/٢ ٠
[94] ـ الكتاب ، ٦٨/٣ وقد ورد في موضع آخر من الكتاب الحديث عن تقدير الفاء المحذوفة باستعمال مصطلح (المعنى) بدلالة (التقدير) ، ومثاله :قد علمت أنك إذا فعلت إنك سوف تغتبط به ؛ تريد معنى الفاء ٠٠٠الخ٠ انظر: الكتاب ، ١٣٤/٣ ٠
[95] ـ الكتاب ، ٩٤/٣ ٠
[96] ـ الكتاب ، ٣٠٢/٢ ٠
[97] ـ الكتاب ، ٣١٩/٢ ٠ وقد أكد هذه الدلالة كذلك في باب يليه مباشرة في الاستثناء المنقطع : ما فيها أحد إلا حمارا جاؤا به على معنى : ولكن حمارا٠٠٠إلخ ٠ ٣١٩/٢ ٠

فالاستثناء المفرغ يعرب ما بعد (إلا) حسب العامل الذي يسبقها ؛ فليس النصب دائماً ، ولكن في المثالين:

- ما مررت بأحد إلا زيدا .
- ما أتاني أحد إلا زيداً .

بالنصب فإنه على تقدير (لكن) ومن ثم حدث النصب ؛ ولذا فإن مصطلح (المعنى) هنا دلالته (التقدير) ؛ فحينما يقول : على معنى ولكن ؛ أي : على تقدير ولكن .

ثالثاً : مصطلح (المعنى) على المستوى الدلالي

من الأمور التي استقرت عليها الدراسات اللغوية الحديثة ، خاصة بعد تقسيم مستويات التحليل اللغوي إلى عدة مستويات [98]؛ أن هذا المستوى يهتم – بصورة أساسية – بالقضايا المتصلة بالمعنى [99]؛ ولذلك فإن مصطلح (المعنى) – طبقاً لهذه الدراسات – أصبح له دلالة واضحة ودقيقة ؛ تصب كلها في الدلالة ؛ أو القسم المقابل للشكل ، لكن هل ظل هذا المستوى في (الكتاب) له الدلالة نفسها؟

تبين من خلال استقراء (الكتاب) أن هذا المصطلح أراد به سيبويه عدة دلالات هي :

١- الترادف ٠
٢- مصطلح (المعنى) ويراد به (الدلالة) ٠
٣- الدلالة النحوية ٠
٤- الدلالة على مستوى الأساليب : التعجب- النفي – الاستثناء – الاستفهام – التوكيد – التمني – القسم – التحضيض – الأمر ٠ والدلالة الرابعة سوف نفرد لها مبحثاً مستقلاً ٠

١ - الترادف

لقد ورد كثيراً مصطلح (المعنى) والمقصود به أنه يرادف مصطلح (الدلالة) ؛وهذا أمر بدهي ؛ فالمعنى الأصلي لهذا المصطلح يتجه صوب الدلالة؛ على سبيل المثال حديثه عن تنازع العاملين على العمل في معمول واحد فيقول:" وهو قولك : ضربت وضربني زيدٌ ، وضربني وضربت زيداً ؛ تحمل الاسمَ على الفعل الذي يليه ؛ فالعامل في اللفظ أحد الفعلين ، وأما في المعنى فقد يُعلم أنَّ الأول قد وقع إلا أنه لا يُعْمَلُ في اسمٍ واحدٍ نصبٌ ورفعٌ وإنّما كان الذي يليه أولَى لقُربِ جِوارِه وأنه لا ينقُضُ معنىً وأنَ المخاطَبَ قد عَرَفَ أنَّ الأولَ قد وقع بزَيْدٍ كما كان :خَشَّنْتُ بصدرِه وصدرِ زيدٍ وجهَ الكلامِ ؛حيث كان الجرُّ في الأول وكانتِ الباءُ أقربَ إلى الاسم من الفعل ولا تَنقض معنًى سَوَّوْا بينَهما في الجرّ كما يَستَوِيان في النصب ٠٠٠"[100] ٠

---

[98] - اختلف علماء اللغة حول عدد هذه المستويات ؛ فمنهم من اكتفي بكونها مستويين فقط هما الشكل والمعنى ٠ ومنهم من جعلها ثلاثة : النحو والصرف والدلالة ٠ ومنهم من جعلها أربعة : النحو والصرف والمعجم والدلالة ٠ ومنهم من جعلها خمسة : النحو والصرف والصوت والمعجم والدلالة ٠ وقد توصلت في كتابي: (علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق) إلى أنها ستة : الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي والدلالي والنصي ٠

[99] - من هذه القضايا: تعريف المعنى- انتقال المعنى – اتساعه – تضييقه – الترادف – الاشتراك ٠٠٠إلخ ٠ انظر في تفصيل الحديث عن هذه القضايا :

أ- د ٠ أحمد مختار عمر : علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨ ٠
ب- د ٠ فايز الداية : علم الدلالة العربي (النظرية والتطبيق) ، دار الفكر، دمشق ، سورية ،الطبعة الثانية ، ١٩٩٦ ٠
ج – ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة ، ترجمة : د ٠ كمال بشر ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٠ ٠٠٠وغيرها ٠

[100] - سيبويه : الكتاب، ١/٧٣-٧٤ ٠

فقوله : لاينقض معنى ؛ في الموضعين ؛ المقصود ترادف مصطلح (المعنى) لمصطلح (الدلالة) ؛ فزيدٌ في الجملتين فاعل ومفعول والدلالة لم تتغير فيهما :

- ضربت وضربني زيدٌ ؛ أي : ضربت زيداً ، وضربني زيدٌ •
- ضربني وضربت زيداً ؛ أي : ضربني زيدٌ ، وضربتُ زيداً •

ويظهر هذا الترادف جليا ؛أي مصطلح(المعنى) يراد به (الترادف) ؛ أثناء حديثه عن نصب الظرف :" وممّا لا يكون العملُ فيه من الظروف إلاّ متّصلا في الظّرف كلّه قولك سير عليه الليلَ والنهارَ والدّهرَ والأبدَ، وهذا جوابٌ لقوله :كَمْ سِيرَ عليه إذا جعله ظرفا لأنه يريد في: كَمْ سِيرَ عليه فتقول مجيباً له :الليلَ والنهارَ والدهرَ والأبدَ؛ على معنى في الليل والنهار وفي الأبد"[101] ؛فالجملة على النصب ترادف الجملة على الخفض بعد تقدير حرف الجر(في) •

ومثله قوله:" فابتدأ لأنّ معنى الحديث حين: قال إنّ زيداً منطلقٌ :زيدٌ منطقٌ ؛ولكنّه أكّدَ بإنّ• • •"[102] •

وأحياناً يعني المصطلح أكثر من دلالة ؛ فيراد به : الترادف ، والدلالة ، والتقدير ؛ نحو قوله تعليقا على قول الشاعر :"

أسقى الإلهُ عُدُواتِ الــــــوادى
وجَوْفَةَ كلِّ مُلــــثٍ غـــــادِي
كلُّ أجَشَّ حالِــــكِ السَّـــوادِ

كأنه قال سقاها كلُّ أجشَّ كما حُمل ضارعٌ لخصومة على ليَبكِ يزيدَ لأنّ فيه معنى سقاها كلُّ أجشّ"[103] •

وقد يراد به ترادف الحروف ؛ مثل قوله :" ولو قلت أنتَ وشأنُك كنتَ كأنّك قلت أنتَ وشأنُك مقرونان وكلُّ امرئ وضيعَتُه مقرونان لأنّ الواو في معنى مَعَ"[104] •

وقد يكون المراد ترادف كلمتين ليستا حرفين ؛ مثل قوله: " (هذا بابٌ أيضاً من المصادر يَنتصب بإضمار الفعل المتروك إظهارُه) ولكنّها مصادرُ وُضِعَتْ موضعاً واحدا لا تَتصرّفُ في الكلام تصرّفَ ما ذكرنا من المصادر وتصرّفُها أنّها تقعُ في موضع الجرّ والرفع وتدخلُها الألفُ واللام وذلك قولك :سُبْحانَ اللهِ ومَعاذَ اللهِ وريْحانَه وعَمْرَك الله إلا فعلتَ وقِعدَك الله إلاّ فعلتَ؛ كأنه حيث قال: سُبْحانَ اللهِ قال: تسبيحاً وحيث قال:وريحانَه قال: واسترْزاقاً ؛لأنّ معنى الرَّيْحان: الرِّزْقُ ؛فنصَبَ هذا على أُسَبِّحُ الله تسبيحا وأسترزقُ الله استرزاقا فهذا بمنزلة سبحانَ اللهِ وريْحانَه • • •"[105]

---

[101] - الكتاب ، ٢١٦/١ •
[102] - الكتاب ، ٢٣٨/١ •
[103] - الكتاب ، ١/ ٢٨٩ •
[104] - الكتاب ، ٣٠٠/١ •
[105] - الكتاب ، ١/ ٣٢٢ •

ومن دلالته كذلك على الترادف بين كلمتين قوله:" وزعم أنّ قولَ الشاعر وهو أميّةُ بن أبى الصّلت :

سَلامَك ربّنا في كلّ فجرٍ بَريئاً ما تُغَنّثك الذُّمومُ

على قوله براءتَك ربّنا من كلّ سوء ٠٠٠ واعلم أنّ من العرب من يَرفع سلاما إذا أراد معنى المباراةِ٠٠٠"[١٠٦] ٠ وكذلك قوله:" ومن ذلك أيضاً هذا سَواءَك وهذا رجلٌ سَواءَك فهذا بمنزلة مكانَك إذا جعلته في معنى بَدَلك ولا يكون اسماً إلا في الشعر قال بعض العرب لما اضطُرَّ في الشّعر جعله منزلة غيرٍ"[١٠٧]؛ فمصطلح (المعنى) يراد به (الترادف) :

- فـ (سَوَاءَك) مرادفها هنا (بَدَلك) أو (غير) ٠

وقد يراد به أحيانا (الترادف) على مستوى التركيب ؛ مثل قوله:" وكذلك صار (لم آتك) بمنزلة لفظهم بـ (لم يكن إتيانٌ) لأن المعنى واحد ٠٠٠"[١٠٨] ؛ فالتركيبان مختلفان ؛ لكن الدلالة واحدة ٠

إذاً اتجه مصطلح (المعنى) من خلال هذه النماذج صوب (الترادف) ، وهذا الترادف لم يكن على مستوى العلاقة بين كلمتين فحسب ؛ بل على المستويات التالية :

- الترادف بين الحروف ٠
- الترادف بين اسم مفرد وغيره ٠
- الترادف على مستوى التراكيب ٠

ويُلاحظ كذلك أن هذا المصطلح أحيانا لم تخلص دلالته على الترادف فحسب ؛ بل الترادف والدلالة والتقدير ٠

---

[106] ـ الكتاب ، ١/٣٢٥-٣٢٦ ٠

[107] ـ الكتاب ، ١/٤٠٧ ٠

[108] ـ الكتاب ، ٣/٣٠ وانظر كذلك : ٣/٦٨ ٠

٢ ـ الدلالـــة

من الملاحظ – خلال استقراء مصطلح (المعنى) – أن المواضع التي أُريد بهذا المصطلح فيها (الدلالة) ، أكثر عدداً من الدلالات الأخرى لهذا المصطلح ، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على اتفاق هذه الدلالة عند سيبويه مع ما اتفق عليه علماء اللغة المعاصرون ؛ العرب والغرب على حد سواء [109] . واللافت للنظر أن سيبويه نفسه لم يستعمل مصطلح (الدلالة) أو مشتقاته في الكتاب كله ؛ لكنه استعمل مصطلح (المعنى) ومشتقاته عامة للدلالة على معان مختلفة كما سبق ، واستعمل هذا المصطلح والمقصود به (الدلالة) في مواضع كثيرة كما سنرى .ولعل قلة استعمال مصطلح " الدلالة" لم يكن قاصراً على سيبويه وحده ؛ بل شاركه فيه المبرد(٢٨٥هـ) ، وابن السراج (٣١٦هـ) ، والزمخشري (٥٣٨هـ) ،وابن هشام(٧٦١هـ) [110] .

ومن المواضع التي استعمل فيها مصطلح (معنى) ؛ والمقصود به (الدلالة) قول سيبويه في باب (الفاعلَيْنِ والمفعولَيْن اللذين كلٌ واحد منهما يَفعَلُ بفاعله مثل الذي يَفعَلُ به وما كان نحو ذلك) :" وهو قولك ضربتُ وضربني زيدٌ وضربني وضربتُ زيداً تَحملُ الاسمَ على الفعل الذي يَليه فالعاملُ في اللفظ أحدُ الفعلين وأمّا في المعنى فقد يُعلَم أنّ الأوّل قد وقع إلا أنّه لا يُعمَلُ في اسمٍ واحدٍ نصبٌ ورفعٌ وإنّما كان الذي يليه أولَى لقربِ جواره وأنه لا ينقضُ معنىً وأنّ المخاطَبَ قد عَرَفَ أنَّ الأولَ قد وقع بزَيْدٍ . . . "[111] ؛ وهذا الموضع استعمل في الترادف ، كما سبق؛ فالدلالة هي دراسة المعنى ؛ كما أثبت ذلك علم اللغة الحديث [112] ؛ وقصر بعضهم علم الدلالة "Semantics" على دراسة العلاقة بين التراكيب النحوية" syntactic

---

[109] - تكاد تجمع مصادر اللغة على هذا الترادف بين (المعنى) و(الدلالة) ؛ فقد استعمل المصطلحان ، قديما وحديثا ، والمقصود واحد .

[110] - فقد استعمل المبرد مصطلح (الدلالة) ومشتقاته في ستة مواضع فقط ، بينما استعمل مصطلح (المعنى) ٤٢٧ مرة . ولم يستعمل ابن السراج – في الأصول - مصطلح (الدلالة) مطلقا مثلما فعل سيبويه ، بينما استعمل مصطلح (المعنى) ٤٣٠ مرة . واستعمل الزمخشري – في المفصل - مصطلح (الدلالة) ثلاث مرات ، بينما استعمل مصطلح (المعنى) سبع عشرة مرة . واستعمل ابن هشام- في المغني- مصطلح (الدلالة) إحدى عشرة مرة ، ومصطلح (المعنى) ٤١٧ مرة .واللافت للانتباه أن ابن جني (٣٩٢هـ) – في الخصائص على سبيل المثال - قد استعمل مصطلح (الدلالة) في ستين موضعا ، بينما استعمل مصطلح (المعنى) ٣٤٩ مرة .

[111] - الكتاب، ٧٣/١ – ٧٤ ، ٧٦ .

[112] -Jack Richards, John Platt and Heidi Web· Longman Dictionary of Applied Linguistics, - p.254.

فقد ربط المؤلفون بين المصطلحين ربطا وثيقا؛فعلم الدلالة يعني د - المعنى "the study of meaning"

- J.Lyons, Semantics, pp.174,175,206

إذ يشير إلى أن المعنى فكرة في علم الدلالة الكلاسيكي .

structures" والمعنى "Meaning"[113] ؛فمعنى الجملتين واحد ؛ومن ثم فالدلالة واحدة .

وليس معنى هذا أن (المعنى) هو (الدلالة) ؛ لكن المعنى يُعد هدفا للدلالة ؛ وذلك كما أكد علماء اللغة المعاصرون ؛ فالدلالة تدرس القضايا المحيطة بالمعنى ؛ مثل تغير المعنى، وانتقاله، واتساعه، وتضييقه، والمجالات الدلالية ، ونظرية السياق ... إلخ . لكن من خلال استقراء المواضع التي جاء فيها مصطلح المعنى عند سيبويه لوحظ أنه يعني الدلالة كذلك ؛ فالجملتان:

- ضربت وضربني زيدٌ .
- وضربني وضربت زيداً .

دلالتهما واحدة ؛ كما يجوز القول: معناهما واحد ؛ على حد تعبير سيبويه . وعلى هذا يمكننا القول بأن هذه العلاقة تخضع للمجاز ؛ فالمعنى يطلق على الدلالة مجازا ؛ لأن الثاني يدرس الأول ؛ حسبما اتفق عليه علماء اللغة.

ومن هذه المواضع كذلك حينما تحدث عن الصفة المشبهة "... فالمضافُ قولك هذا حَسَنُ الوجهِ وهذه حَسَنَةُ الوجهِ فالصِّفةُ تَقعُ على الاسم الأوّل ثم توصِلُها إلى الوجه وإلى كلّ شيء من سببه على ما ذكرتُ لك كما تقول هذا ضاربُ الرجلِ وهذه ضاربةُ الرجلِ إلاّ أنّ الحُسن في المعنى للوجه والضَّربُ ههنا للأوّل"[114] ؛ فدلالة الحسن تتجه نحو الوجه لا للرجل كله ، غير أن اسم الفاعل (ضارب) تتجه صفته نحو المبتدأ (هذا) .

وأحيانا يتجه المصطلح نحو دلالة المفرد عن طريق الاشتقاق ؛ وذلك في قوله:"... وزعم الخليل رحمه الله حيث مثّلَ نَصْبَ وحدَه وخمستَهم أنّه كقولك أفردتهم إفراداً فهذا تمثيلٌ ولكنه لم يُستعمل في الكلام ومثل خمستَهم قول الشَّمّاخ:

أتَتْني سُلَيْمٌ قَضَّها بقَضيضِها ... تُمَسِّحُ حَوْلِي بالبَقِيعِ سِبالَها

كأنّه قال انقضاضَهم أي انقضاضاً ومررتُ بهم قضَّهم بقضيضِهم فهذا تمثيل وإن لم يُتكلّم به كما كان إفراداً تمثيلا وإنّما ذكرنا الإفرادَ في وَحْدَه والانقضاضَ في قضَّهم لأنّه إذا قال قضَّهم فهو مشتقٌّ من معنى الانقضاض لأنّه كأنه يقول انقضَّ آخرهم

---

[113] -Johan Kerstens, Eddy Ruys, Joost Zwarts, Lexicon of linguistics, Utrecht institute of Linguistics OTS, Utrecht University, 2001.

موقعه على شبكة المعلومات الدولية: http://www2.let.uu.nl/UiL-OTS/Lexicon/Search the lexicon

وتاريخ الرجوع إليه : ٣١-١٢-٢٠٠٥

[114] - الكتاب ، ١/١٩٥ .

على أوّلِهم وكذلك وَحْدَه إنّما هو من معنى التفرُّدِ فكذلك أيضاً يكونُ خمستُهم نصباً إذا أردتَ معنى الانفراد فإنْ أردتَ أنّك لم تَدَعْ منهم أحداً جررتَ كما كان ذلك في قضّهم"[١١٥] .

وأحياناً يدل مصطلح المعنى على الدلالة التفسيرية ؛ بأن يأتي سيبويه بالجملة ، ثم يشير إلى أن معناها كذا ؛ بالإتيان بجملة أكبر مفسراً الجملة الأولى وموضحاً معناها :"...فإذا قال: هذا العالِمُ جِدُّ العالِمِ ؛ فإنما يريد معنى : هذا عالم جدا ؛ أي : هذا قد بلغ الغاية في العلم ..."[١١٦] .

التركيب	الدلالة التفسيرية
- هذا العالِمُ جِدُّ العالِمِ	- هذا عالم جداً . - هذا قد بلغ الغاية في العلم .

وكذلك قوله في موضع آخر:" مررت برجل أسد أبوه إذا كنت تريد أن تجعله شديدا ومررت برجل مثل الأسد أبوه إذا كنت تشبهه فإن قلت مررت بداية أسد أبوها فهو رفع لأنك إنما تخبر أن أباها هذا السبع فإن قلت مررت برجل أسد أبوه على هذا المعنى رفعت إلا أنك لا تجعل أباه خلقه كخلقة الأسد ولا صورته هذا لا يكون ولكنه يجئ كالمثل ومن قال مررت برجل أسد أبوه قال مررت برجل مائة ابله وزعم يونس أنه لم يسمعه من ثقة ولكنهم يقولون هو نار حمرة لأنهم قد يبنون الأسماء على المبتدأ ولا يصفون بها فالرفع فيه الوجه والرفع فيه أحسن وإن كنت تريد معنى أنه مبالغ في الشدة لأنه ليس بوصف ومثل ذلك مررت برجل رجل أبوه إذا أردت معنى أنه كامل"[١١٧] ؛ فهذا ربط وثيق بين التركيب والدلالة كالتالي:

التركيب	الدلالة التفسيرية
- مررت برجل أسد أبوه	-إذا كنت تريد أن *تجعله شديدا*
- هو نار حمرة	-إذا كنت تريد معنى أنه *مبالغ في الشدة*
- مررت برجل رجل أبوه	-إذا أردت أنه *كامل*

ويعني مصطلح "المعنى" "الدلالة" على مستوى الأساليب ؛ فيكون أسلوب فيه معنى أسلوب آخر :" ألا ترى أنك تقول : سبحان الله من هو وما هو؛ فهذا استفهام فيه معنى التعجب "[١١٨] .

---

[١١٥] - الكتاب ، ١/٣٧٥ .
[١١٦] - الكتاب ، ٢/١٣ .
[١١٧] - الكتاب ، ٢/٢٩ ، وانظر: ٢/ ٧٥، ٢٣٧ ، ٣/٣٢ ، ٤٠ .
[١١٨] - الكتاب ، ٢/١٨١ ، وانظر كذلك : ٢/٣٠٧،٣٠٢ ، ٣/١٧٩،١٧١ ؛ حيث الدلالة على مستوى الأساليب .

وقد تكون الدلالة متجهة نحو اتفاق التركيبين في الدلالة واختلافهما في التركيب النحوي مثل قوله:"...وكذلك صار لم آتك؛ بمنزلة لفظهم بلم يكن إتيانٌ لأن المعنى واحد"[119].

والعكس ؛ اختلاف التركيب يؤدي إلى اختلاف الدلالة ؛ "... والدليل على أن قولك أزيدٌ عندك أم عمروٌ بمنزلة قولك أيهما عندك أنك لو قلت أزيدٌ عندك أم بشرٌ فقال المسئول لا كان محالاً كما أنه إذا قال أيهما عندك فقال لا فقد أحال واعلم أنك إذا أردت هذا المعنى فتقديم الاسم أحسن لأنك لا تسأله عن اللقى وإنما تسأله عن أحد الاسمين لا تدري أيهما هو فبدأت بالاسم"[120] ؛ فإذا كان السؤال عن الفاعل ؛ أو المسند إليه تقدم الاسم ، أما إذا كان السؤال عن الفعل فتقديمه أولى؛ ولاشك في أن المعنيين مختلفان لاختلاف الترتيب .

من الملاحظ فيما سبق أن مصطلح (المعنى) يراد به (الدلالة) على مستوى المعنى الاجتماعي أو غير التركيبي أو النحوي . وقد لوحظ كذلك أن مصطلح المعنى قد جاء والمراد به (الدلالة النحوية أو التركيبية) ؛ وقد سبق التمثيل لهذه الدلالة عند الحديث عن دلالة مصطلح(المعنى) على المستوى النحوي ؛ ومنه كذلك قوله:" ...فإن قلتَ ادْخُلوا فأمرتَ فالنَّصبُ الوجهُ ولا يكون بدلاً لأنك لو قلت ادْخُلِ الأوّلُ فالأوّلُ أو رجلٌ رجلٌ لم يجز ولا يكون صفةً لأنه ليس معنى الأوّلِ فالأوّلِ أنّك تريد أن تعرّفه بشيء تحليه به لو قلت قومُك الأوّلُ فالأوّلُ أتَوْنا لم يَستقم وليس معناه معنى كلهم فأجرِىَ مجرى خمستَهم ووحدَه ولا يجوز في غير الأول هذا كما لا يجوز أن تقول مررتُ به واحِدَه ولا بهما اثنَيْهما وكان عيسى يقول ادْخُلوا الأوّلُ فالأوّلُ لأنّ معناه ليَدخل"[121].

فقد اشتمل هذا النص على مصطلح (المعنى) عدة مرات ودلالتها كالتالي:

- معنى الأوّلِ فالأوّلِ أنّك تريد أن تعرّفه ... الدلالة النحوية هي(التعريف).
- وليس معناه معنى كلهم ... الدلالة النحوية (التوكيد) .
- لأنّ معناه ليَدخل ... الدلالة النحوية (الأمر) .

وقد تكون الدلالة النحوية المقصودة من استعمال مصطلح(المعنى) هي (التنكير) كما في قوله:" وممّا يكون مضافاً إلى المعرفة ويكون نعتاً للنكرة الأسماءُ التى أُخذت من الفعلِ فأُريدَ بها معنى التنوين من ذلك مررتُ برجلٍ ضاربِك فهو نعت على أنه سيَضربه كأنك قلت مررتُ برجلٍ ضاربٍ زيداً..."[122]؛ فمصطلح (التنوين) كثيرا ما استعمله سيبويه وأراد به (التنكير) وهذا بدهي ؛ لأن التنوين لايلحق إلا الأسماء المنكرة.

---

[119] - الكتاب ، ٣٠/٣ .
[120] - الكتاب ، ١٦٩/٣ .
[121] - الكتاب ، ٣٩٨/١ .
[122] - الكتاب ، ٤٢٥/١ .

وقد تكون الدلالة النحوية متجهة نحو (الفاعلية) ؛ مثل قوله:" كأنه قال ما أتاني أحد إلا فلان لأن معنى ما أتاني أحد وما أتاني من أحد واحد ولكن (من) دخلت هنا توكيدا كما تدخل (الباء) في قولك كفي بالشيب والإسلام وفي ما أنت بفاعل ولست بفاعل....."[123] ؛ فكلمة (أحد) في الجملتين :

- ما أتاني أحدٌ .
- ما أتاني من أحد .

تُعرب فاعلا ؛ غير أن العلامة الإعرابية ظاهرة في الأولى ، ومقدرة في الثانية.[124]

وقد تكون الدلالة النحوية (الاستدراك)[125]، أو (العطف دون تراخ)[126] ، أو دلالة حروف العطف المختلفة[127] ، أو (تقدير الحرف المحذوف)[128]، أو (العمل النحوي للحروف)[129]، أو (الظرفية)[130]، أو (الإضافة)[131]، أو (تقدير الفعل)[132].

---

123 ـ الكتاب ، ٢/ ٣١٦ .
124 ـ غير أن المعنى في الجملتين مختلف ؛ ففي الثانية توجد دلالة التوكيد عن طريق إضافة حرف الجر الزائد (من) .
125 ـ انظر : الكتاب ، ٢/ ٣١٩ .
126 ـ انظر : الكتاب ، ٣/ ٢٠ .
127 ـ انظر : الكتاب ، ٣/ ٤١ .
128 ـ انظر : الكتاب ، ٣/ ٦٨ .
129 ـ انظر : الكتاب ، ٣/ ٨٩ .
130 ـ انظر : الكتاب ، ٣/ ١٣٧ .
131 ـ انظر : الكتاب ، ٣/ ٢٤٧ .
132 ـ انظر : الكتاب ، ٣/ ٢٨٠ .

رابعاً: مصطلح (المعنى) على مستوى الأساليب

ورد مصطلح (المعنى) وقُصِد به الأساليب كثيراً ؛ فقد دلَّ على عدد من الأساليب هي :

- التعجب .
- النفي .
- الاستثناء .
- الاستفهام .
- التوكيد .
- التمني .
- القسم .
- التحضيض .
- الأمر .

لكن من الملاحظ أن مصطلح (المعنى) ورد في المواضع المتعلقة بأسلوب التعجب ؛ ورد مضافاً إلى كلمة التعجب في كل المواضع ، ومن هنا اكتسب هذا المصطلح دلالته من خلال إضافته إلى مايبين هذه الدلالة [133] .

ومن ثم نرى أن من وسائل توضيح المقصود من المصطلح أحياناً ليس المصطلح في ذاته ؛ بل يتأتى ذلك من خلال الإضافة .

أما دلالته على النفي فيسير على الطريقة نفسها التي سار عليها المصطلح في دلالته على التعجب [134] .

وأحياناً يلجأ سيبويه لبيان دلالة المصطلح عن طريق إضافته إلى أداة من الأدوات العاملة ؛ والتي توضحه ؛ مثال ذلك قوله:" وما جاء من الأسماء فيه معنى إلا فغير وسوى وما جاء من الأفعال فيه معنى إلا فلا يكون وليس وعدا وخلا وما فيه ذلك المعنى من حروف الإضافة وليس باسم فحاشى وخلا في بعض اللغات"[135] ؛ فإضافة المصطلح إلى كلمة (إلا) توضح المقصود منه وهو (الاستثناء).

---

133 ـ انظر من هذه المواضع: الكتاب ، ٥٦/٢، ٢٧٣، ٢٩٣ـ ٣/ ٤٩٨،٤٩٧ ـ ٤/ ٥١٤ .

134 ـ من هذه المواضع : الكتاب ، ٣١٢/٢ ، ٣١٨ ـ ٣/ ٧ ، ٢٥ .

135 ـ الكتاب ، ٢/ ٣٠٩ .

وقد يلجأ – كما فعل في التعجب والنفي- إلى إضافته إلى مصطلح (الاستثناء) كما في قوله:" فإذا جاءتا وفيهما معنى الاستثناء فإن فيهما إضمارا على هذا وقع فيهما معنى الاستثناء"[١٣٦] .

وفي أسلوب الاستفهام يضاف المصطلح إلى عامل من عوامل الاستفهام مثل قوله:" وإنما لزمت أم ههنا لأنك تريد معنى أيهما ألا ترى أنك تقول ما أبالي أي ذلك كان وسواءٌ على أي ذلك كان فالمعنى واحد"[١٣٧] .

وقد يشرح أمثلة أولاً ، ثم يشير إلى المفهوم من هذه الأمثلة باستخدام مصطلح (المعنى) ؛ فتتضح دلالته من خلال هذه الأمثلة ؛ ومثال ذلك :" والدليل على أن قولك أزيدٌ عندك أم عمروٌ بمنزلة قولك أيهما عندك أنك لو قلت أزيدٌ عندك أم بشرٌ فقال المسئول لا كان محالاً كما أنه إذا قال أيهما عندك فقال لا فقد أحال واعلم أنك إذا أردت هذا المعنى فتقديم الاسم أحسن لأنك لا تسأله عن اللقى وإنما تسأله عن أحد الاسمين لا تدري أيهما هو فبدأت بالاسم"[١٣٨] ؛ فالأمثلة تتحدث عن الاستفهام ، وعن تقديم الاسم أم الظرف ؛ وهذا يعتمد على ما يقصده المتحدث . ومن ثم اعتمد هنا على السياق في بيان المقصود من المصطلح .

أما (التوكيد) فقد دل المصطلح عليه عن طريق إضافته إلى مُؤكَّد في قوله:" ... وكلهم قد تكون بمنزلة أجمعين لأن معناها معنى أجمعين فهي تجرى مجراها"[١٣٩] ؛ فكلتا الكلمتين من المؤكدات المعنوية ؛ ومن ثم فقد اتجه المصطلح إلى الدلالة على التوكيد .

وفي دلالة المصطلح على (القسم) توجد أكثر من طريقة لبيان دلالة مصطلح(المعنى) ؛ فقد تكون بإضافة المصطلح إلى مراد ف القسم (اليمين) ، وعن طريق الأمثلة الشارحة للمصطلح وذلك في قوله في باب الأفعال في القسم :" وزعم الخليل أن النون تلزم اللام كلزوم اللام في قولك إن كان لصالحاً فإن بمنزلة اللام واللام بمنزلة النون في آخر الكلمة واعلم أن من الأفعال أشياء فيها معنى اليمين يجري الفعل بعدها مجراه بعد قولك والله وذلك قولك أقسم لأفعلن وأشهد لأفعلن وأقسمت بالله عليك لتفعلن"[١٤٠] .

وقد تكون بالإضافة إلى مصطلح (القسم) نفسه ؛ بل ذكر ذلك في العنوان في"باب ما عمل بعضه في بعض وفيه معنى القسم"[١٤١] .

---

[136] - الكتاب ، ٢/ ٣٤٧ – ٣٥٠ . وانظر كذلك : ٣/ ٢٨ .وقد فعل هذا في الدلالة على (التمني) كذلك؛ انظر : ٣/ ٣٦ وفي دلالته على (التحضيض) : ٣/ ١١٥ .

[137] - الكتاب ، ١٧١/٣ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٦ .

[138] - الكتاب ، ١٦٩/٣ .

[139] - الكتاب ، ٣٨٠/٢ .

[140] - الكتاب ، ١٠٤/٣-١٠٦ ،وانظر: ٣/ ١٥٠ ، ١٥٢ .

[141] - الكتاب ، ٣/ ٥٠٢ .

وقد تكون بالأمثلة الشارحة ، وبالإضافة إلى مرادف مصطلح القسم ، وبالإضافة إلى مصطلح القسم نفسه ؛ وذلك في نص واحد في قوله:" وذلك قولك لعمر الله لأفعلن وأيم الله لأفعلن وبعض العرب يقول أيمن الكعبة لأفعلن كأنه قال لعمر الله المقسم به وكذلك أيم الله وأيمن الله إلا أن ذا أكثر في كلامهم فحذفوه كما حذفوا غيره وهو أكثر من أن أصفه لك ومثل أيم الله وأيمن لاها الله ذا إذا حذفوا ما هذا مبنيٌّ عليه فهذه الأشياء فيها معنى القسم ومعناها كمعنى الاسم المجرور بالواو وتصديق هذا قول العرب على عهد الله لأفعلن فعهد مرتفعة وعلى مستقر لها وفيها معنى اليمين"[142].

وفي دلالته على (الأمر) يضيف مصطلح (المعنى) إلى صيغة (افعَلْ) ؛ وذلك في قوله :" واعلم أنك إذا قلت فعال وأنت تأمر امرأة أو رجلاً أو أكثر من ذلك أنه على لفظك إذا كنت تأمر رجلاً واحداً ولا يكون ما بعده إلا نصباً لأن معناه افعل"[143] .

---

142 ـ الكتاب ، ٣/ ٥٠٣ .

143 ـ الكتاب ، ٣/ ٢٨٠ .

الخاتمة

لقد أسفرت هذه الدراسة لمصطلح "المعنى" عند سيبويه عن النتائج التالية :

- سيبويه أكثر اللغويين ذكرا لمصطلح " المعنى" ؛ فقد ورد ذكره مع عدد من مشتقاته في ألفين وأربع مائة وعشرين موضعاً من الكتاب ٠

- لم يكتف سيبويه بمعالجة المعنى بوصفه مقابلاً للشكل فحسب ،كما فعل المحدثون ، لكنه جعله مقابلا لعدد من الدلالات على المستويات اللغوية المختلفة ؛ الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية؛ مثل دلالته على العمل النحوي ، والتقدير النحوي ، وأقسام الكلمة ، والأساليب ٠٠٠إلخ ٠

- قد يُذكر مصطلح المعنى والمقصود به أكثر من دلالة في النص نفسه ؛ مثل الدلالة على (العمل النحوي) و(التقدير النحوي) كذلك ٠

- اقتراب دلالة المصطلح عند سيبويه على التقدير النحوي مما استقر عليه علماء التحويلية ٠

- أحياناً لايقف سيبويه عند حد ذكر (التقدير النحوي) ؛ بل يتعداه إلى ذكر العمليات التحويلية لتحويل التركيب من البنية العميقة إلى البنية السطحية ٠

- دلالة المصطلح عنده على أقسام الكلمة ؛ خاصة الاسم والفعل ، قد تداخلت كثيرا مع دلالته على (العمل النحوي) و (التقدير النحوي) ٠

- أحيانا يأتي المصطلح ويراد به (الدلالة) و(النحو) معا ؛ كما في مجيء (الواو) بمعنى (مع) ٠

- يدل المصطلح كذلك على عدم الإعمال النحوي ؛ بمعنى أنه قد يأتي بالدلالة المنفية ٠

- ورد المصطلح وقُصد به الترادف والدلالة والتقدير ؛ بمعنى تعدد دلالة المصطلح في موضع واحد ٠

- دلَّ المصطلح على الترادف على المستويات : بين الحروف – بين الاسم المفرد وغيره – على مستوى التراكيب ٠

- ورد المصطلح مقصودا به (الدلالة التفسيرية) ؛ وذلك بذكر جملٍ مفسّرة للجملة موضع التحليل ٠

- ورد المصطلح كذلك مقصودا به (الدلالة النحوية) ؛ مثل التوكيد أو الأمر أو التعريف أو العطف أو الظرفية ٠٠٠إلخ ٠

- أحيانا يكتسب المصطلح دلالته بإضافته إلى ما بعده ؛ مثل دلالته على التعجب؛ وذلك بإضافة مصطلح المعنى إلى فعل التعجب ، أو ما يرادفه ٠

- وقد تتضح دلالته أحيانا أخرى عن طريق شرح أمثلة مفسرة لدلالته ٠

- إذن يمكن أن تتضح دلالة المصطلح عن طريق واحدة من الطرق التالية :

١- عن طريق المصطلح نفسه ، والسياق المحيط به ؛ وهذا السياق يتمثل في القضية اللغوية التي يناقشها سيبويه ٠

٢- عن طريق إضافة المصطلح إلى ما بعده ؛ مثل إضافته إلى فعل التعجب كما سبق ٠

٣- عن طريق ذكر عدد من الأمثلة أو الشواهد التي تتعين دلالة المصطلح من خلالها ٠

- إذن لم يكن اتجاه المعنى عند سيبويه نحو وصفه مقابلا للشكل فقط كما فعل كثير من القدماء والمحدثين ؛ لكن اتخذ دلالات كثيرة على المستويات اللغوية المختلفة ٠

المصادر والمراجع العربية

- أحمد مختار عمر: ***علم الدلالة*** ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨ .

- الأزهري : ***تهذيب اللغة*** ، تحقيق عبد الحليم النجار ، علي حسن الهلالي ، يعقوب عبد النبي ، الدار المصرية العامة للتأليف والترجمة ، ١٩٦٤

- البدراوي زهران : ***مقدمة في علوم اللغة*** ، دار المعارف ،مصر ، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٠ .

- ابن جني : ***الخصائص*** ، تحقيق محمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٦ .

حلمي خليل : ***مدخل إلى علم اللغة*** ،

- خالد بسندي : ***تعدد المصطلح وتداخله*** ، مجلة التراث العربي ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، العدد٩٨ ، السنة ٢٥ ، حزيران ٢٠٠٥ .

- الرازي: ***مختار الصحاح*** ، تحقيق محمود خاطر ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٥ .

- رمضان عبد التواب : ***المدخل إلى علم اللغة*** ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ،١٩٨٥ .

- الزمخشري : ***المفصل*** ، تحقيق د٠علي بوملحم ، مكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ .

- استيفن أولمان : ***دور الكلمة في اللغة*** ، ترجمة د٠ كمال بشر ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٠ .

- ابن السراج: ***الأصول في النحو*** ، تحقيق د٠عبد المحسن الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

- سيبويه: ***الكتاب*** ، تحقيق الشيخ عبد السلام هارون، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى، د٠ت .

- شرشار عبد القادر : ***اضطراب المصطلح في الدراسات الأدبية والنقدية*** ، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، العدد٣٧٧ ، أيلول ٢٠٠٢ .

- صبحي إبراهيم الفقي : ***نظام ترتيب الكلام في الجملة العربية في ضوء النظرية التحويلية*** ، رسالة ماجستير نوقشت بكلية الآداب ، جامعة طنطا ، ١٩٩٤ م .

- عبد الإله نبهان : ***الأسس الموضوعية لنشأة المصطلح في النقد العربي القديم*** ،مجلة التراث العربي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سورية ، العدد ٥٩ ، السنة الخامسة عشرة ، أبريل ، ١٩٩٥ .

- عبده الراجحي: ***النحو العربي والدرس الحديث*** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٨ .

- ابن فارس : ***مقاييس اللغة*** ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٧١ .

- فايز الداية: ***علم الدلالة العربي :النظرية والتطبيق :دراسة تاريخية ، تاصيلية*** ، نقدية ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٦ .

- ف.ر.بالمر : ***علم الدلالة إطار جديد*** ، ترجمة د. صبري ابراهيم السيد ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٢ .

- الفيروزآبادي : ***القاموس المحيط*** ، مؤسسة الرسالة، بيروت،لبنان ،الطبعة الثانية ، ١٩٨٧ .

- كريم حسام الدين : ***الجوانب التحويلية في النحو العربي***

ماريوباي: ***أسس علم اللغة*** ، ترجمة د.أحمد مختار عمر،عالم الكتب،١٩٨٣.

المبرد : ***المقتضب*** ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٩٩ .

- محمد حماسة عبد اللطيف : من الأنماط التحويلية في الجملة العربية مكتبة الخانجى،القاهرة،١٩٩٠.

- محمود السعران : ***علم اللغة مقدمة للقارئ العربي*** ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الأولى، ١٩٦٢ .

- محمود سليمان ياقوت : ***قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين*** ،

دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية

- محمود فهمي حجازي: ***الأسس اللغوية لعلم المصطلح*** ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د٠ت ٠

- محمود فهمي حجازي: ***مدخل إلى علم اللغة*** ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة، ١٩٩١ ٠

- ابن منظور :***لسان العرب*** ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، مادة (عنا) ، د٠ت ٠

- ابن هشام :***مغني اللبيب*** ، تحقيق مازن المبارك ،ومحمد علي حمدالله، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٥ ٠

المصادر الأجنبية

- A.S.Hornby. ***Oxford advanced Learner's Dictionary*** . Oxford University press. Sixth edition . 2000

- D. Crystal 0 ***A Dictionary of Linguistics and Phonetics*** .Oxford . UK. 1986 .

- D. Crystal 0 ***The Cambridge Encyclopedia of language*** . Cambridge . USA .

- D.Gibbon, R.Moore, R.Winski.***Handbook of Standards and Resources for spoken Language Systems***. Mouton de Gruyter. Berlin. 1997

- J.C.Sager. ***Apractical course in Terminology processing***.Amsterdam.1990

- Johan Kerstens, Eddy Ruys, Joost Zwarts, ***Lexicon of linguistics***, Utrecht institute of Linguistics OTS, Utrecht University, 2001.معجم على شبكة المعلومات وعنوان الموقع:
p://www.let.uu.nl/UiL-OTS/Lexicon/Search the lexicon

وتاريخ الرجوع إليه : ٣١ -١٢-٢٠٠٥

- J.Richards, J.Platt and H. Weber . ***Longman Dictionary of Applied Linguistics*** . Longman . England . 1987 .

- R.L. Trask. ***Key concepts in Language and Linguistics***. Routledge . London .1999 .

- W.M.Roth . ***The politics and Rhetoric of conversation and Discourse analysis***. (FQS) , V.2 , No.2,May 2001 .
دورية من شبكة المعلومات ، وعنوان الموقع: WWW.qualitative-Research.net ، بتاريخ :١٧-٢-٢٠٠٦

دلالة السمات شبه اللغوية

المصاحبة للأداء الكلامى فى عملية التواصل

(دراسة تطبيقية)

على بعض من روايات الأستاذ/ نجيب محفوظ

(ملحمة الحرافيش. السكرية. الشحاذ)

د. عبد المنعم السيد أحمد جدامى

أقصد بالسمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامى، أنها ليست السمات اللغوية الحقيقية، وهذه السمات شبه اللغوية Paralinguistic Features تتمثل فيما يلى:

١ ـ السمات البروسودية الصوتية المصاحبة للكلام، مثل: النبر، والتنغيم، والسكتات الكلامية Pauses، وكذلك معدل الأداء الكلامى، ودرجة الصوت Pitch، ونوعية الصوت Quality of Voice، وقوته Volume.

٢ ـ الأصوات غير الكلامية، وتسمى أيضاً بالفضلات الصوتية Vocal Segregates، مثل: الضحك، والبكاء، والتأوه، والصراخ، والنحنحة، والسعال، والغمغمة، وغير ذلك من الأصوات المصاحبة للأداء الكلامى.

٣ ـ الأصوات غير الإنسانية التى يسمعها الإنسان حوله، مثل: أصوات الحيوانات والجمادات، ومظاهر الطبيعة كصوت البرق، وهطول الأمطار، والآلات المختلفة(١).

(١) انظر بالتفصيل كتاب د. كريم ١٩٩٢م، ص ١٧.

هذه السمات سوف نرى أن لها دلالات فى عملية التواصل، فالتواصل Communication داخل أى مجتمع متعدد الأنظمة، فهناك النظام اللغوى، وحركات الجسم وغيرها من الأنظمة التى يشملها التواصل، الذى يقسم إلى قسمين كبيرين هما:

١ ـ التواصل اللغوى Vocal، وهو الذى يحتوى على كل الأحداث المتضمنة فى إنتاج الكلام.

٢ ـ التواصل غير اللغوى non - Vocal، وهو المركب من كل الأنشطة التواصلية غير الكلام، كالإيماءة، وحركات الجسم، والرموز وغيرها[٢].

وما يركز بحثى عليه هو السمات شبه اللغوية المصاحبة للنوع الأول من السلوك أو التواصل، وقد وجدت فى بعض روايات الأستاذ نجيب محفوظ مادة لغوية يصفها كتابة فى رواياته من هذا النوع من السمات، سوف أقوم بتحليلها فى هذا البحث، والروايات التى أخذت منها مادة بحثى هذا هى روايات (ملحمة الحرافيش، والسكرية، والشحاذ).

أما الدراسات السابقة فى هذا المجال، ففى حدود علمى هناك دراستان، أولهما: دراسة رائدة فى اللغة العربية وهى دراسة أ.د. كريم زكى حسام الدين: الدلالة الصوتية، دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره فى التواصل، طبع بمكتبة الأنجلو المصرية، سنة ١٩٩٢م، وفيه قدّم د. كريم دور الدلالة الصوتية وأثرها فى عملية التواصل للقارىء العربى، اشتمل الكتاب على ثلاثة أبواب:

---

(2) Lavers, J, and Hutcheson. s. 1972, P. 12.

ونشير أنهما يرفضان المصطلحين non-Verbal, Verbal .١

الأول: بعنوان: الصوت والسمع والكلام، وهو فصلان، الأول هو: الصوت الظاهرة ومفهومها، والثانى: السمع والكلام.

أما الباب الثانى: وهو بعنوان: الصوت: الكلام والدلالة، وهو فصلان، أولهما: الصوت الأداء والدلالة، وثانيهما: الصوت وسمات الأداء فى العربية.

أما الباب الثالث: فهو بعنوان: الصوت اللغة والدلالة، وهو مكون من فصلين، الأول بعنوان: الدلالة والتباين الصوتى، والثانى بعنوان: الدلالة والتحبير الصوتى.

أما الدراسة الثانية فهى دراسة أ. د. أحمد عارف حجازى: دراسات لغوية فى الحديث الشريف، طبعة دار حراء بالمنيا، سنة ١٩٩٤م، بحث فى الفصل السادس منه دلالة الضحك، وفى الفصل السابع تحدث عن الدلالة السلبية فى الحديث الشريف، وخصّ منها الصمت الذى ذكر دلالته فى الحديث الشريف.

وتوجد دراسة أ. د. محمد العبد: العبارة والإشارة، دراسة فى نظرية الاتصال، توزيع دار الفكر العربى بالقاهرة، سنة ١٩٩٥م، قدّم فيه المؤلف مفهوم الاتصال وأنواعه، وركز على الاتصال غير اللفظى.

ومن هنا فمادة بحثى روايات نجيب محفوظ لم تبحث كموضوع لدلالة السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامى وأثرها فى عملية التواصل.

ويشتمل بحثى على عدد من العناصر هى كالآتى:

أولاً: الدراسة النظرية، وتشتمل على عرض للسمات شبه اللغوية فى الدراسات الغربية، وعرض لاهتمام التراث العربى ببعض هذه الملامح الصوتية.

ثانيـاً: الدراسة التطبيقية ، وتشتمل على توضيح للأثر الدلالي للسمات شبه اللغوية في عملية التواصل من خلال مادة البحث.

أولاً: الدراسة النظرية:

ارتبطت نشأة البحث في السمات شبه اللغوية ودورها في عملية التواصل بأربع أنواع من الدراسات هي كالآتي:

١- الدراسـات الثقافية، والتي تطورت من خلال علماء الأنثربولوجيا اللغوية الذين درسوا ثقافة الشعوب والتواصل فيها، وأنواع التواصل، وسوف نرى من خلال الدراسـة الـنظرية في هذا البحث أثر بعض-اللغويين الأنثروبولوجيين، أمثال: سابير وهايمز وتريجر في دراسة هذه الظاهرة في التواصل.

٢- ترتبط أيضاً بالدراسات السيمولوجية، حيث تشغل العلامة اللغوية والعلامة غير اللغويـة مكاناً في السيمولوجيا، فالعلامة غير اللغوية والتي تغطي مجموعاً من المظاهر الدالة على حركات الجسم والإيماءات والسمات شبه اللغوية، وكل ما هـو اتصـال خارج اللغة، كل هذا يدخل في إطار الدراسات السيمولوجية(١). ولعـل قـول أحد رواد هذا العلم الآن وهو الإيطالي إمبرتو إيكو **U. Eco** عن علاقة التواصل بالعلامات، حيث يذكر أن دراستهم تشمل كل العمليات الثقافية كعمليـات التواصـل، فهـذه العمليـات من وجهة نظره تبدو كلها تحت نظام العلامات (٢).

٣- ترتبط أيضاً بالدراسات الصوتية، وبخاصة عند مدرسة لندن، فيرث **J.R.Firth** وتلاميذه الذين أسسوا نظرية التحليل البروسودي **Prosodic Analysis** ، والتي هدفهـا تسجيل السياقات الصوتية العامة، وأنواعها، وتوضيح الملامح الصوتية الخاصـة بالنـبر والنغم، وقد خرج من هذه المدرسة الإنجليزية باحثون اهتموا بدراسـة السمات شبه اللغوية ، أمثال: **Laver** ، وكريستل، وغيرهما، وسوف نوضح هذا بعد قليل.

---

(1) C. Maury – Rouan 1993, P. 103.

(2) U. Eco 1976, P.8.

٤- ترتبط أيضاً بدراسات المعنى في مدرسة لندن عند فيرث وتلاميذه، الذين بلوروا نظـرية للمعـنى متأثرة بفكرة السياق عند الأنثربولوجي الشهير مالينوفيسكي، ونظـرية فـيرث للمعنى تقرر أن المعنى يخرج من سياق الحال **Context of Sitiuation** ، وسوف نوضح ذلك بعد قليل.

ومـن هذا كله ارتبطت وخرجت دراسة السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامـي **Paralinguistic** ، علمـاً بـأن هذه الظاهرة مرتبطة بالتواصل ككل – كما ذكرت– وهذا بأنواعه مرتبط بالثقافة ، وسوف أوضح ذلك في السطور التالية.

إن العلاقـة بيـن الثقافة والتواصل علاقة قوية، وفي توضيح مفهوم كل منهما تتضـح هذه العلاقة القوية . تعرف الثقافة بأنها " كل مخططات الحياة التي أنتجت عبر الـتاريخ، بمـا في ذلك المخططات الضمنية والصريحة، والعقلية، وغير العقلية، وهي مرشـد في أي وقت لسلوك الإنسان "(١)، فثقافة أي مجتمع تحتوي على أي شيء، من مـثل مـاذا يعرف، أو يعتقد لكي يعمل في سلوك متعارف عليه بين أعضاء المجتمع، والثقافة كائنة فيما يتعلمه الإنسان باعتبار أنه مميز من خلال ميراثه البيولوجي، والثقافة ليسـت إلا عملـية تنظـيم للأفكار والمعتقدات والمشاعر، وصيغ للأفكار التي يمتلكها الإنسان في عقله (٢).

ومـن هـنا فالـثقافة تلعـب دوراً هو الأهم في تكوين المجتمعات الإنسانية أو التجمعات العرقية المتميزة، فهي تولد الروابط بين أعضاء مجتمعها، وتساهم في طريقة التفكـير والشعور والسلوك المشترك، كما أنها تساهم من ناحية أخرى بطريقة تواصلية رمزية في إثبات هذه الوشائج.

الثقافة نظام موروث من الأفكار المكونة من الخبرات الذاتية للأفراد، وباعتبارها طـريقة مشـتركة للحياة يساهم في ذلك المستوى المادي والمستوى المعرفي [اللغة – الرموز] ، ومنهما نعرف أن الثقافة مشاركة (٣).

---

(1) Kluckhon, c and Kelly, W, 1945, P. 77.

(2) Goodenough, W.H. 1964, P. 36-37.

(3) Haslett, B, 1989, P.20.

يترادف في لغتنا مصطلحا الثقافة والحضارة، فنجد البعض يستعمل الحضارة بالدلالة نفسها الموجودة كـترجمة للمصـطلح الإنجليزي [Culture]، ونلحظ هذا في مقال د. أحمد أبي زيد: حضارة–

أما التواصل فهو تنظيم وتقييس لنظام ثقافي منمط من السلوك الذي يبقى ويضبط ويصنع العلاقات الإنسانية الممكنة (١).

ومــن هنا نلحظ العلاقات المكملة بين التواصل والثقافة، فالبشر يكتسبون الثقافة والتواصل معاً، فلا توجد واحدة دون الأخرى، الثقافة مشاركة، وطريق للحياة مرضي عــنها مــن قِـبَل المشــاركين، والمشاركة والرضا يصنعان فقط من خلال التواصل، ويتواصــل الإنسان في وسط ثقافي يُشيِّد صيغة وطبيعة التواصل، ومن هنا يسأل الفرد عــن التأثيرات الثقافة في اكتساب الثقافة، فإنه يحتاج إلى معرفة أن الثقافة تبني كل من ماذا اكتسب، وكيف اكتسب، فمن خلال العمليات التواصلية تتحول الثقافة من جيل إلى جيل، ذلك أن كل ثقافة تفكير تحتي، وقيمة جماعية عرفية في نفسها (٢).

فطــرق التفكــير والشــعور والسلوك المشترك داخل أية ثقافة، كل هذا رموز للاتصال والمشاركة بين أفراد المجتمع، وهي شكل رمزي أو إشاري مشترك بين أفراد المجــتمع، وبفضل هذا السلوك وبه يستطيع هؤلاء الأفراد التواصل والتفاعل فيشعرون بأنهم يكوّنون كياناً مميزاً يسمى مجتمعاً (٣).

=اللغــة، المنشورة سنة ١٩٧١م، بمجلة عالم الفكر الكويتية، ولكن نلحظ أنه في السنوات الأخيرة قــد اســتقرت ترجمة المصطلح الإنجليزي بمصطلح الثقافة، ونلحظ هذا في استخدامات اللغويين، ومــنهم: د. كمال بشر في مقاله: اللغة والثقافة ، المنشور في سنة ١٩٩١م، وكذلك د. كريم حسام الديــن فــي كــتابه: اللغة والثقافة. وهناك من العرب من يرى علاقات قوية بين مفهوم الحضارة ومفهــوم الثقافة، وإن اختلفا استعمالاً في اللغات الأوروبية، حول هذا انظر: مقال د. معن زيادة: بين الثقافة والحضارة، المنشور سنة ١٩٨٦م بمجلة الأبحاث .

(1) Ibid, P. 20.

وقد جمع د. محمد العبد عدداً من التعريفات الخاصة بالتواصل [أو الاتصال حسب تعبير د. محمــد]، مــن هــذه التعريفات أنه نقل المعلومات بين الأفراد نقلاً مقيداً بقناة محددة. وكذلك هو نظم صناعة الأخبار بواسطة العلامات، وهناك تعريف آخر ينقله هو أنه المؤشر على إحداث استجابة.

ويلاحــظ د. العــبد أن وظيفة الاتصال ليست دائماً نقل المعلومة أو صناعة الخبر - كما قال أحــد التعريفات - فربما اقتصرت وظيفة الاتصال على عمل جو من المؤالفة الاجتماعية. انظر: كتاب د. العبد ١٩٩٥م ، ص ١٣ .

(2) Ibid, P. 20.

(٣) د. كريم حسام الدين ٢٠٠١م ، ص ٦٠ .

ومـــن هنا العلاقة قوية بين التواصل والثقافة داخل أي مجتمع، الثقافة باعتبارها كـــيان مرمـــز، والتواصل هو الترميز، وأي عضو في المجتمع يكتسب الاثنين معاً ، فالـــثقافة[1] والتواصل يكونان معاً في إطار المجتمع الواحد يكتسبان معاً، ويستخدمهما المجـــتمع معـــاً، ولعـــل توضيح موجز لنظريات الثقافة يبين لنا أشياء مهمة في إطار التواصل داخل المجتمع.

تلخص نظريات الثقافة في :

[١] الثقافة تميز فطري، على اعتبار أن الرؤية الكلية للثقافة تعلم وتحول وتنقل من جيل إلـــى آخر من خلال الأحداث الإنسانية، ومن التفاعل وجهاً لوجه، وبالطبع من خلال التواصل الإنساني، وهذه الرؤية للثقافة تشير إلى توضيح أن أي طفل من غـــير اعتبار للوراثة الجينية سوف ينمو ويحاول اكتساب النماذج الثقافية للبشر الذين يتواصلون معه [٢].

[٢] الـــثقافة معـــرفة، ولمـــا كانـــت الثقافة متعلقة فمن هنا فإنها يمكن أن تكون تفكير بمصطلحات لمعرفة العالم، هذا الفعل لا يشير فقط إلى أعضاء ثقافة ما يجب أن يعـــرفوا وقـــائع أو تكون صالحة لإدراك الموضوعات والأماكن والبشر. تشير أيضاً إلى أنهم يجب أن يتشاركوا في نماذج التفكير وطرق فهم العالم [٣].

[٣] الـــثقافة كتواصـــل[٤]، ولمّا نقول إن الثقافة تواصل نشير إلى أن رؤيتها كنظام من العلامـــات، هـــذه هي النظرية العلامتية Semiotic للثقافة، هذه الرؤية تعتقد أن

---

(1) يشـــير اللغـــوي الأمريكي يوجين نيدا E.Nida إلى تقسيمات الثقافة، وسوف أنقل التعريف الذي أورده للـــثقافة أولاً، حيث يقول بأن : " الثقافة تشمل الموسيقى والفن والعادات الحميدة، وهذا ليس تعـــريف الأنثربولوجيين للـــثقافة ، فعندهم هي كل السلوك المتعلم المكتسب من المجتمع المادية وغـــير المادية المنتقلة من جيل إلى جيل آخر، ثم يقسم الثقافة إلى ثقافة مادية، واجتماعية، ودينية، ولغويـــة، كمـــا أن الثقافة طريقة للسلوك، للتفكير والتفاعل، لكننا لا نرى الثقافة، إننا نرى مظاهر الـــثقافة وبخاصـــة الموضوعات – التي يصنعها أو يستخدمها الإنسان ، والأحداث التي يفعلها أو يقولها الإنسان . انظر: E.Nida, 1954, P. 28-29.

(2) A, Duranti, 1997, P.24.

(3) I bid, P. 27.

(4) مـــن الذيـــن يناصرون ويأخذون بهذه النظرة للثقافة الأمريكي هول E. Hall ؛ ذلك لأنه يرى أن كـــلاً من نظرية الثقافة ونظرية كيف تنشأ الثقافة خارج اهتمام كتابه، وأن كتابه يعالج الثقافة في-

الـثقافة إعادة تمثيل العالم، فهي طريقة لجعل إدراك الحقيقة من خلال تشكيلها بقصـص وأساطير ، وأوصاف، ونظريات، وأمثال، وإنتاج فني والمسرحيات، بوجهـة الـنظر هذه المنتج الثقافي البشري، مثلاً: الأساطير والقوس تصنيفات للعالم الطبيعي والاجتماعي [١].

يشـير إلـى أن هناك نظريات ترى الثقافة نظاماً من التوسط، على اعتبار أن الاستعمال العام للغة ما يأخذ مكانة في المستوى نفسه كاستعمال عام لكل الأهداف التي تطوقها في المجتمع[٢]. وترى على اعتبارها نظاماً من الممارسة[٣]، وكذلك كنظام من المشاركة [٤].

ومـن هـذه النظريات نرى أن الثقافة بكل النظريات القائمة حولها تؤكد أنها لا توجد إلا من خلال مجتمع بشري يصنعها، وهي نظام ممارس. كذلك فإن الإنسان داخل المجتمع يصنع ثقافته، ومن هنا أيضاً فهو قادر على الترميز، كما أن الثقافة والتواصل كل متحدد داخل المجتمع.

كما نشير إلى أن كل مجتمع تتجدد ثقافته بالاحتكاك مع الثقافات الأخرى، وأيضاً مـع الأحـداث التي تطرأ على المجتمع ويتبع ذلك راصداً التغيرات الثقافية العلامات، سواء أكانت لغوية أم غير لغوية [٥].

=مجموعهـا كصـيغة للتواصل. انظر: E. Hall, 1959, P. 51 ، كما أن هول يجعل عنوان الفصل الخامس من كتابه هذا بعنوان [الثقافة تواصل] يفحص فيه الثقافة على اعتبارها تواصل. انظر: E.Hall, 1959, P.119-126 .

(1) A. Duranti, 1997, P.33.

(2) I bid, P.39.

(3) I bid, P. 43.

(4) I bid, P.46.

(٥) لعـل مـن هذا القبيل ما يذكره لوتمان وأوسبنسكي من توجهات بطرس الأكبر ١٦٧٢ – ١٧٢٥م فـي روسيا معادلة إلى درجة كبيرة لمواجهة الطقوس والرموز القديمة التي عبّر عنها بالمواجهة بخلق علامات جديدة، فعلى سبيل المثال أصبح حلق اللحية إلزامياً بعد أن كان إطلاقها أصلاً، كما أصـبح ارتـداء الملابس على النمط الغربي أساسياً بعد أن كان ارتداء الملابس الروسية التقليدية أصـلاً. انظـر: مقـال لوتمان وأوسبنسكي، ترجمة د. عبد المنعم تليمة، المنشور في كتاب من إشراف د. سيزا قاسم، د. نصر أبو زيد ١٩٨٦م، ص ٢٩٦، ويشير س. أ. ورم إلى أن التغير=

وتتــنوع أنظمة التواصل إلى لغوية وغير لغوية، واللغوية التي يكون التواصل مــن خــلال اللغــة، أمـــا التواصل غير اللغوي فيكون من خلال الإشارات الجسمية ، وحـــركات الجســم وأوضـــاعه، وكذلك التواصل عن طريق اللمس والشم Gestures والــذوق، وهناك التواصل البصري عن طريق الخط والكتاب والرسم والنحت، وهناك التواصل السمعي ويتمثل إلى جانب الكلام في الموسيقى والغناء [1].

وهناك تواصل عن طريق الأنظمة الدلالية الأداتية التي تعتمد على أشياء خارجة عن جسم الإنسان، وتتمثل في:

١- الأشــياء التي يستعملها الإنسان، مثل: الملابس، والحلي، وبعض الأدوات التي تستعملها المجتمعات في أغراض مختلفة تحمل دلالات مختلفة، مثل: المنديل، والمسبحة، والعصا، والسيف، وغير ذلك .

٢- المؤسســات، ويعنـــي هنا نظاماً محدداً من سلوك الجماعة تتواصل من خلاله ويخضـــع للتواضع والاتفاق، ويعد جزءاً أساسياً من ثقافة الجماعة، ومن ذلك نظام القرابة، ونظام الدين، ونظام الاقتصاد [2].

ومـــن هـــنا نلاحظ تعدد أنظمة التواصل داخل المجتمع، فإذا كان الإنسان قادراً دون غيره من الحيوانات أن يتكلم ويصنع بنظام اللغة العالم الذي يعيش فيه، فإنه يصنع هــذا العالم أيضاً بأنظمة اجتماعية أخرى تحمل دلالات ومضامين مختلفة ترمز وتشير وتؤدي وظائف مثل اللغة، ومن هنا يمكن أن نقول بدلاً من تعريف أرسطو القائل : إن الإنسان حيوان ناطق، نقول: إن الإنسان حيوان متواصل؛ ذلك لأنه يصنع أنظمة أخرى

=في الثقافة يؤثر على اللغة، ويؤدي إلى انقراض اللغات في أحيان كثيرة، ومن ذلك ما يشير إليه ورم مــن أن ضــغط الــثقافة الأوربية الدخيلة على لغات السكان الأصليين في أستراليا أدّى إلى القضـــاء علـــى الثقافة التقليدية للمتكلمين بهذه اللغات، فحلت محلها صورة من الثقافة الأوربية لم تســتوعبها أفهــام هــؤلاء القــوم في أغلب الأحيان، وكانت النتيجة أن أصبحت المفاهيم القومية التقلــيدية المعقــدة أمــراً لا ضرورة له بعد انقراض الثقافة التقليدية بكل مفاهيمها. انظر: ترجمة مقــال ورم S.A.Wurm " تغــير اللغــات نتــيجة لتغير الثقافة وانقراضها، ترجمة أمين محمود الشريف بمجلة ديوجين، العدد رقم ٨١ ، ص ٤٣ .

(١) د. كريم حسام الدين، ١٩٩١م، ص ٢٧ – ٢٨ .

(٢) السابق: ص ٢٨، وانظر: كتاب برنارتوسان، ٢٠٠٠م، ص ٢١ – ٣٣ .

مع اللغة هي سلوك له داخل المجتمع تخضع للمواضعة مثل اللغة، كما أنها هذه الأنظمة جميعاً تؤدي وظيفة واحدة هي التواصل(١).

وأشير في الصفحات التالية إلى مولد فكرة السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي **Paralanguage** وأثرها الدلالي في عملية التواصل، وأقرر هنا أنها ولدت كما سيتضــح من خلال البحث الأنثربولوجي اللغوي في أمريكا، ومن خلال مدرسة فيرث الإنجلــيزية المــتأثرة بــرؤى مالينوفســكي الأنثربولوجي، وتطورت هذه الأفكار لدى الباحثيــن فــي أثنوجرافــيا التواصل وبخاصة عند اللغوي الأمريكي الكبير ديل هايمز **D. Hymes** وتابعيه .

من أوائل الذين أسسوا لهذه السمات اللغوي الأمريكي إدوارد سابير سنة ١٩٢٧م فــي مقالــة بعنوان [الكلام كسمة شخصية **Speech as a personality trait**] (٢) فيه يميز سابير بين الصوت والكلام، فالصوت هو حركة تعبيرية **Expressive Movement** ، كمــا أنــه ملفــوظ شخصي مركب من عوامل معقدة مثل: درجة الصوت **Pitch** ، والإيقــاع **Rhythm** ، وحــدة الصــوت **Intensity** ، والتضخيم **Inflection** ، وجهارة الصــوت **Volume** ، والــتأنق الصــوتي **Vocal Mannerisms** ، فالصوت باختصار الصيغة الظاهرة للتعبير الصوتي، أما الكلام فبوجهة نظر أخرى محتواه هو الموضوع الرئيس للنص، يشتمل على المفردات المستعملة، اللغة أو اللهجة المتكلمة، البناء النحوي للجمــل وطريقة التركيب، من كل هذا تتكون خصوصية الكلام (٣) .. ومن خلال مقاله نخلص إلى أننا نعيش في كل يوم ونحكم على أي شخص من خلال ما قاله، ومن خلال انتسابه الثقافي، ومن خلال الملامح الصوتية الشخصية(٤).

---

(١) د. كــريم حسام الدين، ١٩٩١م ، ص ٢٩، نشير إلى أن عملية تواصل البشر داخل المجتمع يمثل التواصــل اللغــوي ٤٠% مــن عملية التواصل، أما التواصل غير اللغوي فيمثل ٦٠% من حجم عملــية التواصــل، ومن هنا نعرف أهمية التواصل الإنساني، والدور المهم للتواصل غير اللغوي في الحياة الإنسانية، وكذلك الارتباط الوثيق بين التواصل اللغوي والتواصل غير اللغوي، ونعرف كذلك تعدد قنوات التواصل. انظر: كتاب د. كريم السابق، ص ٣٠ .

(٢) طــبع هذا البحث سنة ١٩٢٧م ، ثم طبع مرة أخرى في كتاب محرر من قبل اللغويين J.Laver and S.H. Hutcheson ، وطــبع فــي سلسلة Penguin Books في سنة ١٩٧٢م ، وهي التي اعتمدت عليها .

(3) E. Sapir, 1927 = 1972, P. 71-72.

(٤) انظــر توضــيحات أكثر عن رؤية سابير في المقال التالي : G.W. Allport and H.Cantril, 1972, P. 156.

كما أن سابير يشير إلى أنه من خلال الإنسان تنقل تعبيرات، لكن نادراً ما نقف لتحليل هذه الظاهرة من السلوك، فهناك عدد من الأنواع المختلفة من الصوت، ويقول إنه في أساسيات صوت الإنسان يمكن استشفاف معاني كثيرة عنه، يمكن استشفاف أنه عاطفي أو قاس [١]. كما يقرر أن الصوت مميز أكثر لعدد عظيم من الاختلافات السلوكية التي يضفرها مع الصوت ويعطيها نوعيتها الديناميكية، ثم يتكلم سابير على ما أسماه ديناميكيات الصوت **Voice Dynamics** ، ومنه التنغيم الذي يراه حقلاً مهماً جداً لاكتشافات كل من اللغوي وعالم النفس، ويزعم أن هناك تنغيماً شخصياً **Individual Intonation** يراه مهماً باعتباره عنصراً اجتماعياً، وكجزء من الاختلافات الشخصية[٢].

الخلاصة أن الأستاذ سابير[٣] حاول لفت الأنظار إلى أن الكلام عندما ينطق فهو يحمل في طيّاته تواصلاً صوتياً من خلال كل السمات التي ذكرها لتحمل مضامين تستحق أن تدرس.

ويأتي بعد سابير اللغوي الأنثربولوجي الأمريكي تريجر **G. Trager** ، الذي يؤكد أن الكل يدرك أن التواصل أكثر من اللغة، ذلك أن اللغة في أدائها مصاحبة بأنظمة تواصلية أخرى، واحدة منها الحركات الجسمية، وأخرى ما يسمى بالأصوات والضوضاء فوق اللغوية **Extralinguistic Nouses - Vocalization** [٤].

كما أن تريجر يرى أن كل ثقافة هي تفاعل قائم على التواصل، وأن التواصل هو نتيجة مركبة من كل أنظمة التواصل التي تحدث في مركب ثقافي كلي، وأن اللغة توصف هنا – عنده – على أنها نظام ثقافي يستخدم عدداً من الضوضائيات الناتجة من خلال الأحبال الصوتية[٥] .

---

(1) E. Sapir, 1972, P. 75.

(2) I bid, P. 76.

(٣) يشير الأنثربولوجي الأمريكي بيردوسل إلى أن السمات الخاصة بما يسمى Paralanguage بدأت بعدد من الكتب في القرن التاسع عشر إلا أنه يذكر أن أهم من كتب في هذا المجال هو إدوارد سابير. انظر عرضاً قوياً لتاريخ البحث في هذه الظاهرة في البحث التالي : . .Birdwhistell, 1972, P.82-99

(4) G. Trager, 1964, P 275.

(5) I bid, P. 275.

هذه الرؤية للغة مهمة في تصور تريجر الكامل للتواصل؛ ذلك لأنه يرى عندما نستعمل اللغة فإنها تأخذ مكاناً كحدث الكلام، فالكلام يحدث نتيجة للأنشطة التي تصنع كخلفية تنقل صوتياً، هذه الخلفية – في تصور تريجر – تشمل التشريح الخاص بالمتكلمين والناقل الفيزيائي الكلي . هذا في المنطقة التي أسماها **Perlinguistics** ، ومقابل هذه الخلفية يوجد ثلاثة أنواع من الأحداث المستخدمة في الجهاز الصوتي ، اللغة كما وصفت، أما النوع الثاني فهو الضوضائيات الأخرى المتنوعة التي ليست من بنية اللغة، والتي يسميها التصويب، أما النوع الثالث فهو التكييفات لكل من الضوضائيات **noises** الأخرى والتي يسميها نوعيات الصوت **Voice Qualities** . هذان النوعان الأخيران – عملية التصويت – ونوعيات الصوت معاً يسميهما بالمصطلح **Paralanguage** [1]، بمعنى السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي [2].

وتأخذ هذه الظاهرة مكانها من البحث في المدرسة الإنجليزية، والتي يتمركز تفردها عن غيرها من المدارس اللغوية بعنصرين مهمين منتجين من هذه المدرسة الإنجليزية وهما ما تسميه هذه المدرسة بالتحليل البروسودي[3] للأصوات، والثاني هو ما أسماه رائدهم فيرث بسياق الحال **Context of Situation** ، وهذان العنصران مهمان في تحليل الظاهرة التي بين أيدينا الآن، وأبدأ بتحليل رؤيتهم للعنصر الأول.

---

(1) I bid, P. 276.

(2) توجد دراسات لهذه المفاهيم مطبقة على بعض الثقافات، ومنها دراسة ماري هاس M.R.Haas التي وجدت عدداً من الاختلافات بين كلام الرجل وكلام المرأة في لغة Koasati في جنوب غرب Louisiana ، فنطق المرأة يتسم بالسهولة والبطء والنعومة، وللمزيد انظر بحثها M.R. Hass, 1964, P. 229 .

(3) ارتضينا اقتراض هذا المصطلح وتعريبه كما فعل د. أحمد مختار عمر – رحمه الله – في كتابه [دراسة الصوت اللغوي] . انظر: ص ١٨٦ ، ٢٠١ – ٢٠٢ من كتابه، وذلك بسبب عدم تكافؤ المصطلحات العربية المقترحة وغموضه، حيث اقترح د. محمد علي الخولي مصطلحين، هما: فونيم فوق قطعي، وسمة فوق قطعية، انظر معجمه: معجم علم اللغة النظري. وأشير إلى أن مصطلح Prosody كما . يذكر بالمر أن أول استعمال له بالمعنى العلمي المناسب مع هذه النظرية على يد فيرث، وكان أول من عالج معالجة صريحة لنظرية البروسودي. انظر: إضافات أكثر في بحث بالمر التالي: F.R. Palmer, 1972, P. 181 .

طرحت نظرية التحليل البروسودي من خلال اللغوي الإنجليزي فيرث J.R.Firth [1]، وعززت بتطبيقات لهذا المنهج من خلال تلاميذه ، ومن ثم تطورت هذه النظرية.

ومن خلال فيرث وتلاميذه ليشمل التحليل البروسودي أجزاء الجملة، ويضم بروسودي الجملة [التنغيم] ، وطول الصوت، والنبر، والعلاقات النغمية بين المقاطع، وبروسودي أجزاء المقاطع، مثل: السمات الصوتية النَفَسِيّة Aspiration ، والارتدادية Retroflexion ، والانفجارية Plosion ، وغيرهم من الصفات ، والوحدات الصوتية وتقسيماتها المتعددة من خلال مخارجها وصفاتها [2].

([1]) مرت تحليلات فيرث لنظرية البروسودي بمراحل بدأت بمقالين، أحدهما صدر في سنة ١٩٣٥، والثاني في ١٩٣٦، وتطورت تحليلاته أكثر في مقاله: الأصوات والبروسوديات Sounds and Prosodies ، والذي نشر سنة ١٩٤٨، لكن اللغوي إلى فيشر Eli Fischer يراه غير واضح في هذه الأبحاث، ويرى أن أبحاث تلاميذ فيرث من أمثال روبنز Robins ودينين Dinneen ، وبالمر Palmer زودتنا بمقدمات جيدة عن مدرسة البروسودي، ويحدد من التطبيقات المعتمد للنظرية بلغات مختلفة شرقية وأفريقية. انظر تفاصيل أكثر في بحث فيشر التالي : Eli Fischer -Jorgensen, 1970, P. 60. ، إلا أن رؤية روبنز ترى أن أبحاث فيرث في هذا المجال كان لها أهداف منها السياقات الصوتية العامة وأنواعها، ووصف المقاطع الأحادية، وتوضيح الملامح الصوتية الخاصة بالنغم ودوره كملمح مميز في بعض اللغات، كما يؤكد روبنز أن فيرث في بحثه ١٩٤٨يصرح بتشديده على أن الملامح الصوتية تخرج من السياق ككل، وليس من خلال الأصوات أو المقاطع أو الكلمات – كما كان يتصور دانيل جونز D. Jones أن الملامح الصوتية كلها تؤخذ من خلال الكلمة – ، ففي تصور فيرث الظواهر الصوتية متعلقة بالكلمة والمفصل والجُميلة، والجمل ككل حيث تصاغ الملامح البروسودية. انظر في ذلك :
R.H. Robins, 1973, P. 262 .

([2]) R.H. Robins 1973, P. 367.

نشير هنا إلى أن منهج فيرث وتلاميذه يختلف عن المنهج الذي انتهجه الباحثون الأمريكيون في تناولهم هذه الملامح الصوتية، فمن خلال بحث هوكيت Hockett 1942 عن منظومة في علم الأصوات الوصفي، وقد عالج فيه السمات البروسودية من خلال ما أسماه Superementals – فوق التركيبية، وهاريس Z.Harris في بحثه 1944 عن المكونات المباشرة المتزامنة في علم الأصوات، هو أول من عالج ما يسمى بالمكونات الطويلة في التحليل الصوتي الأمريكي، وهناك هوجن E.Haugan, 1949 في بحثه phoneme or prosodeme – وحدة صوتية أو وحدة بروسودية، فإن ما يسمى عند الأمريكيين Superasegmental – فوق التركيبية يسمى عند فيرث بالبروسودي Prosody ، كما أن جوهر البروسودي عند فيرث هو النبر والنغم وطول–

الذي نريده من هذا العرض أن التحليلات البروسودية التي قامت على يد فيرث وتلامـــيذه قد أفادت في ملاحظة الظاهرة التي نحن بصددها، فعملية التصويت وغيرها من العمليات التابعة للكلام قد لوحظت صوتياً أكثر من خلال هذه المدرسة، وقد أضافت هـــذه المدرســـة عنصراً آخر مهماً في دراسة هذه الظاهرة ثقافياً، ألا وهو سياق الحال Context of Situation [١].

إن فكـــرة سياق الحال قد أضافها الأنثربولوجي مالينوفسكي، وبها أضاف فكر ســـياق الحـــال إلى النظرية اللغوية، وعالج معنى الكلمة بواسطة إرجاعها إلى السياق الثقافـــي المســـتخدمة فـــيه، ووضح علاقة اللغة بالثقافة، وعلم اللغة بالأنثربولوجي[٢].

=المقطـــع، أما في المنهج الأمريكي فالنبر ودرجة الصوت Pitch وحدات صوتية فوق تركيبية، وطول المقطع خارج إطار النظام الفونيمي عند الأمريكيين.

ويلخـــص لايـــنز الفروق بين المنهج الفونولوجي الأمريكي والمنهج البروسودي الإنجليزي في فرقين رئيسين:

الأول: المحلـــل بالمـــنهج الفونولوجـــي الأمريكي ينظم المعطيات الصوتية، بينما البروسودي يصف المعطـــيات الصوتية فوق سلسلة بخط مستقيم من الوحدات الصوتية القطعية، بينما المحلل بالمنهج البروســـودي الإنجليزي يصف المعطيات بمصطلحين مختلفي العناصر ، هما: الوحدات الصوتية Phonemic Units والبروسوديات Prosodies .

الثاني: البروسودي مختلف عن صاحب المنهج الفونولوجي الأمريكي في أنه لا يقيم بياناً مفصلاً عاماً مـــن الوحـــدات الصوتية للغة، فهو واصف لعدد من الأنظمة الثانوية كل منها متعلق ببنى صوتية مخـــتلفة... هـــذه الاختلافات ربما تكون ملخصة بقول مفاده : أن النموذج الفونولوجي وحيد البعد Unidimensional ، وأحـــادي الـــنظام Monosystemic ، أما البروسودي فله بعدان، ومتعدد الأنظمة Polysestemic . انظر بحث لاينز التالي: J. Lyons 1972, P. 230.

(١) يشـــير فـــيرث إلى أن مصطلح Situation لم يكن مالينوفسكي أول من استخدمه، وأن الألماني وجـــنر Wegener .P أول مـــن استخدمه سنة ١٨٨٥م ، ومنه استعاره مالينوفسكي وجاردنر، انظـــر بحـــث فيرث J.R. Firth, 1957, P. 177. ، ولكن فكرة السياق هذه فكرة مالينوفسكي، كمـــا يشـــير جيرمان، انظر حول هذا المصطلح وتاريخه الفصل الأول والثاني من كتاب اللغوي الفرنسي جيرمان التالي: C.German, 1973, P. 9-51. .

(٢) انظـــر بحـــث فـــيرث: التحلـــيلات الأثنوجرافية واللغة مع الإشارة إلى رؤية مالينوفسكي، ضمن المقالات التي جمعها بالمر وحررها في كتاب واحد سنة ١٩٦٨م J.R. Firth 1968, P. 137- 167 .

ويشير كلود جيرمان C. German إلى السياق كما استخدمه مالينوفسكي في مقاله مشكلة المعنى جعل السياق اللغوي شاملاً لكل من :

- معرفة البنية العامة للغة .

السياق - المعرفة اللغوية للكلمة .

- المعرفة فوق اللغوية والتي تشمل على : - معرفة سياق الحال .

- المعرفة الاجتماعية والأنثربولوجية (١).

وتطورت فكرة السياق هذه على يد اللغوي فيرث، فأصبح ما يسمى بسياق الحال أساساً لنظرية المعنى، وجزءاً مهماً من نظرية اللغة في هذه المدرسة (٢)، فقد أخذ فيرث فكـرة السـياق مـن مالينوفسكي وأضاف إليها، حيث اهتم بالخلفية الثقافية للغة، وبنى نظريـته اللغويـة، وهو القائل بأن كل علم اللغة في دراسة المعنى، والمعنى كائن في وظيفة السياق (٣).

ومـن هـنا فقد كان مفهوم سياق الحال عند الأنثربولوجي مالينوفسكي مصدراً مهمـاً لـنظرية اللغة في مدرسة لندن اللغوية، وبه يضيف إضافة قوية إلى الإحساس بالظاهرة التي نحن بصددها، والتي تعتمد على الفهم الكامل للثقافة المراد تحليل الظاهرة فيها، وأيضاً سياقاتها.

من خلال هذين العنصرين المهمين في المدرسة اللغوية الإنجليزية بدأ اللغويون في ملاحظة ودراسة الظاهرة المسماة **Paralanguage** ، وفي الصفحات التالية عرض موجز لبعض الدراسات لهذه الظاهرة.

---

(1) C. German, 1972, P. 123.

(2) R.H. Robins, 1971, P. 33.

وفـي بحـث روبنز هذا والمعنون بقوله : مالينوفسكي ، فيرث وسياق الحال يرى أن النقاط الأساسية لـنظرية السـياق عـند مالينوفسكي في الآتي: أن النظرة القديمة للغة على أنها أداة للفكر ، هذا الـتعريف عديـم القيمة تماماً، فاللغة حسب مالينوفسكي سلوك فعال مثل باقي الأنشطة الاجتماعية الأخـرى، وليسـت وعاءً للفكر، كما أضافت نظريته أن الكلام لا يفهم من خلال عملية التصويت فقـط، بـل السـياق اللغـوي يسـاهم في هذا من خلال التاريخ والوضع النفسي لكل من المتكلم والمخاطب، انظر بحث روبنز السابق الذكر P. 34-35 .

(3) M.A.K. Halliday and Ruqaiya Hasan, 1986, P. 8.

مــن أهم الذين درسوا هذه الظاهرة عالم اللغة الإنجليزي ديفيد إيركرومبي، وقد أفاض في توضيح وتفسير هذه الظاهرة في كتابه الذي ترجمه إلى العربية د. محمد فتيح – رحمـــه الله – : مبادئ علم الأصوات العام، في هذا الكتاب يوضح في الفصل الأول اللغـــة وعلاقـــتها بالوســط، فيشير إلى أن اللغة تنقل بوسطين إما منطوقة أو مكتوبة، المنطوق والمكتوب ينتميان إلى اللغة نفسها، لكن يتضمنان في وسطين مختلفين، يتركب أحدهما من أشكال [المكتوب] ، والآخر من ألوان من الضوضاء [المنطوق] [1].

ومن هنا فمن الممكن للغة نفسها أن تنقل عن طريق وسطين مختلفين، ويواصل كلامه قائلاً : " إن ما نفعله عند تمييز اللغة من الوسط هو الفصل بين النموذج وتجسيده المـــادي المستقل عنه بمعنى ما، فيمكننا أن نقول: اللغة شكل وقالب في حين أن الوسط مادة " [2].

كما يشير إيركرومبي إلى أن للوسط بالإضافة إلى ماله من خاصة تتعلق بإمكان تشـــكيل النماذج القادرة على حمل اللغة، فإن الوسط له خواصه الذاتية المستقلة أيضاً، فالأوساط – حسب إيركرومبي – لا يبتكرها النشاط الإنساني فقط، بل تترك أيضاً على الكلمـــة المكـــتوبة والمنطوقة طابع الشخصية التي خلقتها، فمعظم ما يؤسس من نشاط بشـــري يظهر بشكل غير مباشر أموراً كالحالة النفسية والمركز الاجتماعي والأصول الجغرافية، وهلم جرا .

و " للوسط اللغوي خاصية صنع هذا؛ فهو ليس لغة في نفسه، بل مركباً للغة .. ، فضـــمن وجـــوه الوسط المستحقة للبحث على سبيل المثال الطريقة التي ينظم بها في نمـــاذج لـــيقوم بوظـــيفة حامل اللغة، وخصائصه المادية والجمالية، وعلاقته بالأوساط الأخـــرى وباللغـــة التي يحمل، ونوع الحركات الجسدية التي يتضمنها إنتاجه، والمدى الـــذي يذهب إليه في قيامه بدور الدلالة على خصائص الشخص الذي يحقق الحركات الناتجة " [3].

---

(1) ديفيد إيركرومبي ١٩٨٨م، ص ٧ .

(2) السابق ص ٩ .

(3) السابق ص ٨ .

كمـــا يشـــير إلى أن كل الأوساط تشترك في شيء واحد، وهو أنها تتوسط بين منتج اللغة ومستقبلها، ولهذا يرتبط بكل منها نوعان من النشاط الإنساني : النشاط المنتج الذي ينشأ عنه الوسط، والنشاط المستقبل الذي به يُدرك [1].

ثـــم يفصـــل خصـــائص الوســـط : ويسميها الخصائص الإشارية[2] Indexical Properties مقرراً أن أهم ما يمتلكه الوسط من خصائص هو إمكان تشكيله من نماذج، فـــي المكان أو الزمان، معقدة ومتنوعة بصورة تكفي لحمل اللغة، كما يقرر أن الوسط لـــيس موضـــوعاً ماديـــاً أوجـــده نشاط إنساني، رائياً أنه ينجم عن هذه الحقيقة بعض خصـــائص الوســـط فـــوق اللغوية الأعظم إثارة، التي تستطيع أن تقوم بدور مؤثر في التواصـــل الإنساني، قائلاً : " إننا عندما نقابل قوماً لأول مرة ينبني ما نكونه من آراء حولهـــم إلـــى حد كبير جداً على ألوان الحركات التي يصنعونها حين يتكلمون ويأكلون ويستخدمون الإشارة للتعبير ... إننا نفسر طرقهم الاعتيادية المألوفة في صنع الحركات علـــى أنهـــا مفاتـــيح لنوع الجماعة البشرية التي يمثلونها .. وما يفعله الناس من ألوان الحركات لأغراض الحديث والكتابة يقدم أيضاً مفاتيح من النوع نفسه، وإن كنا في هذه الحالات لا نأخذ المفاتيح من ملاحظة الحركات الفعلية نفسها، بل من الشيء المصنوع الناتج، أي من الوسط؛ فهو يحتفظ في شكله المادي بخصائص الحركات التي توجده، أو الإشارات " [3].

ويـــرى أنه من الممكن أن تسمى العلامة التي من هذا النوع إشارة an index ، كمـــا يمكـــن أن تســـمى خصائص الوسط إلى إشارات كتلك " الخصائص الإشارية " Indexical Features بوصفها متميزة عن خصائصه اللغوية Linguistic Features .

كمـــا أنـــه يعد بعض الخصائص الإشارية الموجودة في كلام شخص ما أو في خطـــه مكتســـبة أي متعلمة من آخرين، ومن ثم يجب أن يشتركوا فيها، على حين أن بعضـــها الآخر ليس بمتعلم، ومن ثم فهو فردي شخصي، زاعماً أن من بين الخصائص

---

(1) السابق ص ٩ .

(2) ترجمها د. فتيح هكذا، وربما تكون ترجمتها بالخصائص الدلالية أقرب إلى ما يريده إيركرومبي.

(3) إيركرومبي ١٩٨٨م ، ص ١٣ .

الأولى يشترك فيه أناس قليلون، وآخر تشترك فيه مجموعات كبيرة، وثالث تشترك فيه أمم برمتها، بل تجمعات أكبر من التجمعات القومية [١].

كما يرى أن تقسم الإشارات الموجودة في نطقنا إلى ثلاثة أنواع، طبقاً لنوع ما تدل عليه :

[أ] الإشارات الدالة على الانتساب:

ويتضـــمن هـــذا – حسب إيركرومبي – نطق كل المتكلمين في اللغات جميعها إشارات محلية، يشترك في هذه الإشارات أعضاء الجماعات التي تعيش في منطقة ما، كمـــا تـــدل هذه الإشارات في بعض أجزاء من العالم دلالة دقيقة جداً على المكان الذي تربى فيه الشخص [٢].

[ب] الإشارات المميزة للفرد:

الإشارات التي تميز الفرد ويمكن أن تسمى الإشارات الفطرية، وهي تمكننا من التعرف على الأشخاص عن طريق الصوت وحده عبر التليفون أو في الكلام مثلاً، كما أنهـــا لا تُـــتعلم من الآخرين في العادة؛ فكثير منها يتولد في الواقع مباشرة عن بواعث طبيعية، ولهذا فهي فوق سيطرة المتكلم وإشارات الجنس والسن التي يتضمنها الكلام من هذا النوع، وكذلك آثار التشوه الخلقي .. واللثغات ، ونظائرها من عيوب الكلام [٣].

[ج] الإشارات الكاشفة لحالات المتكلم المتغيرة:

هـــذه الإشارات يمكن أن تخبر عند شخص ما دون النظر إليه ما إذا كان يتكلم بملء فمه أو لا ، وهذه الإشارات لا توجد دائماً في نطق شخص ما، بل تروح وتجيء طـــبقاً لحالـــته الماديـــة والمعنوية. وهناك إشارات أخرى من هذا النوع ترتبط بحالات التعب والإثارة والزكام والعم والإفراط في شرب الخمر والقلق، ومن الطبيعي أن تتولد بعـــض الإشـــارات أتوماتيكـــياً عـــن الحالات المادية التي تؤثر مباشرة على أعضاء النطق [٤].

---

(١) السابق ص ١٤ .

(٢) السابق ص ١٦ .

(٣) السابق ص ١٧ .

(٤) السابق ص ١٨ .

كمـــا يشير إلى الخصائص الجمالية، التي هي من خصائص الوسط، ومن أمثلة ذلـــك نطـــاق الوســـط أي حجم الأشكال أو درجة الصوت[1]، مشيراً إلى أن الشعراء استغلوا في اللغات جميعها خصائص الوسط الموسيقية، والتي هي كثيرة ، منها الإيقاع وتنوع طبقة الصوت [2].

ثم يفصل القول في الفصل السادس من كتابه عن العناصر الأساسية في الوسط الشفوي مقرراً أنها عنده مجموعات ثلاث، كالآتي:

[أ] الخواص القطعية:

ويصفها بأنها تتكون من سمات سمعية معقدة في حالة من التذبذب السريع تعكس ســـرعة تعاقـــب حـــركات المصوتات، والخواص القطعية أيضاً هي ما تكون بوضع التساؤل عندما نقول إن شخصاً ما يمتلك صوتاً واضحاً [3].

[ب] خواص نوعية الجهر:

وهـــو يقصد بالجهر هنا ليس الصوت الناشئ عن التصويت، أي تذبذب الأوتار الصـــوتية، بل يقصد شيئاً أعم من ذلك بكثير " نعم هناك كثير من مكونات الوسط التي تقـــع تحت العنوان : " خواص نوعية الجهر " عندما نُسرُّ بشيء أي عندما يكون الجهر بمعناه الصوتي الدقيق مختفياً تماماً، بل إن بعض هذه الخواص يتحقق عندما نسعل فقط أو نتنهد أو نتنحنح؛ فالمصطلح " نوعية الجهر " يشير إلى هذه الخواص الموجودة تقريباً طوال الفترة التي يتكلمها الشخص " [4].

[ج] خواص دينامية الجهر:

ويراها الخواص المعنية التي يسيطر عليها المتكلم، ومن ثم من الممكن تعلمها، كمـــا ينزع الناس للسبب نفسه إلى تقليد الآخرين فيها، وهي – حسب إيركرومبي قادرة علـــى تميـــيز الطوائف الاجتماعية والأفراد كليهما، ويمكن النظر إلى هذه الخصائص تحت العناوين التالية [5]:

---

(1) السابق ص ١٩.

(2) السابق ص ٢١ .

(3) السابق ص ١٣٨ .

(4) السابق ص ١٣٩ .

(5) السابق ص ١٤٤ .

١- الجهارة Loudness .　　　　　٢- سرعة الإيقاع Tempo .

٣- الاستمرارية Continuity .　　　　　٤- الإيقاع Rhythm .

٥- المجال الطبقي Tessitura .　　　　　٦- النغمة Register .

٧- تذبذبات طبقة الصوت Pitch Fluctuation .

هـذا التحليل المستفيض يكون الافتتاح لدراسات أخرى في المدرسة اللغوية الإنجليزية، فمثلاً يختار ليفير J. Laver نوعية الجهر وعلاقتها بالمعلومات الدلائلية Voice Quality and Indexical Information ، ويذكر أنه اختار نوعية الجهر من خلال ما أسماه بالمعلومات البيولوجية Biological Information ، ويذكر أن هذه العملية يدخل فيها عدد من أعضاء الجهاز الصوتي، كما أن عملية التصويت متوقفة على صفات هذا الجهاز الصوتي[١].

كما يذكر أن هناك ربطاً بين حجم الشخص وطبيعته وحجم حنجرته والأحبال الصوتية، فلو سمعنا صوتاً عميقاً جداً في الهاتف نتوقع بثقة أن المتكلم رجلاً كبيراً قوياً، فمن خلال الصوت نأخذ انطباعات عن جنس وعمر المتكلم، كما يشير إلى انطباع آخر يحدث من خلال الصوت وهو الحالة الصحية للمتكلم، ويضرب مثالاً لذلك يربط فيه بين المتكلم بهمس والصحة الضعيفة، وبين ما يسمى بالأصوات الصاخبة العميقة والصحة الجيدة [٢].

كما يشير إلى أن نوعية الجهر تمدنا بدلالات نفسية قائلاً : " بأننا نرى كمسمعين إلى استنتاجات من نوعية الجهر من خلال الملامح النفسية لأي متكلم، ففي تقييم الشخصية نحن مستعدون في الثقافة الغربية للاعتقاد أن أي صوت أجش مرتبط أكثر بالملامح العدوانية والسيطرة الدكتاتورية ، وأن صوت الهمس مرتبط أكثر بالصوت المتواضع والمطيع والشخصيات الحليمة[٣].

ويأتي اللغوي الإنجليزي ديفيد كريستل D. Crystal ليشارك في هذا المضمار من خلال بحثه المتعلق بالبروسودي والسمات المصاحبة للغة وعلاقتهما بالطبقات

([1]) J. Laver 1972, P. 190 .

([2]) I bid, P. 196 – 197 .

([3]) I bid, P. 198 .

الاجتماعــية، يشير في البداية إلى أن المظاهر الصوتية غير القطعية non-Segmental للملفــوظ ، هــذه الملامــح عولجــت بندرة[1]، كما يشير إلى أهمية الأبحاث الخاصة بأنثوجرافــيا التواصل، فهي تبرهن على نقلة أخرى في الاتجاه الصحيح، فهايمز يؤكد بوضوح كبير إلى الاحتياج إلى تطور أنثوجرافيا الكلام لتعريفها لخصوصية أنواع تلائم القول مع أنواع السياقات [2].

وتحــاول دراسة كريستل أن تتخذ من الملامح غير القطعية [n-s] في السياق الأنثربولوجــي الاجتماعــي لربما تكون معروفة من خلال الأنثربولوجيين واللغويين، وربما هذا يساعد في توضيح طبيعة هذه الملامح، ويخلص إلى أن هذه الملامح متعلقة ودالــة علــى معلومات منها الجنس والعمر ومكانة الإنسان، والتعاون والوظائف، وقد أعطى عدداً من الأمثلة المرجعية من الإنجليزية تؤكد نوعية المعلومة المتضمنة[3].

من كل هذه الدراسات التي قدمناها تقرر الآتي:

- حــدث تميــيز بين الكلام Speech والصوت Voice من خلال الرائد سابير، ذلك أن الصــوت حــركة تعبــيرية، وأنــه ملفوظ شخصي مركب من عوامل معقدة، باختصــار هــو الصــيغة الظاهرة للتعبير اللغوي. أما الكلام يشمل المفردات المستعملة واللغة أو اللهجة المتكلمة، والبناء النحوي وطريقة التركيب، من هذا كله تتكون خصوصية الكلام .

---

(1) D. Crystal, 1972, P. 185.

(2) I bid, P. 187.

(3) I bid, P. 188- 189 .

وأشــير هنا إلى أن كرامر Kramer قد قام بتحليل معملي للأصوات ليحاول أن يثبت أو ينفي العلاقة بيــن الصوت والشخصية، خلص منه إلى أنه لا توجد علاقة بين الصوت والشخصية، لكنه يشير إلــى أن هناك من يلاحظ من خلال الخبرة العامة تحصل صلات بين الصوت والشخصية. انظر بحثه التالي : E. Kramer, 1972, P. 184. .

ويخلص كل من G.N. Allport and Cantril في بحثهما 1972 إلى أنهما وجدا استنتاج الشخصية يرســم مــن خلال كلامهم، وأن شخصياتهم متلائمة مع أصواتهم أكثر من أي سمة فردية . انظر بحثهما 1972, P. 156. .

- تتطور هذه الأفكار عند إيركرومبي ليدرس هذه الظاهرة **Paralanguage** ليفرق بين الوسط واللغة معتبراً هذه الظاهرة هي الوسط في حالة اللغة المنطوقة، ويتوسع في دراسة هذه الظاهرة التي أفرد لها فصلين [الأول، والسادس] من كتابه ١٩٦٧ [مبادئ علم الأصوات العام]، وما يهمنا هنا أنه جعل لهذه الظاهرة دلالات هي كالآتي:

[أ] دلالات على الانتساب إلى طائفة من الناس.

[ب] دلالات مميزة للفرد .

[ج] دلالات كاشفة عن حالات المتكلم المتغيرة [١].

---

(١) إيركرومبي ص ١٦ . ونذكر هنا أن هذه الظاهرة وغيرها من الظواهر التواصلية أخذت رؤية أخرى من خلال البحث في إثنوجرافيا التواصل Ethnography of Communication وبخاصة عند رائد هذا المجال الأمريكي ديل هايمز D. Hymes ، فقد بنى رؤيته لهذا المنهج على أن الكلام يتمركز أو يتجدد نظامياً داخل سياقه الثقافي – الاجتماعي، ففي بحثه 1968 عن إثنوجرافيا الكلام ركز على أهمية الدور الاجتماعي في عمليات التواصل، وفي تحديده للخصائص المميزة للسياق التي لها قيمة في تحديد أنماط الأحداث الكلامية، حيث ركز على:

١- الأشخاص المشاركون في الحدث الكلامي .

٢- الموضوع الذي يتكلمون فيه .

٣- الظرف ويقصد به السياق الزماني والمكاني .

٤- وضع الجسم عند الأطراف المشاركة .

٥- القناة، باللفظ أم بالكتابة أم بالإشارة ... إلخ .

٦- الشفرة [اللغة أو اللهجة أو الأسلوب المستعمل] .

٧- صيغة الرسالة [حديث عابر غير رسمي أو مناظرة أو خطبة أو حكاية شعبية أو قصيدة .. إلخ] .

٨- طبيعة الحدث التواصلي هل هو خطبة أو دعاء .

٩- الطابع ، هل كانت خطبة جيدة أم لا .

١٠- الغرض [الذي يريده المتواصلون] .

انظر توضيحاً أكثر في : D. Hymes 1968, P. 99, 109 - 115. .

كما نذكر أن هايمز يرى أن تعريف تشومسكي للقدرة اللغوية Competence تعريف ضيق لا يتناسب مع الطبيعة الاجتماعية للغة، ومن ثم اقترح استبدال القدرة اللغوية بالقدرة التواصلية، ذلك أنه يرى أن القدرة اللغوية مقدرة عقلية للشخص، وأن القدرة تعتمد على المعرفة وعلى مهارة الاستعمال في التواصل. انظر تفصيلات أكثر في بحثه التالي D. Hymes, 1972, PP. 269-293. .

ومن خلال هذه المفاهيم سوف أحلل هذه الظاهرة ودلالتها في ثلاث من روايات الأستاذ نجيب محفوظ الذي لاحظت أنه يرتكز على هذه السمات الصوتية في رسم صور أبطاله، وثقافاتهم بما تحتويه كلمة ثقافة من معاني أنثروبولوجية، وحتى يتضح الأمر أذكر ما قاله إيركرومبي من أن الأستاذ هيجنز **H.Higgins** بطل بيجماليون كان متخصصاً في تحديد أماكن الناس بالاعتماد على لهجاتهم[١]، بمعنى أن المؤلف يرسم من خلال أبطاله كثيراً من الظواهر التي أمامنا، ومن ذلك ما يذكره د. كريم حسام الدين من أننا يمكن أن نقف على مثل هذه السمات الصوتية التي تميز المتكلمين دلالة هذه السمات في الأعمال المسرحية والمسلسلات الإذاعية والتليفزيونية والقصص والروايات الأدبية، وقد مثل لذلك بمقتطفات سريعة من ثلاثية الأديب المعاصر نجيب محفوظ تصور السلوك الصوتي للسيد أحمد عبد الجواد بطل الثلاثية وزوجته ربة البيت من مثل قوله:

- " وقف الحنطور أمام البيت وارتفع صوت زوجها وهو يقول في نبرات ضاحكة استودعكم الله ... " [٢].
- " السيد عبد الجواد: مساء الخير يا أمينة .
- فقالت بصوت خفيض ينم عن الأدب والخضوع: مساء الخير يا سيدي "[٣].
- " ... ومضت أمينة إلى الأب فزفت إليه البشرى بنبرات رقيقة مهذبة مبالغة هذه المرة في حيائها وتهذيبها " [٤].

= ومن هذا نصل إلى أنه تحول مع هذه الدراسات الاهتمام باللغة بنية ودلالة منفصلة عن سياقها إلى الاهتمام باللغة في سياقها مع الأنظمة التواصلية الأخرى التي تتكاتف مع اللغة للوصول إلى ولوج دلالة كاملة للحدث التواصلي .

(١) إيركرومبي ص ١٦ .

(٢) انظر د. كريم حسام الدين ١٩٩٢م ، ص ٨٣ وما بعدها، وكذلك بين القصرين لنجيب محفوظ ص ١٠ .

(٣) بين القصرين ص ٨ .

(٤) السابق ص ٢٤٩ .

ومـــن هـــنا فإن الوسط بمفهوم الأستاذ إيركرومبي يكون هو الشخص المستخدم للغـــة الموجـــودة لـــدى مجتمعه، هذا الوسط أو هذا الشخص ينتج اللغة حسب خواص شخصية، ومن هنا يأتي الاختلاف، فمن خواصه الشخصية يظهر جنسه وعمره وحالته الصـــحية والنفســـية وانتماؤه الاجتماعي وثقافته في استخدام هذه السمات. كما أن هذه الظاهرة وإن لم توصف وصفاً علمياً في مجتمعات كثيرة إلا أننا نلاحظ أن كل ثقافة لها سمات خاصة في الاستخدام في التفاعل مع الأصوات، ولهذا هناك تقنين داخل كل ثقافة لاســـتخدام الأصـــوات أو قـــل استخدام الوسط الحامل للكلام، ومن ذلك نجد في الثقافة الإســـلامية رفضاً لعلو الصوت، يقول الله تعالى : ﴿ وَاقْصِـــدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَـــوْتِكَ ﴾ [1]، وبالتالي فكل ثقافة لديها تقنين لاستخدام الوسط الذي هو الوسط الحامل للكلام .

([1]) سورة لقمان: الآية [١٩] .

ثانياً : الدراسة التطبيقية، دلالة السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي، وتحتوي على العناصر التالية :

[١] السمات الخاصة بالكلام ودلالاتها، وتحتوي على:

[أ] الإشارات المميزة للفرد، والخاصة بالسمات الشخصية ودلالاتها.

[ب] الإشارات الكاشفة لحالات المتكلم المتغيرة ، ودلالاتها.

[ج] الإشارات الدالة على الانتساب إلى طائفة معينة.

[٢] دلالات الأصوات غير الكلامية [الفضلات الصوتية ، مثل: الضحك، والبكاء، والصراخ، والتأوه، والغمغمة] .

كل هذا من خلال مادة البحث، روايات الأستاذ نجيب محفوظ : ملحمة الحرافيش، الشحاذ، السكرية . وأبدأ بالقسم الأول:

[١] السمات الخاصة بالكلام ودلالاتها:

[أ] الإشارات المميزة للفرد، والخاصة بالسمات الشخصية ودلالاتها:

إن الصوت سمة تحدد السمات الشخصية، ويسميها البعض الإشارات الفطرية، وهي تمكننا من التعرف على الأشخاص عن طريق الصوت وحده عبر الهاتف أو في الظلام مثلاً، كما أنها لا تُتعلم من الآخرين في العادة، فحسب إيركرومبي كثير منها يتولد في الواقع مباشرة عن بواعث طبيعية، ولهذا فهي فوق سيطرة المتكلم، وكذلك تتضمن إشارات عن الجنس والسن [١].

فالصوت يساهم بشكل كبير في تحديد سمات الشخصية التي نسمعها حتى ولو كانت في الظلام أو الهاتف، فإننا نتعرف من خلال الصوت عن جنس المتكلم وسنه، وهذا يرجعه علماء الأصوات إلى أن لكل صوت إنساني بصماته المميزة التي قلّما تلتبس ببصمات صوت آخر، ويذكر د. أحمد مختار عمر – رحمه الله – أن في علم اللغة يوجد مصطلح اسمه " التعرف اللغوي " الهدف منه في معظمه هدف عملي وهو القدرة على أن تدل من أصوات لغة منطوقة على نوع اللغة التي تواجهها، كما يشير

---

(١) إيركرومبي ص ١٧ .

إلـــى أنـــه يســـتغل لتحديد المنطقة اللغوية الصغيرة التي ينتمي إليها المتكلم، لكن على المستوى الشخصي هناك عوامل أخرى تحدد السمات الفردية، ومنها:

١- الخصـــائص النطقية المعينة الناتجة عن خاصة عضوية في المتكلم كأن يكون هناك تصلب أو ارتفاع في مؤخرة اللسان فينتج الصوت مغرغراً.

٢- يــؤدي إلـــى تميـــيز الأصـــوات اختلاف معدن الصوت، والذي قسمه علماء الأصوات إلى معادن خمسة رئيسة.

٣- ويشـــيرون أيضاً إلى اختلاف الفراغات الرنانة المضخمة للصوت، وهي التي يمر خلالها الهواء بعد الحنجرة [١].

كما أن هناك من يشير إلى ما يسمى بالبصمة الصوتية للجنس، ويرون أن أظهر فـــرق فـــي صوت الذكر والأنثى البالغين هو "درجة الصوت" ، أو التردد الأساسي للتصويت الذي يعتمد على طول الوترين الصوتيين ووزنهما ودرجة توترهما، وقد خلق الله المرأة بوترين صوتيين أقصر وأقل ضخامة وأكثر قابلية للشد من وتري الرجل مما يـــؤدي إلـــى زيـــادة سرعتهما وعدد ذبذباتهما في الثانية، وهذا بدوره يؤدي إلى حدة الصوت.

وهـــناك عـــامل ثـــان يمـــيز الجنسين وهو نموذج الرنين الحادث في التجويف الصوتي فوق الحنجري ، فالذكور البالغون – في العادة – يملكون تجاويف صوتية فوق حنجرية أكثر مما تملكه الإناث ، ولذا فهم ينتجون حزماً صوتية أخفض، كما أن هناك عاملاً ثالثاً وهو العادات الكلامية لكل جنس، والتي تتبع الثقافة التي اكتسبوها [٢].

إن كـــل هـــذه العوامـــل تصنع فروقاً بين الجنسين ، وبين الأفراد في كل من الجنســـين، وســـوف نرى من خلال التحليلات التي سوف أقدمها إلى أي مدى الصوت يوظف كسمة شخصية للأفراد، وله دلالاته على مستوى الأحداث في الرواية.

---

(١) انظر د. مختار عمر ٢٠٠٢م، ص ١٦٨ – ١٦٩ .

(٢) الســـابق ص ١٧١، وانظـــر الفصـــل الخـــامس من كتاب د. أحمد مختار عمر: اللغة واختلاف الجنســـين ١٩٩٦م، ص ص ١٢٧ – ١٤٣ ، وانظـــر الكتاب التالي: Max.K. Adler, 1978, PP. 1-26.

في رواية ملحمة الحرافيش يوظف الأستاذ نجيب محفوظ هذه السمات في رسم صور لأبطاله تحمل الدلالة التي يريدها، ومن هنا نراه يرسم صورة بطله عاشور قائلاً : "وثمـــة شبح يقف منه على بعد شبرين يعكر عليه صفوه ويشده إلى عالم القلق، فرفع صوته الأجش متسائلاً :

- ماذا تنتظر يا معلم درويش ؟

فلكزه درويش في صدره وهمس بحنق :

- أخفض صوتك يا بغل ! " [1].

نســـتنتج من هذه الصورة الروائية أن درويش صوته أجش، وهذا الصوت من قبل من معه " درويش " صوت غير مقبول، ذلك أن درويش يقول له : أخفض صوتك يا بغل! ، ويذكرنا هذا برؤية الصوت الحسن ، والصوت غير الحسن.

يقـــول الفخـــر الــــرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْـــوَاتَكُمْ فَـــوْقَ صَـــوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾[2] ، يقول الرازي : " رفع الصوت دليل قلة الاحتشام وترك الاحـــترام، أمـــرهم ســـبحانه وتعالى بأن لا يخاطبوه ﷺ كما يتخاطبون فيما بينهم ولا يكثرون من الكلام بين يديه احتراماً " [3].

وتحفـــظ لنا بعض كتب الأدب تصور العرب لجهارة الصوت، والتي تروي ما يؤكـــد أن الجماعـــة العربية كانت تدعو إلى الالتزام بغض الصوت؛ لأنه من علامات الأدب واحترام الغير [4].

ويواصل نجيب محفوظ في رسم سلوك عاشور الصوتي في الحرافيش قائلاً:

" فصاح بصوته الأجش " [5].

---

[1] الحرافيش ص ١٦ .

[2] سورة الحجرات : الآية [٢] .

[3] الفخر الرازي: التفسير الكبير ١٤/ ١١٢ .

[4] انظر عرضاً لهذا في كتاب د. كريم ١٩٩٢م، ص ١٢١ وما بعدها .

[5] الحرافيش ص ٣٤ .

ويقول أيضاً : " فحرك رأسه الكبير بحيرة صامتاً " [1].

نلاحـــظ هنا أنه يصفه بصاحب رأس كبير، أليس هو بداية فتوات الحرافيش لما له من قوة صوتية وقوة جسمانية، انظر إلى رد عاشور في السياق التالي : " ماذا جاء بك يا عاشور ؟ ، فقال بغلظة " [2].

فهو غليظ في سماته الصوتية أيضاً كسماته الجسمية، أليس عاشور الذي يصفه نجيــب محفوظ بالقوة في السياق التالي، الذي يرسمه محفوظ كالآتي : " فثار درويش وصاح :

– ستصير أحدوثة الصغير والكبير ..

فصاحت فلة :

– إنه قادر على حماية ما يملكه .

فـــانقض عليها فلطمها حتى صرخت فوثب عاشور نحوه وطوقه بذراعيه وشد حتى صاح متأوهاً :

– أنا في عرض النبي ...

فتركه وهو يزمجر غاضباً فتهاوى درويش على الأرض وهو يصرخ:

– في ألف داهية .. " [3].

انظـــر كيف يرسم نجيب محفوظ قوة عاشور التي جعلت درويش يتأوه، والتأوه عملية صوتية لها دلالتها، وكذلك الصراخ، والزمجرة ، وسوف نشرح دلالتها في مكانها مـــن هـــذا البحـــث، إلا أننـــي هنا ما أريد توضيحه ربط قوة عاشور الجسمية بسماته الصوتية، إنه صاحب صوت أجش، ويقول بغلظة، حتى عندما يغضب يقول محفوظ : " وصاح بصوته الأجش الباكي " [4].

---

(١) السابق ص ٤٧ .

(٢) السابق ص ٤٩ .

(٣) السابق ص ٥٠ .

(٤) السابق ص ٦٨ .

انظـــر إلـــى تصـــوير محفوظ لعاشور بقوله : " ولعل القضاة أعجبوا بعملقته، وبصورة الأسد المرسومة في صفحة وجهه، ولم ينس الناس صوته الأجش " [١].

ولنـــنظر إلـــى النص التالي الذي يحمل دلالات صوتية مهمة، يقول محفوظ : " وبصوت كالرعد صاح :

– يا درويش !

خيّل إليه أن غصون الأشجار تميد من صوته ، ولكن لم يجبه أحد " [٢].

انظر إلى الصوت الذي كالرعد، إنه صوت قوي لرجل قوي يخيل إليه من قوة صوته أن تميد الأشجار منه .

هذه الدلالات تتكرر في نص آخر في صورة حوار بين عاشور ومحمود قطايف – شيخ الحارة – يصور نجيب محفوظ هذا الحوار كالآتي : " أثمة شك في ملكيتي لها ؟

– معاذ الله ولكنها الأوامر !

فقال بحدة بصوته الخشن :

– أريد أن أعرف ما تعنيه أوامرك ؟

فقال محمود قطايف بصوت منخفض :

– اعتصبت بعض دور الهالكين في الأحياء المجاورة !

وغرقا معاً في صمت ثقيل مشحون بالتوجس والريب حتى رفع عاشور صوته قائلاً .. " [٣].

يوظـــف نجيـــب محفـــوظ صوت عاشور الخشن[٤] كسمة صوتية شخصية لها دلالـــتها فـــي الـــرواية، وانظر كيف أن شيخ الحارة يتكلم بصوت منخفض مع الفتوة

---

(١) السابق ص ٨٣ .

(٢) السابق ص ٦٩ .

(٣) السابق ص ٨٠ – ٨١ .

(٤) يذكر إبركرومبي أن الصوت الأجش يرتبط بصفات نوعية الجهر، ويرى أن نوعية الجهر تستمر تقريباً طوال الفترة التي يتكلمها الشخص، فهذه النوعية أشبه بصفة ثابتة تستمر طوال مدة خروج الصوت من فمه . انظر: إبركرومبي ص ١٣٦ ، ١٣٩ .

عاشور، وكيف أن عاشور يرفع صوته على شيخ الحارة، وهذا له دلالة كبيرة في هذا السياق الثقافي .

إن نجيب محفوظ يصف لنا الحوار بشكل دقيق يصف فيه الصورة النطقية، والسياق الثقافي، وكل هذا له دلالاته داخل المجتمع الذي يعيشه الأبطال، فهو يصف ويكثف الدلالات حتى يخرج عمله بدلالاته الاجتماعية والتي منها السمات الصوتية حتى يكون العمل دالاً بالمعنى الواسع لهذا المفهوم.

إذا كان محفوظ يرسم لنا صورة عاشور مستعيناً بسماته الصوتية لرسم صورة الفتوة القوي، فإنه أيضاً يستعين بالسمات الصوتية في رسم شخصيات أخرى، ومنها مثلاً السمات الصوتية الخاصة بعبد المنعم شوكت في " السكرية " ، الذي يصف سماته الصوتية بقوله : " فقال عبد المنعم إبراهيم شوكت بصوته القوي "[1]، ثم يصف صوته قائلاً : " فقال عبد المنعم بصوته اليقيني" [2]، ثم يقول بعد ذلك : " فقال عبد المنعم بصوت قوي شديد الثقة بنفسه " [3]، ويقول أيضاً : " فقال عبد المنعم بصوته القوي ...

فقال الصوت القوي" [4]، و" فقال عبد المنعم وقد ارتفع صوته حتى جعل الشباب الذي يجلس بينه وبين أخيه يردد رأسه بينهما كالمنزعج " [5] .

إن عبد المنعم بسماته الصوتية هذه قوي الصوت، وتتكرر هذه السمة مذكرنا المؤلف بسمته جاعلاً منها سمة ملازمة كأي سمة في جسمه مثلاً لتدل من خلال الرواية على اليقين، ألم يصف صوته عالياً بأنه الصوت اليقيني، وكذلك : " فأجابه عبد المنعم إبراهيم شوكت بصوته القوي المفعم بنبرات التوكيد " [6]، وكذلك : " فقال عبد المنعم بلهجة اليقين التي اشتهر بها " [7]، وكذلك " عبد المنعم بصوته القوي العميق "[8].

---

(1) السكرية ص ٢٨ .
(2) السابق ص ٣٣ .
(3) السابق ص ٧٧ .
(4) السابق ص ١٣١ .
(5) السابق ص ١٣٥ .
(6) السابق ص ٢٤ .
(7) السابق ص ٨١ .
(8) السابق ص ٢٩٥ .

إن السـمات الصـوتية الخاصة بعبد المنعم أحد أبطال رواية السكرية يستغلها نجيب محفوظ لرسم صورة هذا البطل، ويؤكد من خلال هذه السمات المحببة في ثقافتنا علـى مـا يذكـره فـي ثنايا الرواية، حيث يذكر : " وكان عبد المنعم قد تبلور طابعه واتجاهـه ، فأثبـت أنه موظف كفء و " أخ " نشيط، وقد انتهى الإشراف على شعبة الجمالـية إليه فعين مستشاراً قانونياً لها، وأسهم في تحرير المجلة، وكان يلقي المواعظ أحياناً في المساجد الأهلية .. " [1].

إن مـا نـريد أن نقوله هنا إن نجيب محفوظ يستغل دلالات السمات الشخصية الصـوتية والمقننة في ثقافتنا، فكل سمة لها دلالة، وكل دلالة لها قبول أو عدم قبول في ثقافتـنا العربـية، وإذا كنا قدمنا في الصفحات السابقة وصف نجيب محفوظ من خلال رواياتـه الـثلاث المذكـورة للسمات التي يتميز بها أبطاله، ومنها السمات الشخصية الصوتية الخاصة بالرجال، فإنني في السطور التالية سوف أقدم وصفه لنطق أبطاله من النساء .

انظر إلى وصفه لكلام امرأة من خلال هذا النص : " فابتسمت في دلال فقال :

- الحب يصنع المعجزات .

فقالت بعذوبة " [2].

فسمة العذوبة هنا مقرونة بامرأة تبتسم في دلال، ويقول في سياق آخر :"فقالت بـنعومة "[3] إن النعومة سمة خاصة بقول المرأة، ويقول : " وإذا بصوت رفيع حادل يصرخ "[4]، وهذا الوصف صحيح علمياً ذلك أن حدة الصوت عند المرأة نتيجة لقصر الوترين الصوتيين لديها وأيضاً ضآلتهما، وهذا يسبب زيادة في عدد الذبذبات عند المرأة أكثر من الرجل مما يؤدي إلى حدة صوت المرأة مقارنة بالرجل [5].

([1]) السابق ص ٢٩٤.

([2]) الحرافيش ص ٣٩٤ .

([3]) السابق ص ٤١٢ .

([4]) الشحاذ ص ٨٦ .

([5]) د. أحمد مختار عمر ١٩٩٦م ، ص ١٣٢ .

وأيضـــاً يقول : " وإذا بالصوت الرفيع يعلو "[1]، الصوت الرفيع هو هنا صوت امرأة، إنه يريد أن يدلل بالصوت الرفيع على امرأة ذات ملامح حسنة، وتتجلى السمات الخاصـــة بالمـــرأة في الموقف التالي بين عمر الحمزاوي بطل روايته " الشحاذ " وبين وردة الراقصة إحدى بطلات الرواية، يقول محفوظ : " وقال لها بصدق :

– الحق إني آسف يا وردة .

فقالت وهي تبتسم ابتسامة غامضة :

– لا يجب أن تأسف على ما فات ..

ثم بنبرة ساحرة :

– وتجربة الحب ثمينة ولو بالعذاب !

فقال وهو يعض شفتيه :

– لست طبيعياً ..

فقالت بصوت مهموس .. "[2].

نلاحـــظ أنه يستخدم صفة ساحرة للنبرة التي قالت بها وردة الجملة، والنبرة هنا بمعـــنى النغمة التي عليها النطق، وهذا له دلالته في عالم الحب في ثقافتنا، كذلك عندما تقـــول بصـــوت مهمـــوس، والهمس هنا ليس الصفة الصوتية المقابلة لصفة الجهر في تصنيف الأصوات اللغوية، وإنما هو الكلام بصورة تخفي الكلام، أو بتعبير آخر بمعنى الكـــلام الخفيض، وله دلالة هنا يريد أن يطفيها محفوظ على نصه وهي أن الهمس بين الرجل والمرأة لا يكون إلا بين المقربين لبعضهما.

والـــنص التالـــي يلخص لنا السمات الصوتية الفارقة بين الرجل والمرأة، والتي نلحظهـــا جمـــيعاً، ويدركها محفوظ مسجلاً إياها لتعطي دلالة قوية داخل الرواية، وهذا النص عبارة عن حوار بين أحمد وعلوية صبري، والحوار مفاده أن أحمد يريد مفاتحة علوية في أن يخطبها، ونتخير منه بعض الفقرات المهمة لنا : " فقالت بصوت خافت لم يخل من عتاب ...

---

(1) الشحاذ ص ٨٧ .

(2) الشحاذ ص ١١٦ – ١١٧ .

فقال بعناد وإخلاص ..

....

فتمتمت في حياء :

فقالت بصوت كأنما تعمدت أن يكون رقيقاً فوق العادة :

....

فقالت بصوت حيي

....

فقال بصوت غليظ " [١].

انظـــر المقارنـــة التي عقدها محفوظ بين السمات الصوتية عند الرجل " أحمد " والمـــرأة " علويـــة " علوية تتكلم بصوت خافت بينما أحمد يتكلم بعناد، علوية تمتم في حـــياء وبصـــوت حيي، كما أنها تتعمد أن يكون صوتها رقيقاً فوق رقته الحقيقية، بينما أحمـــد يـــتكلم بصوت غليظ إنه رجل وإنها امرأة أليس كذلك ؟ بلى، فالسمات الصوتية للرجل تختلف عن السمات الصوتية الخاصة بالمرأة ، وقد ذكرنا ذلك منذ قليل، والذي نريد أن نقوله هنا إن نجيب محفوظ كروائي ، أو قل إن هذه النصوص الروائية العربية تعـــرف وتدرك السمات الصوتية الخاصة بالجنسين ودلالتهما في ثقافتنا العربية، وكما رأيـــنا في الصفحات السابقة أنه أحس بفروق صوتية بين كل شخص وآخر من الجنس نفســـه، واســـتغل المؤلـــف هذا في رسم صور أبطاله أو قل أضفى على أبطاله سمات صوتية شخصية أعطت دلالات متنوعة[٢] داخل الرواية .

---

(1) السكرية ص ١٨٥ – ١٨٨ .

(2) لعـــل ما يؤكد ارتباط السمات الشخصية بالسمات الصوتية في ثقافتنا العربية ما يذكره الرازي في كـــتابه " الفراســـة " ص ١٦١ ، يذكر في باب دلائل الصوت والكلام أن " من كان صوته غليظاً جهـــيراً فهـــو شجاع مكار، ومن كان كلامه سريعاً فهو عجول قليل الفهم، ومن كان كلامه عالياً ســـريعاً فهـــو غضوب سيء الخلق، ومن كان كلامه منخفضاً فبالضد، ومن كان صوته ثقيلاً فهو رغيـــب البطـــن، ومـــن كـــان في صوته غنة فإنه حسود مضمر الشر " ، ومهما كان موقفنا من محـــتوى الـــنص، لكنه يسجل تصوراً للسمات الصوتية المحببة وغير المحببة ودلالتها في الوسط الثقافي العربي آنذاك .

والآن أنتقل إلى العنصر التالي، وهو عن الإشارات الدالة على الحالات النفسية والصحية .

[ب] الإشارات الكاشفة لحالات المتكلم المتغيرة ودلالاتها :

إن علاقـــة قوية بين الصوت والحالة النفسية التي فيها المتكلم ، فهناك إشارات صوتية تدل على الحالة الصحية للمتكلم، وعلى حالات التعب والإثارة والزكام والإفراط فـــي شـــرب الخمر، ومن الطبيعي حسب تصور إيركرومبي أن تتولد بعض الإشارات أتوماتيكيا عن الحالات المادية التي تؤثر مباشرة على أعضاء النطق ، كما أنه غالباً ما توجـــد إشارات إلى الحالات التي نحن بصددها أكثر أهمية من هذه الإشارات المتولدة مباشـــرة عـــن ســـبب مـــادي أعنـــي تلك التي نتعرف منها على أحاسيس: كالتسلية ، والغضـــب، والاحـــتقار، والـــتعاطف، وغـــير ذلك مما يمكن أن يقع – حسب تصور إيركرومبي– تحت عنوان " نعمة الصوت Tone of Voice[1] " .

وإذا كـــان هـــذا تصور العلماء المحدثين فإن تصوراً عربياً قديماً إلى حد كبير يلمس العلاقة بين الصوت والحالة النفسية ، ففخر الدين الرازي [ت ٦٠٦ هـــ] يتكلم عـــن هذه العلاقة قائلاً : " إننا نشاهد الإنسان حال استيلاء الغضب عليه يصير صوته صوتاً غليظاً جهيراً ، وعند استيلاء الخوف يصير صوته حاداً خفيضاً ، والسبب فيه أن عند استيلاء الغضب عليه تخرج الحرارة من الباطن إلى الظاهر فيسخن ظاهرة البشرة ، والحـــرارة توجب توسيع المنافذ وتفتيح السدد في آلات الصوت وهذه الأحوال توجب صـــيرورة الصـــوت ثقيلاً غليظاً، وأما عند الخوف فإن الأمر يكون بالعكس من ذلك ، وذلك يوجب صيرورة الصوت حاداً خفيفاً ، وإذا عرفت الكلام في هذين المثالين فاعتبر مثله في سائر الأحوال ، فإذا ضبطنا الأحوال النفسانية ثم تأملنا أن الحادث عند حدوث كـــل نـــوع مـــنها أي أنواع الأصوات علمنا حينئذ أن بين تلك الحالة النفسية وبين ذلك الصوت المخصوص مناسبة واجبة وملازمة تامة[2] " .

نخلـــص من كل ذلك إلى أن العلاقة بين ظاهرة الصوت والحالة النفسية للمتكلم معروفة قديماً حديثاً ، كما أن الشخص العادي يلمس هذه العلاقة تماماً ويتفاعل معها في

---

(١) إيركرومبي ص١٨ .

(٢) فخر الدين الرازي : الفراسة ص١١٠ .

ســياقها ، ويدرك أن الغاضب يرفع صوته ونطقه يكون سريعاً ن أما الشخص الهادئ فــيكون خافضـــاً لصوته ، كما نبرات الصوت تتغير حسب مشاعر وأحاسيس المتكلم، مــثل: السعادة، والفرح، والحزن، والألم، والخوف، والفزع، والخجل، والاضطراب ، والتهكم، والسخرية[1] .

إن كال هذه المشاعر والأحاسيس الخاصة بالمتكلم تؤثر في نغمة أو نبرة صوته ، وهذا ما سجله الأستاذ نجيب محفوظ في رواياته فأكسبت عمله دلالة فنية ، والحق أننا مـــع أعمـــال هذا الرجل نحس بصدق الوصف لسياقات النصوص أو الحوارات، ومن الظواهـــر الصـــادق في وصفها ظاهرة الصوت ودلالاتها، وكما قلنا إن هذا النصوص الروائية تمثل ثقافة المجتمع بكل دلالاتها، وفي هذه الثقافة الصوت وسلوكيات مستخدميه لهـــا دلالات تكشـــف عـــن دلالات يدركهـــا أعضاء المجتمع، وبالتالي فنصوص هذه الـــروايات تســـجل مـــا هو حاصل ، ومنها الظاهرة الصوتية وكيفية استعمال الصوت ودلالاتـــه ، وإن نصـــوص نجيـــب محفوظ تدرك العلاقة بين الصوت والحالة النفسية للمتكلم ، أو قل إن شخوصه يدركون ذلك ، وفي السطور التالية عرض يؤكد ذلك .

في رواية الحرافيش يروي نجيب محفوظ قصة رؤية الشيخ عفرة لوليد صغير تـــركه أهله ، وأخذه الشيخ عفرة زيدان إلى بيته فأخذته زوجته سكينة ، وأقدم الآن هذه اللحظـــات والحـــوار الدائر بين الشيخ وامرأته، يقول : " راحت سكينة تهدهد الطفل ثم قالت بحنان :

- إنه ذكر يا شيخ عفرة .

فحرك رأسه صامتاً فقالت باهتمام :

- يلزمه غذاء ...

- وما درايتك بذلك وأنت لم تنجبي ذكراً ولا أنثى !!

....

وتجلى صمت مفعم بالانفعالات حتى تمتم الشيخ عفرة زيدان :

- أليس من الخطأ أن نبقيه أكثر مما ينبغي ؟

---

(1) انظر تفاصيل أكثر في كتاب د . كريم حسام الدين ١٩٩٢م ص٨١ .

فقالت بحماس وحرارة :

- الخطأ خطأ من ضيعه ...

ثم قالت وهي تتلقى إلهاماً بالرضى :

- لم يبق لي أمل في الإنجاب[1] ! " .

مــن خــلال هذا الحوار تبدو لنا العلاقة بين الصوت والحالة النفسية واضحة ، فسـكينة تسـتخدم سـلوكاً صوتياً مع الطفل تحاول أن توصل له الحنان من خلال هذا الصـــوت ، ثم عندما اقتنعت أن الطفل يكون عوضاً لها عن عدم إنجابها تستخدم سلوكاً صـــوتياً آخــر للتأكيد على احتياجها له ، فتتكلم بحماس وحرارة لتوصل من خلال هذا السـلوك الصوتي تمسكها بالطفل ، ثم انظر إلى دلالة الصمت في هذا النص ، فعندما يحرك الشيخ عفرة رأسه صامتاً له دلالة الحيرة والتفكير في اتخاذ قرار ، وكذلك عندما يقول " وتجلى صمت مفعم بالانفعالات حتى تمتم الشيخ ...." فالصمت هنا له دلالته فهو صمت مفعم بالانفعالات ، فماذا يقول الرجل أيأخذه أم يذهب به إلى القسم ، ولماذا تركه والداه ، وأسئلة أخرى ، كل هذا جعل الصمت مفعماً بالانفعالات .

إن السلوك الصوتي يصفه محفوظ بمقدرة فائقة وكأنه لغوي ، وللنظر إلى النص التالـــي الـــذي يمثل حواراً بين درويش أخ الشيخ عفرة وعاشور الذي تربى عند الشيخ عفرة ، وفي هذا الحوار يحاول درويش استغلال قوة عاشور في السرقة إلا أن عاشور يـــرفض ،، وإليكم جزءاً من نص كبير : " وتمخض جانب الصحراء عن نأمة: وحمل الهواء عطر حي وارتفع صوت موسوم بالشيخوخة يقول :

- توكل على الله ..

وعند القرب وضح أن العجوز يمتطي حماراً . وعندما حاذاهما تماماً وثب عليه درويـــش ، ذهـــل عاشـــور وتحققت مخاوفه . لم ير شيئاً بوضوح ولكنه سمع صوت درويش وهو يقول متوعداً :

- هات الصرة وإلا ..

فتردد صوته مرتعشاً بالكبر والذعر :

---

(1) الحرافيش ص٨ .

- الرحمة .. خفف قبضتك ..

اندفع عاشور إلى الأمام بلا وعي وهتف :

- دعه يا معلمي !

صرخ به درويش :

- اخرس ... "[1].

السلوك الصوتي في هذا النص له دلالات متعددة ، فعندما يقول: " ارتفع صوت موســوم بالشــيخوخة " نفهــم أنه صوت رجل كبير ، كما أن هذا الرجل عندما يهدده درويش يسلك سلوكاً يؤكد خوفه وذعره وكذلك كبر سنه ، كل هذا نابع من قوله:" فتردد صــوته مرتعشــاً بالكبر والذعر " ثم انظر إلى تردد الصوت المرتعش ، فعملية تردد الصــوت، وأنه موسوم بالارتعاش فيها دلالة الخوف والذعر، عن الصوت يكشف هنا عن الحالة التي مر بها الرجل الكبير .

ثــم نأتي إلى سلوك درويش الصوتي في هذا السياق ، فهو يتكلم متوعداً الرجل ثم يصرخ، والصراخ هو الصيحة الشديدة عند الفزع أو المصيبة[2] ، فهو مفزوع بفعل عاشــور هذا ، الذي رفض أن يساند درويش في سرقة الشيخ العجوز ، ومن هنا تتعدد دلالات السلوك الصوتي في النص .

وتــتوالى النصوص التي تؤكد علاقة الصوت بالحالة التي عليها المتكلم ، ومن ذلــك الحوار الذي دار بين بكر ورضوانة ، فيه يتحدث بكر بحزن عن الذي حدث من مشاكل في بيتهم بيت الفتونة ، يقول محفوظ : " تمتم بكر :

- هي الحقيقة يا رضوانة .

رآها تتمخض عن تمثال للذهول فقال بقهر ويأس وحقد :

- لا فتونة ولا مال ولا سعادة !

تساءلت بريق جاف :

---

(1) السابق ص١٧ .

(2) لسان العرب ، مادة صرخ .

- ولكن .- لكن كيف وقع ذلك ؟

- كما يقع الشلل والفضيحة والموت ، لم تتعجبين ؟ ما هي إلا مغامرة أخطأت الهدف !

فقالت بعذاب :

- طالما حذروك من المغامرات ..

فقالت بازدراء :

- الذين لا يعلمون ينتقدون ويعظمون ويحسدون ، عليهم اللعنة ... "[1] .

نرى ارتباطاً قوياً بين الحالة النفسية التي عليها كل من رضوان وبكر والسلوك الصـــوتي الذي يستخدمونه في هذا الحوار ، هذا كله له دلالته ، ثم انظر الوصف الذي يذكـــره المؤلـــف : فقالـــت بعذاب ... فقالت بازدراء ، ما معنى هذا ؟ إن ما يريد أن يصبغه المؤلف على القولين هو أنه واضح من خلال السلوك الصوتي المستخدم الحالة النفسية التي عليها صاحب القول ، والذي يتبين منه العذاب والازدراء .

ولننظر إلى الحوار الذي دار بين عاشور وزوجته زينب في حديث عن البوظة وفلة المرأة التي تعمل فيها ، يقول : " في انتظار كانت زينب أمام الباب . اهتدى إلى مسكنه بضوء مصباحها الموضوع على عتبة المدخل ... سألتها بلهفة :

- أين الأولاد ؟

فتساءل بوجوم :

- ألم يراجعوا ؟

فتنهدت بصوت مسموع فتمتم :

- لتكن إرادة الله .

وهو يجلس على الكنبة قالت بحدة :

- كان يجب أن تدعني أذهب ...

- تذهبين إلى البوظة في خضم السكارى ؟ !

---

(1) الحرافيش ص١٨٣ .

....

- وما هذه الفلة التي رمانا بها درويش ؟

يتجنب النظر إليها وقال بازدراء :

- فيم تسألين ؟ بنت تقيم في خمارة !

- جميلة ؟

- داعرة .

- جميلة ؟

فقال بعد تردد :

- لم أنظر نحوها .

فقالت متأوهة :

- لن يرجعوا يا عاشور .... "[1] .

نلحظ ربطاً قوياً بين سؤال زينب بلهفة والموقف الذي تعيشه من غيرة على زوجها من فلة ، ومن خوف على أولادها ، وهي أيضاً تتنهد بصوت مسموع ، والتنهد دليل الحزن ، ثم إنها تتكلم متأوهة في إحدى الجمل ، والتأوه " هو حكاية المتأهّه في صوته[2] " ، مفيدة الحزن والتوجع ، هذا السلوك كله صورة للحالة النفسية التي عليها زينب من خوف وغيرة .

ولننظر إلى النص التالي ، والذي هو عبارة عن حوار بين سليمان الناجي مع أولاده ، بكر وخضر ورضوانة وسنية ليعرف من خلال حقيقة الفضيحة التي حدثت لهم ، يقول : " صاح سليمان بفظاظة :

- الحقيقة !

لم ينبس أحد فصاح :

- الويل لمن يخفي همسة ...

---

(1) السابق ص٤١ ، ٤٢ .

(2) لسان العرب ، مادة أوه .

ورمى رضوانة بنظرة فاحصة حادة آمراً :

- تكلمي يا رضوانة .

فأجهشت في البكاء فهتف متبرما :

- لا أحب الدموع ...

فتمتمت وهي تشهق

....

فصاح سليمان

....

فقال لها سليمان بحدة :

- اسكتي ..

فقالت بيأس :

- إنه الشيطان يدنس بيننا ..

فقال سليمان بحق :

- الشيطان لا يندس إلا بإذن منا ..

فقالت سنية مولولة :

- حلت بنا اللعنة .

....

فصرخ سليمان وهو ينهض :

- ها أنت تعترف يا مجرم[1] .

إن السلوك الصوتي هنا يرتبط بالحالة النفسية تماماً ، فسليمان الرجل سليل عاشور الناجي المعروف بالفتونة والصلاح ، يحدث في بيته فعل مشين ، هذا الفعل

([1]) الحرافيش ص١٦٩ ، ١٧١ .

يجعل الحالة لنفسية لسليمان أكثر من سيئة تجعله يصيح بفظاظة ومعنى صاح أنه تكلم بصوت مرتفع، حيث إن " .. صَيَّحَ : صَوَّت بأقصى طاقته[1] " ، كما أنه يهتف متبرماً، والهتاف هو " الصوت لشديد " ...

وهـتف به هتافاً أي صاح به[2] " ، كل هذا دليل غضب سليمان الشديد ، ويتكلم بحدة ، وفي النهاية يصرخ ، والصراخ كما ذكرنا سابقاً هو الصيحة الشديدة عند الفزع أو المصيبة . هذا السلوك الصوتي مرتبط تماماً بالحالة التي عليها سليمان .

أمـا سـلوك النسـوة الصوتي في الحزن فهو مختلف ، وهذا حاصل في نصنا السابق فرضوانة عندما يكلمها سليمان بحدة ويقول لها تكلمي ، ماذا حدث أجهشت في البكاء ، وتمتمت وهي تشهق ، والتمتمة هي : " أن يعجل بكلامه فلا يكاد يُفهمك[3] " ، بمعـنى عـدم وضوح الكلام ، وهنا هو نتيجة للحالة النفسية التي عليها رضوانة ، ثم انظـر إلـى ولولـة سـنية ، وهو سلوك صوتي غالباً ما يسلكه النساء عند تعرضهن للمصـائب أو الخـوف وقد انتهج هذا السلوك المؤلف في رسم المواقف ، ويعبر عن السلوك الصوتي بنبرة وبلهجة ونغمة ، ومن التعبيرات التي ذكر فيها نبرة الآتي:"وبلغت نـبرته غايـة الاحتجاج[4] " ، يريد سلوكه الصوتي قد ارتفع للاحتجاج ، وأيضاً " فقال شـيخ الحارة بنبرة ساخرة[5] " ، بمعنى سلوك صوتي يظهر منه السخرية ، و " فقالت فلـة بنبرة باكية[6] " ، بمعنى أنها تكلمت بسلوك صوتي يظهر منه البكاء ، والنبرة هنا بمعـنى الوضـوح السمعي ، وليس بمعنى المصطلح الصوتي النبر المقابل للمصطلح الإنجليزي Stress ، فما أود أن أقوله إنه يستخدم نبرة بمعنى سلوك صوتي واضح أنه للـبكاء أو للسخرية .....إلخ ، وفي السطور التالية عدد من الأمثلة المستخدم فيها كلمة نبرة توضح ما أقول .

---

(1) لسان العرب مادة " صيح .
(2) السابق مادة " هتف " .
(3) السابق مادة " تمتم " .
(4) الحرافيش ص٨٥ .
(5) السابق ص٩٢ .
(6) السابق ص٩٤ .

يقــول : " فقال بنبرة عالية[1] " بمعنى سلوك صوتي عالي مؤكد مستخدم ليدل علــى الحالــة النفســية التي عليها صاحب القول ، وأيضاً : " فقال بنبرة حزينة[2] " ، وكذلــك " وغمغمــت في حيرة فقالت رئيفة بنبرة عدوانية قاسية متحدية مباغتة[3] " ، بمعــنى أنها قالت بسلوك أو طريقة عدوانية ......، وأيضاً : " بكت نور الصباح وقالت عفيفة بنبرة متشنجة[4] " ، كل هذه الأمثلة تؤكد استعماله كلمة نبرة بمعنى سلوك أو نهج صــوتي هو سمة للقول ، هذا السلوك دال من خلال السياق على موقف صاحب القول من الأحداث الحاصلة في السياق ، ومن هنا هل نبرة صوته عالية أو حزينة أو ضاحكة أو عدوانية لها دلالة، مؤكد أن كل هذه الأمثلة تصف السلوك الصوتي الدال على الحالة النفسية التي عليها المتكلم . .

ويســتخدم أيضاً كلمة لهجة بالدلالة التي استخدم بها كلمة نبرة، وهذا يتضح من السياقات التالية ، ومن ذلك الآتي :

" فقال لها بلهجة آمرة[5] " ، وكذلك : " فقال له زين علباية بلهجة تحريض[6] " ، وأيضاً : " فقال ضياء بلهجة جمعت بين التشكي في ظاهرها والظفر في أعماقها[7] " ، وفــي السكرية أمثلة منها : " وكان كمال يحب هذه اللهجة الوديعة اللطيفة التي لم يحظ بها إلا بعد عمر طويل[8] ... " .

في المثال الأول تعنى أنه استخدم سلوكاً صوتياً في قوله يشير إلى الأمر ، وفي الثاني بمعنى طريقة تحريضية في قوله ، وفي المثال الثالث بمعنى أيضا السلوك ، وفي كــل هذه الأمثلة يكون السلوك الصوتي المستخدم دالاً في سياقه ، والأمثلة التالية تؤكد أيضاً ذلك .

---

(1) السابق ص٤٠٢ .

(2) السابق ص٣١٣ .

(3) السابق ص٣٤٨ .

(4) السابق ص٤٦٥ .

(5) السابق ص ٢٥٨ .

(6) السابق ص٥٣٤ .

(7) السابق ص٥٥١

(8) السكرية ص١٢ .

"بلهجة حزينة[١] "، و "وقالت بلهجتها الساخرة "حمد الله على السلامة[٢]" ، "وقال الأستاذ بلهجة المتسائل[٣] " و " فضحكوا معاً ، وإذا بعلي عبد الرحيم يغير لهجته ويتساءل حاداً[٤] " و " فقال الرجل في لهجة لا تخلو من جفاف[٥] " و " أما عائشة فإنها عندما دعتها خديجة إلى شهود الدخلة الصامتة هزت رأسها عجباً وقالت بلهجة عصبية[٦] " تستخدم هنا كلمة لهجة في الأمثلة المذكورة بمعنى سلوك صوتي، أو الطريقة المستخدمة في القول ، ومن هنا يكون الربط بين الشخص القائل وتفاعله مع الموقف ، فيكون دالاً على حالته وموقفه .

وتستخدم كلمة نغمة في الإطار نفسه ليصف بها السلوك الصوتي ، ليدل بها على الحالة النفسية الخاصة بالمتكلم ، وقد وردت في أعمال نجيب محفوظ الثلاثة المذكورين أقل من ورود كلمتي نبرة ، ولهجة ، وتقريباً الكلمات الثلاث بمعنى واحد ، وبخاصة في السياقات ذات الدلالة الخاصة بالسمات الصوتية ، ويستخدمها كالآتي :

" فقالت نعيمة في نغمة ساخرة[٧] " و " فضحك كمال ضحكة تحمل نغمة جديدة وقال[٨] " و " وساد الصمت مرة أخرى كاللازمة بين النغمة والنغمة ، ثم قالت[٩] " .

هذه الأمثلة تؤكد استعمال كلمة نغمة واصفة سلوكاً صوتياً معيناً يتناسب مع حالة المتكلم.

ويستخدم أيضاً كلمة صوت متبوعة بصفة معينة ليبين سمات الصوت المستخدم ودلالته ، ومن ذلك الأمثلة التالية :

---

(١) السابق ص١٩ .

(٢) السابق ص٦١ .

(٣) السابق ص٨٨ .

(٤) السابق ص١٤٥ .

(٥) السابق ص١٦٨ .

(٦) السابق ص٢٧٦ .

(٧) السابق ص٦ .

(٨) السابق ص١٩٢ .

(٩) السابق ص٢٦٥ .

" وسأله سليمان بصوت متهدج[1] " و " فقال بصوت منخفض[2] " و " وإذا بحماته تبعته قائلة وهي تقهقه بصوت داعر[3] " و " وقالت بصوت مبحوح[4] " و "فتساءل جلال بصوت ضعيف[5] " و "بصوت مضطرب[6] " و " فقال عبد المنعم بصوت قوي غاضب[7] " و " فجاءه صوت ناعم مضطرب النبرة يقول[8] " و " فجاء الصوت الرقيق[9] " .

كل هذه الأمثلة لها دلالتها داخل السياق ، فكل الصفات التي وصف بها الصوت تستخدم دالة على الحالات الخاصة بالمتكلم ، فهذه الاستعمالات المستقاة من المجتمع يكسبها المؤلف دلالة فنية ليعبر عن صفات شخوص الرواية ، ودالة داخل سياقات نصوص الرواية أيضاً .

ولم يقف عند هذا فقط بل يستخدم صفات أخرى لقول من مثل قوله : " فقال بلين وخوف[10] " ، ويصف القول باللين والخوف ليقرر أن السمات الصوتية التي خرجت من هذا المتكلم في هذا السياق تؤكد على حالته النفسية التي هو عليها في هذا السياق.

وفي الصفحات التالية على الإشارات الدالة على الانتماء إلى مجتمع معين .

[ج] الإشارات الدالة على الانتساب إلى جماعة معينة:

قلنا سابقاً إن التواصل هو تنظيم وتقييس لنظام ثقافي في نمط من السلوك الذي يبقى ويضبط ويصنع العلاقات الإنسانية الممكنة ، كما أن البشر يكتسبون الثقافة والتواصل معاً ، فلا يوجد واحد منهما دون الآخر ، فطرق التفكير والشعور والسلوك

---

(1) الحرافيش ص١٣٦ .

(2) السابق ص١٩٥ .

(3) السابق ص٢٣٠ .

(4) السابق ص٤٣٧ .

(5) السابق ص٤٥٥ .

(6) السابق ص٨٧ .

(7) السابق ص١١٨ .

(8) الحرافيش ص٢٧٢ .

(9) السكرية ص١١٥ .

(10) الحرافيش ص٨١ .

المشـترك داخل أية ثقافة يكون من خلال رموز تواصلية يشترك فيها أفراد المجتمع ، وبفضـل هـذا السلوك الرمزي أو الإشاري يستطيع هؤلاء الأفراد التواصل والتفاعل فيشـعرون بـأنهم يكونون كياناً مميزاً يسمى مجتمعاً وإن التواصل جزء مهم في حياة الإنسان ، فهو ميزة يكتسبها الإنسان منذ طفولته من خلال مجتمعه ، والتواصل بأنواعه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع في ممارسته؛ ذلك لأنه نشأ في أحضان المجتمع ، ووجد بكـل أنواعـه عـندما أحس الإنسان بالحاجة إلى التفاهم ، والإنسان لا يتواصل بلسانه وأعضـاء الجهـاز الصوتي الأخرى فقط ، وإنما يتوصل بأعضاء جسمه أيضاً ، فهو يومـئ برأسه ويغمز بعينيه ويرمز بشفتيه ويشير بأصابعه ، وهذه الإشارات المصاحبة للكـلام تقـوم بتأكيد دلالات هذا الكلام من ناحية ، أو إكمال ما يعتورها من نقص من ناحـية ثانـية، ومن هنا تتمثل أهمية لغة الإشارات الجسيمة في نقل الأفكار والمشاعر والآراء والعواطف[1] .

وقـبل أن يفطن الأوربيون إلى هذا فطن العرب إلى ذلك ، ومنهم الجاحظ الذي وعـى لعملية التواصل ، وحدده في خمس وسائل ، يقول : " وجميع أصناف الدلالات علـى المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد ، أولها : اللفظ ، ثم الإشـارة ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال ، وتسمي . النصبة وهي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ، ولا تقصر عن تلك الدلالات[2] " .

هـنا قسـم الجـاحظ الدلالات على المعاني إلى قسمين : لفظي وغير لفظي ، ونلاحـظ أنه وضع الإشارة ضمن وسائل التواصل ، وتكون " الإشارة : باليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب ، إذا تباعد الشخصان ، وبالثوب وبالسيف . وقد يتهدد رافع السـوط والسيف فيكون ذلك زاخراً رادعاً ، ويكون وعيداً وتحذيراً . والإشارة واللفظ شريكان ، ونعم العون هي له ، ونعم الترجمان هي عنه ، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط[3] ؟ " .

والإشارات الجسمية كما يذكر بلومفيلد إنها تصاحب كل الكلام ، كما أنها تخضع إلـى تواضع المجتمع عليها ولذا فهي تختلف من مجتمع لآخر ، كما يرى أن استعمال

---

(1) انظر تفاصيل أكثر في كتاب د . كريم حسام الدين ١٩٩٠م ص٨ .

(2) الجاحظ : البيان والتبيين ١/٧٦ .

(3) السابق ١/٧٧ ، وانظر عرضاً مفصلاً في مقال د . فاطمة محجوب ١٩٧٥م ص٣٣، ٣٤ .

الإيطاليين للإشارات الجسمية أكثر من استعمال الإنجليز ، ويقول بأنه في حضارتهم البشر يستعملون الإشارات أقل[١] .

وما يهمنا ما قاله بلومفيلد من أن الإشارات الجسمية تخضع إلى تواضع المجتمع مثلها مثل اللغة تماماً ، ومثلها مثل السمات الصوتية المصاحبة للكلام تستمد من دلالتها من المجتمع الذي يقنن كل وسائل التواصل ، وإذا كان كل مجتمع لغة ، هذه اللغة لها عدد من الوحدات الصوتية ، فإنه أيضاً في كل مجتمع حركات جسمية معينة يرتضيها المجتمع ويحملها دلالات معينة يتواضع عليها ، وأيضاً كل مجتمع يُحمّل السمات الصوتية المصاحبة الكلام بعض المعاني التي يتواضع عليها، وبالتالي فإن عمليات التواصل بكل وسائله في المجتمع تخضع لتواضع المجتمع الذي يحملها معاني مختلفة .

والسمات الصوتية يمكن أن تبين طبقة المتكلم الاجتماعية التي نشأ فيها أهي طبقة غنية أم وسطى أم فقيرة ، وكذلك وظيفته ، ولعل ما يراه برنشتاين من أن اللغة في عملية اكتسابها تختلف من فرد لآخر من طبقة لأخرى ، بسبب أن أبناء الطبقة الوسطى تسود لديهم لغة تتصف من حيث الشكل بالغنى والتنوع ، وذلك بالقياس إلى اللغة التي تسود الطبقات الشعبية ، بسبب أن الأسرة المتوسطة تنظر إلى الطفل بوصفه فرداً ، وتتعامل معه كما هو ، وتستخدم بنى لغوية مختلفة من أجل تعزيز الطفل بوصفه فرداً ، وتتعامل معه كما هو وتستخدم بنى لغوية مختلفة من أجل تعزيز النزعة الفردية لديه أما في الطبقات الشعبية فالبنى اللغوية الخاصة بهم لغة محددة ، وتقوم على منظومة من العبارات المختصرة التي تأخذ شكل تأكيدات قاطعة[٢].

ومن هنا تختلف سلوكيات التواصل من طبقة لأخرى ، لأن هناك اختلاف ثقافي بين كل طبقة وأخرى .

وسوف نحاول أن نحلل ظاهرة السمات الصوتية المصاحبة للأداء الكلامي[٣] في كل من بيئة الحرافيش بيئة الطبقة الشعبية وبيئة السكرية الطبقة الوسطى لنرى هل هناك اختلاف بين البيئتين أم لا .

---

(1) Bioomfield , L , 1962 , p . 39 .

(٢) انظر تفاصيل أكثر في بحثه التالي Bernstein , B , 1972 , pp . 157-177 وانظر بحث د. على وطفه ١٩٩٤ ص٢٣ ، ٣٨ .

(٣) لقد فطن العرب إلى تأثير السمات الصوتية كحسن الصوت وغيرها من السمات الصوتية التابعة لأداء الكلام ، ومن ذلك ما يرويه الأبشيهي في كتابه المستطرف في كل فن مستظرف من أن=

نجـد في بيئة الحرافيش استخدامات صوتية مميزة كاستخدام الصوت الغليظ ، وارتفاع الصوت، وكذلك كثرة الصياح والصراخ ، والزمجرة ، ومن أمثلة ذلك الآتي :

يستخدم رفع الصوت مع الغلظة ، ومن ذلك : " فرفع صوته الأجش متسائلاً ؟:

- ماذا تنتظر يا معلم درويش ؟

فلكزه درويش في صدره وهمس بحنق .

- أخفض صوتك يا بغـ "

طبعاً مثل هذه السلوكيات مرتبطة بالبيئات الشعبية ، ليس فقط بسلوكها الصوتي في رفع الصوت ، ولكن أيضاً في الشتيمة الحاصلة : " أخفض صوتك يا بغل " .

ومن ذلك القول بغلظة ، يقول : " ماذا جاء بك يا عاشور ؟

فقال بغلظة :

- إنك خبيث وشرير وتعرف كل شئ[٢] ".

=بعض أهل التفسير يقولون بأن قوله تعالى : ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ سورة فاطر: الآية[١] ، يعنـي الصوت الحسن ، كما يقول بان النبي ﷺ قال لأبي موسى الأشعري ﷺ لما أعجبه حسن صـوته : " لقـد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود " ، ويقول أيضاً بأنه حكى أن البعلبكي مؤذن المنصـور رجع في آذانه ليلة وجارية تصب الماء على يد المنصور فارتعدت حتى وقع الإبريق مـن يدها ، فقال له المنصور : خذ هذه الجارية فهي لك ولا تعد ترجع هذا الترجيع . انظر ٥١٢ و ٥١٣ من كتابه ، والجاحظ كان أكثر تفصيلاً حيث يشير إلى أن " العرب تجعل الحديث والبسط والتأنـيس والتلقـي بالبشر من حقوق القِرى ، ومن تمام الإكرام . وقالوا : تمام الضيافة الطلاقة عـند أول وهلـة ، وإطالة الحديث عند المؤاكلة " البيات والتبيين ١١/١ ، كما يشير إلى العادات الصـوتية المحببـة عند الجماعة العربية والمحبب وجودها في الخطيب ، يقول الجاحظ : " كان جعفـر بـن يحـيى البرمكي أنطق الإنسان قد جمع الهدوء والتمهل والجزالة ، وإفهاماً يغنيه عن الإعادة ، ولو كان في الأرض ناطق يستغني بمنطقه عن الإشارة ، لاستغنى جعفر عن الإشارة ، كما استغنى عن الإعادة وقال مرة : ما رأيت أحداً لا يتحبس ، ولا يتوقف ولا يتلجلج ولا يتنحنح ، ولا يرتقب لفظاً قد استدعاه من بعد ، ولا يلتمس التخلص إلى معنى قد تعصى عليه طلبه ، أشد اقـتدراً ولا أقـل تكلفـاً من جعفر بن يحيى " البيان والتبيين ١٠٦/١ هو يريد أن يقول إن الأداء الكلامي لجعفر أداء جيد لما فيه من الهدوء والتمهل ، ولما يمتلكه من قدرات بلاغية .

(١) الحرافيش ص١٦ .

(٢) السابق ص٤٩ .

وأيضـــاً هـــناك سمة أخرى نجدها في البيئة الشعبية ، وهي الزمجرة ، يقول : " فـــانقض عليها فلطمها حتى صرخت فوثب عاشور ونحوه وطوقه بذراعيه وشد حتى صاح متأوهاً :

- أنا في عرض النبي ......

فتركه وهو يزمجر غاضباً فتهاوى درويش على الأرض[١] ... " .

والزمجرة هي كما يقول صاحب لسان العرب : " ويقال للرجل إذا كثر الصخب والصياح والزجر سمعت لفلان زمجرة[٢] " ، فهذه السمة تكثر في البيئات الأقل ثقافة .

ومـــن ذلك الصياح بصوت عالى ، يقول : " وصاح بصوته الأجش الباكي : يا هوه ! .. يا أهل الله ..

....

وبصوت كالرعد صاح :

- يا درويش[٣] ! " .

انظـــر إلـــى تعبـــير وبصوت كالرعد صاح الذي يحمل معاني مرتبطة بالقوة والفتونة الموجودة في الأحياء الشعبية، فهذه سلوكيات صوتية مرتبطة بالبيئات الشعبية.

ومـــن ذلـــك أيضاً كما يصفه محفوظ من خلال البيئة الشعبية ، يقول : " وراح يغني بصوت كالنهيق[٤] " .

وكذلك : " فقال بصوت جهوري[٥] " .

وأيضاً : " وتلوث قائمة مثل لسان من لهب وصرخت في وجهه :

اقطع لسانك القذر[٦] " .

---

(١) السابق ص٥٠ .

(٢) لسان العرب مادة " زمجرة " .

(٣) الحرافيش ص٦٨ ، ٦٩ .

(٤) السابق ص٣٨٤ .

(٥) السابق ص٥٥٧ .

(٦) السابق ص١٨٩ .

كــل هــذه الســلوكيات مرتبطة تماماً بالبيئات الشعبية ، ومن ذلك أيضاً " فقال عاشور بصوت لا حياء فيه :

عظيم[1] ! " .

هــذه السمات الصوتية لا نجدها نفسها في الطبقى الوسطى ، وإنما نجد تنوعات أخرى لهذه السلوكيات الصوتية ، لأن لكل طبقة عدداً من السمات الخاصة بأدب الحديث ، ورواية السكرية سنجد فيها هذه السمات .

رأيــنا في [أ] أن عبد المنعم إبراهيم شوكت يطفي عليه المؤلف عدداً من سمات قوة الشخصية ، ومنها السمات الصوتية ، إلا أنه لا يصل إلى حالة الزمجرة والصراخ والصــوت الذي لا حياء فيه ، فقد كان المؤلف واعياً في وصف السمات الصوتية لهذه الطبقة، فهو يصف عبد المنعم بأقوال مثل: " فقال عبد المنعم شوكت بصوته القوي[2] "، و " فقــال عــبد المنعم بصوته اليقين[3] " و " فقال عبد المنعم بصوت قوي شديد الثقة بنفسه[4] " ، حتى في حالة الغضب يقول : " فقال عبد المنعم بصوت قوي غاضب[5] " .

إن هــذه السمات الصوتية مرتبطة بالطبقة الوسطى، وكذلك الأمثلة الأخرى من مثل:"فقال بصوت رقيق[6] " و " فجاء الصوت الرقيق يقول[7] " .

وفي حالة الغضب تكون السمات الصوتية مختلفة أيضاً عن حالة البيئات الشعبية ، فهنا في السكرية حيث الطبقى الوسطى تكون السمات الصوتية كما في الأمثلة الآتية :

" فكانــت تقول لها بصوت ينم عن الضجر[8] " و " فقالت عائشة بامتعاض[9] " و"قال كمال بصوت حزين[10] " و " إذا بعلي عبد الرحيم يقول رافعاً صوته إلى درجــة

---

[1] السابق ص٥٥١ .
[2] السكرية ص٢٨ .
[3] السابق ص٣٣ .
[4] السابق ص٧٧ .
[5] السابق ص١١٨ .
[6] السابق ص٨٧ .
[7] السابق ص١١٥ .
[8] السابق ص٧ .
[9] السابق ص٨ .
[10] السابق ص٥٣ .

جديدة منذرة بتغير مجرى الحديث[١] " و " فقال كمال فيما يشبه الضجر[٢] " .

هكـذا يكون التعبير عن الغضب بسلوك صوتي إلى حد كبير خالٍ من الصراخ والزمجرة وغيرها من السمات الصوتية الخاصة بسلوكيات البيئات الشعبية .

وأود أن أشير إلى سمة أخرى تحدد من خلال المجتمع ، وهي السمات الصوتية الخاصة الجائزة للمرأة ، والسمات الصوتية الخاصة بالمرأة ، والإسلام قد اهتم بتهذيب سـلوك الرجل – كما أشرنا سابقاً – وبتهذيب سلوك المرأة فقال تعالى : ﴿ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً ﴾[٣] ، ويفسر أبو حيان هذه الآية قـائلاً : " فـلا تخضـعن بـالقول أي لا تجبن بقولكن خاضعاً أي ليناً خنثاً مثل كلام المريبات والمومسات ، فيطمع الذي في قلبه مرض أي ريبة وفجور ، .....

قال ابن عباس : يندب للمرأة إذا خالطت الرجال الجانب بالغلظة في القول من غير رفع الصوت ... [٤]" .

فخفـوت صوت المرأة ورقته شئ ممدوح في الثقافة العربية ، وسنجد هذا في عدد من الأمثلة عند نجيب محفوظ ومن ذلك الآتي :

يقول : " وإذا بالصوت الرفيع يعلو[٥] " ، وكذلك " فهمست :

– لا شئ في الوجود عبث ..

....

وهمست[٦] " .

والهمـس بمعنى الخفي من الصوت أو الكلام الخفي ، والهمس يأتي من المرأة والرجل ولكن له دلالات متنوعة منها القرب والمحبة وغيرهما .

---

(١) السابق ص٤٢ .

(٢) السابق ص٣١ .

(٣) سورة الأحزاب : الآية [٣٢] .

(٤) أبو حيان : البحر المحيط ٢٢٩/٧ .

(٥) الشحاذ ص٨٧ .

(٦) السابق ص١٧٠ .

ويأتي منها الصراخ من المرأة والرجل ، وبخاصة في الطبقات الدنيا ، والأمثلة عديدة وسوف نقدمها في الصفحات القادمة إن شاء الله . أما الولولة فتأتي من المرأة ، ومن ذلك ما أظهره محفوظ في الحرافيش ، انظر إلى الحوار الآتي :

" وتدخلت العجوز وقالت :

- ألم أقل لك إن قلبه أسود ؟ !

فنهرها قائلاً :

- اقطعي لسانك القذر ...

فولولت العجوز[١] .

وأيضاً : " وتمتم مجاهد إبراهيم :

- أي قدر يعبث بأب ووحيده ..

فولولت عفيفة هاتفة :

- إنه الشيطان ... " [٢].

إنه حقا كما يقول هايمز عن السلوك اللغوي يتأثر بالطبقة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد ، وبسنه ، ومهنته ودينه وكذلك درجة تعليمه وجنسه[٣] ، وهذه الظاهرة التي نحـــن أمامها ترتبط بكل ذلك ، فالولولة الموجودة عند نساء الحرافيش التي تمثل الطبقة الدنـــيا[٤] لا تجدهـــا بهذا الشكل عند الطبقة العليا ، والولولة من العجوز لا تكون عند الصغيرات في البيئة نفسها ، ولا تأتي من الرجال في البيئة نفسها .

([١]) الحرافيش ص٢٣٢ .

([٢]) السابق ص٤٥٤ .

([3]) Hymes , D , 1974 , 154 - 156 .

([٤]) تناولـت د . لـيلى الصـاوي فـي بحثها : لغة النساء المصريات كانعكاس لدورهن في المجتمع المصـــري ، تناولت الارتباط بين اللغة وجنس المتحدث ، وخلصت منها إلى وجود اختلاف ليس فقط على جنس المتحدث وإنما على درجة تعليم الأشخاص الجنس نفسه ، وكذلك اختلاق مفردات الحديـث باخـتلاف جـنس المتحدث ، وارتباط المكانة الاجتماعية للغة الحديث بجنس المتكلم ، وعرضـت لعـدد مـن التعبيرات المميزة للنساء الشعبيات التقليديات ، مثل التعبيرات الدالة على تمسكهن بالإيمان بالغيبيات من مثل " محروس ومصان " و " حوش يا رب " و" اخزى العين "،=

وهناك ظاهرة التنغيم وهو من الوحدات الصوتية فوق التركيبية ويصاحب نطقنا للجمـــل والكلمـــات ، وهو بمعنى ارتفاع أو انخفاض في درجة الصوت الحادث بسبب التغير في نسبة ذبذبة الوترين الصوتيين ومن خلال ذلك يحدث نغم موسيقى ، هذا النغم الموسيقى في نظام اللغة له دلالته[1] .

وهـــناك خــــلاف حـــول وجود التنغيم أم لا في العربية قديماً ، إلا أنه مقرر أن اللهجـــات العربية الحديثة ومنها العامية المصرية يوجد فيها التنغيم ، لكن لا يمكننا أن نعـــتمد على ما ذكره محفوظ في روايته نظراً لاحتياجنا إلى سماع النطق ، لكن هناك بعـــض الإشـــارات داخل الروايات من مثل قوله : " فأجابه عبد المنعم إبراهيم شوكت بصوته القوي المفعم بنبرات التوكيد[2] " ، لكن لا يمكن الاعتماد على ما قاله محفوظ ، لكننا نؤكد أن التنغيم يظهر موسيقى كلامية على مستوى الجملة، وبخاصة في اللهجات، هذه الموسيقى لها دلالتها .

وانـــتقل إلى نقطة مهمة ومرتبطة دلاليا بثقافة المجتمع ، وهي الصمت أو عدم التصـــويت ، فـــإذا كنا قد ذكرنا أن السمات الصوتية تحمل دلالات فإن الصمت أيضاً يحمـــل كثـــيراً مـــن الدلالات المختلفة ، ولهذا اعتبره المهتمون بدراسة التواصل غير اللغوي شكلاً من أشكال التواصل[3] ، وهذا الصمت تختلف دلالته من ثقافة إلى أخرى ،

=وكذلـــك التعبيرات الدالة على الضعف والحيلة مثل " الله يسترك " و " ربنا ما يغلب لك ولية " ، وأيضـــاً التعبـــيرات الخاصـــة برثاء الموتى مثل " يا خويا " و " يا جملي " ، وتعبيرات التعاطف والحـــنان مـــثل " يا دلعدي " و " يا روحي / يا روح قلبي / يا روح أمك " والتعبيرات الدالة على العـــنف والعدوانية مثل " يا إبرة مصدية على الكوم مرمية " و " اللي ما تتسماش " ، انظر بحثها ٢٠٠٢ م ص٥٣ – ٧٨ .

(١) تحـــت عـــنوان التنغيم هل هو ظاهرة كلية ، وضع بحثه اللغوي بولنجر D . Bolinger جمع فيه عـــدداً مـــن آراء اللغويين جيلسون وبيك وغيرهما من اللغويين المؤكدين أو المبرهنين على فكرة التشـــابه فـــي التنغيم كملكة كلية جامعة، ومنهم من قال بأن كل لغة تملك كلمات .... ، وعلامات متضـــمنة بـــنى صوتية وقابلة للاستعمال كجملة مركبة من عناصر من التنغيم ، وقال بولنجر إن عـــدداً مـــن اللغـــات يبلغ ١٧٥ لغة تستخدم نغماً للاستفهام P. 837 ، لكنه في P.838 يرى أن اللغـــات ككـــل ليس بينها اشتراك واضح في التنغيمات مثلما في أنظمة الوحدات الصوتية . انظر بحثه Bolinger ,D,1964 .

(٢) السكرية ص٢٩ .

(٣) انظر كتاب د . كريم حسام الدين ١٩٩٢م ص١٠٦ .

وفـــي الـــثقافة العربية الإسلامية ، السكوت جُعل علامة للرضا عند البكر في عرض الـــزواج عليها ، وعند بعض القبائل الإسترالية التي تحظر على الأرامل أن يتكلمن بعد وفاة أزواجهن لمدة معينة تبدأ من شهر وقد تطول إلى اثنى عشر شهراً يتخاطبن خلالها بأصابعهن وأيديهن[1] .

وفي باب الصمت من كتابه البيان والتبيين يروي لنا الجاحظ عدداً من المأثورات التـــي تصـــور رؤية العرب للصمت ، ومن ذلك أن أعرابياً كان يجالس الشعبي يطيل الصمت فسئل عن طول الصمت فقال : اسمع فأعلم ، واسكت فأسلم . وقالوا : لو كان الكـــلام من فضه لكان السكوت من ذلك . وقالوا : مقتل المرء بين لحييه وفكيه ، وقال النبـــي ﷺ : " وهـــل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم[2] " ، ويروى في موضع آخر ، يقول الشاعر[3] :

والصمت أجمل بالفتى   ما لم يكن عن يشينه

والقـــول ذو خطل إذا   ما لم يكن لب يعنيه

هكذا صورة الصمت ، أو السكوت في الثقافة العربية ، وفي السطور التالية نقدم تحليلاً نحاول أن نتبين منه دلالات الصمت في مادة البحث .

فـــي حـــوار بيـــن عاشور ودرويش ، : " تبادلا نظرة طويلة مرة أخرى تجلى التخاذل في عيني درويش ، فقال ملاينا :

- ما أريد إلا أن تجود عليّ مثل الآخرين ..

- ولا مليم لأمثالك ..

وساد صمت فرجع عاشور يتساءل[4] " .

الصـــمت هنا له دلالة تشير لوجود تفكر في اتخاذ القرار ، وخوف درويش من عاشور .

---

(1) السابق ص١٠٨ .

(2) انظر تفصيلات أكثر في باب الصمت في كتاب البيان والتبيين للجاحظ .

(3) السابق ١/٥ .

(4) الحرافيش ص٧٦ .

وعلى هذه الشكل الكثير من الشواهد ، ومن ذلك الصمت الذي ساد بين محمود قطائف شيخ الحارة وعاشور فتوتها ، يقول عاشور : " أثمة شك في ملكيتي لها ؟

- معاذ الله ولكنها الأوامر !

فقال بحدة بصوته الخشن :

- أريد أن أعرف ما تعنيه أوامرك ؟

فقال محمود قطائف بصوت منخفض :

- اغتصبت بعض دور الهالكين في الأحياء المجاورة !

وغرقا معاً في صمت ثقيل مشحون بالتوجس والريبة حتى رفع عاشور صوته(1)".

هذا الصمت دلالته مكشوف عنها ، وهي التوجس والريبة والخوف ، وانظر إلى الصمت الذي في المثال التالي عقب فوز شمس الدين الفتوة الجديد على غسان ، "ويقف شمس الدين لاهثا غارقا في العرق ، ويغلب صمت الذهول ، حتى يمضي شعلان الأعور إليه بملابسه وهو يقول :

- نعم الفتى .. ونعم الفتوة(2) " .

إنه بالفعل صمت الهول ،فالكل لم يكن يتصور أن شمس الدين بهذه القوة التي تجعله يتفوق على منافسه غسان ، ويطرحه أرضاً .

وفي حوار طويل بتكرار الصمت ، هذا الحوار بين شيخ الحارة محمود قطائف وشمس الدين الفتوة، يبلغ فيه شيخ الحارة الفتوة بأن الوجهاء يرفضون دفع الإتاوة ، يقول : " فقال [سليمان] بغضب :

- إنهم يأبون إلا الرفعة والدونية للآخرين .

فصمت محمود قطائف مليا ثم قال :

- من حقهم أن يطالبوا باحترام يكافئ أعمالهم .

---

(1) السابق ص80 .

(2) السابق ص104 .

- لولا أبي ما انتفع بأموالهم أحد، انظر إلى نظراتهم في الحارات الأخرى ماذا يفعلون!
فلاذ شيخ الحارة بالصمت مرة أخرى ، بدا متردداً ، قالت فلة :

- تكلم ، ما على الرسول إلا البلاغ .

....

اخـتفى محمود قطائف تاركاً خلفه رائحة تبغ وعرق . وترك صمتاً تتلاقى فيه النظرات وتتباعد . وثمة تناحر بين الفتى وأمه . بين الفتى وغرائزه[1] " .

إن دلالات متنوعة بدت لنا من الصمت في هذا النص ، فالصمت الأول كان من محمـود قطـائف نتيجة خوفه من غضب الفتوة شمس الدين، وكان الصمت الثاني من قطـائف أيضاً الذي لاذ في الصمت ، ولهذا دلالة الخوف وعدم القدرة على الكلام رداً علـى ما قاله شمس الدين ، أما الصمت الثالث فكان من قبل الفتوة وأمه ، ودلالته قوية على الحيرة والتفكير في الأمر ملياً .

وهناك صمت دلالته أخرى مثل الصمت التالي : " وتصاب فلة بحمى . تتدهور صحتها ولا تنفع معها وصفات العطار . وترنو إليه صامتة ، وتعجز حتى عن البكاء ، وتسلم الروح في جوف الليل[2] " .

إنها ترنو إليه صامتة ، انظر إلى هذا التعبير الدال ، فقد حمل الصمت هنا عدم القدرة على الكلام ، وصمت العبرة أيضاً ، أو صمت العجز .

وهـناك دلالـة أخرى للصمت في الحوار الذي دار بين شيخ الحارة وزوجة سـماحة الهارب ، " ومر بها شيخ الحارة فسألها عن زوجها ، ماذا أقعده في البيت ، فقالت بوجوم :

- سافر إلى الصعيد ..

فدهش الرجل وقال :

- أمس قابلته فلم يخبرني بشئ

(1) الحرافيش ص١١٩ ، ١٢١ .

(2) السابق ص١٢٨ .

فقالت باستسلام :

- سافر !

....

متى يرجع ؟

فلاذت بصمت واجم[1] " .

دلالة الصمت الواجم هي الخوف من إفشاء سر زوجها ، فلو يعرف شيخ الحارة سره لكان ذلك شراً لهم .

وهنا دلالة أخرى للصمت واضحة في هذا الحوار التالي " وكان يمر أمام البوظة في جوف الليل عندما رأى شبحاً مترنحاً عرف فيه أباه عبد ربه . تأبط ذراعه فتسائل الرجل :

- من ؟

- جلال يا أبي ..

وصمت السكران قليلاً ثم قال :

- إني خجلان يا بني[2] .. " .

حقا إنه صمت يدل على الخجل والحياء مِنْ مَنْ ؟ خجل وحياء الأب من ابنه .

وهناك دلالة أخرى للصمت تتضح من الحوار التالي : " وتدافعت الأحداث مثل زبد النهر الأغبر . ولاحظ شمس الدين ذات صباح وهو يحتسي قهوته في بيته قلقا أسود يلف عفيفة ونور الصباح فخفق قلبه وتساءل :

- سماحة ؟

فتلقى صمتاً مريباً ضاعف من أحزانه فسأل بحدة :

- ما الجديد من متاعبه ؟

([1]) السابق ص٢٤٠ .

([2]) السابق ص٣٩٩ .

- ليس في البيت ..

- رجع إلى التسلل ؟

- بل غادرنا !

- هرب[1] " .

إن الصمت هنا له دلالة الحزن وخيبة الأمل خيبة والرجاء .

كما أن الصمت تتعدد دلالته كما في الحوار التالي " ولكن غيبة سماحة لم تدم كما دامت من قبل غيبة عاشور أو قرة . رجع إلى الحارة ذات يوم وقد بلغ رشده .

بلغ رشده ولكنه فقد أشياء ثمينة لا تعوض ... حتى أبوه لم يعرفه لأول وهلة .

ولما اكتشف حقيقته واجتاحته موجه من السرور والأسى ... وتنحى به جانباً وسأله بإشفاق :

- ماذا فعلت بنفسك ؟

وجعل يرددها والآخر صامت مستغنيا بمنظره عن أي بيان[2] " .

فالصمت هنا دلالته الاستغناء بالسياق والمنظر عن الكلام ، فالكلام ربما لا يكون دالاً مثلما الحال .

وإذا كان الصمت تتعدد دلالته في البيئات الشعبية [الحرافيش] فهو أيضاً تتعدد دلالته في الطبقة الوسطى [السكرية] ، والأمثلة التالية تؤكد ذلك : " وتشبع الجو بالحماس والحرارة ، وتعب المشرفون على الحفل حتى نشروا السكون في الأركان ، كي يسمع الناس المقرئ وهو يتلو ما تيسر من القرآن مردداً فيما يتلو ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ** ﴾ ، وكان الناس ينتظرون هذا النداء فتعالى الهتاف والتصفيق حتى احتج بعض المتزمتين وطالبوا بالصمت احتراما لكتاب الله[3] " .

---

(1) السابق ص٤٦٥ .

(2) السابق ص٤٦٧ .

(3) السكرية ص٣٧ .

وهـنا دلالة الصمت محددة باحترام كلام الله والتفكر فيه ، ودلالة الصمت في الحـوار التالـي جديدة في سياقها إذ يتكلم كمال ورياض قلدس [المسيحي] في مشكلة الأقباط والمسلمين ، يقول كمال : " اسمع ، لماذا لا تعالج ذلك في قصصك ؟

- مشكلة الأقباط والمسلمين ...

فصمت رياض قلدس ملياً ، ثم قال :

- أخاف سوء الفهم ..

ثم مستطرداً بعد فترة صمت أخرى :

- ثم لا تنسى أننا رغم كل شئ في عصرنا الذهبي[1] " .

دلالـة الصـمت الأول دلالته التعجب من طلب كمال ، أما الصمت الثاني من رياض أيضا دلالة على تفكره فيما يقول .

وهناك دلالة للصمت أخرى تتضح من الحوار التالي بين أحمد وعلوية التي يريد أحمد خطبتها فيعرض لها إمكانياته : " سأجد بعد تخرجي عملاً ..

ثم بعد لحظات من الصمت :

- وسيكون لي يوماً دخل لا بأس به !

فتمتمت في حياء :

- كلام عام ..

فقال وهو يداري ألمه بالهدوء :

- سيكون المرتب في الحدود المعروفة ، أما الدخل فحوالي عشرة جنيهات ..

وساد الصمت . لعلها تزن الأمور وتفكر[2] "

الصـمت الأول دلالـته التحرج من الكلام في هذا السياق ، أما الصمت الثاني فدلالته التفكر .

---

(1) السابق ص١٤٩ ، ١٥٠ .

(2) السابق ص١٨٧ .

وانظر إلى دلالة الصمت في الحوار التالي : " ألم تفكر في اختيار الشكل الذي يناسبك من أشكاله الكتابة ؟

فصمت مفكراً كأنما أغلق عليه المعنى المقصود[1] " .

دلالة الصمت هنا هي التعجب من التساؤل . انظر أيضاً إلى النص التالي :

" وتوقفت عن المسير وابتسمت ابتسامة مرتبكة كأنما تقول آن لنا أن نفترق فبلغ به الاضطراب نهايته ، ثم مدت يدها ، فتلقاها بيده وصمت فترة رهيبة ، ثم غمغم :

- مع السلامة[2] ! .. " .

الصمت هنا يدل على الاضطراب من الافتراق وعدم موافقته عليه .

وفي الطبقة العليا كما تصور رواية الشحاذ نجد الصمت متعدد الدلالات أيضاً ، ومن ذلك الأمثلة التالية :

" ولولا الشرفة المغلقة المطلة على الميدان ما روعتهما بين حين وآخر عواصف الشتاء أو انهلال المطر . واستنفدت ليالي الشتاء الأحاديث . وشملهما الصمت أوقاتاً ولكنه صمت مضمر للرضى والارتياح والطمأنينة المتبادلة "[3].

الصمت هنا دلالته الرضى والارتياح والطمأنينة التي تسود بينهما ، أما الصمت في النص التالي فله دلالة أخرى ، " وتعانقا طويلا وعمر في غاية من الانفعال ، ثم جلسا على المقعدين المتقابلين أمام المكتب ولسانه لا يتوقف عن كلمات الترحيب والتهنئة والتبريك ، والآخر يبتسم وكأنه لا يجد ما يقوله . وحل صمت قصير كرد فعل فراحا يتبادلان النظر . وتموجت المخيلة بالذكريات . وتحركت في الأعماق مشاعر غريبة منذرة بكل ظن "[4] . إنه صمت التوجس والريبة .

وهكذا تتعدد دلالات الصمت في مادة البحث ، وهي بإيجاز ، دلالة التوجس والخوف والريبة، ودلالة الذهول، ودلالة التعجب، ودلالة العجز وعدم القدرة على

---

(1) السابق ص٢٠٩ .

(2) السابق ص٢٧٥ .

(3) الشحاذ ص١٠٣ .

(4) السابق ص١٣٠ .

الكـــلام، ودلالة الخوف من إفشاء السر، ودلالة الخجل والحياء، والصمت لدلالة الحال، ودلالـــة الاحـــترام والـــتفكر فـــي كـــتاب الله أثناء قراءة القرآن الكريم ، ودلالة على الاضطراب[1] .

[٢] دلالات الأصـــوات غـــير الكلامـــية [الفضـــلات الصوتية] كالتأوه ،والصراخ ، والضحك ، والغمغمة ، والزمجرة .

إن لهـــذه الأصـــوات دلالات ، تظهـــر من خلال الانفعالات التي تحدث التأوه والضـــحك والصـــراخ وغيرهم من الأصوات التي تمثل الحالة النفسية للمصوت بهم ، ولتحليل دلالات هذه الظاهرة من خلال مادة البحث أبدأ كالآتي :

- التأوه ، ومعه آه ، واوه ، وهه .

بيـــن صاحب اللسان أن " آه : هو حكاية المتأهّه في صوته[2] " ، كما يشير أحد الباحثيـــن إلـــى أن لا خلاف بين دلالة المادة في القديم ودلالتها المعاصرة فكلاهما يفيد التوجع والحزن[3] .

وأتـــى الـــتأوه بهـــذه الدلالـــة في الحرافيش ، وهذا كان في حوار بين عاشور وزوجته عن فلة التي تعمل في البوظة ، يقول الحوار : " وما هذه الفلة التي رمانا بها درويش ؟ تجنب النظر إليها وقال بازدراء :

- فيم تسألين ؟ ، بنت تقيم في خمارة ؟

- جميلة ؟

---

(١) درس د . أحمـــد عـــارف حجـــازي دلالـــة الصمت في الحديث النبوي ، ووجد دلالاته كالآتي : الاسترســـال فـــي الفكر ، الإفهام ، وجود الوحى أثناء السؤال ، انتظار الوحي ، الشفقة والحب ، الـــرفض – الرضا والقبول ، المخالفة ، كما يشير إلى أن دلالات الصمت في الحديث اليومي تفيد دلالات متعددة ، منها :

[١] الموافقة .	[٢] المخالفة .	[٣] الرضا والقبول .	[٤] الحياء .
[٥] التعلم .	[٦] التفكير .	[٧] الاحترام .	[٨] الخوف .

كما يشير إلى دلالته الأساسية وهي انتهاء الكلام ، أو انتهاء الفكرة .

انظر بحث د . احمد عارف ١٩٩٤م ص١٢٦ ، ١٤٣ .

(٢) لسان العرب مادة " أوه " .

(٣) انظر د . محمد داود ٢٠٠٢ ص٤٧٠ .

- داعرة .

- جميلة .

....

فقالت متأوهة :

- لن يرجعوا يا عاشور ... "[1] .

فهنا دلالة التأوه الحزن .

وتأتي[آه] أيضاً في الحوار التالي : " فقال إبراهيم شوكت وهو يشعل سيجارة:

جاءها الطلق في الصباح الباكر ، والساعة تدور الآن في الخامسة مساء ، مسكينة ، إنها رقيقة كالخيال ، ربنا يأخذ بيدها .

ثم وهو يردد عينيه الخاملتين في الجالسين عامة ، وابنيه عبد المنعم وأحمد خاصة :

- آه لو تذكر الآلام التي تتحملها الأم[2] ! " .

و" آه " هنا دلالتها واقعة على الآلام التي تتحملها الأم في عملية الولادة .

وتأتي" آه " بدلالة الخوف في الحوار الذي يدور بين أحمد عبد الجواد وزوجته ، يقول السيد : " وجهك شاحب من المشي ، كلها كم يوم وتصبحين من زبائن الدكتور! ..

- ربنا الحافظ ، أن لا أخرج إلا لزيارة آل البيت، فكيف يقع لي سوء ؟ ! .. ثم متداركه :

- آه يا سيدي ، كدت أنسى ، يتحدثون في كل مكان عن الحرب ، يقولون إن هلتر هجم ... ! "[3] .

وآه تأتي للتوجع مع التأوه : " فتأوه الباشا قائلاً :

---

(1) الحرافيش ص٤٢ .

(2) السكرية ص١٥٤ .

(3) السابق ص١٧٤ .

– أيـــام زمـــان ! . آه مـــن الـــزمان ! ، يا أولاد لم نكبر ؟ !! ، جلت حكمتك يا ربي وعلت[1] ! .. " .

أتى الفعل " تأوه " مع " آه " ؛ ليفيد التوجع الزائد عند المتكلم .

وتأتي [أف] بدلالة المعاناة كما في " الدنيا حر ، أف ..

– إذا لطستنا الخمر استوى لدينا الحر والبرد .. "[2] .

وتأتي [أوه] بمعنى التعجب : " أتعرف هذه المرأة ؟ .

– نعم ..

– كيف ؟

– امرأة من هاتيك النسوة ، ولعلها نستني ! ..

– أوه ، الحانات ملأى بهن .... "[3] .

وكذلـــك في الحوار التالي : " صاحبكم جثة لا يؤثر فيها الشعر ! ، ولكنه سيبلغ قريباً فترة الحسرات حين يصير كل جميل أو إحدى أخواتها ، [ثم متلفتا إلى مهران] وأصحاب زمان يا ابن الهرمة هل نسيتهم .

– أوه ، الله يمسيهم بالخير[4] .. " . وتدل هنا على التوجع بذكرى مع صاحب .

وهناك [هه] ، يقول : " وعندما قلت لها إني توّاق إلى سماع كلمات الحب من ثغـــرها المشغول بالاشتراكية وبّختني قائلة باحتقار : " هذه النظرة البورجوازية العتيقة إلى المرأة .. هه ! ؟ "[5] .

وتأتـــي [هـــه] في النص السابق بدلالة الاستحقار والاستهزاء ، وتأتي بدلالة التعجب كما في النص التالي: " كان سفره إلى إيران آخر ما حدثني به إسماعيل لطيف عنه ! .

---

(1) السابق ص٣٠١ .

(2) السابق ص١١٣ .

(3) السابق ص١٩٣ .

(4) السابق ص٣٠٢ .

(5) السابق ص٢٦١ .

فقال حسين بكآبة :

لـــم تمكث أختي معه في هذه الرحلة إلا شهراً واحداً ، ثم عادت بمردها .. [ثم بصوت منخفض] يرحمها الله ! .

هه ؟ ! .. "[1] .

- الصـــراخ :

الصرخة هي " الصيحة الشديدة الفزع أو المصيبة ... وقيل الصراخ : الصوت الشـــديد[2] " ، ويشـــير د . داود إلـــى أنها تأخذ في الفصحى المعاصرة دلالات الدعوة الحـــارة ، والإعلان بشدة ، وبمعنى الهتاف العالي ، وبمعنى الشكوى ، وبمعنى الأفكار الجريـــئة ، وبمعـــنى الطلـــب بإلحاح ، وبمعنى النداء ، وبمعنى النقد الحاد ، وبمعنى الرفض[3] . ونقدم في السطور التالية تحليلاً لدلالة الصراخ .

يقـــول : " ضـــمه عاشور إلى صدره بقوة حتى صرخ "[4] ، وهنا بمعنى طلب النجدة من قوة ضم عاشور له ، وألمه من هذا الضم.

وبالدلالـــة نفسها في النص التالي : " فانقض عليها فلطمها حتى صرخت فوثب عاشور نحوه وطوقه بذراعيه وشد حتى صاح متأوهاً :

- أنا في عرض النبي ....

فتركه وهو يزمجر غاضباً فتهاوى درويش على الأرض وهو يصرخ "[5] .

وهنا وردت كلمة صرخ مرتين بدلالة طلب النجدة ، والألم .

وتـــرد بدلالـــة الفزع والغضب في : " ثم رأى بكر يسد الباب مرتجفاً من شدة الغضب .

([1]) السابق ص٣١٠ .

([2]) لسان العرب مادة " صرخ " .

([3]) د . محمد داود ٢٠٠٢ ص٤٧٨ ، ٤٨٠ .

([4]) الحرافيش ص٢٤ .

([5]) السابق ص٥٠ .

صرخ بكر :

- يا لك من وغد .

انقــض عليه كالوحش وراح يكيل له الضربات والآخر ولا يرد . دميت شفتاه وأنفه ولكنه لم يرد ، فصاح بكر :

- شلك العار

....

- ماذا جرى لك ؟

- ألا تعرف حقا ؟

- لا أفهم شيئاً ..

فصرخ :

- تطمع في زوجة شقيقك "[1] .

وتــرد بمعنى الرفض، مثل : " فقال خضر: إذن فليؤجل المزاد لعلنا نصل إلى اتفاق .

عند ذاك صرخ بكر : كلا "[2] .

وبمعنى الاعتراض ، مثل : " ما أنت إلا امرأة قذرة تتطلع إلى عاشقها القديم .. فصرخت :

- لقد فقدت عقلك "[3] .

فهنا بمعنى الاعتراض على السب والتطاول .

وتأتــي " صرخة " بمعنى مصيبة أو فزعة ، : " من مكان ما في مملكة الظلام انطلقت صرخة . صرخة مميزة بالفزع واليأس . سرعان ما تجسدت في صورة فريسة موءودة الفرحة . تتطلع بعينين محتجتين نحو النجم اللامع[4] " .

---

(1) السابق ص١٦٨ .
(2) السابق ص١٨٦ .
(3) السابق ص١٨٨ .
(4) السابق ص٢٢٠ .

وكذلك في : " عقب اختفائه بدقائق سمعت صرخة عصفت بجذور قلبها .

اندفعت من الدكان مجنونة فرأت وحيد يتمرغ في التراب مخضب الوجه بالدماء. وعن بعد ثمة غلمان يجرون فزعين ، تجاهلت مضطرة الجناة ورفعت ابنها بين يديها وهي تصوت ، ولما تفحصت وجهه صرخت بأعلى صوتها :

- ضاعت عين الولد ! "[1] .

وتأتي كلمة " صريخ " بمعنى الصوت الشديد المفزع ، : " والتحم الفريقان بضراوة ووحشية . تصادمت النبابيت ، تلاطمت الأجساد ، فرقعت الصكات ، تطايرت اللعنات تحت الرذاذ ، سالت الدماء ، استحرت الأحقاد ، أغلقت الدكاكين ، هرولت العربات ، تجمع الناس في طرفي الحارة ، اكتظت النوافذ والمشربيات علا الصريخ والعويل .. "[2] .

وأشير إلى أن الصراخ ومشتقاته يوجد بكثرة في الحرافيش ويقل في الشحاذ ، بينما لا يوجد بكثرة في السكرية ، وهذا بالفعل حقيقة فالصراخ يوجد في البيئات الشعبية ، ويقل في الوسطى ، ويندر في العليا .

- الزمجرة :

الزمجرة هي : " الصوت ، وخص بعضهم به الصوت من الجوف ، ويقال للرجل إذا أكثر الصخب والصياح والزجر : سمعت لفلان زمجرة[3] " واستعيرت إلى مجال الدلالة الكلامية بمعنى : الكلام بغضب وحدة، وربما بسوء أدب[4] .

وترد بمعنى الكلام بغضب وسوء أدب في : " فوثب عاشور وطوقه بذراعيه وشد حتى صاح متأوهاً :

- أنا في عرض النبي ..

فتركه وهو يزمجر غاضباً فتهاوى درويش على الأرض وهو يصرخ :

---

(1) السابق ص٢٤٧ .

(2) السابق ص٤٧٨ .

(3) لسان العرب مادة " زمجر " .

(4) انظر د . محمد داود ٢٠٠٢ م ص٤٩٩ .

في ألف داهية .. "[١] .

وتـــرد بمعـــنى آخـــر وهو الصوت الصاخب الذي تفعله زوابع : " وتمر الأيام تزمجـــر زوابع أمشير ثم تعقبها رياح الخماسين . تتراكم السحب ثم يسفر بحر الصفاء الأزرق[٢] " .

وترد بمعنى الصوت الصاخب للغضب كما في : " واستأنف الحملة عليها حتى هرع عمال إلى مدخل الحجرة وتجمهر نفر في الحارة أمام المحل .

وترامى من بعيد صوت سليمان الناجي وهو يزمجر[٣] " .

وأشـــير إلـــى أن الزمجـــرة وجدت في الحرافيش [البيئة الشعبية] ولم ألاحظ وجودها في السكرية والشحاذ ، ربما لارتباط الصوت العالي الشديد في عملية التواصل بالبيئات الدنيا .

- **الغمغمة :**

تعـــرف الغمغمـــة والتغمغم بأنها : " الكلام الذي لا يبين ؛ وقيل : إنها أصوات الثيران عند الزعر ، وأصوات الأبطال في الوغى عند القتال ، قال امرؤ القيس :

وظل لثيران الصريم غمائم   يداعسها بالسمهري المغلب

وفي صفة قريش ليس فيهم غمغمة قضاعة ، الغمغمة والتغمغم : كلام غير بين قاله رجل من العرب لمعاوية "[٤] .

وتأتـــي كلمـــة الغمغمة[٥] ومشتقاتها بكثرة في رواية الحرافيش ، وسوف نتبين دلالات الغمغمـــة مـــن خلال حدث الغمغمة في السياق الخاص بالنصوص التي نختار بعضا من الذي وردت فيه .

---

(١) الحرافيش ص٥٠ .

(٢) السابق ص١٢٦ . وأشير إلى أن هذا المعنى لم يرد في الدراسة القيمة التي أعدها د . محمد داود عن الدلالة والكلام ، دراسة تأصيلية لألفاظ الكلام في العربية المعاصرة .

(٣) الحرافيش ص١٦٨ .

(٤) لسان العرب: مادة [غمم] .

(٥) لـــم يـــتطرق د . محمـــد داود إلى هذه الكلمة رغم أن كتابه عن الدلالة والكلام ، دراسة تأصيلية لألفاظ الكلام في العربية المعاصرة .

يقول : " عصف الغضب بعاشور . اجتاحت عاصفته جدران معبد الليل . وجه مـــن راحته الكبيرة ضربة إلى رأس معلمه هوى على أثرها فاقد الوعي . لبث يصارع غضبته حتى تراخت للسكون . أدرك خطورة ما أقدم عليه . غمغم :

- غفرانك يا شيخ عفرة .

....

تطاير من عيني درويش شرر ينم على التذكر. ترامقا ملياً في صمت . خيل إلى عاشور أن عفرة وسكينة حاضران ، ينظران في وجوم ..

غادر عاشور البيت مغمغماً :

- توكلت على خالق السماوات والأرض ... "[1] .

إنّ غمغم هنا بمعنى قال كلاما غير بين ، نتيجة الذعر والغضب الذي كان فيه ، وفـــي نهايـــة الـــنص جاءت كلمة [مغمغما] بالدلالة نفسها ، وندرك مباشرة أن فعل الغمغمة يحدث هنا في سياق غضب وذعر وضرب .

وتأتـــي الغمغمة لشئ مأسوف عليه من قبل فاعل الغمغمة كما في : " كلا إنها بنت يتيمة تبنيتها ...

....

- ولماذا تجئ بها إلى الخمارة ؟

- لتكسب رزقها بعرق جبينها !

فغمغم آسفاً :

- لا فائدة "[2] .

فهنا الغمغمة : الكلام غير الواضح أتى في سياق دلالته الرفض لما يقال .

وفـــي نص آخر : " لم يعد عاشور يرى من النهار إلا غباره ، ولا من الليل إلا ظلامـــه ، وكلما أقدم على عطفة توقع عثرة ليست في الحسبان ، وترف عينه فيغمغم اللهم اجعله خيرا . ترى هل أصاب البنيان شرخ يتعذر ترميمه ؟ "[3] .

---

(1) الحرافيش ص١٩ .

(2) السابق ص٣٧ .

(3) السابق الصفحة نفسها .

هنا يغمغم بمعنى يتلفظ بكلام غير واضح ناتج عن الحالة النفسية التي هو فيها ، فهنا يغمغم دلالتها واضحة من سياقها .

ويقول : " وتتابعت الفصول ، وظلت التكية تشدو بالأناشيد الغامضة ، حتى جاء اليوم الموعود .

وتلفت شيخ الحارة فيما حوله وغمغم حانقا :

– ما شاء الله !

رأى الأعلام ترفرف في أعالي الدكاكين والأسطح ، رأى الكلوبات تعلق ، رأى الأرض تفرش بالركل الفاقع ، سمع موجات الأصوات وهي تهدر بتبادل التهاني . وعاد يغمغم :

– كل ذلك من أجل عودة لص من سجنه ! "[1] .

هنا يغمغم وغمغم بالدلالة السابقة ، ولكن ارتبطت بحقد من شيخ الحارة وتكرار الغمغمة هنا له دلالته الواضحة على الكراهية الزائدة من شيخ الحارة على فتوتها عاشور .

وفي النص التالي : " ونادت شمس الدين حتى فتح عينيه متذمراً . طالعها بوجهه الجميل متسائلاً ، فقالت له :

– أبوك لم يرجع من سهرته ! .

ولما استوعب قولها أزاح عنه الغطاء بجسمه الرشيق المائل إلى الطول وبقلق غمغم :

– ماذا حدث ؟ "[2] .

غمغم هنا بالدلالة نفسها المذكورة آنفاً ، وقد أعطت دلالة القلق والحيرة هنا .

ويلاحظ أن دلالة الغضب واضحة في النص التالي :

" ترى ماذا شهدت خمارة درويش ؟ . هل يوجد رجال يعرفون من خفايا أمه ما لا يمكن أن يعرف ؟ ! .

---

(1) السابق ص٨٦ ، ٨٧ .

(2) السابق ص٨٩ ، ٩٠ .

وغمغم بغضب :

- الويل لمن تسول له نفسه اقتحام محرابها ! "[1] .

وكذلك في النص التالي : " فغمغم بأصوات مغضوضة وجف ريقه "[2] .

وتكتسب دلالة الحيرة كما في النص التالي : " وقال الحرافيش إن أسرة الناجي أصبحت مسرح الحزن وأمثولة العبر جزاء خيانتها لعهد جدها العظيم صاحب الكرامات والبركات ...

وفي ذلك الوقت تنكر الجو في برمودة فتلبدت السماء بالغيوم على غير ميعاد ، وانهل مطر غريب ، ثم تساقط وابل من البرد ، فذهل الناس وعجبوا ، ووجفت قلوبهم ، ولكنهم غمغموا حيارى " لعله خير يا رب العالمين ! "[3] .

إنّ الغمغمـــة هنا دلالة على الحيرة التي فيها الحرافيش للأحداث الواضحة من السياق التي غمغم فيها الحرافيش .

وهكــذا تأتي الغمغمة بمعنى أصوات أو كلام غير واضح في سياق يتضح منه الغضب أو الضرب والذعر أو الحسد أو الحيرة .

- الهمهمة :

هـــي" الكلام الخفي ، وهمهم الرجل إذا لم يبن كلامه "[4] ، ووردت في العربية المعاصرة بمعنى الكلام الخفي غير الواضح "[5] .

وترد الهمهمة في مادة البحث ، منها " فقال بعد تردد :

- عثرت على وليد تحت السور العتيق ..

وانداحت همهمة بين الرجال حتى قال أحدهم :

- اللعنة على الآثمين .. "[6] .

---

(1) السابق ص١١٠ .
(2) السابق ص١٢٣ .
(3) السابق ص٣٨٠ .
(4) لسان العرب مادة " همم " .
(5) د . محمد داود ٢٠٠٢ م ص٤٩٤ .
(6) الحرافيش ص٧ .

والهمهمـــة هي الكلام غير المفهوم ، أو تصويت غير مفهوم والهمهمة تدل هنا على الحيرة والتوجس الذي جعل الرجال يهمهمون، وبالدلالة نفسها ترد في النص التالي : " تطايـــرت التوقعات من رأس إلى رأس . سرت الهمهمة مثل الطنين . داري سعيد القفي ابتسامة[1] " .

– الضحك :

ولمـــا كانـــت دلالـــة الضحك متعددة جعلتها في نهاية الأصوات غير الكلامية. والضحك هو سرور النفس ، وقد استعير ليستخدم في مجال السخرية ، ومجالات أخرى سوف نراها في النصوص التالية من مادة البحث .

فيستخدم بدلالة السخرية مثل : " فقال أحمد عبد الجواد متنهداً :

– أنا ؟ ! . يا ليت ، الزمن غير الزمن يا سلطانة ، طالما صارحتك بالحقيقة ولكن يبدو أنك لا تصدقين يا سلطانة ..

فضحكت ضحكة دارت بها خيبة أملها وقالت :

– السلطانة مفلسة ، فما العمل ؟ "[2] .

وأيضا بدلالة السخرية في النص التالي : " فقال أحمد عبد الجواد ضاحكاً :

– إذا ندمتم فاندموا على الشر لا على الخير يا أولاد الكلب ! . "[3] .

وبدلالة السخرية أيضاً : " يبدو أن قهوة أحمد عبده لا تعجبك !

فارتفع رأس إسماعيل في تطاوله المعهود ، وقال :

– إنها غريبة حقاً ، ولكن لماذا لا نختار مكانا فوق سطح الأرض ؟ !

– على أي حال هي أنسب مكان للناس المستقيمين أمثالك .

فضـــحك إسماعيل وهو يهز رأسه في تسليم ، كأنما يقر بأنه أصبح جديراً حقا بفضيلة الاستقامة ، هو الذي كان وكان[4] " .

---

(1) السابق ص١٨٥ .

(2) السكرية ص١٩ .

(3) السابق ص٤٢ .

(4) السكرية ص٤٨ ، ٤٩ .

وبدلالـــة السرور والانبساط في النص التالي : " فضحك إسماعيل ضحكة عالية أعـــادت إلى وجهه الرزين كثيراً من ملامح الماضي الماكرة[1] " ، وبالدلالة نفسها في الـــنص التالـــي : " فتساءل إبراهيم الفار : أتحسب أن الذي يستطيع أن يعرف أن جده الأول قرد يعجز عن معرفة أن أباه فاسق فاجر ؟ !

– فضحك محمد عفت عاليا حتى سعل[2] " .

وتـــتلون الضحكات بدلالات متنوعة كما في النص التالي : " وشعر لتوه بأنه ما كان ينبغي له أن يطرح هذا السؤال خشية أن يفسره الآخر بأنه استدراج إلى الكلام في خطبة نعيمة ! ، ولكن فؤاد لم يبد عليه أنه فكر في هذا ، بل ضحك ضحكة عالية وإن لم تخرج به عند حد الوقار ، وقال :

أنـــت تعلم أني لم أفسد إلا متأخراً ، لم أفسد مثلك في زمن مبكر ، فأنا لم أشبع بعد !

....

– أنت تنظر إلى الزواج نظرة ...

فقاطعه قبل أن يكمل كلامه ضاحكاً :

خير من الذي لا يعيره نظرة على الإطلاق !

....

إن مركزك يغنيك عن أمثال هذه المغامرات ..

– لولا هذه المغامرات ما استطاع رئيس أن يؤلف وزارته ؟ .

فضحك كمال ضحكة لا طعم لها[3] " .

فدلالة الضحك في النص السابق تتنوع ما بين السخرية والسرور والاستهجان .

وتتلون دلالة الضحك في السياقات الثقافية التي تزخر بها السكرية ، ومن ذلك : " قلت إني سأجد عملاً ، ستجدين من ناحيتك عملاً أيضاً ...

---

(1) السابق ص٥٠ .

(2) السابق ص٤٦ .

(3) السابق ص٩٩، ١٠٠ .

فضحكت ضحكة غريبة :

- كلا لن أشتغل ، لم أذهب للجامعة لأتوظف كسائر الزميلات ..

ليس العمل عيبا ..

....

فقالت بصوت كأنما تعمدت أن يكون رقيقاً فوق العادة ك

- أستاذ أحمد ، فلنؤجل الحديث ، أعطني مهلة للتفكير ...

فضحك ضحكة فاترة "[1] .

فالضحكة الأولى التي ضحكتها علوية كانت ضحكة غريبة دلالة على الاستهجان مـــنها لمـــا يقوله أحمد ، أما الضحكة الثانية وهي من أحمد فقد كانت فاترة تحمل دلالة الضـــيق والضجر من كلام علوية . وأنا أتعمد أن استعين بالكلمة داخل سياقها الواسع حتى تكون دلالتها واضحة .

وتحمـــل الضحكة أحياناً معاني مهمة داخل الرواية ، ومن ذلك " فضحك ياسين ضحكته العظيمة وقال[2] " ، وياسين شخصية لها خصوصيتها في الرواية ، حيث حملت بدلالة الاستهتار وحب العبث .

وتأتي الضحكة بمعنى الرثاء كما يتضح من النص لتالي : " السلطانة في حجرة فوق السطح ! . سبحان من له الدوام . فقال علي عبد الرحيم :

- نهاية محزنة ، بيد أنها كانت متوقعة .

فندت عن محمد عفت ضحكة رثاء وقال :

- فليرحم الله من يأمن إلى هذه الدنيا ! "[3] .

كما أنها تحمل دلالات أخرى في النص التالي: " من الصعب أن أوضح ، ولكنى وجدت في ديوانك بدء الطريق ..

---

(1) السابق ص١٨٧ .

(2) السابق ص٢٨٠ .

(3) السابق ص٤٨ .

وضحك ضحكة عضلية خالصة وقال :

- مؤامــرة عائلــية ! .. أمــك تعرف من زمن وأطلعتك على ذلك الشئ الذي تسمينه ديواناً .. "[1] .

إن ســخرية من نوع خاص تلك النابغة من هذه الضحكة العضلية ، وتأتي من النص التالي بنوع من السخرية الحادة أيضاً:"الدكتور حامد سأل عن الأصلع الصغير .. ثم بعد أن سكتت عاصفة الضحك "[2] .

انظر إلى تعبير " عاصفة الضحك " المفعم بدلالة السخرية ، وأيضاً يأتى تعبير آخــر عند نجيب محفوظ بالدلالة نفسها ، : " على أن أعيد النظر في حياتي كما فعلت أنت ..

- طالما نصحت بالمثابرة والصبر .

فبصق ضحكة خشنة وقال :

- لا فائدة من تجاهل الجماهير ! " [3] .

انظــر إلــى التهكم والازدراء من خلال تعبير فبصق ضحكة خشنة الموصوف بسمات بلاغية جميلة الدلالة في سياقها ، والحادة في وصفها ضحكة الرجل .

وتأتــي كلمة يقهقه بدلالة السخرية والتهكم كما في : " وسرعان ما اعترف فيما بيــنه وبيــن نفسه بأنه ضاق بكل شئ ذرعا ، وأن الدنيا تبدو أحياناً كلفظة قديمة اندثر معناها .

- إنك لم ترض يوماً عن عقلي !

إسماعيل وهو يقهقه :

- أتذكر ؟ يالها من أيام ! "[4] .

---

(1) الشحاذ ص٣٧ ، ٣٨ .

(2) السابق ص١٦ .

(3) السابق ص٤٠ .

(4) السكرية ص٥٢ .

وتأتي بدلالة السرور والانبساط : " فقال لإسماعيل :

- أتقبل دعوتي إلى كأسين في مكان لطيف مأمون ؟

فقهقه إسماعيل قائلاً :

- إن زوجتي تنتظرني لنذهب معاً إلى زيارة خالتها .. "[1] .

وتأتـــي بدلالـــة أخرى حسب هذا السياق : " يعاملني كما لو كنت أنا الابن وهو الأب ، يحاسبني حساب الملكين .. أو يتساءل وهو يقهقه[2] " .

هنا تحمل دلالة عدم الأهمية والازدراء والغضب .

وتحمـــل دلالـــة الســـخرية كما في النص التالي : " عند ذاك قال حسونة السبع متهكماً :

- هناك سبب أقوى من الإفلاس .

واتجهت إليه الرءوس بكل إجلال فقهقه قائلاً :

- الجنون ! .. "[3] .

وهكذا تتعدد دلالات الضحك[4] والقهقهة في الروايات مادة البحث ، مما يجعلنا نقـــول إن الأصوات غير اللغوية التي يخرجها الإنسان ، والتي تسمى عند علماء اللغة بالفضلات اللغوية تحمل معاني عديدة داخل التواصل ، وتحملها كل ثقافة دلالات خاصة بها ، ومن هنا نقول إن دلالات السمات اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي تعطي دلالات واسعة في عملية التواصل .

---

(1) السابق ص٥٥ .

(2) الحرافيش ص٣٨٨ ، ٣٨٩ .

(3) السابق ص٥٣٥ .

(4) فـــي دراســـته لـــدلالات الضحك في الحديث الشريف ذكر د . أحمد عارف أن دلالاته كالآتي : السرور والاستحسان والرضا والقبول، والتعجب ، والتعظيم ، والتصديق ، والحياء ، والغضب. انظر كتاب د . احمد عارف ص١١١ – ١٢١ .

الخاتمة

فـــي خـــتام بحثي هذا القائم على تحليل دلالات السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي في عملية التواصل في روايات الأستاذ نجيب محفوظ : ملحمة الحرافيش ، والسكرية ، والشحاذ وقد قسمت هذه الدلالات إلى قسمين :

[١] قسم نابع من أصوات تابعة للأداء الكلامي .

[٢] قسم نابع من أصوات غير كلامية كالغمغمة والصراخ والزمجرة والضحك .

في القسم الأول رأيت من خلال نصوص الروايات أن السمات الصوتية تساعد المؤلف على رسم شخصيات الرواية ، ويستغلها في إيضاح السمات الجسدية ، أي بين القوة والضعف ، وبين الرجل والمرأة ، فقد رأينا المؤلف قد عبر بالفروق الصوتية بين شخص وآخر من الجنس نفسه ، وبين الرجل والمرأة ، وأضفى على شخصياته سمات صوتية شخصية أعطت دلالات متنوعة .

كما أن السلوك الصوتي كما يتضح من خلال نصوص الروايات يرتبط بالحالة النفسية ، وكذلك بالحالة الصحية للمتكلم.

وتبيـــن الســـمات الصـــوتية الشـــبه اللغويـــة المصاحبة للأداء الكلامي الطبقة الاجتماعـــية المنتمـــي لها المتكلم التي نشأ فيها ، ومن روايات محفوظ اتضح كثير من السمات الخاصة التي ترد كثيراً في الحرافيش [البيئة الشعبية] ولا ترد في السكرية أو الشـــحاذ لارتـــباطها بالبيئة الدنيا . فسمات كالولولة عند النساء توجد في البيئة الشعبية أكثر من البيئات الأخرى .

كمـــا حللت دلالات الصمت التي وجدتها من خلال نصوص الروايات دالة على التوجس والريبة ، والتفكر ، والخوف ، والحيرة ، والعجز ، والحزن ، والاضطراب ، وعدم الموافقة .

أمـــا دلالات الأصوات غير الكلامية ، فمن خلال الروايات المذكورة وجدت أن دلالـــة الـــتأوه ، وآه هي الألم ، والخوف ، ويأتي الفعل " تأوه " مع " آه " ليفيد التوجع الزائد عند المتكلم .

وتأتـــي " أف " بدلالـــة المعاناة ، وتأتي " أوه " بمعنى التعجب ، وتأتي " هه " بمعنى الاستحقار والاستهزاء .

أمـــا الصراخ فيدل على الألم وطلب النجدة ، وبدلالة الرفض ، والاعتراض ، وللتعبير عن الفزع .

وتدل الزمجرة على الغضب ، وتدل الهمهمة على الكلام غير المفهوم لظروف يعيشها المتكلم، وتدل الغمغمة على الغضب والضجر ، وغالبا ما ترتبط بالبيئات الشعبية لكثرة المعارك فيها .

ويـــدل الضحك على السخرية ، والسرور ، والاستهجان ، ويدل على الرثاء ، والـــتهكم والازدراء ، كمـــا أن القهقهة تدل على السرور ، وعدم الأهمية، والغضب ، والسخرية ، هذه الدلالات تنبع من خلال السياقات التي حدثت فيها في الروايات الثلاث.

المصادر والمراجع

أولاً : **العربية** :

١- الأبشـيهي ، شهاب لدين محمد بن أحمد : المستطرف في كل فن مستظرف ، تحقيق د . مصطفى محمد الذهبي ، دار الحديث بالقاهرة .

٢- إيركرومبـي ، ديفيد ١٩٨٨ : مبادئ علم الأصوات العام ، ترجمة وتعليق د . محمد فتيح ، القاهرة .

٣- د . بشـر [كمـال] ١٩٩١ : اللغة والثقافة ، مقال منشور بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج٦٨ ص٢٥ - ٥٢ .

٤- الجـاحظ ، أبـو عثمان ، عمر بن بحر ١٩٦٩ : البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، طبعة الخانجي .

٥- د . حسام الدين ، كريم ١٩٩٠ : الإشارات الجسمية ، طبعة الأنجلو المصرية .

٦- ــــــــ ١٩٩٢ : الدلالة الصوتية ، طبعة الأنجلو المصرية .

٧- ــــــــ ٢٠٠١ : اللغة والثقافة ، طبعة دار غريب بالقاهرة .

٨- د . داود ، محمد محمد ٢٠٠٢ : الدلالة والكلام ، دراسة تأصيلية لألفاظ الكلام في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة ، دار غريب بالقاهرة .

٩- الـرازي ، أبو عبد الله ، فخر الدين محمد بن عمر ١٩٨٢ : كتاب الفراسة ، تحقيق د . يوسف مراد ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٠- ١٩٨٥ : التفسير الكبير ، طبعة دار الفكر ، بيروت .

١١- د . زيادة : معن ١٩٨٦ : بين الثقافة والحضارة ، مقال منشور بمجلة الأبحاث بكلية الآداب - الجامعة الأمريكية ببيروت ، ٣٤ ، ١٩٨٦ ، ص٥١ ، ٦٥ .

١٢- د . الصـاوي ، لـيلى ٢٠٠٢ : لغة النساء المصريات كانعكاس لدورهن في المجـتمع المصـري . مقال منشور بكتاب : العربية أبحاث لغوية واجتماعية وتـربوية ، تحريـر د . السـعيد بـدوي و د. علاء الجبالي ، طبعة الجامعة الأمريكية بالقاهرة ص٥٣ - ٨٠ .

١٣- د. عـارف ، أحمـد ١٩٩٤ : دراسات لغوية في الحديث النبوي ، دار حراء بالمنيا ، مصر .

١٤- د. العبد ، محمد ١٩٩٥ : العبارة والإشارة ، دراسة في نظرية الاتصال ، دار الفكر العربي بالقاهرة .

١٥- د. عمـر ، أحمد مختار ١٩٨٥ : دراسة الصوت اللغوي، طبعة عالم الكتب ، القاهرة.

١٦- ______ ١٩٩٦ : اللغة واختلاف الجنسين ، طبعة عالم الكتب ، القاهرة .

١٧- ______ ٢٠٠١ : أنا واللغة والمجمع ، طبعة عالم الكتب ، القاهرة .

١٨- لوتمـان : يـوري وأوسنبسكي ، بوريس ١٩٨٦ : سيميوطيقة الثقافة ، ترجمة د. عبد المنعم تليمة ، ضمن كتاب أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة ، إشـراف د. سـيزا قاسـم و د . نصر حامد أبو زيد ، دار إلياس العصرية – القاهرة .

١٩- د. محجوب ، فاطمة ١٩٧٥ : اللكنة والحركة الجسمية من خلال البيان والتبيين ، مقال منشور بمجلة الثقافة ، العدد ٢١ ، ص٢٨ – ٣٤ .

٢٠- محفوظ ، نجيب : بين القصرين ، مكتبة مصر ، بدون تاريخ .

٢١- ______ : السكرية ، مكتبة مصر ، بدون تاريخ .

٢٢- ______ : الشحاذ ، مكتبة مصر ، بدون تاريخ .

٢٣- ______ : ملحمة الحرافيش ، مكتبة مصر ، بدون تاريخ .

٢٤- ابن منظور ، أبو الفضل ، جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب ، طبعة دار المعارف بالقاهرة .

٢٥- ورم ، س ، أ : تغـير اللغـات نتيجة لتغير الثقافة وانقراضها ، ترجمة أمين محمود الشريف، مقال منشور بمجلة ديوجين، العدد رقم " ٨١ " ص٣٨ – ٤٨.

٢٦- د. وطفـة ، علـي ١٩٩٤ : اللغة والانتماء الاجتماعي ، مقال منشور بمجلة الموقف الأدبي العدد ٢٨٢ ، ص٢٣ – ٣٨ .

ثانياً: الأجنبية:

- Alder, M,K, 1987: Sex Differences in Human Speech, Helmut Buske Verlag Hamburg .
- Allport, G.W and Cantril, 1972 : Judging Personality form Voice, in Laver, J and Hutcheson (eds) 1972, PP. 155- 171 .
- Bernstien, B, 1972: Social Class, Language and Socialization, in Giglioli, P (ed) 1972, PP. 157 – 178 .
- Birdwhiste, R. L. 1972 : Paralanguage Twenty – Five Years after Sapir, in Laver, J and Hutcheson (eds) 1972, PP. 82 – 100 .
- Bloomfield, L, 1962 : Language, Ruskin House, London.
- Bolinger, D, 1964 : Intonation as a Universal, in Horace, G. Lunt (ed) : Procedings of the Ninth International Congress of Linguists, PP. 833 – 848, Mouton, London – Paris.
- Crysal, D, 1971 : Prosodic and Paralinguistic Correlates of Social Categories, in Edwin Ardener (ed) 1971 : Social Anthropology and Language, PP. 185 – 205 , Tavistock Publications, London.
- Duranti, A, 1997 : Linguistic Anthropology, Cambridge.
- Eco, U, 1976: A Theory of Semiotics, Indiana Uni press.
- Firth , J. R, 1957: Papers in Linguistics 1934 – 1951, London.
- -------- 1968 : Ethnographic Analysis and Language with Reference to Malinowski Views, in Palmer, F, R, (ed) 1968. Selected Papers of J.R. Firth 1952- 1959, Longmans .
- German. C. 1972: Origne et évolution de la notion de situation de l'école linguistique de Londres, in la Linguistique 1972, Vol: 8, Face: 2, PP. 117 – 136 .
- --------- 1973 : La notion de situation en linguistique, Uni d'ottawa, Canada.
- Goodenough, W: H, 1964: Cultural Anthropology and Linguistics, in Hymes, D (ed) : Language in Culture and Society, Harper and Row, New York. PP. 36-39 .
- Halliday, M, A,K and Hassan, R, 1985: Language, Context and Text, Deakin University.
- Hall, E, T, 1959: The Silent Language, New York.
- Haslett, B, 1989: Comunication and Language Acquistion within a Culural Context, in Toomey, S. T and Korzenny (eds) 1989:

Language Communication and Culture, Sage publications, London, PP. 19-34.
- Hass, M, R, 1964 : Men's and Women's Speech in Koasati in Hymes D (ed) 1964 : Language in Culture and Society .
- Hymes, D 1972: On Communicative Competence, in Bridge, J and Holmes, J (eds) 1972 : Sociolinguistics, Benguin Books, PP. 269 – 293 .
- -------- 1972 : Toward Ethnographies of Communication, in Giglioli, P (ed) 1972 : Languages and Social Context, Penguin, PP. 21 – 44 .
- -------- 1974 : Foundation in Sociolinguistics, University of Pennsylvania Press.
- Kluckhn, C and Kelly, W, 1985 : The Concept of Culture, in Ralph, Linton (ed) 1985 : The Science of Man in the World Crisis, New York: Columbia University Press.
- Kramer, E 1972: Judgement of Personal Characteristics and Emotions from Non- Verbal Properties of Speech, in Laver, J and Hutcheson (eds) PP. 172 – 188 .
- Laver, J 1972 : Voice Quality and Indexical Information, in Laver, J and Hutcheson (eds) 1972, PP. 189 – 203 .
- Laver, J and Hutchesson (eds) 1972 · Communication in Face to Face Interaction, Penguin Books.
- Lyons, J, 1973 : Phonemic and non – Phonemic Phonology, in Jones, W, E and Laver, J (eds) 1973 : Phonetics in Linguistics, Longman, PP. 229 – 239 .
- Nida, E 1954 : Customs and Cultures, Harper and Row Pub, New York .
- Robins, R, H, 1971: Malinowski, Firth, and the Context of Situation, in Edwin Ardener (ed) 1971 : Social Anthroplolgy and Language, London, PP. 33 – 46 .
- ------- 1973 : Aspects of Prosodic Analysis, in Jones, W,E and Laver, J (eds) 1973 : Phonetics in Linguistics, Longman, PP. 262 – 277 .
- Sapir, E, 1927 – 1972 : Speech as a Personality Trait, in Laver, J and Hutcheson, S (eds) 1972, PP. 71 – 81 .
- Trager, G, 1964: Paralanguage: A First Approximation, in Hymes, D 1964 (ed) Language in Culture and Socity, PP. 274 – 287 .

رقم الإيــداع ٦٨١٥



